



مجلة جامعة الناصر

ISSN 2307-7662



AL-NASSER UNIVERSITY JOURNAL

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر
السنة التاسعة - العدد السابع عشر - المجلد (1) - يناير - يونيو ٢٠٢١م

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
Ninth Year - Jan \ Jun 2021 - Vol. (1) - No.(17)



السنة التاسعة - العدد السابع عشر - المجلد (1) - يناير - يونيو ٢٠٢١م
مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر

- ⬅ فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي في التحصيل لدى طلبة الصف الثاني الثانوي في مدارس محافظة المحرق - مملكة البحرين في ظل جائحة الكورونا.
- ⬅ فاعلية برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة المعلم لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية جامعة إب."
- ⬅ الجانب العاطفي لدى الشاعر السعودي محمد علي السنوسي (دراسة وصفية تحليلية مختارة)
- ⬅ العلاقات الخارجية للممالك الإسلامية في السودان الفونج - الفور أنموذجا
- ⬅ الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعر ابن عثيمين (ت 1363هـ) قصيدة المدح أنموذجا (دراسة وصفية تحليلية)
- ⬅ وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع (دراسة وصفية تحليلية مختارة)
- ⬅ الحق في "الحاجات الأساسية للإنسان" دراسة مقارنة في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الوضعية وتطبيقاتها في القوانين السعودية والمصرية
- ⬅ المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخيرية
- ⬅ أحكام المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك في النظام السعودي
- ⬅ قراءة بلاغية في المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني

- Local Environmental Pollution and the Administrative Law to Control it
- Efficiency of Educational Modules Training Program in Developing the Instructional Quality of the Students Prepared to Be Teachers at Faculty of Education, Ibb University
- Emotional Aspect of Saudi Poet Mohammed Ali Essenousi
A Descriptive and Analytical Study on Select Texts
- External Relationships of Sudan's Islamic Kingdoms: Funj-Fur as a Model
- Imagination and its Impact in Shaping the Imagery of Ben Othaymin's Poetry (1363 AH): A Descriptive and Analytical Study of Madih Poem
- Family Control Methods and their Role in the Security of Family and Community
A Social and Analytical Study
- Right of "Human Basic Needs": A Comparative Study of Divine and Empiricist Legislations and their Applications in Saudi and Egyptian Laws
- Faith Matters in the Preambles of Verbal Quran Chapters
- Provisions of Rejection to Honor a Check in Saudi Law
- Rhetorical Reading of Asdi Maqāmah by Badi' al-Zamān al-Hamadāni



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مجلة

جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر
السنة التاسعة - العدد السابع عشر - المجلد (١) - يناير - يونيو ٢٠٢١ م

الهيئة الاستشارية

أ.د. سلام عبود حسن - العراق
أ.د. جميل عبدالرب المقطري - اليمن
أ.د. صالح سالم عبدالله باحاج - اليمن
أ.د. حسن ناصر أحمد سرار - اليمن
أ.د. محمد اراروا - المغرب
أ.د. عبدالوالي محمد الأغبري - اليمن
أ.د. عمر محمد الشجاع - اليمن
أ.د. محمد حسين محمد خاقو - اليمن
أ.د. يوسف محمد العواضي - ماليزيا
أ.د. سعيد منصور الغالي - اليمن
أ.د. أحمد لطفي السيد - مصر
أ.د. حمود أحمد محمد الفقيه - اليمن
أ.د. منى بنت راجح الراجح - السعودية

رئيس التحرير

رئيس الجامعة
أ.د. عبدالله حسين طاهش

مدير التحرير

أ.م.د. محمد شوقي ناصر عبدالله

هيئة التحرير

أ.م.د. إيمان عبدالله المهدي
د. محمد عبدالله سرحان الكهالي
د. فهد صالح علي الخياط
د. ياسر أحمد عبده المذحجي
د. قيس علي صالح النزيلي

أ.م.د. عبدالكريم قاسم الزمر
أ.م.د. أنور محمد مسعود
د. منصور عبدالله الزبيدي
أ.م.د. منير أحمد الأغبري
د. خالد رضوان المخلافي

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء (٦٣٠) لسنة ٢٠١٣ م

مجلة جامعة الناصر - مجلة علمية محكمة - تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.





جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

أولاً: قواعد النشر:

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط الآتية :

❖ تسليم البحث:

1. يجب ألا يكون البحث قد سلم أو نشر جزء منه أو كله في أي مجلة أخرى.
2. يجب أن يكون البحث أصيلاً متبعاً المنهجية العلمية في كتابة الأبحاث.
3. لغة البحث يجب أن تكون سليمة ، ويكون البحث خالياً من الأخطاء .
4. تجنب النقل الحرفي من أبحاث سابقة مع مراعاة قواعد الاقتباس.
5. أن يحتوي البحث على ملخصين: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانجليزية، وبما لا يزيد عن 300 كلمة للأبحاث الإنسانية و200 كلمة للأبحاث التطبيقية لكل ملخص.
6. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (40) صفحة للأبحاث الانسانية أو (20) صفحة للأبحاث التطبيقية.
7. تنسيق البحث وكتابته بحسب قالب المجلة بحيث يمكن تحميله من الموقع.
8. يكتب البحث بحجم خط (16) عريضاً (simplified Arabic) للعناوين الرئيسية،
(و (14) عريضاً للعناوين الفرعية و (12) لبقية النص أو (Times New roman) للأبحاث
باللغة الانجليزية بحجم (14) عريضاً للعناوين الرئيسية و (12) عريضاً للعناوين الفرعية و
(12) عادياً لبقية النص، وبتباعد مضاعف وهامش 2.5 سم من كل الجهات .
9. رسالة تغطية موقع عليها من الباحثين، و يمكن تحميل القالب من الموقع.
10. تحميل البحث عبر موقع المجلة.
11. الهوامش أسفل كل صفحة، وترقم كل صفحة على حده، وبحجم خط (9) Arabic (Transparent).
12. مراجعة البحث لغوياً ومطبعياً قبل تسليمه للمجلة .

❖ تنسيق البحث:

أ- **صفحة العنوان** وتشمل عنوان البحث: (مختصر ودقيق ومعبر عن مضمون البحث ولا يحتوي اختصارات)، اسم أو أسماء الباحثين، عناوين الباحثين العلمية، عنوان المراسلة موضحاً فيها اسم ومقر عمل وإيميل وتلفون من سيتم مراسلته.

ب- **الملخص:** لا يزيد عن (300) كلمة للأبحاث في العلوم الإنسانية و(200) كلمة للأبحاث في العلوم التطبيقية، ولا يحتوي مراجع ويعبر عن مقدمة وطرق عمل البحث ونتائجه واستنتاجاته ويكتب باللغتين: العربية والانجليزية.

ت- **كلمات مفتاحية:** ما بين 4- 6 كلمات مفتاحية.

ث- **المقدمة** تكون معبرة عن الأعمال التي سبقت البحث وأهميتها للبحث مع كتابة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه في نهايتها.

ج- **طرق العمل:** اتباع طرق عمل واضحة .

ح- **النتائج:** تحدد بوضوح، وترقم الأشكال والصور بحسب ظهورها في المتن على أن تكون الصور بجودة لا تزيد عن 600*800 بكسل غير ملونة وبصيغة JPG ويظهر الشرح الخاص بها أسفل الصورة وبحجم خط 11، أما الجداول فتكون محددة بخط واحد ومرقمة بحسب الظهور في المتن ويكتب عنوان الجدول أعلى الجدول بخط 12 عريضاً بحسب ورودها في المتن:

خ- **المناقشة**

د- **الاستنتاجات**

ذ- **الشكر إن وجد**

ر- **المراجع:** بأرقام بين قوسين في المتن (1) وفي نهاية البحث تكتب كما يلي:

1. إذا كان المرجع بحثاً في دورية : اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). "عنوان البحث"، اسم الدورية: رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات.

مثال: الغسلان، عبدالعزيز بن سليمان علي، (2017). عقوبة الشروع في الجرائم التعزيرية، مجلة جامعة الناصر، المجلد الأول، العدد العاشر، ص 7.

Othman, Shafika abdukkader, (2013). Abstract Impact of the Lexical Problems upon Translating of the Economic Terminology. AL – NASSER UNIVERSITY JOURNAL, 2: 1-22.

2- إذا كان المرجع كتاباً : اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). عنوان الكتاب ، اسم الناشر، الطبعة، ارقام الصفحات.

مثال: الكاساني ، علاء الدين ابن أبي بكر بن مسعود، (1406 هـ – 1986) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، م ، ص 155 .

Byrne, J. (2006). *Technical Translation: Usability Strategies for Translating Technical Documents*. Dordrecht: Springer.

3- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه : يكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة،(السنة). "عنوان الرسالة"، يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه ، اسم الجامعة البلد.

مثال: الحيلة، أحمد محمد يحيى، (2017). آيات الأحكام في تفسير الموزعي والثلاثي من خلال سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة الحديدة-اليمن.

Alhailah, Ahmed Mohammed Yahya, (2017). The Verses of Judgments in the Explanations of the Distributors and the Athletes through Surah Al-Baqarah, Master Thesis, Hodeidah University-Yemen

4- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية : يكتب اسم الجهة، (سنة النشر). عنوان التقرير ، المدينة، أرقام الصفحات.

مثال : وزارة الشؤون القانونية، الجريدة الرسمية ، (1997). قانون الجرائم والعقوبات اليمني، 122.

Ministry of Legal Affairs, The Gazette, (1997). The Penal Code of Yemen, p. 122.

5- إذا كان المرجع موقعاً إلكترونياً : يكتب اسم المؤلف،(سنة النشر). عنوان الموضوع ، الرابط الإلكتروني.

مثال : روبرت، ج والكر. (2008). الخصائص الاثنتا عشر للمعلم الفعال: دراسة نوعية لآراء المدرسين أثناء وقبل الخدمة، جامعة ولاية الاباما، آفاق تعليمية .

<http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf> .

Robert J, Walker, (2008). Twelve Characteristics of an Effective Teacher: A Longitudinal, Qualitative, Quasi-Research Study of In-service and Pre-service Teachers' Opinions ", Alabama State University, Educational Horizons, fall. <http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf>

6- وقائع المؤتمر :اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث ، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر .

مثال: عبد الرحمن، عفيف. (1983م، 20-21 أكتوبر). القدس ومكانتها لدى المسلمين وانعكاس ذلك على كتب التراث. ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام "فلسطين"، مج(3)، عمان: الجامعة الأردنية.

Abu Alyan, A. (2012, October 20-21). An Intercultural Email Project for Developing Students: Intercultural Awareness and Language Skills. Paper presented at The First International Conference on Linguistics and Literature, IUG, Gaza

❖ إجراءات النشر:

1. بعد استلام البحث ورسوم التحكيم سيعرض البحث على مدير التحرير ومن ثم يتم عرضه على اللجنة الاستشارية المختصة للموافقة المبدئية من عدمها ثم سيرسل للمحكمين الخارجيين .
2. بناء على قرار المحكمين سيتم قبول البحث بدون تعديلات أو مع تعديلات بسيطة أو تعديلات جوهرية أو لا يقبل البحث وستتم موافاة الباحث(الباحثين) بالنتيجة عن طريق الأيميل .
3. ستعود النسخة المعدلة مرة أخرى إلى المحكم لإقرارها ومن ثم نشرها في أقرب عدد ممكن.
4. أبحاث مجلة جامعة الناصر يمكن استعراضها مجاناً من موقع المجلة، جامعة الناصر المجلة العلمية المحكمة على الرابط التالي (www.al-edu.com) وبالتالي سيتحصل الباحثون على نسخ ورقية وإلكترونية من أبحاثهم.

5. النسخ المطبوعة من المجلة مع المستلزمات يتم بشأنها التواصل مع مدير التحرير .

6. ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على الرابط الآتي:

الجمهورية اليمنية - صنعاء - جامعة الناصر (www.al-edu.com)

المجلة العلمية المحكمة.البريد الإلكتروني للمجلة : (journal@al-edu.com)

هاتف: (536307) تليفاكس (536310) البريد الإلكتروني لمدير التحرير (

m5sh5n55@gmail.com)

ثانياً : رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم الآتية:

- البحوث المرسله من داخل الجمهورية اليمنية (15000) خمسة عشر ألف ريال.
- البحوث المرسله من خارج الجمهورية اليمنية (\$150) مائة وخمسون دولاراً أمريكياً .
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر معفيون من تسديد الرسوم.

ثالثاً : نظام الإشتراك السنوي في المجلة على النحو الآتي :

- للأفراد من داخل اليمن مبلغ وقدره (3000) ثلاثة ألف ريال.
- للأفراد من خارج اليمن مائة دولاراً أمريكياً (\$ 100) .
- للمؤسسات من داخل اليمن مبلغ وقدره (10000) عشرة ألف ريال .
- للمؤسسات من خارج اليمن مائتا دولار أمريكياً (\$ 200)

ملحوظة :

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه المجلة وإنما تعبر عن آراء أصحابها

رقم الإيداع (630) (28 / 10 / 2013 م) (الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع - دار الكتب- صنعاء)

(جميع حقوق الطبع محفوظة للمجلة)



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم الناس الخير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

استمراراً لمسيرة العطاء البحثي والمعرفي، يسعدنا ويسرنا في هيئة تحرير مجلة جامعة الناصر أن نقدم لزملائنا وقرائنا الكرام جمهور المجلة: العدد (17) المجلد (1) يوليو - ديسمبر 2021 م .

وقد تضمن العدد (10) أبحاث ، وجميعها أبحاث ذات قيمة عالية في مجالات علمية مختلفة وهي من قبل باحثين ينتمون لجامعات يمنية وعربية عريقة..

كما تُقدم إدارة تحرير المجلة هذا العدد لباحثيها وقرائها الأعزاء ، بثوبها الجديد، وشروطها المحدثة ، فإنها تتقنم بالشكر والتقدير لكل من أسهم في إخراج هذا العدد إلى حيز الوجود، وتؤكد المجلة مجدداً للمشاركين الأفاضل التزامها الدقيق باتباع المنهجية العلمية السليمة والسرية التامة في تحكيم ونشر الأبحاث المقدمة إلى المجلة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضل العظيم على توفيقه وعونه لنا ربنا تبارك وتعالى ، كما نسأله أن يوفقنا دائماً في خدمة البحث العلمي وتنميته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس الجامعة

أ.د. عبدالله حسين طاهش

رئيس التحرير



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

م	الموضوع	الباحث	الصفحة
1	فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي في التحصيل لدى طلبة الصف الثاني الثانوي في مدارس محافظة المحرق - مملكة البحرين في ظل جائحة الكورونا.	د. احمد بلمودن أستاذ التعليم العالي كلية علوم التربية - جامعة الملك محمد الخامس - المغرب أ. ثاني عتيق ثاني الرشدان باحث دكتوراه - كلية علوم التربية - جامعة الملك محمد الخامس - المغرب	44 - 13
2	فاعلية برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة المعلم لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية جامعة إب".	أ.م.د. أحمد عبدالله أحمد القحفة، أستاذ المناهج وطرائق تدريس الرياضيات المشارك، نائب العميد للدراسات العليا والبحث العلمي، ورئيس وحدة التطوير والجودة السابق بكلية التربية النادرة - جامعة إب	98 - 45
3	الجانب العاطفي لدى الشاعر السعودي محمد علي السنوسي دراسة وصفية تحليلية مختارة	د. منال الأمين مصطفى إدريس الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية. كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.	126 - 99
4	العلاقات الخارجية للممالك الاسلامية في السودان الفونج - الفور أنموذجاً	د. سلوى التجاني فضل أستاذ التاريخ المساعد - قسم التاريخ جامعة الملك خالد وجامعة الأزهر	156 - 127
5	الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعراين عثيمين (ت 1363هـ) قصيدة المديح أنموذجاً - دراسة وصفية تحليلية	د. هرمين سمير مصطفى البنا رئيس قسم اللغة العربية ، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.	190 - 157

191 – 268	د.عزیز أحمد صالح ناصر الحسني أستاذ علم الاجتماع المشارك – ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بكلية الدراسات العليا – أكاديمية الشرطة – اليمن	وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع - دراسة اجتماعية تحليلية	6
269 – 322	أ.م.د هدى محمد عبد الرحمن السيد أستاذ القانون الإداري المشارك بكلية الحقوق جامعة دار العلوم – الرياض – المملكة العربية السعودية	الحق في "الحاجات الأساسية للإنسان" دراسة مقارنة في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الوضعية وتطبيقاتها في القوانين السعودية والمصرية	7
223-380	د. عبد الرحمن بن يحيى الغميري أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد تخصص العقيدة _ كلية العلوم الإدارية والإنسانية _ جامعة أزال للتنمية البشرية.	المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخيرية	8
381-398	د. حسين أحمد الغشامي استاذ القانون التجاري المساعد كلية الحقوق – جامعة دار العلوم – المملكة العربية السعودية	أحكام المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك في النظام السعودي	9
399 – 430	د. محمد عبده الجحدي. الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب والعلوم جامعة إقليم سبأ – مأرب	قراءة بلاغية في المقامة الأسيديّة لبديع الزمان الهمذاني	10

فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي في التحصيل لدى طلبة الصف الثاني الثانوي في مدارس

محافظة المحرق - مملكة البحرين في ظل جائحة الكورونا.

د. احمد بلمودن

أستاذ التعليم العالي - كلية علوم التربية - جامعة الملك محمد الخامس - المغرب

أ. ثاني عتيق ثاني الرشدان

باحث دكتوراه - كلية علوم التربية - جامعة الملك محمد الخامس - المغرب

Email: thaniclassic@hotmail.com

هدفت الدراسة إلى استقصاء فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي (الاستجرام، سناب شات) في التحصيل لدى طلبة المرحلة الثانوية، ولتحقيق هدف الدراسة اتبع الباحث المنهج شبه التجريبي.

تكونت عينة الدراسة من 122 طالب وطالبة موزعين على أربع شعب: شعبي إناث، وشعبي ذكور تم اختيارها عشوائياً من طلبة الصف الثاني الثانوي في مدرستين من مدارس محافظة المحرق /مملكة البحرين هما مدرسة الهداية الخليفة الثانوية للذكور، ومدرسة المحرق الثانوية للبنات، وخصصت إحدى الشعبتين من كل مدرسة لتكون شعبة تجريبية والأخرى ضابطة، وتم تدريس أفراد المجموعة التجريبية في كل مدرسة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، بينما درست المجموعة الضابطة الدروس عينها بالطريقة الاعتيادية.

ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير ثلاثة دروس (الخامس، والسابع، والثامن) من مقرر التربية للمواطنة وحقوق الانسان، كما صمم اختبار لقياس تحصيل الطلبة، وتعرضت المجموعات التجريبية والضابطة لاختبار تحصيلي قبلي وبعدي بعد التحقق من صدقه وثباته، وللحصول على نتائج الدراسة استخدم تحليل التباين المصاحب (التغاير)، واختبار (ت) ، كما استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وقد انتهت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05 α) في التحصيل البعدي بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية، ومتوسطات درجات أفراد المجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05 α) بين متوسطات درجات عينة الدراسة على اختبار التحصيل لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان تعزى للتفاعل بين طريقة التدريس والنوع الاجتماعي، وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أوصى الباحث بتفعيل مواقع التواصل الاجتماعي (الاستجرام، سناب شات) في العملية التعليمية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، سناب شات، استجرام، التربية للمواطنة وحقوق

الملخص

1

during Covid-19 Pandemic for Secondary 2nd Grade Students at Mahraq District Schools, Kingdom of Bahrain

1. Dr. Ahmed Belmouden

Higher Education Professor, Faculty of Education, University of Mohammed V-
Morocco

2. Thani Ateeq Thani Errashdan

PhD research Scholar, Faculty of Education, University of Mohammed V-
Morocco

thaniclassic@hotmail.com

Abstract:

The study aimed to investigate the effectiveness of social media (Instagram, Snapchat) in achievement among high school students, and to achieve the goal of the study, the researcher followed the semi-experimental approach..

The study sample consisted of 122 male and female students divided into four divisions: two female divisions, and two male divisions chosen randomly from second-grade secondary students in two schools from the Muharraq Governorate / Kingdom of Bahrain schools: Al-Hidaya Al-Khalifah Secondary School for Boys, and Muharraq Secondary School for Girls. Each school was to be an experimental division and the other was a control group. Members of the experimental group were taught in each school using social networking sites, while the control group studied the same lessons in the usual way.

In order to achieve the aim of the study, three lessons were developed (the fifth, seventh, and eighth) of the Citizenship and Human Rights Education course, and a test was designed to measure student achievement, and the experimental and control groups were subjected to a pre- and post-achievement test after verifying its validity and consistency, and to obtain the results of the study, use ANCOVA, and T- test, Arithmetic means and standard deviations were also used. The study concluded that there were statistically significant differences at the level of ($\alpha \leq 0.05$) in post-achievement between the mean scores of the experimental group members, the mean scores of the control group members in favor of the experimental group, and the existence of statistically significant differences at the level of significance ($\alpha \leq 0.05$) between the averages of The study sample scores on the achievement test for the Citizenship and Human Rights Education course

are attributed to the interaction between the teaching method and gender, and in light of the findings of this study, the researcher recommends activating social networking sites (Instagram, Snapchat) in the educational educational process.

Key words: social networking sites, Snapchat, Instagram, citizenship education .and human rights achievement

المقدمة:

لقد اوجدت جائحة كورونا (كوفيد - 19) أكبر انقطاع في نظم التعليم في العالم، وخلقت واقعاً جديداً تضرر منه نحو ملايين الطلاب في جميع انحاء العالم؛ بسبب عمليات إغلاق المدارس وغيرها من أماكن التعلم، ولما كان التعليم عن بعد هو الخيار الأفضل لصقل معارف الطالب وتنمية مهاراته وتكوين شخصيته من جانب، ومن جانب آخر بسبب وفرة وسائل تداول المعلومات وتخزينها، وظهور مواقع التواصل الاجتماعي التي سهلت تبادل الرسائل الصوتية، والنصية، والصور وقصاصات الفيديو وغير ذلك، وغزوها لكل بيت ولكل فرد من أفراد المجتمع باختلاف فئاتهم العمرية ومستواهم الاقتصادي، ولأنه يتعين على التربية أن تتقل كما متزايداً من المعارف والكفايات الفنية المتطورة الموائمة لحضارة المعرفة، فإنه يجب الاستفادة القصوى من وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة خاصة ما يمر به العالم اليوم من إجراءات التباعد الاجتماعي بسبب انتشار فيروس كوفيد-19.

مشكلة الدراسة:

من أبرز المتغيرات في عصرنا الحالي ظهور فيروس كوفيد-19 وتبعاته الكثيرة والكبيرة التي خيمت على حياتنا بشكل شبه كامل، وليس قطاع التربية والتعلم بمنأى عن هذه التغيرات فأصبح التعليم عن بعد مطلباً بارزاً في حياة طلبتنا، وظهرت بشكل جلي أهمية شبكة الإنترنت وما تقدمه من خدمات يمكن الاستفادة منها في التعليم وبرزت محركات البحث، والبريد الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي، وتعد شبكات التواصل الاجتماعي وسائل يستطيع جميع الافراد التعامل معها والمشاركة فيها بشكل فاعل. لقد أصبحت سمة التغيير من السمات الرئيسية التي تؤثر في حياة الإنسان المعاصر - وخاصة بعد انتشار فيروس كورونا وسياسات التعليم عند بعد - ولما كانت التربية والتعليم هي المحور الرئيس في

تنشئة الأجيال، فقد اتجهت الأنظار نحوها، واصبح لزاماً عليها إيجاد حلول وابتكار طرائق جديدة يمكن من خلالها مساعدة الطلبة على اكتساب المعرفة وتنمية مهارات التفكير لديهم.

ويفترض الباحث أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل الانستجرام والسناپ شات كوسيلة للتواصل عن بعد بين المعلم والطالب يمكن أن يحقق سياسات التعلم عن بعد، ويسهم في زيادة تحصيل الطلبة، ومن خلال مراجعة الأدب التربوي تبين قلة الدراسات العربية في هذا المجال، ووجود عدد من الدراسات الأجنبية التي تناولت مثل هذه الموضوعات.
أسئلة الدراسة: تهدف الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

1- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات أداء طلبة الصف الثاني الثانوي في اختبار مقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان تعزى لاختلاف طريقة التدريس (وفق وسائل التواصل الاجتماعي، الاعتيادية)؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات أداء طلبة الصف الثاني الثانوي في اختبار مقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان تعزى للتفاعل بين متغيري طريقة التدريس (المطورة وفق وسائل التواصل الاجتماعي، الاعتيادية) والنوع الاجتماعي؟

أهمية الدراسة : تتناول هذه الدراسة موضوعاً غاية في الأهمية، فقد وقع على عاتق المؤسسات التعليمية دور طموح في تنمية الأفراد والمجتمعات، ويوفر التعليم عن بعد باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي مثل: الانستجرام والسناپ شات فرصاً سانحة لاستغلال التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال وخاصة بسبب انخفاض أسعار الأجهزة الالكترونية الذكية وتوافر الانترنت غير المحدود، سيما وأن العالم يعاني من الانتشار الكبير والسريع لفيروس كورونا (كوفيد-19) وما تبعه من اغلاق للمؤسسات التعليمية؛ وتتجسد أهمية هذه الدراسة في عدد من المحاور التالية:

➤ تسهم الدراسة في توفير معلومات قيمة للوقوف على الجوانب الإيجابية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي وإعطاء تصور بما يمكن أن يكون خطوة في استغلال الإمكانيات التكنولوجية الحديثة في التعليم.

- إثراء المكتبات العربية بما يمكن أن تضيفه هذه الدراسة بسبب ندرة الدراسات العربية التي تناولت وسائل التواصل الاجتماعي وبشكل خاص تطبيقي الانستجرام، والسناپ شات.
- تقديم رؤية واضحة حول كيفية استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كطريقة في التدريس لدى عينة الدراسة، وبالتالي يمكن تعميم الفكرة على طلبة المدارس الأخرى.
- الخروج بتوصيات تساهم باستخدام تطبيقي الانستجرام، والسناپ شات بشكل إيجابي وفقاً للتجربة التي أجريت.

المصطلحات والتعريفات الإجرائية: مواقع التواصل الاجتماعي: منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية (راضي، 2003)، ويعرفه الباحث إجرائياً بأنها تطبيقات الكترونية تمكن المشتركين من تكوين مجموعات تتشابه في الاهتمامات والميول من أجل التواصل فيما بينهم عن طريق الرسائل التي تتخذ اشكال متعددة مثل النصوص و/أو الصور، و/أو الفيديوهات وغير ذلك، ويقصد بوسائل التواصل في هذه الدراسة الانستجرام والسناپ شات.

- 1- تحصيل طلبة الصف الثاني الثانوي: ويقصد به تحصيل الطلبة للمعلومات والمهارات المتضمنة في الدروس (الخامس، والسابع، والثامن) من كتاب المواطنة وحقوق الإنسان للصف الثاني الثانوي، ويعبر عنه إجرائياً بالعلامة التي يحصل عليها الطالب من خلال إجابته عن اختبار التحصيل الذي تم تصميمه وإعداده لغايات هذه الدراسة.
- 2- دروس التربية للمواطنة وحقوق الإنسان المعاد تصميمها وفقاً لوسائل التواصل الاجتماعي: ويقصد بها الدروس (الخامس، والسابع، والثامن) التي أعيد تصميمها وفقاً لطريقة التدريس باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

محددات الدراسة : تتحدد نتائج هذه الدراسة بمجموعة من العوامل أهمها:

الحد الزمني: تم تطبيق هذه الدراسة في العام الدراسي (2019-2020).

- الحد المكاني: تم تطبيق هذه الدراسة في كل من مدرسة الهداية الخليفية الثانوية للبنين، ومدرسة المحرق الثانوية للبنات، والواقعتان في محافظة المحرق والتابعتان لوزارة التربية والتعليم.

- الحد البشري: اقتصرت هذه الدراسة على عينة عشوائية ممثلة من طلبة مدرسة الهداية الخليفية الثانوية للبنين، ومدرسة المحرق الثانوية للبنات، وبالتالي يقتصر تعميم النتائج على طلاب هاتين المدرستين، ومدى تمثيل أفراد عينة الدراسة لنظرائهم من طلبة الصف الثاني الثانوي. الحد الأكاديمي: اقتصرت هذه الدراسة على ثلاثة دروس من كتاب (وطن 201)، ويقتصر تعميم نتائج هذه الدراسة على الدروس التي خضعت للتطوير.

الاطار النظري : مواقع التواصل الاجتماعي:

من الملاحظ في الوقت الحالي زيادة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين فئات المجتمع بشكل عام وبين الشباب بشكل خاص لا سيما مع الانخفاض المستمر في كلفة الاشتراك بشبكة الانترنت، وانخفاض تكلفة الحصول على جهاز اتصال الكتروني ذكي، ومن الملاحظ ايضاً قضاء الشباب جل وقتهم أمام شاشات الأجهزة الالكترونية والكمبيوترات لمختلف الأغراض.

هناك تعريفات عدة لوسائل التواصل الاجتماعي، فقد عرفها (كايسر، 2014) على أنها منصات على الأنترنت أو الهاتف المحمول تتيح تفاعل ثنائي الاتجاه عبر محتويات ينتجها المستخدمون أنفسهم، فضلاً عن التواصل بني المستخدمين. ومن ثم، فوسائل التواصل الاجتماعي ليست كوسائل الاعلام التي لا تخرج الا من مصدر واحد أو من موقع شبكي ثابت، وإنما هي وسائل للتواصل عبر منصات صممت خصيصاً لتتيح للمستخدمين إيجاد (إنتاج) المحتويات بأنفسهم والتفاعل مع المعلومات ومع مصدرها، وتعتمد وسائل التواصل الاجتماعي على الانترنت كوسيط، ومن أشهر منصات التواصل الاجتماعي الشائعة الاستخدام حالياً: فيس بوك facebook، و تويتر Twitter، إنستغرام Instagram، سناب شات، بلوغر Blogs، لينكد إن LinkedIn، وغوغل بلس Google +، وغير ذلك الكثير، وهناك منصات تنتشر في مناطق محددة دون غيرها، ويعرفها راضي (2003) بأنها "منظومة من المواقع الإلكترونية التي تسمح للمستخدم فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها" ويعرفها بالاس (BALAS, 2006) المذكور في عبد المنعم وآخرون (2018) على أنها مواقع تستخدم لبناء مجتمعات افتراضية على شبكة الانترنت تمكن الأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض للعديد من الأسباب المتنوعة"، كما يعرفها الكرد (2014) بأنها شبكات اجتماعية تفاعلية تتيح لمستخدميها التواصل الاجتماعي بين الأصدقاء والمعارف في أي وقت وأي مكان في العالم، وتمكنهم من التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي

توطد العلاقات الاجتماعية بينهم، وبالنسبة للباحث فوسائل التواصل الاجتماعي هي تطبيقات الكترونية تستخدم الانترنت كوسيط، ويمكن من خلالها التواصل مع الاخرين الذين تجمع بينهم علاقات أو اهتمامات مشتركة، ويمكن من خلال هذه التطبيقات تبادل الرسائل بمحتوى نصي أو صوتي، أو فيديو، كما توفر هذه خدمات المحادثة الفورية والمراسلة العامة والخاصة ومشاركة الوسائل المتعددة، ومن أكثر وسائل الاتصال شهرة الانستجرام والسناپ شات والتي ضمنت في هذه الدراسة.

1- إنستغرام / إنستقرام / إنستجرام (Instagram)

هو خدمة شبكة اجتماعية أمريكية تستخدم لمشاركة الصور والفيديوهات، أطلقت لأول مرة في أكتوبر 2010، ويسمح التطبيق لمستخدميه برفع الوسائل التي بالإمكان تعديلها من خلال الفلاتر وتنظيمها باستخدام الوسوم وتحديد الموقع الجغرافي للصور مع أسماء المواقع والإشارات الجغرافية، كما يسمح بمشاركة المنشورات مع العامة أو مع مستخدمين يتم قبول طلبات متابعتهم مسبقاً، ويمكن لأي مستخدم قد قام بتحميل التطبيق تسجيل حساب تصفح محتوى المستخدمين الآخرين ومشاهدة المحتوى الخالي من القيود، كما يمكن للمستخدمين الإعجاب بالصور ومتابعة المستخدمين الآخرين لإضافة محتوهم لمتابعة آخر المستجدات والأخبار، وقد أضيفت إلى خدمات الانستجرام ميزة المراسلة، بالإضافة إلى إمكانية إضافة أكثر من صورة أو فيديو في منشور واحد، وميزة الرسائل في قصص بشكل متسلسل ومتتابع، وتبقى هذه القصص لمدة 24 ساعة لكل قصة (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) ويقترح الباحث مجموعة من الطرائق التي يمكن استخدام الانستجرام فيها للتواصل مع الطلاب:

1. تحويل المحتوى لمجموعة من الصور ومن ثم نشرها على الحساب حساب الانستجرام المشترك الخاص بك وبالطلبة، وكتابة التعليقات ورصد استجابات الطلبة.
2. عرض أعمال الطلبة المتميزة المتعلقة بالمحتوى من خلال التقاط الصور، ومشاركتها على حساب الانستجرام الخاص بك وبالطلبة.
3. اسمح للطلاب بعرض صورهم المتعلقة بمحتوى الدرس، مثل زيارتهم لمواقع أثرية أو قضايا تهم المواطنين.
4. التقط صور للرحلات الميدانية الجماعية ونشرها على حساب الانستجرام الخاص بك وبالطلبة.
5. دع الطلبة يلتقطون صور تتعلق بمحتوى الدرس من المواقع المحلي للطلاب ونشرها على حساب الانستجرام الخاص بك وبالطلبة.

6. اكتشف أفكار للكتابة من خلال التقاط صور معينة، مبنى الميثاق الوطني مثلاً، واطلب من الطلبة كتابة تعليقاتهم العلمية عليها، ويمكن أن تكون هذه الصور موجه للكتابة.
7. التقط صوراً لكتابات الطلاب وأعمالهم لتوثيق تقدمهم الدراسي.

2- سناب شات (Snapchat) هو تطبيق تواصل اجتماعي لتسجيل وبث ومشاركة الرسائل المصورة، ويمكن للمستخدمين التقاط الصور، وتسجيل الفيديوهات، وإضافة نص ورسومات، وإرسالها إلى قائمة التحكم من المتلقين. ومن المعروف أن هذه الصور ومقاطع الفيديو المرسلة هي "لقطات" يعين المستخدمين مهلة زمنية لعرض لقطاتهم من ثمانية واحدة إلى عشر ثواني، وبعد ذلك سوف يتم حذف الرسائل من جهاز المستلم ومن الخوادم الخاصة بسناب شات، ولكن تم برمجة بعض التطبيقات التي تقوم بحفظ الفيديو المعروف.

جاءت فكرة السناب شات من طالبين في جامعة ستانفورد هما براون وشيغل Evan Spiegel و بوبي ميرفي Bobby Murphy، حيث أوضحا أن الرموز التعبيرية في المواقع الإلكترونية ليست كافية للتعبير عن المشاعر التي قد يرغب المستخدم بإيصالها مع رسالة نصية، وفي المقابل اعتبروا نشر لقطات لصور تعبر عن عواطف معينة، وتبقى منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي ليراها الجميع أمراً غير ملائم، ومن هنا ولدت فكرة تبادل الصور المحددة زمنياً التي هي الآن عبارة عن تطبيق سناب شات.

لتطبيق السناب شات مزايا متعددة فهو سهل الاستخدام، ويتيح إمكانية البقاء على اتصال دائم مع الأصدقاء والمتابعين، ومعرفة الاخبار اليومية عن طريق إرسال لقطات صور أو فيديوهات في أي وقت. كما يتيح إمكانية رؤية يوميات الآخرين من خلال خاصية قصتي (My story) وهي سلسلة من الصور والفيديوهات التي ينشرها المستخدم وتُحذف تلقائياً بعد فترة محددة من نشرها (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

- ويقترح الباحث مجموعة من الطرائق التي يمكن استخدام السناپ شات فيها للتواصل مع الطلاب:
1. يمكنك تقسيم الدرس الى مجموعة من الصور مع تعليق نصي ونشره على فترات زمنية لاعطاء الفرصة الكافية للطلبة للتعلم.
 2. عندما ترى مثلاً رائعاً للمحتوى الخاص بك في الحياة الواقعية، يمكنك التقاط صورة أو مقطع فيديو له وأضافته إلى قصتك.
 3. يمكن للطلبة ارسال تعليقاتهم واستجاباتهم للتقييمات ومشاركاتهم المختلفة للحصول على درجات المشاركة.
 4. يمكنك إضافة لقطة تهنئة لقصتك في السناپ شات -ويعتبر ذلك نوع من التعزيز- لآحد الطلبة في الصف أو للصف جميعه لتحقيقه انجاز متميز.
 5. يمكنك إضافة لقطة لقصتك في السناپ شات لتذكير الطلبة بالاختبار أو أو الواجب المنزلي.
 6. يمكنك إضافة لقطة لقصتك قبل الاختبار لمساعدة الطلبة على معرفة المحاور الرئيسة للدرس للتركيز عليها ووضع خطة للدراسة.
 7. يمكنك اعداد مقطع فلمي قصير لمدة عشرة ثواني واضافته إلى قصتك لمشاركة الطلبة في المحتوى، ويمكن للطلبة صنع الأفلام الخاصة بهم ودمج ما تعلموه.
 8. يمكن إضافة صور ومقاطع فيديو لرحلات ميدانية متعلقة بالمحتوى إلى قصة السناپ شات الخاصة بك. وسيكون الطلاب سعداء برؤية ما حدث بشكل مباشر.
 9. يمكن للمدرس نقل الأخبار إلى طلابه والمجتمع المدرسي بأكمله من خلال السناپ شات. مثلاً للابلاغ عن محاضرة أو احتفال وطني، أو غير ذلك من الاخبار التي تههم مقررک.
 10. اسمح للطلبة بمشاركة قصصهم المتعلقة بالمحتوى مع زملائهم والمدرس بعد وضع القواعد الأساسية.
 11. يمكنك متابعة بعض حسابات السناپ شات المتعلقة بالمحتوى- مثلا الحكومة الالكترونية- وإشراك الطلبة بالمحتوى المتعلق بمواضيعهم، وبذلك سوف يتعلمون على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع.
 12. يمكنك طرح سؤال مثير للتفكير واستقبال ردود واستجابات الطلبة والتعليق عليها.

الدراسات السابقة:

أجرى كار (Carr, 2008) دراسة هدفت إلى الكشف عن فاعلية دمج الويكي كأحدى تقنيات الويب (2.0) في عملية تدريس مساق تعليمي للمدرسين ما قبل الخدمة، وذلك كطريقة لتعزيز شبكات بناء المعرفة التعاونية داخل غرفة الصف وكنموذج أصلي لتوظيف التكنولوجيا في المنهاج، وتوصلت الدراسة إلى أن استخدام الويكي عزز بناء المعرفة بدرجة كبيرة خلال عملية التعلم.

وكذلك هدفت دراسة تشو وآخرون (Chiu et al, 2009) إلى اقتراح نموذج لتوظيف التعلم التعاوني البنائي يعتمد على استخدام تقنيات الويب (2.0) في أنظمة إدارة التعلم مفتوحة المصدر، ثم قاموا باختبار النموذج في مساق أنظمة المعلومات الإدارية، وقد شمل الاختبار تقنيات كثيرة منها المنتدى (Forum)، والبلوج (Blog)، والويكي (Wiku)، وتوصلت الدراسة إلى أن التعلم الذاتي قد تحسن عند معظم المتعلمين، وأصبح الطلبة أكثر نشاطاً في ممارسة أنشطة التعلم، وأوصت الدراسة بضرورة تشجيع استخدام تقنيات الويب (2.0) لقبولها من قبل المتعلمين.

وهدف دراسة ميازو وأندرسون (Miyazone & Anderson, 2010) إلى فحص فاعلية الكتابة على الإنترنت باستخدام المنتديات والمدونات والويكي في التعليم الجامعي الرسمي في طوكيو، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وأظهرت النتائج أن الطلبة لديهم تصورات إيجابية حول التعليم المدمج، كما أظهرت النتائج أن استخدام الويكي والمنتديات والمدونات في التعليم يساعد على تنمية قدرات الطلبة على الكتابة باللغة الإنجليزية.

أما دراسة (عيسى، 2012) فهدف إلى التحقق من أثر استخدام الويكي في تحسين مهارات الكتابة في مادة اللغة الإنجليزية لدى طالبات الصف التاسع واتجاهاتهن نحو الكتابة، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية، وبينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء الطالبات قبل وبعد تطبيق الويكي حيث كانت النتائج لصالح التطبيق البعدي، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية نحو اتجاهات المجموعة التجريبية قبل وبعد استخدام الويكي لتطوير مهارتهن في الكتابة لصالح بعد التجربة.

وبالمحور نفسه هدفت دراسة فشكنشو (Feshchenko,2016) الوصفية إلى معرفة كيفية استخدام الطلاب للشبكات الاجتماعية في التعليم، وتحليل استخدام الشبكات الاجتماعية من قبل الطلاب الروس في التدريب، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أن 95% من عينة الدراسة يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي للتعلم، ويقضي 24% من الطلاب وقتهم على الشبكات الاجتماعية للتعليم.

وهدف الدراسة الوصفية التي قام بها عريف وحمادي (2016) إلى معرفة أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) وانعكاساته على التحصيل الدراسي من وجهة نظر المتعلمين، وتوصلت إلى نتائج عدة منها أن 30.66 من المبحوثين يستخدمون موقع الفييس بوك للحصول على المعارف التعليمية، وأن 49.33 منهم يستخدمونه أحياناً، وكذلك وجدت ووجدت الدراسة أن 48.66 من المبحوثين يستخدمون موقع الفييس بوك لتبادل الدروس مع زملائهم أحياناً، وما نسبته 22.66 % يستخدمونه غالباً، ووجدت كذلك أن 11.33% من المبحوثين يتواصلون مع أساتذتهم عبر موقع الفييس بوك دائماً.

وقام علي (2016) بدراسة هدفت لقياس تأثير استخدام أدوات التواصل الاجتماعي على تحصيل المعرفة وإكساب الطلاب مهارات التصوير الصحفي الإعلامي التعليمي، ومن النتائج التي تم التوصل إليها: أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والتحصيل البعدي في التصوير الصحفي لصالح التطبيق البعدي. وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلبة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي في التصوير الصحفي لصالح المجموعة التجريبية، وهناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلبة المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي لأداء مهارات التصوير الصحفي لصالح التطبيق البعدي.

وهدف دراسة بنكو وآخرون (Benko, et. al, 2016) إلى معرفة مدى استخدام تويتر من قبل معلمي ما قبل الخدمة كوسيلة للتفكير والمشاركة في مجتمعات الممارسة، وقد أفاد الطلاب أن وسائل التواصل الاجتماعي تدعم التعلم العميق بشكل مباشر وغير مباشر، وتجعل التعلم أسهل، وتعزز الاحتفاظ بالمحتوى على المدى الطويل، وتعزز بيئة تعليمية أكثر جاذبية وإمتاعاً، كما أشارت النتائج إلى أن دمج الوسائل الاجتماعية في دورات الكلية يمكن أن يدعم المناهج من أجل تعلم أكثر عمقاً.

وهدفت الدراسة التي قامت بها بكر (2019) للتعرف على فاعلية استخدام تقنية البث المباشر عبر الشبكات الاجتماعية في إكساب طلاب الإعلام التربوي بعض المهارات الإعلامية وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق بين متوسطي درجات مجموعتي الدراسة (التجريبية التي استخدمت تقنية البث المباشر)، و(الضابطة التي استخدمت طريقة التدريس العادية) في درجات القياس البعدي في كلاً من (الاختبار التحصيلي - بطاقة الملاحظة) في إكساب طلاب الإعلام التربوي بعض المهارات الإعلامية لصالح المجموعة التجريبية، كما أشارت النتائج إلى تأثير ملحوظ لتقنية البث المباشر في عملية التعلم والتحصيل المعرفي لإعداد وتنفيذ المقابلة التليفزيونية.

وقامت سلامة، (2019) بدراسة هدفت إلى تقصي فاعلية الويكي التعليمي في تنمية فهم المفاهيم العلمية ومهارات التفكير الناقد، والتواصل الاجتماعي، لدى طلاب المرحلة الثانوية- قسم علم الأحياء. وأسفرت نتائج الدراسة عن فاعلية الويكي التعليمي في تنمية فهم المفاهيم العلمية، ومهارات التفكير الناقد، ومهارات التواصل الاجتماعي؛ مما أدى إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب عينة البحث التجريبية في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار كل من فهم المفاهيم العلمية، ومهارات التفكير الناقد. كما أسفرت النتائج عن وجود ارتباط دال موجب بين فهم المفاهيم العلمية، ومهارات التفكير الناقد؛ ومهارات التواصل الاجتماعي، لدى عينة البحث التجريبية في التطبيق البعدي،

وأجرت الجار الله (2020) دراسة هدفت هذه الدراسة إلى تقصي دوافع استخدام طالبات الجامعة وطالبات المدارس لشبكة التواصل الاجتماعي التويتز Twitter وعلاقتها بتحصيلهن الأكاديمي، وقد أظهرت النتائج ان أبرز دوافع طالبات المدارس فكانت "البحث عن المعلومات وإجراء البحوث" و"معرفة التقنيات الحديثة".

موقع الدراسة من الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الباحث للدراسات السابقة يلاحظ بأن الدراسة تتشابه مع بعض الدراسات في مواضع، وتختلف في مواضع أخرى، وذلك كما يأتي:

أوجه الاختلاف

- تختلف هذه الدراسة عن جميع الدراسات السابقة في الموضوع، حيث أنها تبحث عن أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي (الانستجرام، والسناپ شات) في تنمية التحصيل.
 - اختلفت الدراسة مع الدراسات السابقة في مجتمع الدراسة حيث تستهدف الدراسة طلبة الصف الثاني الثانوي، في حين أن بعض الدراسات استهدفت المعلمين وبعضها استهدفت الطلبة.
 - اختلفت الدراسة مع الدراسات السابقة من حيث المنهج البحثي، حيث أنها استخدمت المنهج شبه التجريبي، في حين استخدمت أغلب الدراسات السابقة المنهج المسحي.
- الاستفادة من الدراسات السابقة:

- الاستفادة في صياغة مشكلة الدراسة وتحديد تساؤلاتها وأهدافها.
- الاستفادة من الدراسات السابقة في تحديد الإطار المعرفي للدراسة.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج شبه التجريبي والذي يتضمن تقسيم عينة الدراسة إلى مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، بحث تخضع المجموعة التجريبية للمتغير المستقل (طريقة التدريس وفقاً لوسائل التواصل الاجتماعي)، ويحجب عن المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة (الاعتيادية)، مع اتخاذ سلسلة من الإجراءات التي تبعد أثر المتغيرات الدخيلة.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف الثاني الثانوي في مدرسة الهداية الخليفية الثانوية للبنين، ومدرسة المحرق الثانوية للبنات المنتظمين بالدراسة والذين يدرسون مقرر التربية للمواطنة وحقوق الانسان، والبالغ عددهم (742) طالب وطالبة موزعين على (26) شعبة، وفقاً لإحصاءات وزارة التربية والتعليم للعام الدراسي 2018/2019.

عينة الدراسة: اشتملت عينة الدراسة على (122) طالباً وطالبة موزعين على أربع شعب تم اختيارها عشوائياً بواقع شعبتين، إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة من كل مدرسة (مدرسة الهداية الخليفية الثانوية للبنين، ومدرسة المحرق الثانوية للبنات)، وقد اختيرت المدرستان على نحو قصدي للأسباب التالية:

- 1- المدرستان من بيئة واحدة متجانسة اقتصادياً واجتماعياً.
- 2- تعاون إدارات المدرستين ومدرسين المقرر في تطبيق الدراسة.

2- قربها وسهولة وصول الباحث إليها للمتابعة المستمرة.

3- احتواء كل منها على كبير من الشعب، مما سهل على الباحث اختيار شعبتين من كل منها على نحو عشوائي لغرض الدراسة.

ويوضح جدول (1) أعداد الطلبة موزعين حسب المدرسة ونوع المجموعة (تجريبية، ضابطة)

جدول 1. توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للمجموعة والمدرسة

عدد الطلبة	المجموعة	المدرسة
28	تجريبية	مدرسة الهداية الخليفية الثانوية للبنين
33	ضابطة	
61	المجموع	
32	تجريبية	المحرق الثانوية للبنات
29	ضابطة	
61	المجموع	
60	تجريبية	المجموع
62	ضابطة	
122	المجموع	

تكافؤ مجموعتي الدراسة: لضمان التحقق من عدد من المتغيرات التي يرى الباحث أن لها تأثيراً في

نتائج التجربة، تم التحقق من تكافؤ مجموعتي الدراسة في المتغيرات التالية:

- المدرستان قريبتان من بعضهما مكانياً ومن بيئة واحدة متجانسة اقتصادياً واجتماعياً.
- التحصيل السابق:

اعتمد الباحث على السجلات الرسمية للحصول على درجات طلبة مجموعتي الدراسة التجريبية

والضابطة في المقرر السابق للمواطنة وحقوق الانسان للصف الأول الثانوي (وطن 101) في العام

الدراسي 2019/2018م، حيث تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، كما تم استخدام

اختبار (ت) للعينات المستقلة لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية، ويوضح الجدول (2) ذلك.

جدول 2. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

وقيمة "ت" لدرجات مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة في التحصيل السابق

المجموعة	العدد	المتوسطات	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
التجريبية	60	79.3333	12.61378	120	1.479	.142

الضابطة	62	82.4355	10.48750
---------	----	---------	----------

يتضح من بيانات الجدول (2) إن قيمة (ت) تساوي 1.479 وهي غير دالة احصائياً؛ مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha=0.05$) في التحصيل لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الانسان (وطن 101) بين المجموعتين التجريبيية والضابطة؛ مما يشير إلى تكافؤ المجموعتين في التحصيل الدراسي السابق.

- التكافؤ في العمر الزمني: كانت مواليد الطلبة في الصف الثاني الثانوي لأشهر مختلفة من الاعوام 2003/2002 ، وكما هو مثبت في البطاقة المدرسية لكل منهم؛ مما يشير إلى تكافؤ مجموعتي الطلبة في العمر الزمني.

أدوات الدراسة:

أولاً: إعداد وبناء الدروس المقترحة:

1- تحديد المادة الدراسية: وهي الدروس:

- الخامس/ البعد الاجتماعي للمواطنة في مملكة البحرين (1) قضايا الشباب نموذجاً.
- السابع/ المواطنة العالمية: تأصيل للهوية وتأكيد للانفتاح.
- الثامن/ المواطنة الإقليمية: تأصيل للهوية (المواطنة الخليجية العربية نموذجاً).

2- قام الباحث بإعادة صياغة الدروس (الخامس، والسابع، والثامن) وفق الخطوات التالية:

- I. تحليل محتوى الدروس في ضوء المجالات التالية: المعرفية، المهارية، الانفعالية.
- II. تحليل محتوى الدروس الثلاثة لتحديد المفاهيم والمصطلحات، والمبادئ والتعميمات، والمهارات والقيم والاتجاهات المتضمنة فيها، وفقاً للخطوات التالية:

- تحديد الهدف من التحليل: استخلاص ما يوجد في المحتوى من مفاهيم ومصطلحات وحقائق ومبادئ وقوانين وتعميمات ونظريات، ومهارات وقيم واتجاهات.
- تحديد وحدة التحليل: استخدم الباحث الفقرة وحدةً للتحليل.
- تحديد فئات التحليل: فئة التحليل في هذه الدراسة هي المفاهيم والمصطلحات، والقيم والاتجاهات والمبادئ والتعميمات....
- ضوابط عملية التسجيل:

- تم التحليل في إطار المحتوى العلمي.

- تم تحليل الدروس الثلاثة من كتاب التربية للمواطنة وحقوق الإنسان (وطن 201).
 - تم استبعاد أسئلة التقويم الواردة في نهاية الدروس، كما تم استبعاد الأنشطة.
 - اشتمل التحليل أيضاً على الصور الموجودة في الدروس.
- 3- في ضوء نتائج التحليل، تم تقديم تصور يتضمن عدداً من الإجراءات من أجل إعادة صياغة الدروس وفقاً للجدول (3):

جدول 3. إجراءات إعادة صياغة الدروس التعليمية

المجال	إجراءات إعادة صياغة الدروس التعليمية من أجل تدريسها باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي
المعرفي	وضعيات تعلم (Learning Situation) تحث المتعلم على التعلم مدى الحياة
	أنشطة وتدريبات توفر فرصاً مناسبة وكافية للتعلم الذاتي
	مسائل وتمارينات ومشكلات تتصف بالأصالة والمرونة تدفع المتعلم إلى تطبيق استراتيجيات
المهارية	مواقع إلكترونية آمنة ومضمونة ذات صلة بالمحتوى
	توظيف تطبيقات التكنولوجيا الحديثة في حل مشكلات حياتية.
	بريد إلكتروني لأجل نشر منجزات التعلم
	تنمية مهارة تلخيص المتعلم للأفكار ذات الصلة
	أنشطة تعلم تشجع الطلبة للتعبير عن آراءهم والمفاوضة واحترام الحجة لدى الآخرين.
الانفعالية	أنشطة تعلم تسهم في المحافظة على مقدرات بيئته المحلية.
	مواقف تعلم للتأكيد على مبدأ احترام العمل بجميع أشكاله
	أنشطة تعلم لأجل إكساب الطلبة سلوكاً اجتماعياً نافعاً، وخدمة المجتمع المحلي وتنميته

4- تحديد الأهداف التعليمية - التعليمية المراد تحقيقها لدى الطلاب على شكل نتائج تعلم (outcomes Learning) لكل موقف تعليمي.

5- تصميم خطة دراسية لكل موقف تعليمي، حيث تم اشتقاق عدد من وضعيات التعلم (Learning situation).

6- إعداد المواقف التعليمية وفقاً للمحتوى.

7- تحكيم الدروس المعاد صياغتها من خلال عرضها على محكمين مختصين في المناهج وطرق التدريس ممن يحملون درجة الدكتوراه ومحكم مختص في القياس والتقويم.

موضوعية عملية التحليل:

صدق أداة التحليل:

قام الباحث بعرض أداة التحليل على بعض المتخصصين في إدارة المناهج، وبعض من معلمي مقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان، وذلك لإبداء رأيهم حول نتائج التحليل التي تم التوصل إليها بعد تحليل المحتوى، وتم إضافة وحذف بعض المفاهيم والمصطلحات، والمهارات حسب رأى ومقترحات المحكمين والوصول إلى قائمة التحليل في صورتها النهائية.

ثبات أداة التحليل: قام الباحث بحساب ثبات أداة التحليل بطريقتين هما:

أولاً: حساب الثبات عبر الزمن: قام الباحث بإجراء تحليل المحتوى للدروس من كتاب التربية للمواطنة وحقوق الإنسان، ثم أعاد الباحث التحليل مرة أخرى بعد مضي شهر تقريباً من عملية التحليل الأولى، وبعد ذلك تم حساب معامل الثبات باستخدام معادلة هولستي HOLSTI التالية:

$$\text{معامل الاتفاق} = \frac{2M}{N_1 + N_2}$$

حيث:

M : مجموع الفقرات التي اتفق عليها المحللين في المرة الأولى والثانية.

N₁: المجموع الكلي للفقرات التي تم تحليلها في المرة الأولى.

N₂: المجموع الكلي للفقرات التي تم تحليلها في المرة الثانية.

ويوضح الجدول (4) تحليل المحتوى عبر الزمن ونقاط الاتفاق والاختلاف ومعامل الثبات

جدول 4. جدول تحليل المحتوى عبر الزمن موضحاً نقاط الاتفاق والاختلاف ومعامل الثبات

المفاهيم الناتجة عن	التحليل	التحليل	نقاط	نقاط	معامل الثبات
---------------------	---------	---------	------	------	--------------

التحليل	الأول	الثاني	الاتفاق	الاختلاف
	31	36	31	5
				0.92

يتضح من بيانات الجدول (4) ومن خلال حساب معامل الثبات عبر الزمن، قد بلغ 0.92 وهي قيمة عالية من الاتفاق تدل على ثبات تحليل المحتوى.

ثانياً: حساب الثبات عبر الأفراد: اختار الباحث اختصاصي مناهج لمبحث التربية للمواطنة وحقوق الإنسان، وطلب إليه تحليل الدروس المحددة من كتاب التربية للمواطنة وحقوق الإنسان، ثم قام الباحث بحساب معامل الثبات (معامل الاتفاق) باستخدام معادلة هولستي والجدول (5) يبين ذلك.

جدول 5. تحليل المحتوى عبر الأفراد موضحاً نقاط الاتفاق والاختلاف ومعامل الثبات

المفاهيم الناتجة عن التحليل	تحليل الباحث	تحليل الاختصاصي	نقاط الاتفاق	نقاط الاختلاف	معامل الثبات
	36	29	29	7	0.89

يتضح من قراءة الجدول (5) ومن خلال حساب معامل الثبات عبر الأشخاص، قد بلغت 0.89 وهي قيمة عالية من الاتفاق تدل على ثبات تحليل المحتوى المتضمن المفاهيم الواردة في مقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان.

ثانياً: الاختبار التحصيلي لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان : لأغراض الدراسة تم إعداد اختبار لقياس تحصيل الطلبة في الدروس (الخامس، السابع، الثامن) من مقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان للصف الثاني الثانوي، واتبع الباحث الخطوات الآتية في إعداد الاختبار:

1. تحديد المادة الدراسية.
2. تحديد أهداف الاختبار.
3. تحليل المحتوى ويقصد به استقصاء المعلومات والمهارات، والقيم، والحقائق، والمفاهيم، والمصطلحات، والقواعد للمادة العلمية، وكتابتها وتحديدتها منفصلة كل عنصر عن الآخر في جداول منظمة.
4. إعداد جدول المواصفات: تم تحديد الأوزان النسبية للموضوعات الدراسية بناء على عدد الأهداف الدراسية للموضوع (الدرس) مقسوماً على عدد الأهداف الكلية للوحدة الدراسية. ليتم في ضوء ذلك وضع أسئلة الاختبار، ويبين الجدول (6) جدول مواصفات الاختبار.

جدول 6. جدول المواصفات لاختبار التربية للمواطنة وحقوق الإنسان (وطن 201)

المجموع	المستويات			الدرجة المستحقة للدرس	الوزن النسبي للدروس %	عدد الصفحات	اسم الدرس
	العليا %20	التطبيق %40	الدنيا %40				
5	1	2	2	5	29	7	البعد الاجتماعي للمواطنة في مملكة البحرين: قضايا الشباب نموذجًا.
7	1	3	3	7	33	8	المواطنة العالمية: تأصيل للهوية وتأكيد للانفتاح.
8	2	3	3	8	38	9	المواطنة الإقليمية: تأصيل للهوية (المواطنة الخليجية العربية نموذجًا)
20	4	8	8	20			المجموع

5. صياغة أسئلة الاختبار: قام الباحث بصياغة فقرات الاختبار في ضوء المعايير التالية: أن تكون فقرات الاختبار ممثلة للمحتوى، وأن تكون فقرات الاختبار صحيحة لغويًا وعلميًا، وأن تكون محددة وواضحة، وتراعي المستويات المعرفية المحددة (المعرفة، الفهم، المستويات العقلية العليا) والأوزان النسبية لكل موضوع من الموضوعات التي تتعلق بهدف الدراسة، وتكون الاختبار في صورته الأولية من 25 فقرة من نوع الاختيار من متعدد، وكل فقره يتبعها أربع إجابات، واحدة فقط هي الإجابة الصحيحة والإجابات الثلاثة الأخرى هي البدائل غير الصحيحة (الموهات).

6. الصورة الأولية للاختبار: قام الباحث بإعداد الاختبار في صورته الأولية، حيث اشتمل على (25) فقرة من نوع الاختيار من متعدد، ثم عرضه على مجموعة من المحكمين المختصين في القياس والتقويم، والمناهج وطرق التدريس، واختصاصيين مشاركين في تأليف المقرر) للتأكد من مطابقة فقرات الاختبار لمحتوى المادة ومراعاتها لقواعد كتابة الفقرات وسلامتها اللغوية، وللتأكد من ملائمة الاختبار كأداة لقياس تحصيل طلبة الثاني الثانوي في الدروس المشار إليها أعلاه.

7. تجريب الاختبار: تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية بهدف:

- حساب معاملات الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبار.
 - التأكد من صدق الاختبار وثباته.
 - تحديد الزمن الذي تستغرقه إجابة الاختبار عند تطبيقه على عينة البحث الأساسية.
 - تحديد مدى فهم الطلبة لصياغة لفقرات الاختبار.
8. تحليل فقرات الاختبار: قام الباحث بتحليل استجابات طلبة العينة الاستطلاعية عن فقرات الاختبار بغرض حساب معاملات الصعوبة ومعاملات التمييز، يظهر الجدول (7) ذلك.

جدول 7. معاملات الصعوبة والتمييز لكل فقرة من فقرات الاختبار

معامل التمييز	معامل الصعوبة	رقم السؤال	معامل التمييز	معامل الصعوبة	رقم السؤال
.202	.83	14	.469	.72	1
.088	.81	*15	.365	.75	2
.404	.50	16	-.015	.72	*3
.475	.39	17	.417	.67	4
.173	.64	18	.029	.86	*5
.266	.83	19	.217	.89	*6
.453	.47	20	.467	.50	7
.568	.75	21	.568	.75	8
.365	.47	22	-.164	.64	*9
.305	.42	23	.458	.53	10
.397	.39	24	.475	.39	11
.519	.50	25	.511	.58	12
			.549	.81	13

تظهر بيانات الجدول (7) أن معامل الصعوبة كان مناسباً لمعظم الفقرات وتراوح ما بين 39. و 89.، حيث بلغ المتوسط (6324)، ما عدا الفقرة رقم (6) بمتوسط بلغ (89). مما يشير إلى أنها فرة سهلة جداً، وعليه تم حذف هذه الفقرة. ويظهر الجدول أيضاً أن معامل التمييز لكل فقرة من فقرات الاختبار كان مناسباً لمعظم الفقرات أيضاً عدا الفقرات رقم (3،5،9،15) وعليه تم حذف هذه الفقرات وأصبح الاختبار بصورته النهائية مكوناً من (20) فقرة.

12. التحقق من صدق الاختبار: تم التحقق من صدق الاختبار بالطرق التالية:

ا. **صدق المحتوى:** وقد تحقق هذا النوع من الصدق من خلال إجراءات بناء الاختبار الواردة سابقاً.

اا. **صدق المحكمين:** تم عرض الاختبار على مجموعة من المحكمين، وأسفرت عملية التحكيم عن حذف بعض الفقرات وتعويضها بفقرات أخرى وتعديل ما لزم.

ااا. **صدق الاتساق الداخلي لفقرات الاختبار:** قام الباحث بحساب معامل الارتباط بين كل بعد من أبعاد المقياس ودرجة الاختبار الكلي. وهي كما يوضحها الجدول رقم (8).
جدول 8. معاملات الارتباط بين

كل مستوى من المستويات المعرفية والدرجة الكلية من الاختبار

المستوى	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
تذكر	.770**	.000
فهم	.812**	.000
قدرات عليا	.737**	.000

يتضح من بيانات الجدول (8) أن أبعاد الاختبار مرتبطة بشكل كبير مع الدرجة الكلية للاختبار ارتباطاً ذو دلالة إحصائية عن مستوى دلالة (0.05).

13- **التحقق من ثبات الاختبار:** تم حساب ثبات الاتساق الداخلي بمعادلة كرونباخ ألفا Cronbach's alpha، وقد وجد أن معامل الثبات 0.811* مما يشير إلى أن الاختبار يتمتع بثبات مرتفع.

إجراءات الدراسة:

للإجابة عن أسئلة الدراسة والتحقق من صحة فروضها، اتبع الباحث الإجراءات التالية:

- 1- تم الحصول على الموافقات اللازمة، من إدارات التعليم، واختيرت مدرستان بطريقة قسدية وهاتان المدرستان هما: مدرسة الهداية الثانوية للبنين ومدرسة المحرق الثانوية للبنات.
- 2- تحديد أفراد الدراسة من طلبة الصف الثاني الثانوي في المدرستين المذكورتين بواقع شعبتين في كل مدرسة، وتم اختيارهما بطريقة عشوائية.
- 3- إعداد دليل المعلم للدروس المعاد صياغتها في ضوء وسائل التواصل الاجتماعي (سناشات، الانستجرام) وفقاً للخطوات التالية:

- تحديد أهداف الدروس: قام الباحث بتحديد الأهداف السلوكية للدروس الخامس والسابع والثامن.
 - تحديد المفاهيم والمصطلحات والمهارات والقيم في الدروس.
 - تحديد جدول توزيع الدروس: أعد الباحث جدولاً يتضمن عدد الحصص المخصصة لكل درس.
 - أعداد مقدمة للدليل، وأهمية الدليل، ووضع أدب تربوي عن طرق التدريس.
 - توضيح دور كل من الطالب والمعلم، بحيث توضح الإجراءات التي سيتبعها كل منهما.
- 4- قام الباحث بعرض الدليل على مجموعة من المتخصصين في المناهج وطرق التدريس (أعضاء مناهج، مشرفون تربويون، معلمون ومؤلفون)، وتم إدخال بعض التعديلات على الدليل وفق ملاحظات المحكمين.
 - 5- تدريب المعلمين:

قبل إجراء الدراسة، التقى الباحث بمعلمي مقرر التربية الوطنية وحقوق الإنسان للصف الثاني الثانوي، اللذين سيدرسان المجموعة الضابطة والتجريبية اللتين تم اختيارهما، وتم اختيار المعلم والمعلمة من ذوي الخبرة في التدريس، ولديهما الرغبة في التعاون، ليوضح لهما الغرض من البحث وأهميته، وخطوات التدريس لكل درس، ودور كل من المعلم والطالب في أثناء التدريس. وتم تزويدهم بدليل للمعلم، وقام الباحث بمتابعة وملاحظة المجموعات للتأكد من سير الدروس وفقاً

للغرض المعد له، وقد بدأ التدريس للمجموعات الأربع في الفصل الدراسي الأول بواقع حصتين في الأسبوع، مدة كل منهما (45) دقيقة، وقد راعى الباحث أن تكون المدة الزمنية متساوية لكل مجموعات البحث.

6- تم تطبيق اختبار التحصيل على عينة الدراسة في الفصل الدراسي الاول 2020/2019 م على مجموعتي البحث الضابطة والتجريبية، للحصول على المعلومات القبيلة التي تساعد في العمليات الإحصائية الخاصة بنتائج البحث، وليبان مدى تكافؤ المجموعات، وقد رصدت علامات الطلبة على الاختبارات قبل تدريس المواضيع المعتمدة، وتم تصحيح استجاباتهم عن فقرات الاختبار التحصيلي، وتم حساب الإحصاءات القبيلة بوساطة برنامج SPSS.

7- تم تدريس الدروس المعاد صياغتها من كتاب التربية للمواطنة وحقوق الإنسان للصف الثاني الثانوي الذي يدرس للعام 2019 -2020 م للعينة التجريبية، والدروس الاعتيادية للعينة الضابطة في المدرستين في الوقت نفسه.

8- قام الباحث بزيارة المعلمين في أثناء التطبيق، وحضور الحصص للتأكد من أن الأمور تسير وفقاً لما هو مخطط له، وقام بتقديم النصائح والارشادات حيثما لزم.

9- تم تطبيق اختبار التحصيل بعد الانتهاء من المعالجة التجريبية، وأدخلت استجابات الطلبة في البرمجية الاحصائية SPSS، تمهيدا لإجراء الإحصاءات اللازمة.

متغيرات الدراسة: تضمنت الدراسة المتغيرات البحثية التالية:

* المتغيرات المستقلة:- طريقة التدريس للدروس المعاد تصميمهما وفقاً لوسائل التواصل الاجتماعي؛ إذ تم تدريس المجموعتين التجريبتين (ذكور+إناث) بطريقة التدريس الاعتيادية للدروس الموجودة في كتاب التربية للمواطنة وحقوق الإنسان الذي يدرس في العام الدراسي 2019 -2020م والمطبوع سنة 2019م.

* المتغيرات التابعة:- تحصيل طلبة الصف الثاني الثانوي كما يقيسها الاختبار التحصيلي الذي أُعد.

عرض النتائج ومناقشتها:

1- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول؛ بعد تطبيق إجراءات الدراسة شبه التجريبية على عينة الدراسة، وعلى اعتبار القياس القبلي على الاختبار التحصيلي متغير مصاحب (مشترك)، وإزالة أي تأثير له مهما كانت دلالاته على نتائج الدراسة، وإرجاع أي تغيرات للمتغير المستقل (طريقة التدريس باستخدام وسائل التواصل السناب شات والانستجرام)، فقط عُولجت البيانات إحصائياً باستخدام تحليل التباين المصاحب (المشترك) Analysis of Covariance (ANCOVA) لدرجات الطلاب على الاختبار التحصيلي اختبار لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان في التطبيق البعدي عند مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة، والجدول (9) يوضح نتائج التحليل.

جدول 9. قيمة ف ودلالاتها الإحصائية على الاختبار

التحصيلي في التطبيق البعدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة الإحصائية
التقاطع	338.465	1	338.465	78.288	.000
التباين المشترك (الاختبار القبلي)	227.128	1	227.128	52.536	.000
طريقة التدريس	335.438	1	335.438	77.588	*.000
الخطأ	514.474	119	4.323		
المجموع	1415.505	122			

من بيانات الجدول (9) يتضح أن قيمة (ف) تساوي (77.588)، وهي دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.000) في القياس البعدي؛ أي أنه توجد فروق هامة ودالة إحصائياً بين أداء الطلبة بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

وهذا يقود إلى الإجابة عن جزء من سؤال الدراسة، ويؤكد وجود فروق دالة إحصائياً في التحصيل البعدي بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية، ومتوسطات درجات أفراد المجموعة الضابطة، وفي ضوء متوسطات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة نجد أن الفروق بين المجموعتين جاءت لصالح المجموعة التجريبية، كما هو في جدول (10).

جدول 10. المتوسطات الحسابية

لمجموعتي الدراسة على التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي

المجموعة	عدد الطالبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المجموعة التجريبية	60	16.78	1.932
المجموعة الضابطة	62	13.10	2.924

وبالرجوع إلى المتوسطات الحسابية في جدول (10) نجد أن الدلالة جاءت لصالح المجموعة التجريبية التي أستخدم معها طريقة التدريس باستخدام وسائل التواصل (السناب شات والانستجرام) ، فقد بلغ المتوسط الحسابي لدرجاتهم 16.78 بانحراف معياري 1.932 وهو أكبر من متوسط المجموعة الضابطة 13.10 التي أستخدمت معها طريقة التدريس المعتادة.

أظهرت نتائج السؤال وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية $(\alpha \geq 0.05)$ بين المتوسطات الحسابية الخاصة لأداء أفراد عينة الدراسة على الاختبار التحصيلي يعزى لمتغير طريقة التدريس المستخدمة وفقاً للانستجرام والسناب شات ولصالح المجموعة التجريبية، حيث يتضح لنا أن متغير طريقة التدريس المقترحة ساعد الطلبة من خلال محتوياته التي تشمل مقاطع الفيديو، والصور، لإيجاد حلول وابتكار طرائق جديدة يمكن من خلالها مساعدتهم على اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة، حيث أظهرت النتائج أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (السناب شات والانستجرام) كوسيلة للتواصل بين المعلم والطالب يساهم في زيادة تحصيل الطلبة، وفي الوقت الراهن مع انتشار جائحة كورونا وإلزام التعليم بسياسات التعلم عن بعد والتكيف من أجل مواكبة التطورات الكبيرة والسريعة، فقد أصبح لزاماً على المدارس أن تتطور لتأمين حاجات الطلبة من المعلومات والمهارات. ويعزو الباحث هذه النتيجة لعدة أسباب منها استخدام بعض الطلبة مواقع التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية لتبادل الخبرات، والمعلومات، والتعاون في حل الواجبات البيتية، واستخدام بعض الطلبة لهذه المواقع، كمصدر للمعلومات، فوسائل التواصل الاجتماعي يمكنها تقليل الحواجز التي تعيق الاتصال فيمكن نقل الأفكار والآراء المتعلقة بموضوع معين

لعدد كبير من الأشخاص وبطريقة سهلة، من أي مكان، وفي أي وقت، كما تساعد خاصية مشاركة الرأي المتاحة على وسائل التواصل الاجتماعي على فتح الأبواب لتبادل الآراء، وقد اتفقت هذه الدراسة في جزء من نتائجها مع النتائج التي توصلت إليها الجار الله (2020) التي أشارت في نتائجها إلى أن أبرز دوافع طالبات المدارس لاختيار استخدام شبكة التواصل الاجتماعي التويتر Twitter كانت "البحث عن المعلومات وإجراء البحوث"، و"معرفة التقنيات الحديثة"، ودراسة بكر (2019) التي أشارت إلى تفوق مجموعة الدراسة التجريبية التي استخدمت تقنية البث المباشر، على المجموعة الضابطة التي استخدمت طريقة التدريس العادية في درجات القياس البعدي للاختبار التحصيلي، ودراسة عريف وحمادي (2016) التي أشارت إلى أن هناك عدد كبير الطلبة يستخدمون وسائل التواصل للحصول على المعارف التعليمية، ولتبادل الدروس مع زملائهم أحياناً، ودراسة (Feshchenko, 2016) التي توصلت إلى أن جزء كبير من عينة الدراسة تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي بشكل نشط في حياتهم اليومية للتعلم.

ودراسة (عيسى، 2012) التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء الطالبات قبل وبعد تطبيق الويكي حيث كانت النتائج لصالح التطبيق البعدي، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية نحو اتجاهات المجموعة التجريبية قبل وبعد استخدام الويكي لتطوير مهارتهن في الكتابة لصالح بعد التجربة. ودراسة ميازو وأندرسون (Miyazone & Anderson, 2010) التي أظهرت النتائج أن الطلبة لديهم تصورات إيجابية حول التعليم المدمج، كما أظهرت النتائج أن استخدام الويكي والمنتديات والمدونات في التعليم يساعد على تنمية قدرات الطلبة على الكتابة باللغة الإنجليزية، وكذلك توافقت مع دراسة كل من تشو وآخرون (Chiu et al, 2009) ودراسة كار (Carr, 2008) ودراسة سلامة، (2019) ودراسة علي (2016) ودراسة بنكو وآخرون (Benko. Et al, 2016).

2. النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني؛ لمعرفة مستوى الدلالة الإحصائية للفروق بين المتوسطات الحسابية لعلامات الطلبة على الاختبار التحصيلي البعدي وفقاً لمتغير التفاعل بين طريقة التدريس والنوع

الاجتماعي، ويهدف عزل الفروق في أداء الطلبة على الاختبار القبلي، استخدم اختبار تحليل التباين الثنائي المشترك (2-Way ANCOVA) وكانت النتائج كما هو مبين في الجدول (11).
جدول 11. نتائج تحليل التباين المشترك (ANCOVA) لدرجات طلبة مجموعتي الدراسة على الاختبار التحصيلي البعدي وفقاً لمتغيري طريقة التدريس والنوع الاجتماعي والتفاعل بينهما.

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
التقاطع	333.378	1	333.378	81.489	.000
التباين المشترك (القبلي)	228.315	1	228.315	55.808	.000
النوع الاجتماعي	.555	1	.555	.136	.713
طريقة التدريس	331.955	1	331.955	81.141	.000
طريقة التدريس × النوع الاجتماعي	35.396	1	35.396	8.652	.004
الخطأ	478.658	117	4.091		
المجموع الكلي	1408.257	122			

تشير بيانات الجدول (11) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات عينة الدراسة على اختبار التحصيل لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان تعزى للتفاعل بين طريقة التدريس والنوع الاجتماعي، فقد تبين أن قيمة (ف) تساوي (8.652) وهي دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، وهذا يعني وجود فروق هامة للتفاعل بين الطريقة والنوع الاجتماعي في التحصيل، والجدول رقم (12) يبين المتوسطات المعدلة لمتغير التحصيل حسب التفاعل بين المجموعة والنوع الاجتماعي.

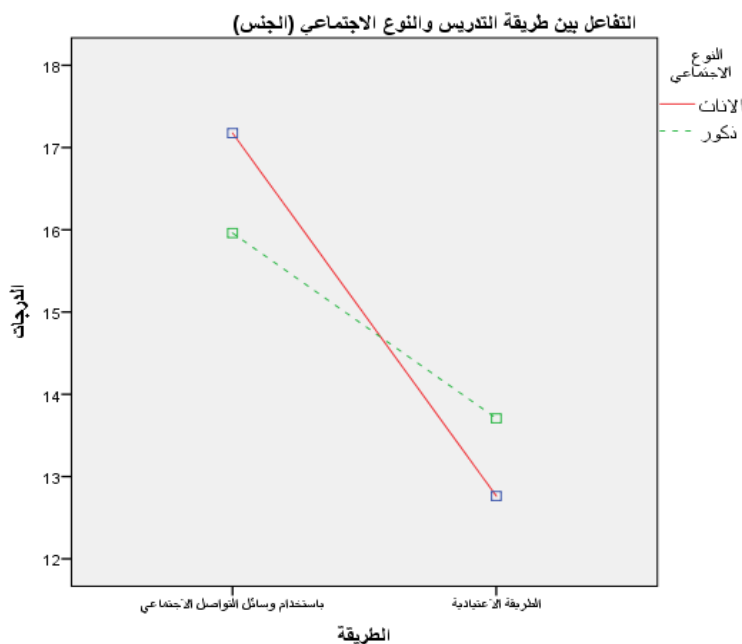
جدول 12. المتوسطات المعدلة والأخطاء المعيارية لمتغير التحصيل حسب التفاعل بين الطريقة والنوع

الاجتماعي

المجموعة	النوع الاجتماعي	المتوسط الحسابي المعدل	الانحراف المعياري
----------	-----------------	------------------------	-------------------

.359	17.175	اناث	التجريبية
.383	15.960	ذكور	
.376	12.764	اناث	الضابطة
.353	13.708	ذكور	

يلاحظ من بيانات الجدول (12) تفوق الإناث في المجموعة التجريبية على الذكور في حين تفوق الذكور في المجموعة الضابطة على الإناث. ويظهر الشكل (1) التفاعل بين الطريقة والنوع الاجتماعي بيانياً.



الشكل 1: التفاعل بين الطريقة والنوع الاجتماعي بيانياً

يظهر الشكل (1) نتيجة التفاعل بين الطريقة والنوع الاجتماعي بيانياً، وفيه يظهر تفوق الإناث على الذكور في المجموعة التجريبية في درجاتهن في الاختبار التحصيلي لمقرر التربية للمواطنة وحقوق الإنسان، في حين تفوق الذكور في المجموعة الضابطة على الإناث.

أظهرت النتائج الإحصائية وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية الخاصة بأداء أفراد عينة الدراسة التجريبية على الاختبار التحصيلي تعزى للتفاعل بين طريقة التدريس والنوع الاجتماعي، كما أظهرت النتائج تفوق الإناث في المجموعة التجريبية على الذكور، ويمكن تفسير ذلك بأن الإناث أكثر استخداماً وشغفاً لوسائل التواصل الاجتماعي (السناب شات والانستجرام) من الذكور. ولأن وسائل التواصل الاجتماعي توفر فرصاً كبيرة في استغلال القدرات التكنولوجية للطلبة من أجل عملية تعلم فعّالة، فيمكن من خلالها زيادة المعرفة العلمية، كما أنها تعطي الفرصة للمشاركة والتفاعل في أي وقت، والوصول إلى كم هائل من المعلومات بأقصى سرعة، بالإضافة إلى أنها تعزز القدرات على إدارة النقاش مع الآخرين، وتحليل للأحداث. كما أن الإناث تتميز على الذكور في الأعمال التي تتطلب الدقة، وهن أكثر تجاوبا من الذكور للاستراتيجيات التعليمية، ولديهن ميول دراسية أقوى من الذكور. وتوافقت نتائج هذه الدراسة في بعض جوانبها مع دراسة (عيسى، 2012) التي توصلت إلى وجود نتائج إيجابية لاستخدام الويكي في تحسين مهارات الكتابة عند الطلبة واتجاهاتهم نحو الكتابة، ودراسة ميازو وأندرسون (Miyazone & Anderson, 2010) التي توصلت إلى أن استخدام الويكي والمنديات والمدونات في التعليم يساعد على تنمية قدرات الطلبة على الكتابة باللغة الإنجليزية وتكوين تصورات إيجابية حول التعليم المدمج، ودراسة تشو وآخرون (Chiu et al,2009) التي توصلت إلى أن التعلم الذاتي قد تحسن عند معظم المتعلمين عند استخدام تقنيات الويب، وأصبح الطلبة أكثر نشاطا في ممارسة أنشطة التعلم، ودراسة كار (Carr,2008) التي توصلت إلى أن استخدام الويكي عزز بناء المعرفة التعاونية بدرجة كبيرة خلال عملية التعلم.

التوصيات:

- تفعيل مواقع التواصل الاجتماعي (الانستجرام، سناب شات) في العملية التعليمية.
- استغلال القدرات التكنولوجية للطلبة في تعلمهم.
- الاستفادة من نتائج هذه الدراسة للتعرف في توظيف مواقع التواصل الاجتماعي كطريقة في التدريس.
- الكشف عن شكل المحتوى الذي تقدم فيه هذه المهارات.

قائمة المراجع :

-بكر، منة الله محسن إبراهيم (2019)، فاعلية استخدام تقنية البث المباشر عبر الشبكات الاجتماعية في إكساب طلاب الإعلام التربوي بعض المهارات الإعلامية: دراسة شبه تجريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اسوان، مصر.

-الجارالله، أمل صالح (2020)، دوافع استخدام طالبات الجامعة وطالبات المدارس لشبكة التواصل الاجتماعي (تويتر) وعلاقتها بتحصيلهن الأكاديمي (دراسة مقارنة). مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 18(1)، 194-214.

-حمادي، صادق، و عريف، عبد الباسط (2016)، استخدام تلاميذ الثانوية للفيسبوك وإنعكاسه على التحصيل الدراسي من وجهة نظر المتعلمين دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ثانوية الأمير عبد القادر-تفرت. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

-راضي، زاهر (2003)، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي. مجلة التربية، 15(1)، ص23.

-الزعانين، جمال عبد ربه (2002)، التغيرات العلمية والتكنولوجية المتوقعة في مطلع القرن الحادي والعشرين في المجتمع الفلسطيني ودور التربية العلمية في مواجهتها. مجلة الجامعة الإسلامية، 10(2)، 71-120.

-سلامة، مي حسن إبراهيم (2019)، توظيف الويكي التعليمي في تنمية فهم المفاهيم العلمية ومهارات التفكير الناقد والتواصل الاجتماعي في علم الأحياء لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم مناهج وطرق تدريس العلوم. جامعة طنطا، كلية التربية. مصر.

-عبدالمنعم، محمد، والبيلي، الرشيد، وعبدالله، زينب (2018)، أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على مهارات التواصل والشعور بالوحدة النفسية لدى طلبة جامعة الملك فيصل، المجلة الدولية للآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية. (ع16) 225 - 158 .

-علي، أشرف رجب عطا (2016)، أثر توظيف بعض أدوات وتطبيقات الشبكات الاجتماعية على التحصيل المعرفي وإكساب طلاب الإعلام التربوي مهارات التصوير الصحفي، مجلة كلية التربية. 32(1)، ج (2)، 183-233.

-عيسى، فاطمة حرب (2012)، أثر استخدام الويكي في تحسين مهارات الكتابة لدى طالبات الصف التاسع في مبحث اللغة الإنجليزية واتجاهاتهن نحو الكتابة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة غزة: فلسطين.

-الکرد، ضياء أحمد(2014)، أثر شبكات التواصل الاجتماعي على التوافق الزوجي في الأسرة الفلسطينية «الفييس بوك نموذجاً». المؤتمر العلمي الدولي السنوي الرابع لكلية الشريعة، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على المجتمع نظرة شرعية اجتماعية قانونية جامعة النجاح الوطنية فلسطين.

-Benko, S. L., Guise, M., Earl, C. E., and Gill, W. (2016), More than social media: Using Twitter with preservice teachers as a means of reflection and engagement in communities of practice. **Contemporary Issues in Technology and Teacher Education**, 16(1), 1-21.

-Blog and Wiki in EFL Blended Learning Setting. **System Journal** 38.

-Carr, N(2008), **Wikis ,Knowledge building communities and authentic pedagogies in preservice teacher education**. RMIT University, ascitity, ascitie, Melbourune.

-Chiu, H. and Wen, S. and Sheng, C. (2009). Apply Web 2.0 tools to constructive collaboration learning: A case study in MIS course, IEEE Computer Society.

-Feshchenko, Artem (2016) How students use social networks in education? SHS Web of Conferences, Volume 26.

-Miyazoe, T. and Anderson, T. (2010). Learning Outcomes and Students Perceptions of Online Writing: Simultaneous Implementation of a Forum

-ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، من الموقع

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%AA%D8>

تاريخ الاسترداد 2021-3-12 [%BA%D8%B1%D8%A7%D9%85](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%AA%D8)

-ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، من الموقع

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%86%D8%A7%D8%A8_%D8

تاريخ الاسترداد 2021-3-12 [%B4%D8%A7%D8%AA](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%86%D8%A7%D8%A8_%D8)



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

فاعلية برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة المعلم لدى

الطلبة المعلمين بكلية التربية جامعة إب
أ.م.د. أحمد عبدالله أحمد القحفة

أستاذ المناهج وطرائق تدريس الرياضيات المشارك- نائب العميد للدراسات العليا والبحث العلمي،
ورئيس وحدة التطوير والجودة السابق بكلية التربية النادرة -جامعة إب

Email : _al_qhfa2011@yahoo.com

الملخص

2

هدفت الدراسة إلى قياس مستوى فاعلية تأثير برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة المعلم بشقيها المعرفي والأدائي لدى الطلبة المعلمين (رياضيات) بكلية التربية جامعة إب، ولتحقيق الهدف أجريت الدراسة على عينة تكونت من (30) طالب وطالبة من الطلبة المعلمين في المستوى الثالث رياضيات بكلية التربية بالنادرة جامعة إب - الجمهورية اليمنية عام 2018م. وفق المنهج التجريبي لعينة واحدة ذو التطبيقين (القبلي والبعدي) تكونت مواد وأدوات الدراسة من برنامج تدريبي متكامل تكون من (14) موديولاً تعليمياً وأنشطة تدريبية مصاحبة شاملة لمتطلبات جودة التدريس، واختبار تحصيل معرفي وبطاقة ملاحظة الأداء التدريسي، وذلك لقياس مستوى تأثير البرنامج على تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات بشقيها النظري والأدائي، وقد أسفرت النتائج عن توفر برنامج تدريبي وقائمة بمتطلبات جودة المعلم، ووجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0,01) بين متوسطي درجات الطلبة المعلمين في كل من اختبار التحصيل المعرفي وبطاقة الملاحظة بين التطبيقين القبلي والبعدي ولصالح التطبيق البعدي في الجانبين المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات، وكشفت النتائج قيمة حجم الأثر بمستوى عالي حيث بلغ (0,88 و 0,93) لجانبَي متطلبات جودة المعلم النظرية والأدائية على الترتيب، وقد يرجع ذلك إلى كفاءة البرنامج التدريبي المقترح بتوفير الجانب النظري والتطبيقات العملية والأنشطة مع أساليب تدريب وتقويم متنوعة، كما تبين أن مستوى فاعلية البرنامج التدريبي المقترح كانت متوسطة بشكل عام حيث بلغت نسبة الكسب المعدل لبلاك (1)، وقد يرجع ذلك إلى التأثير السلبي على تنفيذ البرنامج نتيجة الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد بسبب الحرب، وفي ضوء النتائج قُدمت بعض التوصيات والمقترحات المشجعة على الاهتمام بمثل هذه البرامج لإعداد المعلمين أثناء التربية العملية والاستفادة منها مستقبلاً.

Efficiency of Educational Modules Training Program in Developing the Instructional Quality of the Students Prepared to Be Teachers at Faculty of Education, Ibb University

Dr. Ahmed Abdullah Ahmed Elqahfah

Associate Professor of Curricula & Teaching Methods, Faculty of Education-Ennadrah, Ibb University

Abstract:

The study aimed at measuring the level of the effectiveness of the impact of a training program based on the educational modules in the development of the requirements of the quality of the teacher in its both cognitive and practical sides of the students teachers (mathematics) Faculty of Education, University of Ibb.

To achieve the objective, the study was conducted on a sample consisting of (30) male and female students from the student teachers in the third level of Mathematics in the Faculty of Education in Al-Nadira, Ibb University, Republic of Yemen in 2018 according to the experimental approach of one sample of the two applications (pre- and post applications).

The study materials and tools consisted of a complete training program consisting of (14) educational modules and accompanying training activities including the requirements of teaching quality, a cognitive achievement testing and teaching performance observation card to measure the level of the program's impact on the development of the quality requirements of the Mathematics teacher both theoretical and practical.

The results resulted in the availability of a training program and a list of teacher quality requirements, and there were statistically significant differences at the level of (0.01) among the averages of student teachers scores in both the cognitive achievement test and the observation card between the pre- and post-applications and for the favor of the post application in both the cognitive and practical sides of the quality requirements of Mathematics teacher. The results revealed that the value of the impact level was high at (0.88 and 0.93) for both the theoretical and practical quality requirements of the teacher respectively. This may be due to the efficiency of the proposed training program by providing the theoretical side, practical applications and activities with a variety of training and evaluation methods. It was also showed that the level of effectiveness of the proposed training program was generally medium where the Modified Blake's Gain Ratio was (1). This may be as a result of the difficult circumstances in the country because of the war. In the light of the results, some recommendations and proposals were made to

encourage the interest in such programs to prepare teachers during practical education and to benefit from them in the future.

الكلمات المفتاحية:

برنامج تدريبي Educational Modules - الموديولات التعليمية - متطلبات جودة المعلم
Quality Requirements of the Teacher - الطلبة المعلمين Student-teachers.

المقدمة:

يتجه العالم المعاصر اليوم نحو الإبداع والجودة بغرض تحقيق الكيف نتيجة التطورات الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة في كافة مجالات الحياة اليومية، وأصبح الهدف الأساسي لدى الدول المتطورة هو توفير العقول المبدعة والمنتجة، والقادرة على توفير حلول للمشكلات التي تهدد العالم أفراداً وجماعات، وبتوفير مثل هذه العقول داخل الهرم التعليمي وقيادات المجتمع المحلي؛ وحسن التصرف في كافة شؤون الحياة العامة والخاصة، وتطبيق المعرفة على الوجه الأمثل واستغلالها في التقدم والرخاء، ومسايرة روح العصر وتطوراته التكنولوجية الهائلة، وحتى يمكن توفير مثل هذه العقول لابد من زيادة الاهتمام بتنمية الخبرات المتنوعة لدى أفراد المجتمع من خلال برامج تنموية وتدريبية، مما يحتم على السياسات التعليمية في البلاد العربية ومن بينها بلادنا أن تتجه نحو تطوير شامل يتناول مختلف جوانب العملية التعليمية كمنظومة متكاملة، ومن أهم عناصرها المعلم.

كونه يشكل "العنصر الفاعل في هذه المهنة وتحسين مردودها، وهو عامل مهم في نجاح النظام التعليمي وتحقيق أهدافه، باعتباره موجهاً لتلاميذه ولعملية التعليم والتعلم وناقلاً لتقافة مجتمعه ومسؤولاً عن تنفيذ السياسة التعليمية التي تنعكس على جوانب الحياة وتميبتها في المجتمع". (الزهيري، 2012: 277).

كما أن المعلم يُمثل محوراً أساسياً في عملية التغيير والتجديد والبناء، والقادر على إحداث التكامل بين بقية العناصر بالإمكانات المتاحة، والمناهج المتطورة، وأساليب تدريس وتكنولوجيا تعلم حديثة، وتحويلها إلى مواقف وأنماط سلوكية تسهم في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، وقد اختلف دور المعلم في العملية التعليمية، فأصبح موجهاً ومرشداً بدلاً من دور الناقل للمعرفة، وذلك لتغير المفاهيم والنظريات التربوية، ونتيجةً لتزايد اهتمام المجتمع بالتربية لإعداد القوى البشرية لتحقيق التنمية الشاملة". (الدسوقي، 2000: 30).

إضافة إلى ما سبق فإن التطور المعرفي وسرعة تغير العصر وتزايد متطلباته جعل حجم المعرفة خارج المدرسة أكبر من داخلها، وبالتالي أصبحت المناهج تحتاج إلى تطوير وتحديث مستمر وبالتالي تحتاج إلى نوعية جديدة من المعلمين، وعلى هذا الأساس فقد اهتمت مختلف النظم التربوية والتعليمية في معظم دول العالم بإعداد المعلم وتدريبه عبر أفضل البرامج التي تمكنه من الصمود في وجه التيارات المتعاكسة، وهذا ما أكدته المؤتمرات العلمية والدراسات العالمية والعربية المختلفة التي عنيت ببرامج إعداد المعلمين قبل الخدمة وبعدها ومن بينها: المؤتمر العلمي الثاني "الدور المتغير للمعلم العربي في مجتمع الغد" رؤية عربية بالتعاون مع جمعية كليات ومعهد التربية في الجامعات العربية، جامعة أسيوط (18-20 ديسمبر 2000م)، وغير ذلك من المؤتمرات والندوات التي تطالب بتطوير قدرات المعلم ورفع كفاءته إلى مستوى جودة مقبول في ظل الخضم المعرفي والتكنولوجي في عصرنا الراهن.

وهذا كله يلزم القائمين على التعليم الجامعي اليمني - خاصة كليات التربية- بتوجيه جل اهتمامهم نحو إعداد المعلم اليمني بما يحقق متطلبات جودة المعلم، وبما يحقق "الارتقاء بمستواه الأكاديمي والمهني والأخلاقي، ويساعده في الإلمام بثقافة عصره، وقضاياها، وفهم الحضارة الإنسانية من حوله". (الدوسري، 2008: 1219).

ويعد برنامج التربية العملية أساساً في برامج إعداد المعلمين بكليات التربية في الجامعات اليمنية، فعن طريقه "يتعرف الطالب المعلم على مدى صلة المعلومات والمهارات التي تعلمها في الكلية بأوضاع التعليم الفعلية، ومدى مناسبتها للتطبيق في البيئة المدرسية، ويختبر قدراته على تنفيذها". (النهارى، 2000: 47). وقد تحول النهج التربوي كاملاً نحو الجودة التي تسعى إلى تغيير شامل في أهداف التربية والتعليم ووسائلها وأساليبها؛ نتيجة الطفرة العلمية والتي لم يعد فيها للإنسان العادي أي معنى يذكر بل "إنه عصر فيه البقاء للأجود والأمهر". (أبو زيد، 2007: 1561).

ومع هذا الاهتمام التربوي نحو إعداد المعلم، فقد كانت المحاولات اليمنية بسيطة في مجال تطوير إعداد المعلم اليمني وفق معايير الجودة حيث اقتصرت على بعض ورش العمل والمؤتمرات والندوات، مثل أوراق العمل الأساسية المقدمة إلى ندوة "واقع التعليم العام وآفاق تطويره"، صنعاء، 8-10 يوليو 2000 م، والإستراتيجيات الوطنية لتطوير التعليم في اليمن من 2003-2015م، وورشة عمل بكلية التربية جامعة صنعاء في الفترة (11-13 مايو 2004م) "الإعادة هيكلة برامج إعداد

المعلم"، وأخرى بكلية التربية- النادرة- جامعة إب في الفترة (1-2 يونيو 2005م) "لتطوير المناهج الدراسية بكلية التربية النادرة"، وأوصت بتمهين الطالب المعلم، وضرورة تطوير برامج إعداده، وقد بدأ الاهتمام بجودة التعليم اليمني بعد إنشاء مجلس الاعتماد الأكاديمي اليمني عام 2006م، كما تم تنفيذ بعض الدراسات التي أوصت بالاهتمام بإعداد المعلم الإعداد الجيد والقائم على معايير ومتطلبات الجودة اللازمة للتدريس بما يتناسب مع العصر الحديث، من خلال تطوير برامج إعداد وتدريب المعلمين، واقتُرحت تنفيذ دراسات مشابهة لهذه الدراسة، ومنها دراسة كل من: (الجويد، 2017؛ العقبي، 2017؛ الزهيري، 2012؛ عادل، 2010؛ المعمرى، 2007؛ المخلافي، 2004).

كل هذا دفع الباحث إلى المساهمة في تقديم برنامج تدريبي مقترح للطلبة المعلمين بكليات التربية قائم على الموديولات التعليمية لتحقيق متطلبات جودة المعلم، من أجل تحقيق الأهداف المرجوة في الارتقاء بمستوى أداء المعلمين، من خلال تدريبهم الذي يتناسب مع تجويد المعلمين ورفع مستواهم التعليمي والثقافي والمهني، ويمكنهم من مسايرة العصر بكل تطوراتها.

مشكلة الدراسة:

تسعى اليمن كغيرها من البلدان العربية نحو تجويد التعليم، لاسيما بعد قيام الوحدة اليمنية عام 1990م، حيث أدى الطلب الاجتماعي المتزايد على التعليم العام بمراحله المختلفة إلى افتتاح الكثير من المدارس في اليمن، وهذا التوسع في بناء المدارس أدى إلى زيادة أعداد الدارسين في مراحل التعليم المختلفة، مما أوجد حاجة ملحة لتوفير أعداد كبيرة من المعلمين لتغطية المقررات الدراسية في المدارس اليمنية، مما سبب استمرار تأهيل الطلبة المعلمين بكليات التربية في ضوء برامج لم تعد تفي بمتطلبات الجودة وتكنولوجيا العصر، وبالمقابل عدم كفاية الإمكانيات المالية المتاحة، وظهور مشاكل وشكاوي من ضعف مستوى الخريجين وعدم ملائمة مخرجات التعليم الجامعي لاحتياجات المجتمع ومتطلبات سوق العمل، وهذا أدى إلى ضعف الأداء التدريسي للمعلمين بشكل ملفت للنظر، وبالتالي ضعف مستوى التحصيل العلمي للطلبة الواضح في نتائجهم بمقررات الرياضيات، وشكوى الكثير من صعوبة تدريس الرياضيات وفهمها، بسبب تطوير مناهج الرياضيات بصورة مستمرة دون تدريب المعلمين على كيفية التعامل معها، كما لاحظ الباحث الضعف المستمر في أداء الطلبة المعلمين عند ممارستهم التدريس في مدارس التطبيق أثناء الإشراف عليهم في برنامج التربية العملية.

وبهذا نتلخص مشكلة هذه الدراسة في قصور برامج إعداد المعلم المعتمدة، وصعوبة الوفاء بالتزاماتها في توفير معلم متخصص ماهر في تدريسه، وغياب متطلبات جودة المعلم في برامج الإعداد والتأهيل، إضافة إلى ضعف الأداء التدريسي في الميدان التربوي وأثناء عملية التأهيل المتمثل في التطبيق الميداني خلال التربية العملية، وعليه تكمن مهمة هذه الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

"ما فاعلية البرنامج التدريبي القائم على الموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات، لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية النادرة جامعة إب اليمنية؟"
وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

س1- ما صورة البرنامج التدريبي المقترح لتنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات بكلية التربية النادرة؟

س2- ما متطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟
س3- ما أثر البرنامج التدريبي المقترح على تنمية الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟

س4- ما أثر البرنامج التدريبي المقترح على تنمية الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟

س5- ما فاعلية البرنامج التدريبي المقترح في تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات (المعرفية - والأدائية) لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة إلى:

- 1- إعداد برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية لتحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات.
- 2- إعداد قائمة بمتطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بكلية التربية جامعة إب.
- 3- قياس تأثير البرنامج التدريبي على تنمية الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.
- 4- قياس تأثير البرنامج التدريبي على تنمية الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.
- 5- قياس فاعلية البرنامج التدريبي في تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.

فروض الدراسة:

- 1- يمكن تطوير برنامج التربية العملية (1) بإعداد برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية بكلية التربية النادرة جامعة إب.
 - 2- يمكن توفير قائمة بمتطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بقسم الرياضيات كلية التربية النادرة جامعة إب.
 - 3- لا يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسطي درجات الطلبة المعلمين (رياضيات) بكلية التربية بالنادرة في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات.
 - 4- لا يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسطي درجات أداء الطلبة المعلمين (رياضيات) بكلية التربية بالنادرة في التطبيقين القبلي والبعدي لبطاقة ملاحظة مستوى الأداء لمتطلبات جودة معلم الرياضيات.
 - 5- يحقق البرنامج التدريبي المقترح فاعليه عالية المستوى في تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات (المعرفية- والأدائية) لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.
- أهمية الدراسة : تتمثل أهمية الدراسة والحاجة إليها فيما يلي:

- 1- تأتي هذه الدراسة استجابة للتوجهات الحديثة التي ينادي بها القائمون على برامج إعداد المعلم من ضرورة وجود برامج حديثة لإعداد وتأهيل الطلبة المعلمين، من خلال الندوات والمؤتمرات الداعية للجودة.
 - 2- تعد هذه الدراسة من أول المحاولات اليمينية - في حدود علم الباحث- لوضع اللبنة الأولى حول بناء برنامج لتنمية وتحقيق متطلبات جودة المعلم اللازمة للطلبة المعلمين بكلية استجابة لمتطلبات العصر.
 - 3- إمداد القائمين على برامج التربية العملية واعد المعلمين ببرنامج لإعداد المعلمين قائم على الموديولات التعليمية، مبني على أساس تحقيق متطلبات جودة المعلم.
 - 4- تزويد المهتمين بالجودة بمقياس لمتطلبات الجودة كأداة ملاحظة الأداء التدريسي للمعلم.
 - 4- تزويد المهتمين بإعداد وتأهيل المعلمين بصورة واقعية لنقاط القوة والضعف في هذه البرامج.
 - 5- قد يفتح المجال أمام الباحثين لإجراء دراسات عديدة في مجال التدريس والجودة.
- حدود الدراسة: تقتصر هذه الدراسة على:

- 1- مجموعة من الطلبة المعلمين المسجلين بالمستوى الثالث تخصص رياضيات، بكلية التربية النادرة، جامعة إب.
- 2- برنامج تدريبي (نظري وعملي) تكون من أربعة عشر موديولاً تعليمياً يتدرب عليها مجموعة الطلبة المعلمين، عينة الدراسة.
- 3- اختبار تحصيل علمي للجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات.
- 4- بعض معايير متطلبات جودة معلم الرياضيات في شكل بطاقة ملاحظة لتقييم الجانب الأدائي للطلاب المعلم.
- 4- الفترة الزمنية خلال الفصل الدراسي الثاني من السبت 2018/3/3 وحتى السبت 2018/7/7م.

مصطلحات الدراسة:

البرنامج التدريبي: "مجموعة من النشاطات والممارسات المصممة خصيصاً لتزويد معلمي وموجهي الرياضيات بالمعارف والمهارات اللازمة لبحوث الأداء وتنمية الاتجاه نحو استخدامه". (عبدالجواد، 2006: 143).

البرنامج: هو "كل ما تقدمه كلية التربية في الجامعة للطلاب المعلمين من مقررات تخصصية وثقافية ومهنية خلال فترة دراستهم في الكلية أثناء فترة الإعداد وعاده تستغرق أربع سنوات في الكلية". (حمادنه، 2014: 93).

التربية العملية: عرفها سعد بأنها " ذلك الجانب من برامج إعداد المعلمين والذي يهتم بالجانب التطبيقي الميداني ويتيح للطلاب المعلم الفرصة الحقيقية ليطبق دراسته في الجامعة من مفاهيم ومبادئ ونظريات تربوية تطبيقاً أدائياً" (سعد، 2000: 23).

التعريف الإجرائي لبرنامج التربية العملية التدريبي في الدراسة الحالية بأنه: منظومة متكاملة من المعارف والخبرات والأنشطة المصممة في شكل موديولات تعليمية بهدف تنمية الجانب المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدي الطلبة المعلمين مستوى ثالث رياضيات بكلية التربية النادرة جامعة إب من خلال تدريبهم على ممارستها وتنفيذها أثناء دراستهم لها بمقرر (التربية العملية⁽¹⁾) في الفصل الدراسي الثاني.

الموديوالات التعليمية: عُرف الموديول التعليمي بأنه: " وحدة تعليمية متكاملة تعالج موضوعا معينا، يتحدد فيه الأهداف المتوقع تحقيقها والمحتوى والأنشطة التي سيستخدمها المعلم وأساليب التقويم". (عبيد، 2004: 196).

والموديوالات التعليمية إجرائياً تعني: هي وحدات تعليمية مستقلة ومتتابعة تشتمل على مجموعة من المعارف والأنشطة التي تساعد الطالب المعلم بكلية التربية على تحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات النظرية والعملية بجهده الذاتي حسب قدرته وسرعته وبإشراف وتوجيه المعلم.

الجودة: عامة هي "المجموع الكلي لخصائص وسمات المنتج سواء كان مادي او بشري، أو الخدمة المستمرة التي تقدمها المؤسسة لإشباع حاجات المستفيدين العنلية والضمنية، وتلبية رغباتهم وطموحاتهم وتوقعاتهم بدرجة كفاءة عالية ورضا أكيد". (جبر، العرنوسي، 2014: 155).

وفي التعليم: "بأنها عملية تطبيق مجموعة من المعايير والمواصفات التعليمية والتربوية اللازمة لرفع مستوى جودة وحدة المنتج التعليمي بواسطة كل الأفراد العاملين بالمؤسسة التعليمية وفي جميع جوانب العمل التعليمي والتربوي بالمؤسسة". (محفوظ، 2003: 43).

وتعتبر "فلسفة شاملة للحياة والعمل في المؤسسات التعليمية تهدف التحسين المستمر لعمليات التعلم والتعليم وتطوير مخرجات التعليم على أساس العمل الجماعي بما يضمن تحقيق معايير الجودة الشاملة". (الهاشمي، وصومان، 2008: 15).

جودة المعلم: ترى شارلوت دانيلسون (Charlotte Danielson) أن جودة المعلم تعني " قدرة المعلم على التخطيط الجيد لدرسه وخلق مناخ تعليمي داخل الفصل يتسم بالاحترام والتعاون والإبداع في التدريس وتحقيق معايير النمو المهني". (Danielson, 1996: 5).

جودة المعلم إجرائياً: هي تحقق مجموعة من المعايير والخصائص والصفات لدى الطالب المعلم بقسم الرياضيات في مجال (التخطيط والتنفيذ والتقويم وإدارة الصف والمجال الشخصي والمهني) عند تدريس الرياضيات ويستدل عليها من خلال تطبيق مقياس متطلبات الجودة ببطاقة الملاحظة للأداء التدريسي واختبار تحصيلي للجوانب المعرفية لمتطلبات جودة معلم الرياضيات التي درسها في البرنامج المعد لذلك.

متطلبات جودة المعلم (المعايير): معايير الجودة : هي "مجموعة من المواصفات المطلوبة لتحقيق الجودة الشاملة وتتضمن التالي: التخطيط الاستراتيجي، والمراقبة المستمرة لتحصيل الطلاب، وإدارة

الموارد البشرية، والعلاقات الإنسانية في المدرسة واتخاذ القرار، والعلاقة مع جميع أطراف العملية التربوية". (الغنام، 2001: 14).

ومعايير الجودة في التعليم وصفها علي، بأنها: "تلك المواصفات والشروط التي ينبغي توافرها في نظام التعليم والتي تتمثل في جودة الإدارة، وسياسة القبول، والبرامج التعليمية من حيث (أهدافها، وطرائق التدريس المتبعة، ونظام التقويم والامتحانات، وجودة المعلمين، والأبنية والتجهيزات المادية)، بحيث تؤدي إلى مخرجات تتصف بالجودة وتعمل على تلبية احتياجات المستفيدين". (علي، 2002: 210).

متطلبات (معايير) جودة المعلم إجرائياً: تعني مجموعة المعايير والمواصفات التربوية والتعليمية اللازمة لرفع مستوى أداء الطلبة المعلمين مستوى ثالث رياضيات في جميع جوانب العمل التربوي والتعليمي المعرفي والأدائي والمحددة في المقياس المعد لذلك.

الطلبة المعلمين: هم الطلبة المسجلين في المستوى (الثالث والرابع) بجميع البرامج الأكاديمية المتوقع تخرجهم من كليات التربية في الجامعات اليمنية.

الطلبة المعلمين إجرائياً: هم طلبة الرياضيات المسجلين في المستوى الثالث بكلية التربية النادرة جامعة إب، الذين ينتقلون التدريب وفق برنامج تدريبي قائم على الموديولات التعليمية في مقرر التربية العملية (1) بالفصل الدراسي الثاني عام 2016-2017م .

كلية التربية بالنادرة: احد كليات التربية بجامعة إب الحكومية وتعتبر إحدى المؤسسات التي تعتنى بإعداد (المعلمين) المتخرجين لامتحان التدريس من سبعة برامج أكاديمية تشترك جميعها في برنامج التربية العملية المحدد بفصلين دراسيين.

الخلفية النظرية وإجراءات الدراسة:

الجزء الأول: الخلفية النظرية للدراسة:

تعد عملية إعداد المعلم على درجة عالية من الأهمية، فوجود المناهج المتطورة والبرامج المتميزة لا يمكن أن تؤدي ثمارها بدون معلم تم إعداده بشكل جيد، ويعود الأساس النظري للاهتمام بإعداد المعلم في هذا العصر بسبب تعدد أدواره المتمثلة بانتهاجه مهنة مقدسة يُسخر فيها طاقاته وجهوده كاملة لمساعدة المتعلمين ليتعلموا بأنفسهم، ومشاركتهم الأفكار والآراء، واستقبال مقترحاتهم، وتحقيق

حاجاتهم، وقد أوجب ذلك على دول العالم بمختلف فلسفاتها أن تولي هذا المعلم كل الاهتمام والعناية، وعلى هذا الأساس فإنه يمكن القول بأن مقدار العناية والاهتمام بنوعية برامج إعداد المعلمين في أي مجتمع من المجتمعات إنما تعكس مدى مسؤولية ذلك المجتمع تجاه مستقبل أجياله، وقد أكد درويش بأنه "مهما وفرت الدولة من إمكانيات فإن المعلم سوف يظل العامل الأساسي في نجاح أو فشل العملية التعليمية". (درويش، 2002: 235)، لأجل ذلك قدمت هذه الدراسة استعراضاً لبرامج إعداد المعلمين ومتطلبات جودتهم وتشخيص واقع برامج الإعداد والتربية العملية وجودتها في كليات التربية اليمنية.

أولاً: برامج إعداد وتدريب المعلمين:

تسعى معظم بلدان العالم نحو تطوير التعليم الجامعي باعتباره أساس كل تقدم، وتركز أكثر اهتمامها على تطوير برامج إعداد وتدريب المعلمين لمواكبة متطلبات العصر، خاصة بعد ظهور التكنولوجيا المتطورة فتحوّلت الأهداف من تنفيذ المهارات إلى إتقانها وتطوير الكفاءات، واستخدمت أساليب تدريب متنوعة منها: (أساليب قائمة على الأنشطة، والتدريس المصغر، والحاسوب، والكفايات، والنمذجة، والبناء المنظومي، والذكاءات المتعددة، والمجموعات التعاونية، والموديوالات التعليمية)، وهكذا يستمر التطوير في نظم التربية والتعليم بالتدريب الهادف في اليمن، وبعد متابعة بعض المصادر التي اهتمت بهذا الجانب تبين وجود تحركات نحو تطوير برامج الإعداد والتدريب، ومن بين هذه الاهتمامات الاتفاقيات ما بين وزارة التربية والتعليم والبنك الدولي، ومنظمة اليونسيف، والبرنامج اليمني الألماني (GTZ)، وغيرها من المحاولات التي اقتصرت على تقديم برامج تدريب وأساليب تدريس متنوعة للمعلمين في الميدان، ولم ترق إلى مستوى جودة المعلم، ويعتبر التدريب في برامج إعداد المعلمين أهم عوامل صقل خبرات الطالب المعلم المكتسبة، فمن خلاله فقط يستطيع الدارس تطبيق ما تعلمه عملياً، والاستفادة منه في حياته اليومية وفي مجال مهنته، وهذا يتطلب جهود جبارة وخبرات متميزة تستطيع توفير أساليب تدريب حديثة ومتنوعة، ومنح الطالب المعلم فرصة كافية لممارستها من خلال التدريب.

أساليب التدريب الحديثة في مجال تدريب الطالب المعلم:

أظهرت التوجهات الحديثة في مجال تدريب الطالب المعلم بكليات التربية ضرورة استخدام أساليب تدريب متنوعة في برامج إعداد المعلم تتوافق مع الأدوار المنوطة بالمعلم، وبعد الاطلاع على بعض المراجع والدراسات التي اهتمت باستخدام الأساليب الحديثة في التدريس والتدريب ومنها: (دليل

المدرّب، 2010: 100)؛ (وحدة التخطيط والمتابعة، 2002: 20-24)؛ (أبو العلا، 2009: 236)؛ (زيتون، 2001: 571-573) تم استعراض أهم الأساليب الواردة في الجدول الآتي:

جدول رقم (1) يبين أهم أساليب تدريب الطلبة المعلمين بكليات التربية

م	أسلوب التدريس	م	أسلوب التدريس
1	الزيارات الميداني-. Field trips	9	مجموعات التشاور Huddle Groups.
2	ورش العمل التدريبية. Workshops	10	إستراتيجية العصف الذهني. Brainstorming
3	حلقات المناقشة والحوار Discussion Group -	11	التدريس المصغر. Micro-Teaching
4	التدريب العملي الميداني. Demonstration	12	المحاضرات والندوات العلمية. Lectures - Seminar -
5	دراسة الحالة Case Study	13	الموديولات التعليمية.
6	تمثيل لعب الأدوار. Role Playing	14	التدريب القائم على دروس المشاهدة.
7	تدريس الزملاء. Peer Teaching	15	إجراء البحوث والدراسات Research and Studies
8	توصيفات مكتوبة لأحداث تدريسية. Written Descriptions for Instructional Events		

أهمية التدريب في برامج إعداد المعلمين:

يؤكد كثير من خبراء التربية على أنه لن يحدث تعلم متميز إلا بتدريب معلم المستقبل وفق متطلبات الجودة، باعتبار أن إعداد المعلم على أساس تحقيق وإتقان متطلبات جودة المعلم في أداء التدريس من أهم ما يميز واقعنا الحالي، وذلك ليكون قادراً على القيام برسائله علمياً ومهنياً وثقافياً، وحل كثير من المشكلات التي تعاني منها برامج إعداد المعلمين، كالوسائل التعليمية وحيوية المتعلم والعمل الميداني الحقيقي والأنشطة التعليمية، إذ لا بد من صقل المواهب الأدائية والحركية إلى جانب المعارف العلمية التي يتلقاها الطلبة المعلمون من خلال برامج إعداد المعلم القائمة على متطلبات جودة المعلم، وهذا ما أكد عليه التقرير المبدئي لرابطة المعلمين الأمريكية الصادر 1993م، الذي أشار إلى ضرورة بذل

جهود ايجابية ومهمة للارتقاء بإعداد المعلم، ومهنة التعليم.(الكندري،2002: 15). ذلك لأن التدريب يعني "الجهود المنظمة والمخطط لها لتزويد المتدربين بمعارف ومهارات وخبرات متجددة وتستهدف إحداث تغييرات ايجابية مستمرة في خبراتهم واتجاهاتهم وسلوكهم من أجل تطوير كفاية أدائهم".(الطعاني، 2002: 14).

وانطلاقاً مما سبق نلاحظ أهمية إعداد المعلم إعداداً شاملاً يمكنه من تحقيق أهم أهداف التربية الأساسية وهو الارتقاء بجودة المعلم، وهذا الإعداد لجميع المعلمين بمختلف تخصصاتهم بما في ذلك تخصص الرياضيات، وقد أجريت بعض الدراسات حول أهمية تطوير برامج إعداد وتأهيل المعلمين وفي مقدمتهم معلم الرياضيات، ومن هذه الدراسات:

دراسة (العقبي، 2017): هدفت هذه الدراسة إلى بناء برنامج تدريبي مقترح في التربية العملية لإعداد الطالب المعلم مهنيًا في ضوء معايير الجودة الشاملة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والتجريبي، وتكونت العينة من (68) طالباً وطالبة من مستوى ثالث (فيزياء)، موزعين بالتساوي في مجموعتين تجريبية وضابطة، تم تطبيق الأدوات المكونة من البرنامج التدريبي وقائمة الاحتياجات التدريبية المبنية في ضوء معايير الجودة الشاملة، وبطاقة الملاحظة والاختبار التحصيلي، أظهرت النتائج وجود فاعلية البرنامج التدريبي المقترح في التربية العملية، وذلك بوجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي وكذلك بطاقة الملاحظة وكلاهما لصالح المجموعة التجريبية، وفي ضوء النتائج قدمت توصيات منها: أن تتبنى الكلية تطبيق البرنامج التدريبي المقترح بوضعه ضمن الخطة الاستراتيجية للجامعة، وتطوير برنامج التربية العملية في كليات التربية لمسايرة المستجدات، مع إجراء دراسات أخرى مماثلة .

دراسة (أبو العلاء،2009): هدفت إلى قياس فاعلية البرنامج التدريبي المقترح لتنمية مهارات التدريس الإبداعي واستراتيجياته المعرفية والأدائية لدى الطالبات المعلمات شعبة رياضيات بكلية البنات جامعة عين شمس، وقد أسفرت النتائج عن كفاءة البرنامج التدريبي المقترح بدرجة مناسبة في تنمية التحصيل المعرفي والكفايات التدريسية الأدائية للطالبات المعلمات شعبة رياضيات، كما وضحت أن البرنامج أظهر كفاءة وفعالية في تنمية كفايات التدريس الإبداعي واستراتيجياته لدى المتدربات، وقد اقترحت الباحثة إجراء دراسات

مماثلة على المعلمين في الميدان وعلى الطلبة المعلمين بكليات التربية تخصص رياضيات لتفعيل دور مثل هذه البرامج وتحديث وتطوير العملية التعليمية من خلالها.

دراسة (Rita, Moore، 2004): هدفت الدراسة إلى التعرف على برنامج الإعداد التربوي للمعلم والخبرات العملية التي تتعلق بالطالب المعلم قبل الخدمة من تخطيط الدروس وتنفيذها وتقويمها وكيفية التعامل مع التلاميذ، أظهرت النتائج قصوراً في برامج إعداد المعلمين من الناحيتين النظرية والعملية وأوصت بتكثيف الزيارات الميدانية وحضور المحاضرات التي تلقي الضوء على أوجه القصور وكيفية التعامل مع التلاميذ والتدريب على تنظيم الوقت وحل المشكلات والتكيف مع البيئة المدرسية.

دراسة (الشهابي، 2003): هدفت إلى تطوير برامج إعداد المعلمين في كلية التربية جامعة تعز اليمنية، أعد أداتين تضمنت الأولى تطوير أهداف الكلية وبرامج إعداد المعلمين، وتضمنت الثانية الكفايات التعليمية اللازمة لبرنامج إعداد المعلمين، توصلت النتائج إلى اعتماد النظام التكاملي في إعداد المعلمين ولمدة أربع سنوات ثمانية فصول دراسية بمعدل (150) ساعة منها 90 ساعة للمجال الأكاديمي التخصصي، و38 ساعة في المجال التربوي، و14 ساعة للمجال الثقافي.

دراسة (عبدالجليل، 2002): هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج تدريبي مقترح في الحاجات المهنية على النمو المهني والتطور العلمي لدى معلمي التعليم الثانوي الصناعي، تكونت العينة من (36) معلماً من مدرسة أسبوط الثانوية الميكانيكية، وبينت النتائج فعالية البرنامج التدريبي المقترح في تنمية أبعاد النمو المهني (الأهداف والتقويم)، وفي تنمية التطور العلمي (القضايا الاجتماعية والاتجاهات العلمية وفهم طبيعة العلوم والأمن الصناعي والتعامل مع الأجهزة)، لدى معلمي العلوم الفنية الميكانيكية.

دراسة (Howard Risher، 2000): هدفت إلى التعرف على فاعلية استخدام أسلوب التعزيز في تنمية الكفاءات التدريسية والنمو المهني لدى الطلاب المعلمين، وتوصلت إلى توفر فاعلية أسلوب التعزيز في تنمية الكفايات التدريسية والنمو المهني لدى الطلاب المعلمين، وأوصت بأهمية إتباع أسلوب التعزيز لأجل الأداء السابق والنمو المهني المستقبلي لأجل الإيفاء بمتطلبات المستقبل.

التعليق: اتفقت أهداف دراسة كل من: (العقبي، 2017؛ أبو العلاء، 2009؛ Rita, Moore، 2004؛ عبدالجليل 2002) مع هدف الدراسة الحالي في محاولة قياس فاعلية برنامج مقترح في حين ركزت دراستي: (الشهابي، 2003؛ Howard Risher، 2000) على استخدام أسلوب التعزيز وتطوير

برنامج إعداد المعلم، كما اتفقت معظم الدراسات مع هذا الدراسة من حيث تطبيق التجربة على عينة من الطلبة المعلمين، بينما اختلفت دراسة (عبدالجليل 2002) كونها طبقت على معلمين، وقد اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج الدراسات السابقة في التأكيد على وجود فاعلية للبرنامج في تنمية المهارات الأدائية والتحصيل المعرفي، في حين اختلفت نتائج دراسة (Rita, Moore، 2004) كونها أظهرت قصوراً في برنامج إعداد المعلمين من الناحيتين النظرية والعملية، وأوصت بتكثيف الزيارات الميدانية وحضور محاضرات لمعالجة أوجه القصور، كما قدمت معظم الدراسات توصيات بالاهتمام بتطوير برامج إعداد المعلمين، واقترحت تنفيذ دراسات مشابهة. استفاد الدراسة من الدراسات السابقة في بناء البرنامج الحالي بما يتناسب مع متطلبات جودة المعلمين بالتعرف على برامج إعداد المعلمين في كليات التربية والكفايات التدريسية التي تقدمها ودورها في تطوير أداء المعلمين وتطوير النمو المهني وأفضل أساليب تنمية قدرات ومهارات المعلمين النظرية والأداء العملي المتبعة في برامج الإعداد.

ثانياً : متطلبات جودة المعلمين:

تأثر التعليم العالي بسياسة العولمة في معظم بلدان العالم مما حتم عليها السعي نحو إعادة صياغة برامجها، وقد أدى ذلك إلى ظهور صيغ جديدة للتعليم الجامعي كالتعليم الإلكتروني، والتعليم عن بعد، والتعليم المستمر مدى الحياة، مما زاد الطلب الاجتماعي على الجامعات مع شحة الإمكانيات المادية وبعض المتخصصين، مما سبب ضعفاً في مستوى الخريجين وعدم ملائمة المخرجات لمتطلبات سوق العمل، وعدم توفر فرص عمل للخريجين، ولمواجهة هذه التحديات اتجهت الدول المتقدمة نحو إدارة جامعاتها بصورة أفضل بحثاً عن تحقيق متطلبات جودة المنتج التعليمي من الخريجين، وهكذا أصبحت مؤسسات التعليم العالي تتجه نحو تبني مفهوم إدارة الجودة الشاملة للتعليم الجامعي.

معنى الجودة:

تشير الأدبيات إلى وجود صعوبة في تحديد مفهوم للجودة وصعوبة أكثر في عملية قياسها ويرجع ذلك إلى تنوع واختلاف الأهداف، وكذلك عدم التمييز بين مفاهيم ضبط الجودة (Quality Control) أو ضمان الجودة (Quality Assurance) أو إدارة الجودة الشاملة (Total Quality

Management – TQM)

والجودة تعني حالة التفوق بجدارة في جميع النواحي الشخصية أو المؤسسية، وعرفها العقيلي، بأنها "مجموعة الخصائص أو السمات التي تعبر عن مدى استيفاء المدخلات والعمليات والمخرجات في المؤسسة التعليمية لمستويات محددة تشكل في مجموعها معايير الجودة الشاملة" (العقيلي، 2000: 19). وأنها "مجموعة الخصائص والسمات التي تعبر بدقة وشمولية عن جوهر عملية التعليم وحالتها بكل أبعادها من مدخلات وعمليات ومخرجات قريبة وبعيدة وتغذية راجعة تتفاعل مع بعضها البعض لتحقيق الأهداف المنشودة والمناسبة لمجتمع المستفيدين". (أبو الهيجاء، 2007: 63).

الجودة الشاملة في التعليم: هي التخطيط الاستراتيجي والمراقبة المستمرة لتحصيل الطلاب وإدارة الموارد البشرية والعلاقات الإنسانية داخل المؤسسة التعليمية واتخاذ القرار وصولاً إلى مخرجات تتصف بالجودة وتعمل على تلبية احتياجات المستفيدين. (عثمان، 2009: 13).

أهمية تحقيق متطلبات جودة المعلمين: يعتبر تحقيق متطلبات جودة المعلم لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية من أهم الغايات التربوية للتعليم العالي، وتمثل جودة المخرجات أهم أهداف متطلبات جودة معلم الرياضيات،

ويؤكد بعض التربويين أن قيام التعليم على أساس الجودة يعد أكبر تحدٍ في عصرنا الحالي، فقد أصبح تجويد المعلم في هذا العصر "بمثابة الأصل للمساعدة في حل المشكلات التي تهدد الإنسان، كما أن المبدعين في أي مجتمع هم الثروة القومية، وهم القوة الدافعة نحو الحضارة والرفق في شتى الميادين والمجالات وعن طريقهم ازدهرت الحضارة وتقدمت الإنسانية". (البناء، 2007: 184). وكي تقوم المنظومة التربوية بتقديم الخدمة المستمرة المتميزة لإرضاء المستفيدين من معلمين وطلاب وأولياء الامور وكافة قطاعات المجتمع". (مازن، 2008: 17).

يتبين مما سبق أهمية المعلم في العملية التعليمية، وتعدد أدواره التعليمية؛ مما يوجب على القائمين على العملية التربوية الاهتمام بعملية إعداده بشكل يمكنه من التعايش مع هذا العصر، وبما يراعي الاتجاهات الحديثة التي تعمل على تنميته من كافة الجوانب، والارتقاء به إلى مستوى عالٍ من الجودة عن طريق تحديث برامج إعداده التي يعتبر أحد أهداف هذا الدراسة.

متطلبات تحقيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي: ذكر أحمد، بعض المتطلبات منها:

- 1- إعادة النظر في قانون الجامعات مع توفير نظام متكامل لتخطيط مستويات الجودة ومجالاتها.
 - 2- منح الجامعات استقلالية كاملة في اختيار قياداتها وفقاً لمعايير الكفاءة الأكاديمية.
 - 3- تحديد إستراتيجية واضحة تلتزم معايير الجودة في كافة مجالات العمل التعليمي والدراسي.
 - 4- توفر ظروف مناسبة لتحقيق المخططات وضمن تحقيق أهدافها.
 - 5- نشر ثقافة الجودة في شتى نواحي الجامعة.
 - 6- تدريب كافة كوادر الجامعة على أساليب الجودة كل حسب اختصاصه.
 - 7- توفير الأدوات والتقنيات اللازمة لتحسين جودة البرامج والمقررات لتحقيق مستوى عالمي في الأداء.
 - 8- تطوير كل عناصر الجامعة مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها.
 - 9- توفر نظم وأساليب لتنمية الموارد بكافة أشكالها وتحسين استغلالها.
 - 10- الاستمرار في تطوير كافة عناصر ومكونات الجامعة المادية والبشرية.
 - 11- مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات وتحمل الجميع مسؤولية تحقيق الأهداف المنشودة.
 - 12- إتباع نظم حديثة لمتابعة وتقويم الأداء والرقابة لمستوى تحقيق الجودة في مرافق وفاعليات الجامعة.
- (احمد،2002: 7).

دور كلية التربية في تحقيق متطلبات جودة المعلمين:

بدأ التعليم اليمني يسير نحو الاعتماد الأكاديمي عام 2009م، وزاد الاهتمام بجودة التعليم العالي بعد إنشاء مجلس الاعتماد الأكاديمي بوزارة التعليم العالي بالقرار الجمهوري رقم (13) لسنة 2010 بشأن التعليم العالي، الذي نصت المادة (39) منه على أن: ينشأ مجلس يسمى مجلس الاعتماد الأكاديمي وضمن جودة التعليم العالي ومقره أمانة العاصمة صنعاء، ومن أول مهامه حث الجامعات اليمنية على تطوير استراتيجياتها على مستوى الأقسام والكليات ومنها الخطة الاستراتيجية لجامعة إب 2025م التي نظمتها جامعة إب بورشة في الفترة من 1-5 مارس 2014م، وإنشاء دائرة التطوير الأكاديمي بقرار رئيس الجامعة رقم (268) لسنة 2008م، تلاه قرار بتعديل اسم الدائرة إلى مركز، ثم قرار رئيس الجامعة رقم (288) لسنة 2015 بتعديل الاسم إلى (مركز التطوير

وضمن الجودة) بجامعة إب ليصبح أعم وأشمل، وإنشاء وحدة الجودة بكلية التربية بالنادرة بقرار رئيس الجامعة رقم (6) لسنة 2014م بتكليف رؤساء وحدات الجودة في الكليات، يليه قرار رئيس الجامعة رقم (114) لسنة 2014 بتعيين رئيساً لوحدة التطوير وضمن الجودة بالكلية، التي تبنت إعداد استراتيجية الكلية وتنفيذها بتدشين يوم الجودة في الكلية يوم 2014/2/10م، وتنفيذ ورشة استراتيجية الكلية في 27 يوليو 2016م، ثم استراتيجية الأقسام والبرامج التعليمية. (وثقتي استراتيجية جامعة إب وكلية التربية بالنادرة 2025 م).

وتسعى كلية التربية بالنادرة جامعة إب نحو تحقيق أهم أهدافها وهو الإعداد الأكاديمي والتربوي والثقافي الاجتماعي والمهني للطلاب المعلم في ضوء معايير الجودة منذ عام 2013م وقد يتحقق ذلك من خلال:

- 1- اعتماد برامج الجودة ومعاييرها في كل مرافق ومكونات الكلية.
- 2- تنفيذ إستراتيجية الكلية والبرامج الأكاديمية.
- 3- توصيف البرامج والمقررات الدراسية.
- 4- تحديث برامج الإعداد النظرية والتدريب العملي وفقاً لنتائج دراسات علمية للواقع.
- 5- إكساب الطلبة أساسيات معرفية ومهارات مهنية في التخصص.
- 6- محاولة الاستمرار نحو تجويد المخرجات رغم الصعوبات التي تواجهها بسبب الحرب في هذه الفترة.
- 7- تزويد المتخرج بمعارف وخبرات عن قضايا مجتمعة والعالم من حوله وحثه على التفكير فيها وتحليلها ونفسيرها. (وثيقة الخطة الاستراتيجية للجامعة والكلية 2025م؛ وأدلة التدريب وتوصيف البرامج الأكاديمية).

معايير تحقيق متطلبات جودة المعلمين اللازمة للطلاب المعلم:

عرفتها اللجنة القومية لضمان الجودة والاعتماد، بأنها: بيان بالمستوى المتوقع الذي وضعتة هيئة مسئولة أو معترف بها بشأن درجة أو هدف معين يراد الوصول إليه، ويحقق قدراً منشوداً من الجودة Quality والتميز Excellence . ويرتبط بمفهوم اللجنة السابق للمعايير ما يسمى علامة الجودة Benchmarking وهي وسيلة نظامية لقياس ومقارنة أداء أي مؤسسة تعليمية استناداً إلى منظمة من المعايير القياسية المعتمدة أو المتفق عليها، وذلك بهدف تحديد مدى جودة المؤسسة ومخرجاتها وخطط التطوير اللازمة لتحقيقها. (اللجنة القومية لضمان الجودة والاعتماد، 2004: 8-10).

ومن معايير الجودة التي وردت في (وزارة التربية والتعليم المصرية، مشروع إعداد المعايير القومية 2003م) حسب مجالاتها الخمسة ما يلي:

المجال الأول: التخطيط: ويتمثل في: تحديد الاحتياجات التعليمية للتلاميذ، التخطيط لأهداف كبرى وليس لمعلومات تفصيلية، تصميم الأنشطة التعليمية الملائمة.

المجال الثاني: استراتيجيات التعلم وإدارة الفصل: ويتمثل في: استخدام استراتيجيات تعليمية استجابة لاحتياجات التلاميذ، تيسير خبرات التعلم الفعال، إشراك التلاميذ في حل المشكلات والتفكير الناقد والإبداعي، توفير مناخ ميسر للعدالة: المؤشرات، الاستخدام الفعال لأساليب متنوعة لإثارة دافعية المتعلمين، إدارة وقت العلم بكفاءة والحد من الوقت الضائع.

المجال الثالث: المادة العلمية: ويتمثل في: التمكن من بنية المادة العلمية وفهم طبيعتها، التمكن من طرق الدراسة في المادة العلمية، تمكن المعلم من تكامل مادته العلمية مع المواد الأخرى.

المجال الرابع: التقويم: ويتمثل في: التقويم الذاتي، تقويم التلاميذ، التغذية الراجعة.

المجال الخامس: مهنية المعلم: ويتمثل في: أخلاقيات المهنة، التنمية المهنية للمعلم.

ونظراً لأهمية الجودة في التعليم؛ فقد تطرق لموضوع جودة برامج إعداد المعلمين بعض الدراسات ومنها:

دراسة (الجويد، 2017): هدفت الدراسة إلى تقويم برنامج إعداد معلم اللغة العربية بكليتي التربية جامعة إب في ضوء معايير الجودة الشاملة، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وطلبة قسم اللغة العربية في الكليتين، تكونت العينة من (49) عضواً، (51) طالباً وطالبة من طلبة المستوى الرابع في كليتي التربية جامعة إب مع بناء تصور مقترح لتطوير البرنامج في ضوء معايير الجودة الشاملة، تم تطبيق الأداة (الاستبانة) التي تضمنت جانبين الأول خاص بأعضاء هيئة التدريس تكون من (16) مجالاً اشتملت على (182) معياراً، بينما الجانب الثاني خاص بطلبة قسم اللغة العربية مستوى رابع، تكون من (14) مجالاً، و اشتملت على (140) معياراً، وبينت النتائج أن برنامج إعداد معلم اللغة العربية جاء بتقدير متوسط، من وجهة نظر أفراد العينة، كما وجدت فروق غير دالة إحصائياً بين أفراد عينة الدراسة (الطلبة، الأعضاء) كلية التربية النادرة تعزى لمتغير الانتماء، جاء لصالح الطلبة، في حين لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) بين أفراد عينة الدراسة (الطلبة، الأعضاء) كلية التربية إب، تعزى لمتغير الانتماء، وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة

إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين أفراد عينة الدراسة (الطلبة) في الكليتين تعزى لمتغير (البيئة التعليمية). توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين أفراد عينة الدراسة (الأعضاء) في الكليتين تعزى لمتغير (البيئة التعليمية) لصالح أعضاء هيئة التدريس كلية التربية إب، وفي ضوء نتائج الدراسة تم بناء تصور مقترح لتطويره، كما أوصت الدراسة بوضع معايير محدده لسياسة القبول في البرنامج وزيادة مدة التربية العلمية، توفير ميزانية وحوافز للقسم. دراسة (المخلافي، 2008): هدفت إلى التعرف على واقع برامج إعداد المعلم وتدريبه، وتقديم تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم وتدريبه بكليات التربية بالجامعات اليمنية في ضوء معايير الجودة، وذلك بتطبيق مجموعة معايير تعليمية لازمة لزيادة مستوى جودة المنتج التعليمي بشكل أفضل، تكون التصور من عشرة فصول دراسية بإتباع النظام التكاملي يبلغ عدد ساعاته التدريسية (170) ساعة منها (76) للمقررات التخصصية، (48) ساعة للمقررات التربوية، (28) ساعة للمقررات الثقافية العامة، و(12) ساعة للتطبيق الميداني، كما حدد تصور لتطوير أهداف الكلية وبرامجها الدراسية وفقا لمعايير الجودة، واقترح أن تقوم الكليات بتنوع إعداد المعلم إلى: (معلمة رياض أطفال، معلمة صف، معلم مادة للتعليم الأساسي والثانوي، معلم لذوى الاحتياجات الخاصة، معلم تعليم الكبار، إعداد مرشدين تربويين).

دراسة (حبيب، 2006): هدفت إلى قياس فعالية برنامج تدريبي في تنمية بعض مهارات تخطيط الدروس والأداء التدريسي لدى الطالب المعلم بشعبة الرياضيات بكلية التربية بالسويس في ضوء معايير جودة المعلم، طبق الباحث مقياس تخطيط الدروس وبطاقة ملاحظة الأداء التدريسي وكذلك اختبار المواقف التدريبية على عينة مكونة من (60) من الطلاب المعلمين رابع رياضيات بكلية التربية بالسويس، وتبين وجود قصور في بعض مهارات تخطيط الدروس والأداء التدريسي، تم بناء البرنامج التدريبي ودليل المدرب وطبق على نفس العينة، وقد توصل الباحث إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الطلاب المعلمين في التطبيقين القبلي والبعدي لمقياس تخطيط الدروس وبطاقة ملاحظة الأداء التدريسي واختبار المواقف التدريبية ولصالح التطبيق البعدي، كما اتصف البرنامج بمستوى مناسب من الفاعلية في تنمية بعض مهارات تخطيط الدروس والأداء التدريسي لدى طلبة العينة.

دراسة (John McIntyre, 2002): هدفت إلى بحث اثر الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم على تحسين جودة المعلم وتعلم الطلاب وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها فعالية الاتجاهات

المعاصرة القائمة على الجودة في برامج إعداد المعلم في تحسين جودة المعلم ووجود علاقة ايجابية بين جودة المعلم وتعلم الطلاب، وضرورة وجود اختبارات عالية المستوى للمعلمين كشرط للحصول على شهادة -ترخيص- ممارسة مهنة التدريس.

دراسة (2001, Koppich Julia, et.al): هدفت إلى بحث فعالية برامج إعداد المعلم القائمة على الجودة كعملية استثمار في تحسين جودة التدريس وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها عملية إعداد المعلم في ضوء الجودة تعد عملية استثمار ، إن تحسين جودة المعلمين تسهم في تحسين جودة عملية التدريس وكذلك في تحسين مستوى تحصيل الطلاب، ضرورة ابتكار بيئة دراسية جديدة تعكس ادوار المعلمين وتمدهم بالحرية والمرونة في تقييم الطلاب.

دراسة (2000, Elena Vivaz Lahr, ed): هدفت إلى بحث فعالية برنامج إعداد المعلمين الجدد القائم على الجودة للقرن الجديد، وقد توصلت الدراسة إلى فعالية برنامج إعداد المعلمين القائم على الجودة في الإصلاح التربوي للقرن الجديد، وأوضحت أن جودة المعلم وفعاليتته تسهم في تحسين جودة التدريس بأمريكا ونجاح المعلم في مهنته .

دراسة (2000, Harold Wenglinsky): هدفت إلى بحث كيفية تحسين جودة معلمي الرياضيات وتكونت عينتها من مجموعة من معلمي الرياضيات الذين تلقوا تقييماً قومياً في الرياضيات وممارسات حجرة الدراسة من خلال حلقات التدريس المصغر، وقد توصلت الدراسة إلى بعض الأسباب التي تؤدي إلى تحسين جودة المعلم منها رفع كفاءة التدريس للمعلم ، وتنمية النمو المهني لديه ورفع مستواه أكاديمياً وأكدت الدراسة وجود علاقة ايجابية بين جودة المعلم ونتائج تحصيل الطلبة في الاختبارات .

التعليق: ركزت الدراسات السابقة على جوانب محددة في التدريب وفق الجودة بينما تناولت الدراسة الحالية كافة جوانب التدريب وفق متطلبات الجودة، وقد انفقت دراسة كل من: (الجويد، 2017؛ حبيب، 2006؛ Elena Vivaz Lahr, ed 2000؛ Koppich Julia, et.al 2001) مع هدف الدراسة في سعيها لقياس أثر فاعلية برنامج تدريبي قائم على الجودة، كما انفقت الدراسة مع دراسة (Wenglinsky, 2000) بالاهتمام بجودة المعلم، في حين اختلف الهدف في دراسة كل من: (الجويد، 2017؛ المخلافي، 2008؛ John McIntyre، 2002) كونها سعت نحو تقويم البرامج القائمة لتدريب المعلمين وتقديم تصور مقترح جديد للبرامج التدريب، وقد انفقت معظم الدراسات السابقة مع الدراسة الحالي في اعتمادها معايير الجودة في تحسين مستوى أداء المعلمين، كما انفقت

نتائج الدراسة مع نتائج دراسة كل من: (حبيب،2006؛ Elena Vivaz Lahr,ed,2000؛ 2001 ، Koppich Julia,et.al) في تحقيق فاعلية للبرنامج المستخدم، ووجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات العينة في التطبيقين القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي وهي تتفق مع نتائج هذا الدراسة، كما وجدت علاقة ايجابية بين جودة المعلم وتحسين تعلم طلابه في دراستي (John، 2002؛ Mclintyre ؛ Koppich Julia,et.al,2001) وقد قدمت دراستي (الجويد،2017؛ المخلافي،2008) تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم، كما وجد شبه إجماع في نتائج معظم الدراسات على وجود ضعف في جودة البرامج القائمة في كليات التربية، وأوصت بتطوير هذه البرامج، كما اقترحت تنفيذ دراسات تتبنى استخدام معايير الجودة في برامج إعداد المعلمين وتنوع أساليب التدريب وتحسين بيئة التدريس، وقد استفاد الدراسة الحالي من هذه الدراسات بجمع بيانات عن معايير الجودة وعن تطبيق هذه المعايير في جميع جوانب التدريب بغية تحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات، وتغطية الفجوات التي لم تتطرق لها معظم هذه الدراسات كالاتصال والتفاعل الصفي، والمداخل الحديثة، والأنشطة، واستخدام الموديولات التعليمية، كما تنوعت أساليب التدريب في البرنامج كما جاء في توصيات بعض الدراسات السابقة، ومحاولة تحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين.

ثالثاً: واقع برنامج التربية العملية: يضمن البعض أن مهنة التدريس مهنة عادية يمكن ممارستها بسهولة، وحين يدركون بأن التدريس أصبح عملية معقدة، ونشاطاً مقصوداً يتضمن مداخل وأساليب ونماذج وكفايات متنوعة، ويتم عبر مواقف وأنشطة تقدم خبرات متنوعة، ويتطلب تفاعلاً مستمراً وتنفيذ أساليب تقويم مختلفة، واستنتاج نتائج تعليمية مفيدة؛ يجدون أنفسهم أمام تحدٍ يستوجب على الدارس في كلية التربية أن يكون ملماً إماماً شاملاً وعميقاً بكل ما يتعلق بعملية التدريس، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تدريبه تدريباً شاملاً بما يتناسب مع مهنته، واليمن كغيرها من البلدان العربية أولت التعليم اهتماماً كبيراً، لاسيما بعد قيام الوحدة اليمنية عام 1990م، حيث أدى الطلب الاجتماعي المتزايد على التعليم العام بمراحله المختلفة إلى افتتاح الكثير من المدارس في اليمن، وبعد الاطلاع على مجموعة من الأدلة لجامعات يمنية (صنعاء- ذمار- إب- تعز- عدن) ومقارنة برامج إعداد المعلم في كليات التربية تبين أن مدة الدراسة أربع سنوات بواقع ثمانية فصول دراسية في جميع كليات التربية، وعدد الساعات التدريسية تتراوح ما بين (137-159) ساعة، وهناك تقارب في شروط القبول مع ضعف نسبة القبول حيث تراوحت ما بين (60%- 75%) في النظام العام وتنزل

النسبة في النظام الموازي والمسائي في بعض الكليات النائية إلى الحد الأدنى، وهذا يعتبر أحد أسباب ضعف المخرجات، كما وجدت أقسام نوعية في بعض كليات التربية كما في جامعة (ب)، وصنعاء (وتعز)، وقد بينت بعض الدراسات اليمينية وجود ضعف في برامج إعداد المعلمين الحالية، وتم وضع تصور مقترح لتطوير البرامج كدراستي: (الجويد، 2017م؛ المخلافي، 2008م)، ويعتبر برنامج التربية العملية في كلية التربية بالنادرة أحد هذه البرامج حيث يتم إعداد الطالب المعلم في برنامج التدريب المصغر داخل الكلية من خلال تطبيق المهارات المحددة في التربية العملية (1) المقررة على طلبة المستوى الثالث والذي يتم تنفيذه في الفصل الدراسي الثاني كل عام، ويشتمل التقويم على اختبار تحصيل للجانب النظري المعرفي وعليه (50) درجة، كما يتم تقويم الطالب المعلم في دروس المشاهدة بالتطبيق العملي في دروس مصغرة قد لايتوفر للطلاب فرصة تطبيق إلا مرة واحدة، وعلى الجانب العملي (50) درجة، كما يتوفر تطبيق ميداني في مدارس التطبيق حيث يقوم الطالب المعلم بالمستوى الرابع في الفصل الدراسي الأول بإعداد دروس وتنفيذها في المدرسة لمدة فصل دراسي كامل وتعتبر الدرجة من (100) درجة، منها عشر درجات لإدارة المدرسة وعشر درجات الانضباط، والبقية توزع مناصفة بين مشرف أكاديمي وآخر تربوي، وبذلك يظهر جوانب قصور في البرنامج القائم بالكلية، ويمكن تلافي هذا الضعف بالعمل بتوصيات الدراسات السابقة التي أجرت تقويم للتربية العملية في كليات التربية وأوصت بزيادة عدد ساعات التدريب العملي في التربية العملية ولمدة عام بدل الفصل الواحد، كذلك اعتماد أساليب حديثة ومتنوعة في التدريب وتقويم الأداء الميداني، وتطبيق معايير جودة المعلم في برامج الإعداد والتربية العملية.

أهداف تجويد برنامج التربية العملية: لخص عطية، أهم أهداف الجودة المتمثلة بالآتي:

- 1- تحسين جودة المخرجات (المنتجات) بشكل مستمر.
- 2- خلق بيئة لدعم التطوير المستمر والمحافظة عليه.
- 3- تقليل الهدر بالجهد والوقت.
- 4- إشراك الجميع في عملية التطوير.
- 5- تطوير أدوات قياس الأداء والجودة. 6- زيادة كفاية العاملين (عطية، 2009: 123).

بينما يهدف البرنامج القائم على الموديوالات التعليمية إلى إيجاد معلم رياضيات قادر على: فهم المادة التي سيقوم بتدريسها، ومتمتع بشخصية تتمثل فيها أفضل العادات والقيم الإنسانية، متفاعل مع تلاميذه

بأسلوب ديمقراطي غير متسلط وفي مناخ تربوي سليم، وينظر إلى الحياة نظرة أمل وتفاؤل، مزوداً بثقافة عامة حول التطورات العلمية وأثارها في المجتمع وعلى العملية التعليمية ومستحدثاتها، وفهم دور المدرسة في المجتمع، وفهم طبيعة التلاميذ وقدراتهم، وأن يتخذ من التفكير العلمي أسلوباً له في الحياة، ويسعى جاهداً نحو تحديث إطلاعهم حول طبيعة مهنة التعليم والدراسات التربوية والنفسية حولها، وكيفية مواجهة المشكلات التي تواجهه في حياته المهنية، والكفايات التي ينبغي أن يجيدها في التخطيط وإدارة الصف، وإجراء التجارب، واستخدام الوسائل التعليمية وممارسة الأنشطة التعليمية ومتابعة عمليات التقييم المختلفة، واستغلال إمكانات البيئة المحلية في تجويد التدريس ومتطلبات العصر والمجتمع من حوله، والارتقاء بمستوى تفكير طلابه وتحصيلهم العلمي، وإنتاج نوع من التلاميذ سلوكهم هو الإبداع، يعشقون الابتكار ويتنافسون على التميز.

الأدوار المتوقعة من معلم الرياضيات كما اقترحها NCTM :

تولي منظمة المجلس القومي لمعلمي الرياضيات (NCTM)، والمجلس القومي للمشرفين على الرياضيات (NCSM) معلم الرياضيات اهتماماً كبيراً في متابعة تحسين برامج إعداده وتدريبه، وتطوير المعايير والمقترحات لتجويده، ومن بين المقترحات التي تعتبرها كمتطلبات يجب على معلم الرياضيات تنفيذها ما يلي:

- 1- توفير المصادر المتعددة: على المعلم توفير المصادر المتنوعة من بيئة مادية وتجهيزها بالأدوات والأجهزة والنماذج والرسومات والحاسبات والعروض الشفوية والمسرحية مع معلم يمتلك قدر عالي من المعرفة والكفاءة لتحقيق التكامل في التدريس والتقييم واتخاذ القرارات مع وجود فصل دراسي مزود بمصادر متعددة وبأحدث أدوات تكنولوجية.
- 2- قيادة المسارات الصفية: وهي طرق التمثيل والتفكير والاتفاق والمعارضة والحديث داخل الصف، وتتمثل فيما يطرحه المعلم من أسئلة مثيرة لتفكير الطلبة يتم من خلالها توضيح وتبرير طرق التفكير من بناء فرضيات واختبارها واستخلاص النتائج والحكم عليها في ضوء العلاقات والروابط الرياضية. (NCTM,2000: 6-53).
- 3- توفير بيئة تعليمية داعمة: على المعلم توفير بيئة صفية آمنة وداعمة للتعلم تشجع على عرض أفكارهم الرياضية ودعمها بالبراهين الصحيحة مبنية على التعاون وتبادل الأفكار والمحاورة بطرق متنوعة لتحقيق التفكير الموصل لحل المشكلات المطروحة. (NCTM,1989: 52).

4- طرح المهمات أو إعدادها: على المعلم تطوير وطرح المهمات، وهي أنشطة ترتبط باهتمامات الطلاب وخبراتهم في الرياضيات، تقوم على الاستقصاء، وتكليف الطلاب بالتواصل الرياضي وتزودهم بالفرص لحل المشكلات وتطوير المفاهيم والمهارات الرياضية.

5- التقويم المستمر: على المعلم جمع الأدلة واستخلاص الحكام مع تعدد الوسائل والأساليب المستخدمة لقياس تحصيل الطلبة، وارتباطها بالتعليم كونها عملية اتصال بهدف توجيه ودعم تعلم الطلبة وتحسين عملية التعلم ورفع مستواها. (أبو العلاء، 2009: 262)؛ (معايير النستم، 1991م).

متطلبات جودة المعلم في برنامج التربية العملية:

أكدت معظم المنظمات التربوية العالمية والعربية على متطلبات جودة المعلم في (التربية العملية ونموه المهني وتخطيط الدروس وتنفيذها، وإدارة الصف، والعلاقات الإنسانية، واستيعاب مادة تخصصه وحيويته، وتقويم التدريس، ودوره في المجتمع) وفقاً لمعايير الجودة ومن بين هذه المنظمات: (NCTM، 1989-2000م؛ ووكالة المحيط الهادي؛ ومكتب التربية العربي لدول الخليج العربي 2000م؛ ومشروع إعداد المعايير القومية بوزارة التربية والتعليم المصرية 2003م؛ دليل المدرب، 2010م؛ ومجلس الاعتماد الأكاديمي وضمان جودة التعليم العالي اليمني 2010م) وقد تباينت هذه المنظمات في معايير إعداد المعلم والتربية العملية ومجالات التدريب، كما تم الرجوع إلى ملخص المتطلبات لبعض الباحثين منهم: (الجويد، 2017؛ أبو العلاء، 2009؛ عبدالفتاح، 2010).

ومن بين هذه المتطلبات التي يجب توافرها لدى الطالب المعلم ما تم تلخيصها فيما يلي:

- 1) يظهر أمام تلاميذه بالمظهر اللائق من حيث النظافة والهندام.
- 2) يحرص على استخدام لغة مهذبة مع تلاميذه وزملائه.
- 3) يلتزم بقواعد العمل السائدة مراعيًا حقوق الآخرين وواجباتهم.
- 4) يمتلك درجة عالية من الإحساس بالمسؤولية تجاه عمله.
- 5) يلتزم بالموعد المحدد للحصص بالضبط.
- 6) يخطط للدرس بخطوات إرشادية قابلة للتطوير حسب المواقف التي يواجهها في الصف.

- 7) يشارك الطلبة في إعداد خطة الدرس الإجرائية.
- 8) ينظم غرفة الصف بالشكل المناسب لعملية التعليم.
- 9) يصمم المناهج، واستراتيجيات التدريس، وأدوات التقييم.
- 10) يوظف الخامات المحيطة بالتلاميذ أثناء عملية التدريس.
- 11) يوفر أساليب مقننة لرد فعل التلاميذ بدلاً من التذمر والعقاب.
- 12) يضع معالجات سريعة لمشاكل متوقعة وغير متوقعة.
- 13) يستخدم المناهج والموارد والتكنولوجيا ببراعة.
- 14) يستخدم مثيرات تحقق الاتصال الفعال مع التلاميذ.
- 15) يدل تلاميذه على مصادر المعرفة المختلفة.
- 16) يحدد مواطن القوة والاحتياجات الفردية للتلاميذ.
- 17) يتعاون مع الزملاء المعلمين في تبادل الخبرات والمعلومات.
- 18) يبني أنشطة عملية صافية فردية وجماعية تراعي الفروق الفردية.
- 19) يوظف أسلوب حل المشكلات لمواجهة التلاميذ المشكلات بفاعلية.
- 20) يكون قائداً أو مدرباً وقدوة ومقوماً قريباً من كل طالب.
- 21) يستخدم التقييم المستمر بعد كل خطوة من خطوات العملية التعليمية.
- 22) يستثير دافعية التلاميذ واهتمامهم بالتعلم الجديد من بداية الدرس وفي أثنائه.
- 23) يستخدم في تدريسه مهارات التواصل اللفظية، وغير اللفظية لتيسير عملية التعلم.
- 24) يهتم بإكساب التلاميذ القيم والاتجاهات الإيجابية.
- 25) يحفز التلاميذ بأساليب أكثر فاعلية.
- 26) يلم بالموضوعات التي يُدرّسها بسعة أفقه وثقافته واستخدامه للمراجع.
- 27) يستخدم اللغة بشكل صحيح ومعبر.
- 28) يوفر ظروفاً تسمح بالتنافس بين التلاميذ.
- 29) يحرص على نموه المهني بالتعلم الذاتي مدى الحياة.
- 30) يقدم التغذية الراجعة الفعالة للتلاميذ لتطبيق ما تعلموه وتحسين التعلم.
- 31) يعدل في تقييمه ويعطي الدرجة المستحقة بالضبط.
- 32) يعطي المعلم صورة صحيحة لأولياء أمور التلاميذ عن مستويات أبنائهم.

- (33) يتحلى بأخلاق مهنة التدريس والآداب الإسلامية.
- (34) يتحلى باللين في معاملته للتلاميذ باحترام شخصيتهم وقدراتهم وآرائهم.
- (35) يمتلك أساليب وخبرات جيدة بمجالات تدريس الرياضيات للتلاميذ.
- (36) يتابع باستمرار المعلومات والمستجدات التي لها علاقة بمهنة التدريس.
- (37) يطور محتوى الدرس بما يتفوق مع التقدم العلمي في مجاله.
- (38) يتوسع بالاطلاع على العلم والمعرفة في مجالات متعددة.

المبادئ الأساسية التي تراعى عند تدريب الطلبة المعلمين بكلية التربية:

بعد الاطلاع على عدد من المصادر والدراسات من بينها: (العقبى، 2017: 163؛ دليل المدرب، 2010: 100؛ أبو العلا، 2009: 206؛ راشد، 2002: 186) تم تلخيص أهم هذه المبادئ في الآتي:

- 1- بناء البرنامج التدريبي في ضوء احتياجاتهم التدريبي.
- 2- توضيح الهدف من التدريب قبل البدء لتحفيز المتدربين.
- 3- مراعاة الفروق الفردية بين المتدربين.
- 4- تشجيع المتدربين على الاستفسار والتساؤل والمناقشة.
- 5- تقدير أفكار وآراء الطلبة المتدربين بالتعزيز الإيجابي أثناء التدريب.
- 6- تجهيز المطبوعات الأدلة والاستبيانات والاختبارات والأنشطة اللازمة.
- 7- تنفيذ استراتيجيات تدريب متنوعة كالعصف الذهني والمجموعات التعاونية....
- 8- تحديد أنواع الأساليب المتبعة في التدريب.
- 9- تحديد مصادر التمويل لتوفير المتطلبات كالوسائل والأدوات التكنولوجية ...
- 10- اشتراك المتدربين في ورش عمل وندوات وممارسات تطبيق عملي للمهارات.
- 11- استخدام التغذية الراجعة لاستمرارية فاعلية التدريب وتصحيح مساره.
- 12- يتم تقويم المتدرب من خلال أدائهم ومشاركاتهم في المناقشات باستخدام استبيانات لا اختبارات.

مبررات تطبيق البرنامج التدريبي المقترح:

- قصور عملية إعداد المعلم، المتمثلة في: وجود فجوة بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي والتركيز على الكم لا الكيف في برامج إعداد المعلمين بكليات التربية اليمنية، كما بينته دراسة كل من: (العقبي، 2017؛ المخلافي، 2008؛ المعمرى، 2007؛ العطاب، 2002؛ عباس، 2001).
- غياب الإعداد المطلوب لمعلم المستقبل القائم على معايير جودة التدريس وتقنياته، كما كشفت ذلك بعض الدراسات التقييمية في اليمن ومن هذه الدراسات دراسة: (الجويد، 2017؛ الزهيري، 2012؛ المخلافي، 2004).
- اقتصار مدة التدريب الميداني على فصل دراسي واحد وقلة عدد الحصص المخصصة للطلاب المعلم لممارسة التدريب العملي في الميدان، مع غياب دور الإدارة والموجه ومدرس المقرر في الإشراف على أداء الطالب المعلم أثناء عملية التطبيق الميداني في مدارس التطبيق. كما بينته دراسة كل من: (الجويد، 2017؛ العقبي، 2017).
- ضعف الأداء التدريسي لمعظم المعلمين بشكل ملفت للنظر، كما أكد ذلك دراسة كل من: (الزهيري، 2012؛ المعمرى، 2007؛ العطاب، 2002؛ عباس، 2001)؛ وما لاحظته الباحثة أثناء تدريبه للمعلمين في البرنامج اليمني الألماني (GTZ) (من 2000-2004م).
- تطوير المناهج بصورة مستمرة دون تدريب المعلمين على كيفية التعامل معها. يتضح مما سبق ضرورة تطوير برامج إعداد المعلمين القائمة بكليات التربية، وأهمية إعداد برامج حديثة تعتمد أساليب متنوعة في تقديم إطار نظري للطلبة المعلمين يعتمد على مشاركاتهم بفاعلية، وتنفيذ التدريب وفق أساليب جديدة مبنية على معايير جودة واضحة، مع تنوع أساليب التقييم المتبعة في البرنامج، وهذا ما شجع القيام بإعداد البرنامج الحالي وتطبيقه على الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.

وقد تناولت بعض الدراسات السابقة واقع برامج التربية العملية أثناء إعداد المعلمين ومن هذه الدراسات:

دراسة (الزهيري، 2012): هدف الدراسة إلى تقييم أداء الطالب المعلم في برنامج التربية العملية في كلية التربية جامعة صنعاء من وجهة نظر مدرّاء المدارس الأساسية، تألفت عينت الدراسة من (685) طالب وطالبة من المستوى الرابع بكلية التربية جامعة صنعاء، استخدم للتقويم استمارة وضعتها لجنة التطبيق لتقويم الطلبة المطبقين من قبل مدير المدرسة وكانت الاستمارة من النوع

المغلق تكونت من عشر فقرات ولكل فقرة أربع درجات وأسفرت النتائج عن أن آراء مدراء المدارس نحو الطلبة والمعلمين بصورة عامة كانت جيدة وإيجابية وذلك لأن جميع فقرات استمارة التقويم حصلت على تقدير (2.28) وتقدير (2.69) حيث أعلى تقدير هو (3) وأوصى الباحث بمجموعة مقترحات وتوصيات تضمن (11) مقترحا لتطوير أداء الطالب المعلم في برنامج التربية العملية. دراسة (عادل، 2010): هدفت إلى التعرف على واقع التربية العملية من حيث الإجراءات الفنية والتنظيمية من وجه نظر المشرفين والطلبة المتدربين، والتعرف على العوامل المؤثرة سلباً على فاعلية البرنامج، وقد طبقت استبانتيين إحداهما على المشرفين والأخرى على الطلبة المتدربين، وبينت النتائج تفاوت في وجهات النظر حول المحاور وافتقوا حول المدة الزمنية وتكدس المجموعات على مشرف وحيد، وعدم وجود أسباب سلبية تواجه البرنامج، كما أوصت بتوفير دليل للتربية العملية وطول الفترة وزمن التطبيق والتقويم المستمر للبرنامج ومقاومة السلبيات، واقترحت إجراء دراسات مشابهة.

دراسة (المعمرى، 2007): هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج مقترح في التربية العملية لإكساب الطلبة المعلمين مهارات تدريس مادة الفيزياء، واتبعت الدراسة المنهج التجريبي، واختيرت العينة بالطريقة العشوائية وبلغ عددها (67) طالباً وطالبة موزعين على تجريبية وضابطة، ولتحقيق أهداف الدراسة قامت الباحثة بتصميم برنامج تعليمي مقترح، وبطائقتين ملاحظة، واختبار تحصيلي قبلي/بعدي، استبانة استطلاعية لتحديد الاحتياجات التعليمية التربوية للطلاب المعلم. وبينت النتائج وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في الاختبار التحصيلي وبطائقي الملاحظة بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة وذلك لصالح المجموعة التجريبية، وعدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الاختبار التحصيلي وبطائقي الملاحظة بين الطلبة المعلمين (الذكور) وال طالبات المعلمات (الإناث) في المجموعة التجريبية.

دراسة (Isiksal، 2005): هدفت إلى الكشف عن أثر متغير النوع، والمستوى الدراسي على أداء الطلبة المعلمين في برنامج التربية العملية، وكفايتهم الشخصية في تدريس مادة الرياضيات. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، تمثل المجتمع الأصلي بالطلبة المعلمين في الجامعة لوطنية بأنقرة تركيا، اختيرت منه عينة عشوائية بلغت (145) طالباً وطالبة، وتمثلت الأداة بمقياس يومان "UMAY" لقياس الكفاية الشخصية في الرياضيات، وأسفرت النتائج عن وجود تأثير لمتغيري النوع والمستوى الدراسي على أداء الطلبة المعلمين وعلى كفايتهم الشخصية في تدريس الرياضيات، وكان أداء الطالبات المعلمات أعلى من أداء الطلاب المعلمين، كما تفوق في الأداء والكفاية الشخصية طلبة المستوى الثالث عن بقية الطلبة في بقية السنوات.

دراسة (المخلافي، 2004): هدفت الدراسة إلى تقويم فاعلية برنامج التربية العملية في كلية التربية جامعة اب من خلال تقويم المشرف الأكاديمي والتربوي وتقويم دور مدير مدرسة التطبيق من منظور الطلبة والمعلمين، بلغت عينت الدراسة (234) طالب وطالبة، استخدم الباحث مقياساً مكون من أربعين فقرة منها عشرين فقرة لتقويم دور المشرف الأكاديمي وعشرين فقرة لتقويم دور مدير مدرسة التطبيق، توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية في تقويم الطلبة والمعلمين لدور المشرف ومدير المدرسة تعزى إلى الجنس والتخصص بالإضافة إلى وجود جوانب سلبية وأخرى ايجابية للتربية العملية.

دراسة (المقدادي، 2003): هدفت الدراسة إلى تقويم فعالية برنامج التربية العملية لإعداد معلم مجال الرياضيات في الجامعة الأردنية، بلغت عينة الدراسة (90) طالب وطالبة، واعتمد النتائج على استخدام استبيان ومقالات شخصية ومشاهدات صفية، واطهر النتائج نجاح البرنامج في إكساب الطلبة المعلمين مجمل الكفايات المرتبطة بكل من التخطيط للموقف الصفّي والإدارة الصفية بالإضافة إلى تعزيز الثقة بالنفس كإنسان قادر على التدريس في حين لم ينجح بالشكل المقبول في إكساب الطلبة والمعلمين في مجال الكفايات المرتبطة بكل من التدريس بغرفة الصف وتقويم التدريس.

دراسة (العتاب، 2002): هدفت الدراسة إلى التحقق من فاعلية البرنامج التعليمي في أداء الطلبة المدرسين للمهارات التدريسية واتجاهاتهم نحو مهنة التدريس، بلغت عينة الدراسة (77) طالب وطالبة، موزعين في مجموعتين تجريبية وضابطة، أعدت الباحثة لغرض الدراسة برنامجاً تعليمياً وبطاقة الملاحظة ومقياس الاتجاه نحو التدريس وكانت أهم النتائج التي أظهرت فاعلية البرنامج في الأداء الكلي للمهارات التدريسية، وكان للبرنامج تأثير في الاتجاهات نحو مهنة التدريس على الطلبة والمدرسين.

التعليق: اتفقت دراستي (المعمري، 2007 ؛ العتاب 2002) مع هدف الدراسة الحالي كونها سعت لقياس فاعلية برنامج تدريبي في التربية العملية، لكنها لم تتطرقاً لمعايير الجودة، في حين اختلف هدف الدراسة عن هدف بقية الدراسات، فقد ركزت معظمها على عملية تقويم برنامج التربية العملية القائم في كليات التربية، تم تنفيذ التجربة في معظم الدراسات على الطلبة المعلمين، في حين دراسة (عادل، 2010) نفذت على المشرفين والطلبة المعلمين، وقد أوضحت دراسة كل من: (الزهيري، 2012؛ عادل، 2010؛ Isiksal، 2005؛ المخلافي، 2004؛ المقدادي، 2003) وجود جوانب قصور في برامج التربية العملية تباينت في هذه الجوانب وأسبابها ، كما بينت دراسة (عادل، 2010؛

المخلاف (2004) عدم وجود فروق مع وجود جوانب سلبية في بعض جوانب البرنامج، كما بين (المقادي 2003) فشل برنامج التربية العملية في إكساب الطلبة المعلمين كفايات التدريس بالصف وتقويم التدريس، ولم تعمل معظم الدراسات بنظام الجودة، وقد أوصت بتحسين بيئة التعلم، كما أوصت دراسة (Isiksal 2005) قيام برامج على الكفايات وأخرى تحمل الطالب المعلم مسؤولية بناء قدراته، كما قدمت دراسة (الزهيري 2012) احد عشر توصية لتطوير أداء الطالب المعلم في التربية العملية. استفاد الدراسة من هذه الدراسات كونها كشفت عن نقاط القوة والضعف في برامج التربية العملية القائمة بكليات التربية وأسباب الضعف مما سهل في التركيز على هذه الجوانب في الدراسة الحالي.

الجزء الثاني: التصميم التجريبي وإجراءات التجربة:

أ- منهجية الدراسة: تم إتباع المنهج الوصفي لجمع وتحليل البيانات، والمنهج التجريبي في إجراء التجربة على عينة استطلاعية وتنفيذ البرنامج على عينة الدراسة من الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب.

ب- متغيرات الدراسة :

1- المتغير المستقل: هو البرنامج التدريبي القائم على الموديولات التعليمية المُعد من قبل الباحث.

2- المتغير التابع: (الجانب المعرفي - الجانب الأدائي) لبعض متطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بمستوى ثالث رياضيات كلية التربية بالنادرة جامعة إب.

ج- مجتمع وعينة الدراسة: يتكون المجتمع من طلبة المستوى الثالث في جميع أقسام الكلية والبالغ عددهم (285) تم اختيار عينة قصدية تجريبية واحدة بتطبيقين "قبلي وبعدي" عددها (30) طالب وطالبة، وهم جميع الطلبة المعلمين المسجلين في المستوى الثالث قسم الرياضيات بكلية التربية النادرة جامعة إب، عام 2017-2018م.

د- إعداد مواد وأدوات الدراسة والتأكد من مدى صلاحيتها: وقد تمت وفقاً للخطوات الآتية: أولاً: الاطلاع على الأدب التربوي من خلال: مسح ميداني للكتب والمراجع المتاحة للباحث والتي لها علاقة بمحاور الدراسة، وكذلك الدراسات السابقة المتاحة التي تناولت برامج إعداد وتدريب المعلمين، ومعايير تحقيق متطلبات جودة المعلم. (منها ما ذكر سابقاً في هذا الدراسة).

ثانياً : تصميم البرنامج التدريبي القائم على الموديولات التعليمية: تم وضع تصور عام وشامل للبرنامج التدريبي من خلال تتبع كل ماله علاقة بالبرنامج في الأدب التربوي السابق لغرض إعداد وتخطيط البرنامج وتنفيذه في كلية التربية النادرة كالاتي:

1- أهداف البرنامج: هدف البرنامج التدريبي القائم على الموديولات التعليمية إلى تحقيق متطلبات جودة المعلم لدى الطلبة المعلمين بقسم الرياضيات بكلية التربية بالنادرة، من خلال تدريبهم على أداء مهارات التدريس اللازمة لهم من خلال تنفيذ الموديولات التعليمية المعدة لذلك. وقد بلغت الأهداف العامة للبرنامج (15) هدفاً، وبلغت الأهداف الفرعية (140) هدفاً تم تحقيقها من خلال الموديولات التعليمية.

2- تحديد أسس البرنامج التدريبي المقترح: والمتمثلة بوضوح الهدف من البرنامج، ورغبة المتدرب في التنفيذ، مع توفير الأدوات والأنشطة اللازمة للتدريب، وربط الجوانب النظرية للموديولات بالتطبيق العملي، يتم تعلم الموديولات ذاتياً مع المشاركات الجماعية في المناقشات وورش العمل، ثم تنفيذ الجانب العملي.

3- إعداد محتوى البرنامج: تم تنظيم محتوى البرنامج التدريبي المقترح في شكل (موديولات تعليمية) تكونت من المواقف التعليمية اللازمة لتحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات اللازم توافرها لدى الطلبة المعلمين بقسم الرياضيات، يتدرب عليها الطلبة المعلمين.

ويقصد بالموديول التعليمي في الدراسة الحالية بأنه " وحدة تعليمية مصغرة تتضمن مجموعة متكاملة متتابعة من المعلومات صُمم محتواها بهدف تحقيق متطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بقسم الرياضيات كلية التربية بالنادرة، وتشتمل هذه المعلومات على مجموعة المعارف الرياضية والأنشطة والتدريبات المتنوعة التي تيسر أدائهم التدريسي، وتتيح لهم فرصة اختيار الأنشطة والأساليب التي تناسب سرعتهم وقدراتهم لإجادتها ذاتياً بأقل توجيه". وقد اشتمل كل موديول تعليمي على العناصر الأساسية الآتية: (عنوان لموضوع الموديول - مقدمة الموديول - أهداف الموديول - الاختبار القبلي للموديول - محتوى الموديول - الأنشطة التعليمية والتدريبية المصاحبة للموديول - مصادر الموديول - الاختبار البعدي للموديول - في نهاية كل موديول يتوفر ملخص مفتاح لتصحيح الاختبار).

وقد تضمن البرنامج أربعة عشر موديولاً تعليمياً * أنظر ملحق (2)، وهي كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (2) الوحدات الدراسية التي تمثل الجانب المعرفي للموديولات التعليمية

م	الوحدة	محتوى الموديولات التعليمية لمتطلبات جودة المعلم	الأهداف	ملاحظات
1	مقدمة	ماهية التربية العملية.		
2	الأولى:	تحليل محتوى الرياضيات في عملية التدريس.		
3	مهارات التخطيط	صياغة وتصنيف الأهداف التعليمية في عملية التدريس.		
4	للتدريس	التخطيط لتدريس الرياضيات.		
5		التهيئة للدرس بمداخل مثيرة ومتنوعة.		
6		عرض الدرس وشرحه بأساليب مشوقة وحديثة.		
7	الثانية:	استخدام الوسائل والأنشطة التعليمية في عملية التدريس.		
8	مهارات تنفيذ	تنوع المثبرات والتعزيزات في عملية التدريس.		
9	عملية التدريس	الاتصال والتواصل والتفاعل الصفي.		
10		استخدام الأسئلة الصفية في عملية التدريس.		
11		تلخيص وخلق الدرس في عملية التدريس.		
12	الثالثة	تنظيم البيئة التعليمية- وإدارة الصف.		
13	الرابعة	التقويم في عملية التدريس.		
14	الخامسة	مسؤوليات التنمية المهنية للمعلم.		

- 4- إعداد وتوفير الأدوات والوسائل والأنشطة (مراجع، وأجهزة عرض، وكل المتطلبات).
- 5- طرق التدريس وأساليب تنفيذ البرنامج(حل المشكلات، الاكتشاف، العصف الذهني، الألعاب والأغز الرياضية، التعلم التعاوني، الاستقراء، حلقات النقاش، التدريب الذاتي،.. التدريس للزملاء).
- 4- تحديد الفترة الزمنية اللازمة لتنفيذ البرنامج، مدة الفصل الدراسي الثاني كاملاً عام 2018م.

5- إعداد أساليب ووسائل التقويم (تقويم قبلي لمتطلبات الجودة (النظري، والأداء العملي)، تقويم بنائي أثناء دراسة البرنامج، وتقويم مشاركات الطلبة وانجاز تكاليفهم، وتقويم ختامي بتطبيق مقياسي متطلبات جودة معلم الرياضيات العملي والنظري المكونين من: (بطاقة الملاحظة لملاحظة الأداء العملي التدريسي للمتدرب من الطلبة المعلمين، واختبار التحصيل العلمي للمعارف النظرية المحددة بالموديولات التعليمية التي تمثل الجانب النظري لمتطلبات جودة معلم الرياضيات).

6- ضبط البرنامج التدريبي: بعد الانتهاء من إعداد البرنامج التدريبي تم عرضه على مجموعة من المحكمين المتخصصين في المناهج وطرق التدريس ملحق (1)؛ للتأكد من مناسبته للأهداف ومستوى الطلبة بالكلية ومراجعة مادته العلمية وتحديد مدى صلاحيته، وبعد مراجعة كافة الملاحظات أصبح في صورته النهائية جاهزاً للتطبيق ملحق (2)، وبذلك تمت الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة هذا الدراسة، الذي ينص على: ما صورة البرنامج التدريبي المقترح لتنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات بكلية التربية بالنادرة؟

ثالثاً: إعداد قائمة تتضمن أهم متطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين:

أ- الهدف من قائمة متطلبات جودة معلم الرياضيات: هو قياس مدى توافر متطلبات جودة معلم الرياضيات لدى طلبة المستوى الثالث بقسم الرياضيات بكلية التربية النادرة جامعة إب المختارين في عينة الدراسة بعد تنفيذ البرنامج التدريبي القائم على الموديولات التعليمية.

ب- بناء القائمة: تم بناء قائمة بمتطلبات جودة معلم الرياضيات من خلال ما تم الرجوع إليه من أدب تربوي ودراسات سابقة، وخبرات المهتمين بهذا المجال، كمعايير برامج إعداد المعلم لدى المنظمة الدولية للجودة والاعتماد لكليات التربية بالولايات المتحدة الأمريكية، ومعايير المجالس القومية ورابطة المعلمين بأمريكا وأستراليا ومصر، ومعايير الأداء بكليات التربية في الوطن العربي كأسيوط بمصر والنجاح بفلسطين، وبعض كليات التربية في الجامعات اليمنية كصنعاء وإب، كما تم جمع معايير مقياس متطلبات جودة المعلم من قائمة المجلس القومي لمعايير التدريس (NBPTS، 2002: 42)، وقائمة معايير جودة المعلم (بوزارة التربية والتعليم المصرية، 2003: 28)؛ ومعايير الجودة (بمجلس الاعتماد الأكاديمي وضمان جودة التعليم العالي اليمني 2010)؛ و(دليل المدرب، 2010: 100)؛ وقوائم بعض الدراسات منها: (الجويد، 2017: 189؛ العقبى، 2017: 163؛ أبو العلا، 2009: 206).

ج- عناصر قائمة متطلبات جودة معلم الرياضيات: بعد بناء عناصر القائمة أصبحت في صورتها الأولية مكونة من (145) مطلباً توزعت في (15) محوراً رئيساً، تم وضعها في استمارة بشكل استبيان .

د- ضبط قائمة متطلبات جودة معلم الرياضيات:

1-صدق القائمة: قام الباحث بعرض القائمة في صورتها الأولية على مجموعة محكمين من أساتذة الكلية المتخصصين بالمناهج وطرق التدريس، وعلم النفس، ملحق(1)، وذلك لتحديد صلاحية كل مطلب وانتمائته للمحور الرئيسي وطرح أي تعديلات، وقد تم تنفيذ تعديلات المحكمين بحذف فقرات متنوعة في بعض المحاور، كما تم دمج محور (تحديد الأهداف مع التخطيط)، وتم حذف محور (تفاعل الطالب المعلم)، كما تم استبدال بعض متطلبات جودة المعلم وبذلك تحقق الصدق الظاهري، كما تم حساب الصدق الذاتي من جذر الثبات وكانت قيمته(0.89) ويمثل مستوى عال من الصدق، وبذلك أصبحت القائمة صادقة لما بنيت لقياسه.

2-ثبات القائمة: لحساب ثبات القائمة قام الباحث بتطبيقها على (10) من الطلبة المعلمين من خارج العينة، وبعد جمع البيانات تم حساب الثبات ألياً باستخدام معادلة كرمباخ الفا وقد تبين أن قيمة الفا تساوي(0.80) وهي نسبة تدل على ثبات مقبول للقائمة.

3- الصورة النهائية للقائمة : بعد حساب صدق القائمة وثباتها تم ترتيب متطلبات جودة معلم الرياضيات حسب المجالات الرئيسة في شكل استبيان تكونت صورته النهائية من (140) مطلباً توزعت في (13) ثلاثة عشر محوراً رئيساً ، ملحق(3) كما يوضح الجدول الآتي:
جدول (3) يوضح محاور استبيان (قائمة) متطلبات جودة المعلم وعدد المتطلبات في كل محور

م	محاور متطلبات جودة المعلم اللازم توافرها لدى الطلبة المعلمين	عدد متطلبات جودة المعلم بكل محور
1	استيعاب الطالب المعلم لمادة الرياضيات	6
2	التخطيط لعملية تدريس الرياضيات	19
3	استخدام طرق وأساليب حديثة ومتنوعة	7

7	الاهتمام بالأنشطة والوسائل التعليمية الحديثة	4
8	توفير مداخل تعليمية مثيرة وحديثة	5
12	عرض دروس الرياضيات بأساليب مشوقة ومثيرة	6
9	طرح أسئلة متنوعة والمشاركة في حلها	7
15	إتقان الاتصال والتواصل والتفاعل الصفي في التدريس	8
8	استخدام التعزيزات المناسبة في التدريس	9
8	إجادة تلخيص وإغلاق درس الرياضيات	10
13	إجادة عملية تقويم تعلم التلاميذ	11
10	تنظيم البيئة التعليمية وإدارتها	12
18	امتلاك القيم الأخلاقية والمهنية الواجب توافرها لدى المعلم	13
140	المجموع	

وبذلك تمت الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة هذا الدراسة الذي ينص على: ما متطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟

رابعاً: بطاقة ملاحظة الأداء التدريسي لمتطلبات جودة أداء المعلم:

أ- الهدف منها: قياس مستوى الأداء العملي لتحديد مدى توافر متطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بمستوى ثالث رياضيات بكلية التربية النادرة جامعة إب.

ب- محتوى البطاقة: استفاد الباحث من قائمة أداء متطلبات جودة معلم الرياضيات باعتمادها كبطاقة ملاحظة لملاحظة أداء الطلبة المعلمين في المستوى الثالث رياضيات بكلية التربية بالنادرة جامعة إب، وذلك بتحديد محتواها من خلال القوائم المعدة سابقاً مع التركيز على ما يحتاجه الطالب المعلم من أداء عملي، بالإضافة إلى الاطلاع على دفتر تخطيط الدروس، والمظهر الشخصي، ومتابعة أنشطته العملية لاستكمال بنود ومحاور (القائمة) الذي سبق إعدادها وضبطها.

ج- ضبط بطاقة ملاحظة الأداء لمتطلبات جودة معلم الرياضيات:

1- لمعرفة صدق البطاقة الظاهري: تم عرضها على مجموعة المحكمين المتخصصين في مجال التربية وأساتذة في الجامعة لمعرفة رأيهم حول فقرات البطاقة من حيث دقة الصياغة ومناسبتها لكل متطلب من متطلبات جودة المعلم، مع الحذف والإضافة لما يروونه مناسباً، وقد تم تعديل صياغة بعض متطلبات الأداء التدريسي، وأصبحت البطاقة مكونة من (140) أداءً فرعياً، موزعة في (13) محوراً رئيساً ذات خمسة مستويات لتقييم مستوى أداء تحقيق متطلبات جودة المعلم.

2- ولحساب معامل ثبات بطاقة أداء متطلبات جودة المعلم: تم تطبيقها على عينة استطلاعية تكونت من (10) من الطلبة المعلمين من غير عينة الدراسة وملاحظة أدائهم من قبل الباحث، وبعد جمع البيانات تم حساب الثبات ألياً باستخدام معادلة كرمباخ الفا وقد تبين أن قيمة الفا تساوي (0.80) وهي نسبة تدل على معامل ثبات عالي ومقبول يمكن اعتماده لقياس مستوى الأداء لمتطلبات جودة المعلم لدى الطلبة المعلمين.

3- الصورة النهائية لبطاقة ملاحظة الأداء لمتطلبات جودة معلم الرياضيات: بعد التأكد من صدق البطاقة وثباتها أصبحت صورتها النهائية مكونة من (140) أداء لمتطلبات جودة معلم الرياضيات موزعة في (13) محوراً، تم تحديد مستوى الأداء لمتطلبات جودة المعلم في خمسة مستويات للأداء وهي: بدرجة (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، منخفضة، منعدمة) أعطيت الاستجابات القيم (5، 4، 3، 2، 1) على الترتيب، وبذلك أصبحت البطاقة جاهزة للتطبيق الميداني على عينة الدراسة. ملحق (4)

خامساً: اختبار التحصيل المعرفي (النظري) لمتطلبات جودة معلم الرياضيات:

أ- الهدف من الاختبار التحصيلي المعرفي: هو قياس مستوى التحصيل المعرفي (النظري) لمتطلبات جودة معلم الرياضيات اللازمة للطلبة المعلمين بمستوى ثالث رياضيات بكلية التربية النادرة جامعة إب.

ب- بناء الاختبار المعرفي: تم بناء جدول مواصفات لتحديد مفردات الاختبار المستهدفة في هذا الدراسة، وصياغة مفرداته بشكل يتناسب مع البرنامج، مع وضع التعليمات حول الهدف منه وكيفية الإجابة عنه، تكون في صورته الأولية من (95) فقرة تمثل كل فقرة متطلب جودة معرفي لازم للطلبة المعلم في الرياضيات، موزعة في ثلاثة أسئلة رئيسة على النحو الآتي: السؤال الأول (40) فقرة نوع صواب وخطأ، السؤال الثاني (40) فقرة نوع اختيار من متعدد، والسؤال الثالث (15) فقرة نوع إجابات عامة.

ج- ضبط الاختبار المعرفي:

1- صدق الاختبار: لتحديد صدق الاختبار التحصيلي، تم عرضه على مجموعة المحكمين من ذوي الخبرة لغرض حساب الصدق الظاهري لمعرفة مدى صلاحية فقراته وملائمتها ودقة صياغتها، وبعد اعتماد نسبة اتفاق (80%) فأكثر للفقرة؛ تم تعديل بعضها في ضوء مقترحاتهم، كما تم حذف (10) فقرات من السؤال الأول، و(10) فقرات من السؤال الثاني، و(5) فقرات من السؤال الثالث، وبذلك أصبح عدد فقراته (70) فقرة تمثل أهم متطلبات جودة معلم الرياضيات المعرفية (النظرية) اللازمة للطلاب المعلم في كلية التربية النادرة جامعة إب، موزعة بثلاثة أجزاء: تكون الجزء الأول من (30) فقرة نوع صح أو خطأ وعليه (30) درجة، والجزء الثاني (30) فقرة نوع اختيار من متعدد وعليه (30) درجة، والجزء الثالث (10) عشر فقرات متنوعة مكونة من (40) فراغاً وعليه (40) درجة، كما تم إيجاد الجذر التربيعي لمعامل الثبات للتأكد من الصدق الذاتي الذي بلغ (0,89) وهو معامل صدق عال يدل على قدرة الأداة في قياس ما وضعت لقياسه.

2- حساب ثبات الاختبار: تم حساب ثبات الاختبار بعد تطبيقه على عينة استطلاعية تكونت من (10) طلاب من الطلبة المعلمين غير عينة الدراسة وبعد حساب معامل الثبات باستخدام الحزم الإحصائية (SPSS) للاختبار كامل، حصل (كرومباخ الفا) على قيمة (0.79) وهو معامل ثبات عال ومقبول تم اعتماده في تطبيق الاختبار.

3- الصورة النهائية لاختبار الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات: وبعد التأكد من صدق الاختبار وثباته تم إخراجها في صورته النهائية مكون من (70) فقرة بشكل ثلاثة أسئلة ملحق (5) ، ودرجة إجابته النهائية (100) درجة، وزمن إجابته ساعتين، وبذلك أصبح جاهزاً لتطبيقه على عينة الدراسة.

سادساً: إجراء التطبيق الميداني للدراسة:

1- تم تطبيق الاختبار التحصيلي وبطاقة الملاحظة على الطلبة المعلمين (عينة الدراسة) قبل تنفيذ البرنامج لتحديد مستوى تمكنهم من الجانب المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات، في الأسبوع الأول بداية الفصل الدراسي الثاني لعام 2017-2018م.

2- تم تنفيذ البرنامج وتطبيقه على المجموعة التجريبية من الطلبة المعلمين طوال الفصل الدراسي الثاني من تاريخ السبت 3/ 3/ 2018 م، وحتى 2018/7/7 م. لمدة (44) ساعة تدريبية، بواقع أربع ساعات أسبوعياً.

3- بعد الانتهاء من التجربة تم التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة الأداء التدريسي على عينة الطلبة المعلمين من الأسبوع السابع، وتطبيق اختبار التحصيل المعرفي نهاية الفصل الدراسي الثاني بتاريخ السبت 2018/7/7 م*. *تأخر بسبب الحرب والإضراب على المرتبات وحلول شهر رمضان

المبارك

4- تم تصحيح الاختبار وبطاقة الملاحظة وتفريغ البيانات ومعالجتها آلياً بأسلوب الحزم الإحصائي (spss) لغرض إجراء المقارنات والتوصل إلى النتائج. وقد استخدمت أساليب إحصائية منها المتوسط الحسابي والانحراف المعياري واختبار (ت) لعينتين مرتبطتين، وكذلك تم حساب حجم الأثر بواسطة مربع إيتا (η^2) والتأكد من معادلة الكسب المعدل (لبلاك) لقياس مستوى فاعلية البرنامج.

سابعاً: مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها: يتناول هذا الجزء عرضاً لنتائج تجربة الدراسة كالآتي:
أولاً- مناقشة نتائج الدراسة: بعد الإجابة عن السؤالين الأول والثاني في الإطار النظري لهذه الدراسة، قام الباحث بإجراء المعالجات الإحصائية لدرجات نتائج التطبيقين القبلي والبعدي للأدوات المستخدمة في الدراسة (اختبار التحصيل المعرفي وبطاقة الملاحظة) بغرض الإجابة عن بقية الأسئلة وذلك كما يلي:

أ- للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة هذه الدراسة: ما أثر البرنامج التدريبي المقترح على تنمية الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة؟ والذي تمت الإجابة عنه من خلال التحقق من صحة الفرض الثالث الذي ينص على "لا يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسطي درجات الطلبة المعلمين (رياضيات) بكلية التربية بالنادرة في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات".

حيث قام الباحث برصد الدرجات الخام لنتائج الطلبة المعلمين (رياضيات) في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار الجانب المعرفي، كما استخدم الباحث معادلة اختبار "ت" للكشف عن الدلالة الإحصائية للفرق بين متوسطي مجموعتين مرتبطتين متساويتين في العدد، ومقارنة قيمة "ت" المحسوبة بالجدولية للتأكد من دلالة الفرق، كما تم قياس حجم الأثر للمعالجات الإحصائية باستخدام معادلة مربع إيتا، $\eta^2 = \frac{(t^2)}{(t^2)+df}$ ، حيث أن (مربع إيتا η^2) :نسبة من تباين المتغير التابع التي

تعزى للمتغير المستقل، df : درجة الحرية، t^2 : مربع قيمة "ت" الناتجة من مقارنة متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية في القياس القبلي والبعدي.)
وذلك لأنه يكشف مقدار تأثير المتغير المستقل على التابع، وقد أسفر هذا التحليل الإحصائي عن النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

جدول (4) قيمة (ت) لدلالة الفرق بين متوسطي درجات التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية النادرة، وحجم تأثير البرنامج.

مستوى الدلالة الإحصائية	حجم الأثر (η^2)	قيمة (ت) المحسوبة	df	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي للتطبيقين	التطبيق
دالة عند 0,01	0,88	14,28	29	6,29	25,77	القبلي
				3,99	40,87	البعدي

* قيمة (η^2) = (0.01 حجم التأثير صغير)، و (0.06 حجم التأثير متوسط)، و (0.14 التأثير

كبير)

يتضح من خلال هذا الجدول أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمتها الجدولية التي تساوي (2,70) بدلالة الطرفين عند درجة حرية (29) وعند مستوى دلالة (0,01) وهو اقل من المفروضة، مما يدل على وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات الطلبة المعلمين (مجموعة الدراسة) في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات، قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه وهذه الفروق لصالح نتائج الاختبار البعدي، مما يؤكد أنه قد حدث نمواً واضحاً ودالاً في الجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بعد دراستهم للبرنامج التدريبي المقترح.

كما تبين من الجدول السابق أن حجم الأثر يساوي (0,88)، وهذا يدل على أن حجم تأثير البرنامج بالنسبة لنمو الجوانب المعرفية لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين أفراد مجموعة الدراسة كان مرتفعاً؛ ذلك لأنه فوق حجم التأثير القوي المحدد بـ (0,14) فما فوق. وقد

يرجع ذلك إلى اهتمام الموديولات التعليمية بتدريب الطلبة المعلمين على المعارف العقلية المتعلقة بمتطلبات جودة معلم الرياضيات، وتقديم عدد من الأمثلة عليها، والتركيز على الأنشطة والتدريبات التي توضح مدى فهمهم للمحتوى.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة كل من : (العقبي، 2017؛ حبيب، 2006؛ Koppich

، 2001؛ Julia, et.al؛ Harold Wenglinisky؛ 2000؛ Howard Risher؛ 2000).

في حين اختلفت مع نتائج دراسة (Rita, Moore، 2004) التي بينت وجود قصور للبرنامج في تنمية الجانب النظري للمعلمين.

وفي ضوء ماسبق تم رفض الفرض الصفري الأول، وقبول البديل الذي يقضي بوجود فرق دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0,05) ناتج عن تأثير البرنامج التدريبي المقترح على المستوى المعرفي لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية النادرة، وبذلك تمت الإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة هذه الدراسة وتحقيق الهدف الثالث.

ب- للإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة هذه الدراسة: ما أثر البرنامج التدريبي المقترح على تنمية الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة؟ والذي تمت الإجابة عنه من خلال التحقق من صحة الفرض الرابع الذي ينص على "لا يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسطي درجات أداء الطلبة المعلمين (رياضيات) بكلية التربية بالنادرة في التطبيقين القبلي والبعدي لبطاقة ملاحظة مستوى الأداء لمتطلبات جودة معلم الرياضيات".

قام الباحث بجمع نتائج تطبيق ملاحظة الأداء العملي من خلال بطاقة الملاحظة وإدراجها ألياً لحساب المتوسطات الحسابية لدرجات الطلبة المعلمين مجموعة الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي لبطاقة الملاحظة، كما تم استخدام اختبار (ت) لإيجاد الفرق بين المتوسطين القبلي والبعدي لدرجات أداء مجموعة الدراسة في بطاقة الملاحظة بقصد الكشف عن الدلالة الإحصائية لهذا الفرق، وحساب حجم تأثير البرنامج التدريبي في نمو الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين، وقد أسفر التحليل الإحصائي عن النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

جدول (5) قيمة (ت) لدلالة الفرق بين متوسطي درجات التطبيقين القبلي والبعدي لبطاقة ملاحظة الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية النادرة، وحجم تأثير البرنامج.

مستوى الدلالة الإحصائية	حجم الأثر (η^2)	قيمة (ت) المحسوبة	df	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي للتطبيقات	التطبيق
دالة عند 0,01	0,93	20,33	29	4,55	28,30	القبلي
				3,16	43,70	البعدي

يتضح من خلال هذا الجدول أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من الجدولية التي تساوي (2,704) بدلالة الطرفين بدرجة حرية (29)، عند مستوى دلالة (0,01) وهو أقل من المستوى المفروض، مما يؤكد على وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات الطلبة المعلمين مجموعة الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي لبطاقة ملاحظة أداء الطلبة المعلمين لمتطلبات جودة معلم الرياضيات، قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه ولصالح نتائج التطبيق البعدي، وهذا يؤكد أنه قد حدث نمو واضح ودال في الجانب الأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بعد دراستهم للبرنامج التدريبي المقترح.

كما تبين من الجدول السابق أن حجم الأثر يساوي (0,93)، وهذا يدل على أن حجم تأثير البرنامج بالنسبة لأداء الطلبة المعلمين أفراد مجموعة الدراسة كبير، مما يدل على أن البرنامج التدريبي المقترح القائم على الموديولات التعليمية قد ساهم إلى حد كبير في تنمية أداء الطلبة المعلمين لمتطلبات جودة الأداء التدريسي بمستوى عالٍ.

وقد يرجع ذلك إلى اهتمام البرنامج التدريبي بتدريب الطلبة المعلمين مجموعة الدراسة على متطلبات جودة معلم الرياضيات في جوانب (التخطيط والتنفيذ والتقييم وإعداد بيئة التعلم، والتنمية المهنية)، من خلال الأنشطة والتدريبات التي قدمت لهم، وتحمسهم لدراسة محتوى البرنامج وذلك لما يحتويه من تنوع معرفي وأنشطة وأدوات ووسائل تعليمية وأساليب حديثة وجديدة للتدريس، بالإضافة إلى تدريبهم على استخدام الأنشطة مفتوحة النهايات وصياغة وتوجيه الأسئلة التباعية، ومناقشة الأمثلة التابعة لها في ورش عمل، وكيفية التهيئة للدرس وغلقة، وإدارة الصف، وتعزيز السلوك الإبداعي، واستخدام صيغ مختلفة ومتنوعة لتقويم التدريس وفق متطلبات الجودة. وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسات كل من: (Koppich؛ 2004، Rita، Moore؛ 2000، Howard Risher)؛ (2001، Julia، et.al؛ العطار، 2002؛ الزهيري، 2012؛ المعمري، 2007). كما اختلفت النتائج مع

دراستي (المقدادي، 2003، Rita, Moore ؛ 2004)، التي بينت نتائجها قصور البرنامج في تنمية الجوانب العملية في الأداء التدريسي.

وبناءً على ذلك تم رفض الفرض الصفري الثاني من فروض هذه الدراسة، وقبول الفرض البديل القاضي بوجود فروق داله إحصائياً تعود لتأثير البرنامج التدريبي في رفع مستوى جودة أداء الطلبة المعلمين، وبذلك تمت الإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة هذا الدراسة وتحقيق الهدف الرابع.

ج - للإجابة عن السؤال الخامس من أسئلة هذه الدراسة : ما فاعلية البرنامج التدريبي المقترح في تنمية الجانبين المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب؟، والذي تمت الإجابة عنه من خلال التحقق من صحة الفرض الخامس " يحقق البرنامج التدريبي المقترح فاعليه في تنمية متطلبات جودة معلم الرياضيات (المعرفية- والأدائية) لدى الطلبة المعلمين بكلية التربية بالنادرة جامعة إب".

وللتحقق من صحة هذا الفرض والتأكد من مستوى فاعلية البرنامج التدريبي في تنمية الجانب المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات لدى الطلبة المعلمين مجموعة الدراسة، قام الباحث بحساب قيمة (ت) وتحديد الفرق بين المتوسطات ومستوى الدلالة في النتائج النهائية لجانب متطلبات جودة معلم الرياضيات (النظرية والعملية) قبل وبعد تطبيق محتوى البرنامج في الاختبار التحصيلي للجانب المعرفي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات، وبطاقة ملاحظة جودة الأداء التدريسي، وحساب حجم التأثير، تم إيجاد قيمة (الكسب المعدل، لبلاك) بالمعادلة : $Blak = \frac{Y-x}{D-x} + \frac{Y-x}{D}$ ، حيث (Y = متوسط درجات القياس البعدي ، x = متوسط درجات القياس القبلي، d = درجة النهاية العظمى للمقياس).

وتتلخص النتائج لهذه المعالجة الإحصائية في الجدول الآتي:

جدول (6) حجم التأثير ودلالة الكسب المعدل لدرجات الطلبة المعلمين بكلية التربية النادرة في التطبيقين القبلي والبعدي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات النظرية والعملية.

النتيجة النهائية	التطبيق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة العظمى	قيمة (ت) الكلية	حجم التأثير (η^2)	الكسب المعدل لبلاك
النظري	القبلي	54,07	8,47	100	21,70	0,89	0,97

1≈				6,52	84,57	البعدي	والعملي معاً
----	--	--	--	------	-------	--------	--------------

يتضح من هذا الجدول أن مستوى حجم التأثير مرتفع (عال) في جانبين البرنامج المعرفي والأدائي حيث وصلت قيمته إلى (0,89) وهو مستوى عالي من التأثير وهي تزيد عن القيمة الكبرى للتأثير المحددة بـ (0,14)، كما سبق توضيح هذه المستويات، وقد يرجع ذلك إلى اهتمام الطلبة المعلمين على تنفيذ متطلبات جودة معلم الرياضيات، وقبول النقد، وتصحيح المسار، والاستفادة من أخطاء الآخرين، وجديتهم أثناء التدريب، مما أسهم في تمتيتها لديهم بشكل ملحوظ، كما أن نسبة الكسب المعدل بلغت (0,97) في المقياسين (اختبار الجانب المعرفي، وبطاقة ملاحظة جودة الأداء التدريسي)، وقد كانت أقل من (1,2) مما يدل على أن فاعلية البرنامج المقترح متوسطة، حيث تقع النسب المعدلة للكسب للبرنامج الفعال بين (1,2 - 2)، وقد يرجع عدم تحقيق مستوى فاعلية أكبر بسبب وجود الحرب في البلد أثناء سير التدريب، وتأخر التطبيق البعدي لأسباب خارجة عن إرادة الطلبة المعلمين والباحث، وعلى الرغم من ذلك فقد أسهم في اكساب الطلبة المعلمين المعارف والمهارات اللازمة لتحقيق متطلبات جودة التدريس بشكل ملحوظ، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه بعض الدراسات السابقة كدراسة كل من: (العقبي، 2017؛ المعمري، 2007؛ حبيب، 2006؛ العطاب، 2002؛ John McIntyre، 2002؛ Koppich Julia, et.al، 2001؛ Elena Vivaz، 2000؛ Lahr, ed، 2000)، والتي بينت أن للبرنامج مستوى مناسب من الفاعلية وأهمية الأنشطة التدريبية والموديولات التعليمية في تنمية متطلبات جودة المعلم المعرفية والأدائية، في حين اختلفت النتائج مع (المقادي، 2003) التي بينت عدم نجاح البرنامج في تحقيق الجانب العملي للتدريس الصفي والتقويم. وهذه النتيجة حققت الفرض الخامس بمستوى متوسط لذا تم قبوله.

ثانياً: تفسير النتائج: توصل الباحث إلى أن البرنامج المعد والقائم على الموديولات التعليمية قد أدى إلى تنمية المتطلبات المعرفية وحقق مستوى عال في تنمية متطلبات الأداء التدريسي اللازمة لجودة معلم الرياضيات لدى أفراد مجموعة الدراسة من الطلبة المعلمين. وقد يرجع سبب تحسن الجوانب المعرفية والأدائية لدى الطلبة المعلمين إلى العناصر الأساسية الآتية:

- تقديم خلفية نظرية وافية في كل موديول تعليمي وفهمها واستيعابها.

- استخدام البرنامج لأساليب متنوعة في التدريس مثل العصف الذهني وخلق جو ديمقراطي وحرية التعبير عن الآراء وتحمل المسؤولية في التدريب مما رفع حماس الطلبة المعلمين لدراسة البرنامج.
 - مشاركة الطلبة المعلمين في دراسة البرنامج شجعهم للتقدم والنجاح في تحقيق الأهداف.
 - عقد المناقشات الجماعية وورش العمل بعد عملية التدريب منحت الطلبة المعلمين الحيوية والنشاط وحرية إبداء الرأي والمشاركة والتأكد من تحقيقهم متطلبات جودة الأداء المطلوب.
 - إتاحة الفرصة لكل طالب معلم من تخطيط الدروس وتنفيذها وفق متطلبات جودة الأداء التدريسي ساهم في عملية التمكن منها أثناء التدريس.
 - المشاركة في عملية التقويم لأداء أفراد المجموعة وتسجيل الملاحظات ومناقشتها مع أفراد المجموعة والباحث مما أدى إلى تحسن الأداء التدريسي لدى الجميع.
 - توفر التغذية الراجعة بعد طل أداء وتوفر حلول لتدريبات كل موديول تعليمي ومناقشتهم فيها.
 - عملية التقويم المستمرة والمتنوعة داخل البرنامج أتاح لكل طالب معلم معرفة مستوى أدائه ومحاولة تحسين وتطوير هذا المستوى.
- وفيما يخص فاعلية البرنامج التدريبي في تنمية الجانبين المعرفي والأدائي لمتطلبات جودة معلم الرياضيات تبين من خلال النتائج التي سبق عرضها أن البرنامج المقترح كان مستوى فاعليته متوسط بسبب الظروف التي تمر بها اليمن .

التوصيات والمقترحات:

- أولاً: التوصيات: في ضوء مشكلة الدراسة وما أسفرت عنه النتائج التي تم التوصل إليها، تمكن الباحث من تقديم بعض التوصيات منها:
- 1- ضرورة استمرار الدراسات والبحوث حول تحقيق متطلبات جودة التعليم والمعلمين في الكلية.

- 2- تطوير برامج لتدريب المعلم قبل وأثناء الخدمة باستخدام أساليب قائمة على الموديولات التعليمية.
- 3- ضرورة توفير المناخ الملائم والمناسب المساعد على تحقيق متطلبات الجودة في الفصل الدراسي.
- 4- توفير بيئة مرنة للتلاميذ تسمح لهم بحرية التعبير عن أفكارهم وتشجيع حب الاستطلاع العلمي والتخيل لديهم مما يساعدهم على تحقيق جودة التعلم.
- 5- إتاحة الفرصة لحضور برامج الجودة في الكلية وتقديم التغذية الراجعة.

ثانياً: البحوث المقترحة: في إطار الدراسة وفي ضوء النتائج يمكن القيام بالبحوث التالية:

- 1- تقويم وتطوير برامج إعداد الطلبة المعلمين بكليات التربية في ضوء معايير الجودة الشاملة.
- 2- إعداد برنامج مقترح لتنمية متطلبات الجودة لدى المعلمين أثناء الخدمة.
- 3- دراسة مقارنة بين أساليب التعلم الذاتي المختلفة للتعرف على فاعلية كل أسلوب في تنمية الجوانب المعرفية والجوانب الأدائية لكفايات التدريس الإبداعي لدى الطلبة المعلمين.
- 4- فاعلية برنامج تدريبي للمعلمين بالمرحلة الأساسية قائم على الموديولات التعليمية وأثره على التحصيل واتجاهاتهم نحو المادة الدراسية.
- 5- بناء برنامج مقترح لتدريب الطلبة المعلمين على استخدام استراتيجيات وتقنيات التعليم في التدريس لتنمية الابتكار وحل المشكلات لدى تلاميذ المرحلة الأساسية.

قائمة المراجع والمصادر العربية:

- (1) القرآن الكريم.
- (2) أبو العلاء، نانيس لطفي (2009): " برنامج تدريبي مقترح لتنمية كفايات التدريس الإبداعي واستراتيجياته لدى الطالبات المعلمات شعبة رياضيات"، مجلة تربويات الرياضيات، الجمعية المصرية لتربويات الرياضيات، المجلد الثاني عشر، يناير، كلية التربية، جامعة بنها- مصر، ص206.
- (3) أبو الهيجاء، شيرين (2007): "إدارة الجودة الشاملة في التعليم"، دار الكندي، اريد-الأردن، ص63.
- (4) أبو زيد، لمياء شعبان (2007): "مدى تحقق معايير الجودة في برنامج التربية الميدانية القائم وانعكاس ذلك على الأداء التدريسي والاتجاه نحو المهنة لدى الطالبات المعلمات بمنطقة القصيم"، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر التاسع عشر، "تطوير مناهج التعلم في ضوء معايير الجودة"، المجلد الرابع، جامعة عين شمس- مصر، ص1561.
- (5) احمد، إبراهيم احمد(2002): معايير جودة الإدارة التعليمية والمدرسية"، المؤتمر العلمي السابع، "جودة التعليم في المدرسة المصرية"، كلية التربية، جامعة طنطا، ابريل 2002، صص7-8.
- (6) البناء، مكة (2007): "فعالية وحدة مقترحة في الهندسة الكسورية لطلاب كلية التربية وأثرها على التفكير الإبداعي والاتجاه نحو الرياضيات"، الجمعية المصرية لتربويات الرياضيات، كلية التربية بنها، المؤتمر العلمي السابع، الرياضيات للجميع، جامعة عين شمس - مصر، ص184.
- (7) جبر، سعد محمد ، والعرنوسي، ضياء عويد حربي(2014): "التعلم المزيج وضمنان الجودة في التدريس الجامعي" (دراسة نظرية)، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 17، ص155 .
- (8) الجويد، صفاء علي (2017): "تقويم برنامج إعداد معلم اللغة العربية في كليتي التربية جامعة إب في ضوء معايير الجودة الشاملة"، رسالة ماجستير، كلية التربية بالنادرة، جامعة إب- اليمن.

- (9) حبيب، أبو هشام عبدالعزيز(2006): "فاعلية برنامج تدريبي للطالب المعلم بشعبة الرياضيات بكلية التربية بالسويس لتنمية بعض مهارات تخطيط الدروس والأداء التدريسي أثناء التربية العملية في ضوء معايير الجودة"، المؤتمر العلمي السادس، "مداخل معاصرة لتطوير تعليم وتعلم الرياضيات"، 19-20 يوليو، الجمعية المصرية لتربويات الرياضيات، كلية التربية جامعة بنها، صص103-136.
- (10) حمادنه ، همام سمير (2014): "درجة توافر معايير ضمان الجودة في برنامج إعداد معلم التربية الابتدائية في جامعة اليرموك من وجهة نظر الطلبة المتوقع تخرجهم" ، المؤتمر الثالث، "تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل في القطاع العام والخاص" ، جامعة البلقاء التطبيقية، عمان - الأردن، الفترة 28 أبريل-1 مايو ، صص91-93.
- (11) درويش، إبراهيم السيد (2002): "مدى استخدام أنشطة التفكير الإبداعي لدى الطلبة المعلمين في برنامج التربية العملية والمعلمين في الخدمة في مراحل تدريس التربية الفنية"، مجلة دراسات تربوية واجتماعية ،كلية التربية ،جامعة حلوان،المجلد الثامن العدد الرابع -مصر، صص235 .
- (12) الدسوقي، منى محمد (2000): " فاعلية برنامج مقترح لتنمية الكفايات التدريسية للطالب/المعلم بالمدارس الثانوية الفنية الصناعية" رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حلوان-مصر.
- (13) دليل المدرب (2010): "البرنامج التدريبي لمعلمي مادة الرياضيات في الصفوف(4-9) من مرحلة التعليم الأساسي، كفايات تعليمية - الجزء الثاني"،إعداد منظمة اليونيسيف، العريفي للطباعة، ط2، قطاع التدريب بوزارة التربية والتعليم- اليمن، صص100.
- (14) الدوسري، نادية بنت سالم (2008): "بعض مسؤوليات المدرسة الثانوية تجاه تعزيز الهوية الثقافية لطلابها"، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر العلمي العشرون، "مناهج التعليم والهوية الثقافية"، جامعة عين شمس، المجلد الثالث - مصر، صص1219.
- (15) راشد، علي (2002): "خصائص المعلم العصري وأدواره"، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، صص186.

- (16) الزهيري، عماد متعب محمد(2012):"تقويم أداء الطالب المعلم في برنامج التربية العملية بجامعة صنعاء"، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب، العدد (28)، 2012، صص 277-294.
- (17) زيتون، حسن حسين(2001): "مهارات التدريس رؤية في تنفيذ التدريس"، سلسلة أصول التدريس، الكتاب الثالث، عالم الكتب، القاهرة، صص 571-573.
- (18) سعد، محمود حسان(2000): "التربية العملية بين النظرية والتطبيق"، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ص 23.
- (19) الشهابي، مصطفى بجاش(2003): "تطوير برنامج إعداد المعلمين في كلية التربية بجامعة تعز في ضوء احتياجات الحياة المعاصرة"، المؤتمر العلمي الخامس عشر، مناهج التعليم والإعداد للحياة المعاصرة، 21-22 يوليو، المجلد (2)، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة- مصر.
- (20) الطعاني، حسن احمد(2002): "التدريب مفهومه وفعالياته وبناء البرامج التدريبية وتقويمها"، دار الشروق، عمان- الأردن، ص 14.
- (21) عادل، محمد فائز(2010): "فاعلية برنامج التربية العملية من وجهة نظر المشرفين والطلبة المتدربين في كلية التربية بالنادرة"، مجلة الباحث الجامعي، العلوم والإنسانيات، جامعة إب، العدد(24)، مارس-اليمن، صص 169-208.
- (22) عباس، عابدة فؤاد (2001): "إعداد المعلم بكليات التربية في اليمن في ضوء الاتجاهات المعاصرة"، مجلة التربية المقارنة، المجلد الرابع، العدد الأول(5)، مارس 2001م، الجمعية المصرية للتربية المقارنة- مصر.
- (23) عبد الجليل، علي سيد محمد(2002): "برنامج تدريبي في الحاجات المهنية لمعلمي التعليم الصناعي وأثره على النمو المهني والتنور العلمي لديهم"، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة أسيوط- مصر.
- (24) عبد الجواد، عبدالرحمن محمد(2006): "فاعلية برنامج تدريبي مقترح لموجهي ومعلمي الرياضيات على بحوث الأداء"، الجمعية المصرية لتربويات الرياضيات، المؤتمر العلمي السادس "مداخل معاصرة لتطوير تعليم وتعلم الرياضيات"، 19-20 يوليو، كلية التربية بنها- مصر، ص 143.

- (25) عبد الفتاح، ناهد محمد (2010): "تقويم أداء طالبات التربية العملية للأقسام العلمية جامعة الملك فيصل في ضوء معايير الجودة الشاملة وفي ضوء المعايير العالمية وانعكاس ذلك على الاتجاه نحو مهنة التدريس"، مجلة التربية العلمية، الجمعية المصرية للتربية العلمية-مصر، مج(13)، ع(4)، يوليو، 189-239.
- (26) عبید، ولیم(2004): "تعليم الرياضيات لجميع الأطفال في ضوء متطلبات المعايير وثقافة التفكير"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، ص196.
- (27) عثمان، خديجة إمام (2009): "جودة المناهج وأساليب التدريس"، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع(التعليم وتحديات المستقبل)، جامعة سوهاج-مصر، ص19.
- (28) العطاب، نادية محمد (2002): "فاعلية برنامج تعليمي للتربية العملية في أداء الطالب/المدرس للكفايات التدريسية واتجاهه نحو مهنة التدريس"، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية ابن الهيثم-العراق.
- (29) عطية، محسن علي(2009): "الجودة الشاملة والجديد في التدريس"، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص123.
- (30) العقبي، أسماء محمد(2017): "فاعلية برنامج تدريبي مقترح في التربية العملية لإعداد الطالب المعلم (فيزياء) في ضوء معايير الجودة الشاملة"، رسالة ماجستير، كلية التربية بالنادرة، جامعة إب-اليمن.
- (31) العقيلي، عمر وصفي (2000): "مدخل إلى المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص19.
- (32) علي، نادية حسن السيد (2002م): "تصور مقترح لتطوير نظام التعليم بالمملكة العربية السعودية في ضوء معايير الجودة الشاملة"، مجلة مستقبل التربية العربية، العدد السابع والعشرون، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة-مصر، ص210.
- (33) الغنام، نعيمة إبراهيم (2001م): "فاعلية أداء مديرة المدرسة الابتدائية بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في ضوء معايير إدارة الجودة الشاملة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البحرين-البحرين.
- (34) الكندري، جاسم يوسف(2002): "إعداد المعلم بجامعة الكويت الواقع المأمول"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة البحرين، المجلد3-البحرين، ص15.

- (35) مازن، حسام محمد (2008): "التفكير، المعلوماتية، الجودة الشاملة، تحديات عالمية لمناهجنا التربوية العربية"، المؤتمر العلمي العربي الثالث (التعليم وقضايا المجتمع المعاصر)، كلية التربية، جامعة سوهاج- مصر، ص17.
- (36) مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الأمانة العامة (2004م): " التطوير الشامل للتعليم بدول مجلس التعاون"، دراسة حول التوجهات الواردة في قرار المجلس الأعلى، الدورة 23، الدوحة، ديسمبر 2002م.
- (37) محفوظ، احمد فاروق(2003): "إدارة الجودة الشاملة والاعتماد للجامعة ومؤسسات التعليم العالي"، مجلة التربية المعاصرة، العدد(65)، السنة(20)، ديسمبر(3)، سلسلة رابطة التربية الحديثة، لجنة اجتماعيات التربية، 13 ميدان التحرير، القاهرة، صص37-80.
- (38) المخلافي، محمد عبده خالد(2004): "تقويم برنامج التربية العملية في منظور طلبة المستوى الرابع في كلية التربية جامعة إب"، مجلة الباحث الجامعي العلوم والإنسانيات، جامعة إب، العدد(7) - اليمن.
- (39) (2008): "تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم وتدريبه"، مجلة الباحث الجامعي العلوم والإنسانيات، جامعة إب، العدد(18)، سبتمبر2008، صص163-192.
- (40) المعمري، أطفاف محمد (2007): "فاعلية برنامج مقترح في التربية العملية لإكساب الطلبة المعلمين كفايات تدريس مادة الفيزياء، دراسة تجريبية في كلية التربية -جامعة إب- الجمهورية اليمنية"، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ،جامعة دمشق-سوريا.
- (41) المقدادي، احمد محمد(2003): "تقويم برنامج التربية العملية لإعداد معلم مجال الرياضيات في الجامعة الأردنية"، مجلة دراسات العلوم، المجلد30، العدد2، الأردن.
- (42) النهار، نيسير(2000): "إستراتيجية مقترحة في ضوء بعض الخبرات المتقدمة"، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، العدد 37، جامعة البلقان، الأردن، ص47.
- (43) الهاشمي، عبد الرحمن، وصومان، احمد إبراهيم (2008): "درجة توافر معايير الجودة الشاملة لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن من وجهة نظر المشرفين التربويين"، المؤتمر العلمي الثاني، "دور المعلم العربي في عصر التدفق المعرفي"، جامعة جرش الخاصة- الأردن، ص15.

- (44) وحدة التخطيط والمتابعة(2002): "دليل التدريب داخل المدرسة وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع البنك الدولي في القاهرة"، دليل التدريب بالوزارة، مصر، صص20-24.
- (45) وزارة التربية والتعليم (2003): "المعايير القومية للتعليم في مصر"، جمهورية مصر العربية، المجلد الأول ، صص74-86.

المراجع والمصادر الأجنبية:

1. Danielson, C.(1996): Enhancing Professional Practice: A framework for teaching. Association for Supervision and Curriculum Development, Alexandria, VA, Available: <http://alam.ed.asu.edu/eppa/v8nl/>.
2. Gow, George (2000) " **Understanding and Teaching Creativity**", Tech Directions, V.59, N.6, Jon.
3. Isiksal, Mine,(2005):Pre-sevice Teachers'Performance in their University Coursework and Mathematical Scf-Efficacy Beliefs: What is the Role of Gender and year in Program?, **The Mathematics Educator**, Vol. 15, No.2,p 8-16.
4. Julia, E. K., et al(2001): Investing in Teaching and Investing in Teaching Databook, U.S.A., District of Columbia. (**Eric Document Reproduction Service No: ED 452169**)
5. Lahr, V.E(Ed) (2000): New Teachers for a New Century: Recommendation from a National Invitational Conference. Journal of CEIC Review, 9(1), U.S.A., Pennsy Lvaning. (**Eric Document Reproduction Service No: ED 153336**)
6. Mayer, W.H& Richard.E (2002): " **Thinking Problem Solving**", Cognition,2nd Edition Freeman and Compang, New York.
7. National Council of Teachers of Mathematics NCTM (1989): Curriculum and Evaluation Standards, Reston, VA: Author.
8. National Council of Teachers of Mathematics NCTM (2000): Principles and Standards for School Mathematics, Reston, VA: Author.
9. NCATE.(2000): NCATE 2000 Standards. Washing to n, DC: Author. Available On NCATE .s Website, **WWW.ncate.org.pp6-53**.
10. Risher, H.(2000): Paying for Employee Competence, Journal of School Administrator, 57 (9), (**Eric Document Reproduction Service No: EJ 616268**)

11. Rita ,Moore , (2004) : "Rexamining the field experiences of preserve teachers", **journal of teacher education** ,vol 54,January / February.
12. Wenglinsky, H.(2000): How Teaching Matters: Bringing the Classroom Back into Discussion of Teacher Quality, U.S.A., New Jersey. (**Eric Document Reproduction Service No: ED 417128**)
13. The Laboratory for Students Success (ISS), The mid-Atlantic regional Educational Laboratory. (May 2002): What Is A Quality Teacher? The Education Policy and Leadership Center, Harrisburg, Pennsy Lvania, PP.1-10. Available at: <http://www.temple.edu/iss/pdf/misc/> شبكة النت- الإبداع والابتكار ضرورة حتمية
14. <http://portal.gou.edu/homePage/arabic/qulityDepartment/qulityConference/pepars/session4/mazoz.htm>



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

الجانب العاطفي لدى الشاعر السعودي محمد علي السنوسي

دراسة وصفية تحليلية مختارة

د. منال الأمين مصطفى إدريس

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

Email: maidris@kku.edu.sa

المخلص

3

يتناول البحث عنصر التركيز العاطفي لدى الشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي ، وقد ابتدأت الباحثة ذلك بملامح تعريفه عن الأدب العربي السعودي ومكانته بين الآداب وبيئاته المختلفة ، ثم الدخول إلي أدب جنوب المملكة ونبذة عن شعرائه وأغراضه ، لا سيما الوقوف عند الشاعر محمد بن علي السنوسي الذي وسمته الصحافة السعودية بشاعر الجنوب .

تلى ذلك تعريف بالشاعر ومنزلته بين شعراء المملكة ، ومن ثم التعرف على مختلف أغراض الشعر التي دار قلمه حولها . ثم بسطت الباحثة القول حول أحد أركان العمل الأدبي وركيزته التي يقوم عليها - بالتعاون - مع العناصر الأخرى التي تشد من أزر النص الأدبي ، وتبنى أركانه ، ألا وهي العاطفة . وبالوقوف عندها أوضحت الباحثة مفهومها ، مكانتها ، أدواتها، درجاتها ، صدقها ، استخدام واعتماد الشاعر عليها في شعره ؛ مبينة كل ذلك من خلال انتخاب أبيات من شعره برزت فيها عاطفته جلية ، فتحت الباب للباحثة لسبر أغوار شخصية الشاعر وبواعث ودواعي العاطفة لديه ، مما حدا بها إلي الاتكاء على النصوص المختارة التي ألهمت وشحذت قريحته للاستعانة بها في بحثها وعنايتها بها .

ثم توصلت إلي نتائج وتوصيات ذيلت بها الدراسة .

الكلمات المفتاحية:

شعراء الجنوب، السنوسي ، العاطفة ، مدرسة التجديد المحافظ ، النقد .

Emotional Deliberation of Saudi Poet Mohammed Ali Essenousi: A Descriptive and Analytical Study on Select Texts

Dr. Manal Elameen Mustafa Idrees

Assistant Professor at Arabic Department, Faculty of Science and Arts-South Dhahran,
King Khaled University, KSA

Abstract:

The research deals with the element of emotional focus by the Saudi poet Muhammad bin Ali Al-Senussi, and the researcher initiated that with introductory features about Saudi Arabian literature and its position between literature and its various environments, then entering the literature of the south of the Kingdom and an overview of its poets and its purposes, especially standing with the poet Muhammad bin Ali Al-Senussi who The Saudi press called him the poet of the south.

This was followed by an introduction to the poet and his status among the poets of the Kingdom, and then an identification of the various purposes of poetry that his pen revolved around. Then the researcher simplified the statement about one of the pillars of the literary work and its pillar on which it is based - in cooperation - with the other elements that strengthen the literary text and build on its pillars, namely emotion. By standing there, the researcher clarified its concept, position, tools, degrees, sincerity, the use and reliance of the poet on them in his poetry. Explaining all this by electing verses from his poetry in which his emotion was evident, it opened the door for the researcher to explore the depths of the poet's personality and the motives and motives of his emotion, which led her to rely on the selected texts that inflamed and sharpened his scribe to use in her research and concern for it.

Then I reached conclusions and recommendations related to the study.

Keywords:

Southern Poets, Senussi, Passion, School of Conservative Renewal, Criticism.

مقدمة :

إن الأدب فن من الفنون يقصد به الإمتاع والتأثير والتعبير عن تجربة خاصة يشعر بها الأديب شعورا معيناً فينقلها إلى الآخرين باختيار الألفاظ والصور والعواطف والأخيلة. فالأدب العربي له خصائص تميزه في كل مصر ، وأحد هذه الخصائص هو الإقليم أو البيئة ولأن لكل مجتمع خصائصه التي تميزه عن الآخر ، فمن هنا نجد الأدب الإقليمي الذي هو وليد البيئة ويعكس عصرها وخصائصها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها . ولعل من أهم مميزات الأدب السعودي العقيدة الواضحة والخلو من الخلل العقدي ، فهو لا يختلف في أشكاله ومضامينه عن الأدب العربي في أي إقليم من الأقاليم ، غير أنه يمتاز بصبغته الإسلامية المتميزة .

ومما لا شك فيه أن الأدب السعودي له شخصياته المتميزة وأقاليمه المختلفة ، وملامحه التي تميزه عن غيره فالباحث في شعر جنوبي الجزيرة العربية في القرون الهجرية الأخيرة يجد شيئاً من المعاني الشعرية الخاصة حيث توافرت فيه سمات الحياة الفكرية والأدبية في تلك القرون من خصائص سياسية ومذهبية واجتماعية وبيئية .

وتتعدد الاتجاهات الأدبية في الأدب السعودي ، ومن أبرز هذه الاتجاهات مدرسة التجديد المحافظ، التي تحافظ على عمود الشعر العربي وتتميز بالخصائص الفنية المختلفة.

ويقف شامخاً على رأس هذه المدرسة الشاعر محمد بن علي السنوسي ، وهو من مواليد جازان 1342هـ وأبوه شاعر وقاض ، فقد تعلم القراءة والكتابة والحساب وعلوم العربية من والده وتتلذذ على يد الشيخ عقيل ابن حمد، وانكب على مطالعة مكتبة أبيه الزاخرة بالعلوم والآداب، فانتسعت مداركه ، وقد ظهرت ملكته الشعرية وميوله الأدبية في وقت مبكر من حياته، حتى سما إلى مكانه مرموقة بين زملائه الرواد في المملكة ، نال الجائزة الشعرية الأولى التي عقدتها مجلة الرياض ، والتحق بالوظائف الحكومية ، وتأثر بالفحول القدامي والمحدثين من الشعراء مثل أبي تمام والبحثري والمنتبي وشوقي

وحافظ وعزيز أباطة ، فسار على منوالهم ونهج نهجهم، مع بعض بعض سمات الأصالة والتجديد التي تميز بها عنهم .

لقب السنوسي بشاعر الجنوب ، وله خمسة دواوين شعرية ، وهو من رواد الأدب في المملكة العربية السعودية ، قال عنه الأستاذ محمد سعيد العامودي : " إن للسنوسي مكانة بين شعرائها البارزين فهو صاحب القلائد " وقد ترجم شعره إلي بعض اللغات الأوربية كالإيطالية ، وأغراض شعره يمكن حصرها في الشعر الاسلامي والوجداني ، وشعر الطبيعة ، والشعر الاجتماعي، وشعر الحضارة الحديثة وهو من الأغراض الجديدة في شعره، وله شعر في الوصف والهجاء والشعر الوطني. وله ديوان شعر يفيض بجميع الأغراض الشعرية إذ وسمه ب" بالأعمال الكاملة ؛ فهو يحوي جميع أغراض شعره.

ويمتاز شعر السنوسي بكثرة الأغراض الشعرية وتعدد الاتجاهات وتشعب الموضوعات الأصيلة والجديدة والمعاصرة بالإضافة إلى الصفاء الروحي الأصيل والجزالة والفاخرة في الألفاظ والموسيقى القوية والتراكيب المحكمة الرصينة والأساليب المتماسكة والخيال والعاطفة ، " والوصول بالمعنى إلى أقصى غايته " ¹.

فالعاطفة عنده تعد " محور ارتكاز النص الأدبي " ² والعامل الرئيس الذي يعينه على تحقيق غرضه والوصول إلى مأربه ، وهي تعد أيضا " درجة اتصال الأديب نفسيا بالموضوع الذي يتحدث فيه " ³ "فالإنسان كتلة من العواطف والانفعالات " ⁴ ، فالسنوسي له قدرة على استتطاق الكلمات التي يصور بها عاطفته ، ومن تلك العواطف عاطفة الوطن التي تتجلي في هذه الأبيات :

يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز
ضعيف ولا تندى ولا تتبرع

¹ د/ عبد الفتاح عثمان: المدخل إلى النقد العربي " الأصول والمناهج " دار الهاني للطباعة /1991/ ص 44.
² د/محمد أحمد الدوغان وآخرون، التنوq الأدبي " النظرية والتطبيق " مكتبة المتنبى 2017/1438 ص 34.
³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي ، مطبعة التآليف مصر 1967، ص 129.
⁴ سميح عاطف الزين : معلاقة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، 1991م ، مجلد 1 ، ص 31.

حصدنا الضني لما زرعنا له المنى وجل حصاد المرء من حيث يزرع 1

يرمي الشاعر بتلك الأبيات إلى بناء الوطن السعودي والسمو به إلى منازل الرقي والحضارة ، وحث أبنائه على المشاركة في البناء والتقدم والحضارة .

والشاعر السنوسي له " القدرة على اقتناص الحقائق الانفعالية التي يمكن أن يسكبها في كأس الكلمة "2 ذلك قوله مصدراً ديوانه الأول القلائد ، ما ينم عن عاطفة جياشة :

هـذـه أـحـان قـلـبـي وأغاريـــــــد شـــــــبـابـي
هـي أـحـلامـي وـآمـالي وكأســـــــي
وصـبـابـاتي وأشـجـاني وحبـــــــي
إنـهـا صـورة نـفـسي قـد تـجـلـت فـي كـتابـي³

اما أسباب اختيار الموضوع: فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- الوقوف على الأدب السعودي وأدب جنوب المملكة بصفة خاصة.
- تبصير القارئ بأثر العاطفة في شعر السنوسي .
- توخي الباحثة الكتابة في جديد لم يكتب فيه؛ إيماناً منها أن الجودة والابتكار من عناصر النجاح
- إبراز خصائص الاتجاه المحافظ في الشعر السعودي .
- تسليط الضوء على شعراء جنوب المملكة .
- دواوين الشاعر يحتشد فيها الجانب العاطفي بمختلف صورته .
- استخدام الأساليب النقدية في تحليل النصوص .

¹ د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 128.

² محمد الصادق عفيفي : النقد التطبيقي والموازنات ، مؤسسة الخاتجي القاهرة ، 1389 هـ - 1978 م، ص 38 .

³ "محمد بن علي السنوسي ، الأعمال الكاملة، نادي جازان الأدبي / ط 1321/2 ص 7.

- التماس الجانب العاطفي لدى الشاعر في النصوص قيد الدراسة .
- إلقاء الضوء على الأغراض الشعرية المتعددة لدى الشاعر .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي :

- إن إبراز العاطفة عند شاعرنا من العناصر النقدية الجديرة بالاهتمام والبحث في الشعر السعودي .
- إن استخدام الشاعر العاطفة بمقاييسها ودرجاتها وخصائصها يعد من أهم عناصر التجديد عند الشاعر لتسليط الضوء عليها في هذا البحث .
- تنوع العاطفة بأشكالها وصورها المختلفة لدى الشاعر يعد أهم ما يميزه عن غيره من شعراء الاتجاه المحافظ في الشعر السعودي ، وهذا ما لفت نظرا لباحثة في هذا البحث لإبراز هذه الخصائص في شعره . .

أهداف البحث :

يهدف البحث، إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الوقوف على أدب المملكة لا سيما أدب جنوب المملكة .
- إيجاد علاقة بين العاطفة والنص الشعري .
- تسليط الضوء على الدراسات الأدبية ذات الصلة بالموضوع .
- توجيه القارئ إلى عناصر العاطفة التي اتكأ عليها الشاعر .

الدراسات السابقة :

- يحي محمد بن علي ، السنوسي شاعر الجنوب ، . مجلة فكر العدد 18. وهي دراسة ألقى الباحث فيها الضوء على شخصية السنوسي وحياته ، واهتماماته الشعرية ، ونماذج من شعره ، والمقربون إليه ، وآراء بعض الأدباء فيه .
- محمد بن علي السنوسي / منابع علمه ومنهج طريقته / مجلة الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية / العدد 20. وقد جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على

الجوانب الدينية التي رسخ لها الشاعر وما نتج عنها من إصلاح انساني متكامل من الناحية الدينية والاقتصادية والأدبية .

- تركي بن شوعي بن علي غروي، رسالة ماجستير " الشعر الوجداني عند محمد بن علي السنوسي / / الجامعة الأردنية . " وهي دراسة متأنية فصل فيها الباحث تفصيلا دقيقا أثرى به الوجهة الأدبية للشاعر .

- محمد بن سليمان القسومي، محمد بن علي السنوسي حياته وشعره / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية /1414، وهي رسالة ماجستير كشف فيها الباحث عن جوانب متعددة عن الشاعر السنوسي ومسيرته الأدبية الثرة بين الأدباء السعوديين .

- مفرح إدريس أحمد سيد، الاتجاه الاسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي / رابطة الأدب الاسلامي العالمية / مجلد 9 / عدد 33. وهي أيضا رسالة ماجستير ؛ أبرزت التجاه الوجداني في شعر السنوسي ، وتعدد مجالاته ، وتجربته الشعرية ، واكتشاف بعض الظواهر الأسلوبية من خلال النماذج الشعرية التي قام الباحث بتحليلها وشرحها

حدود البحث :

حدود هذا البحث :الجانب العاطفي في شعر السنوسي نماذج مختارة.

منهج البحث :

ستتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي النقدي .

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث اتباع الهيكل المتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: الجانب العاطفي لدى السنوسي.

المبحث الثاني: اتجاهات العاطفة في شعر السنوسي.

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج التي أسفر عنها البحث وعرض التوصيات في ضوء تلك النتائج .

المبحث الأول

الجانب العاطفي لدى السنوسي

مفهوم العاطفة :

العاطفة هي الحالة التي يحس بها الأديب وتشغل فكره وإحساسه وتدفعه دفعاً للتعبير عن ذلك الإحساس وما يجيش في خلدته على شكل انفعالات مختلفة ، وهي تشكل الحالة الوجدانية التي تعترى الأديب للتعبير عنها بالطريقة الشعرية ، والعاطفة تبدأ نحو شيء أو شخص أو معنى مجرد؛ كحب الوطن وحب العلم ، ومن العواطف ما يسمو بالنفس كحب العلم والتضحية والدفاع عن العقيدة .

ولما كان الأدب فيضاً نفسياً ، يندفع من نفس الأديب إلى نفوس الناس فإن هذا الاندفاع والتجاوب لن يتم إلا إذا كان الأديب إنسانياً في النزعة يؤمن بالناس ويؤمن بحقهم عليه في الاستمتاع ؛ومعنى ذلك أن المشاركة الوجدانية أو التأثيرات العاطفية لن تتحقق إلا إذا لمس الناس أحاسيسهم ومشاعرهم وآلامهم وآمالهم في كلام الأديب كما لو كان يترجم مشاعرهم ويصور أحاسيسهم ويتكلم عن ذات أنفسهم¹

ويتعاون في تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته ومقدرته في الربط بين الأشياء المتناثرة في الواقع لإثارة العواطف والملكات التخيلية وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيهات وغيرها من وسائل التعبير المجازي والتصوير البلاغي²

فالعاطفة عنصر مهم من عناصر الأدب ، وقد عرف العرب بواعثها ودواعيها والمثيرات التي تستدعيها لأداء دورها في صنع الأدب المؤثر ،وهي التي تضيف صفة الدوام والبقاء ، وللصلة بينها وبينه مظاهر تتجلي في الأديب، وفي القارئ ،أو السامع ،وفي منابع الإنتاج الأدبي من البيئة والقطرة ، فهي للأديب مبعث لخواطره وشاحذ لإنتاجه ، فهي للقارئ أوتار حساسة يجد في رنينها ونغماتها المعاني الحافظة ،وهي للإنتاج الأدبي كالشذي يعطر أرجاءه أو كالماء العذب تنبعث عنه الحياة³

¹ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967 ، 1968 ، ط1 ، ص 131، 130.

² د. علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبيل بن الخزاعي، دار المعارف مصر ، ط 1881م ، ط 242.

³ د. عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، ص 106.

ويري النقاد أن للناس ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر؛ فتشذ القرائح، وتنبه الخواطر، وتلين عريكة الكلام، وتسهل طرق المعنى؛ كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عاداته¹ ثم قالوا: " قواعد الشعر أربعة الرغبة والرغبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرغبة يكون الاستعطاف والاعتذار، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب² ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب والتوجع"³ لذلك أثر عن النقاد قولهم: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، و النابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب⁴

وليس يذهب السنوسي بعيدا عن هذه المعاني؛ إذ نراه يشرح قصة حبه للكتاب التي بدأت وهو حديث عهد بالحياة وفي مقتبل عمره صغيرا فهو يحكي مراحل علاقته بالكتاب حيث يقول:

أحبهته طفلا وهمت به فتى وعشقتة كهلا وزدت تعلقا

أشواقه شوق الخمائل للندى وأذوب فيه صباة وتشوقا⁵

ويعد الكتاب أحد بواعث السرور لدى الشاعر إذا أخذت دجى الليل المسهد منه مأخذا ' فإذا أرق مضجعه السهر استعذب الجلوس إليه واستأنس به ليلا كقوله:

ألقاه مكتنبا فيسلو خاطري طريا ويشرح للفؤاد تطلقا

استعذب السهر الطويل بقربه ويطيب لي أن أستريح وأرقا⁶

ومجالسة الكتاب هي مما نحا الشعراء طريقها ودعوا إليها، وهذا ما وجدناه في قول المتنبي:

أعز مكان في الدنيا سرج سباح وخير جليس في الزمان كتاب⁷

¹ د. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ص 104.

² عبد الرحمن شعيب: في النقد الأدبي الحديث، مطبعة التأليف، مصر 1967، 1968، ط1، ص 135.

³ د. محمد زغلول سلام تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ص36. هذه الاصول الأربعة تتبع لتصوير العرب لطبيعة البشر وهي أربع طبائع الدم والصفراء والسوداء والبلغم، ولكل عنصر من هذه العناصر أثر في تصرفات الانسان، ولقد قسم أرسطو الشعر الي أربعة أنواع: الشعر الغنائي والتراجيديا والملحة والكوميديا، وقابل المترجمون بين التراجيديا وقصيدة المديح وبين الكوميديا وقصيدة الهجاء وهكذا.

⁴ محمد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموزانات، ص 112.

⁵ الأعمال الشعرية الكاملة: السنوسي محمد علي، نادي جازان الادبي، 1403 هـ، 1983م، ط 1 ص 400.

⁶ الأعمال الشعرية الكاملة: السنوسي محمد علي، نادي جازان الادبي، 1403 هـ، 1983م، ط 1 ص 401.

⁷ ديوان المتنبي: أحمد بن الحسين، شرح عبد الرحمن البرقوقى، دارالكتاب العربي بيروت، ص 40.

ولاييفك " السنوسي " يعمد إلى الكتاب كل حين - لاسيما إذا وجد من غدر الحياة ما ينغص عيشه ويكدر صفوه. - فوق أنه نيراس العلم ومصدر المعارف ، يقول والجانب العاطفي في النص يضع برحل النص في ذروة التعبير الرائق وقمته :

سلوأي إن عبس الزمان وضامني
وهوأي إن هجر الصديق وضيقا
أمضيت بين يديه عمري كله
مستسأما في حبه
أمتص من فمه العلوم وأحتسي
من راحتيه زلاتها متدفقا
وأنادم الأعلام من "عظمائه"
والنابغين " محدثا

وبالعاطفة الملهمة يشرح " السنوسي " ما يحويه الكتاب من حقائق الأمم باختلاف أنماطها وصورها :
في كل سطر منه نور حقيقة¹
ومنار جامعة تشق تألقا²

والعاطفة التي تلح عليه عندما يجالس الكتاب هي ذاتها التي يودعها أحاسيسه إذا تكلم عن القلم ؛ إذ بيئه همومه وآلامه وأحزانه ، وفيه يجد سلواه في تخفيف تكاليف الحياة ، ولا ينسى أن القلم رمز مهم للتجارب التي ينوء الشاعر بحملها ، فيخاطبه بالقول :

هلم إلي يا قلومي
هلم فقد طغى ألمي
فأنت إذا أشرت يدي
وأنت نجى أهاتي
وأنت إذا بكيت أسى
دموعي فضن في كلمي
وأنت إذا صبوت هوى
تغنى بهوى نغمي

1 (الأعمال الكاملة. ص 402)

2 " الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد على ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983 م ، ط 1 ص 361/361.

وأنت ملاذ أمالي إذا ضاقت بها هممي¹

فالجانب العاطفي لدى الشاعر أبرز القلم في صورة حية تفيض القطعة الشعرية فيها بالتشخيص والحياة النابضة ، فلم يخاطب الشاعر القلم بأنه أداة للكتابة فقط ، بل شخصه في صورة إنسان حي بكل أعضائه وإحساساته . حتى وأنت تقرأها - يكاد ينصرف تفكيرك - إلى أن القلم شخص مائل للعيان فتسيطر العاطفة على أجزاء النص كاملا كأنه ليس فيه عنصر سوى العاطفة التي عبر عنها الشاعر حينما جعل القلم مثل الروح لم يقعد مقعدا إلا حل القلم فيه مقعدا .

ويسير على ذات الطريق طريق التغمي بالعلم ، وربما جعل عاطفته تصور معاناته الأولى في سبيل الدرس و التحصيل، فالحرف معشوقه الأول ورأس ماله :

"عاشق مدنف ومحبوبي الحر ف وكم للحروف من أحبابي

رأس مالي وقد بدأت من الصف ر طموحي وهمتي وكتابي²

وتتنوع العاطفة ولها حالات " فهي قوية مدوية أحيانا"³ من ذلك قول السنوسي :

يا فتح⁴ يا أغرودة هزت معانيها الحلوما

كوني على صهيون بركانا وعاصفة سموما

وتألقي كالبرق وانطلقى بواديهم رجوما

ففي الأبيات "تبدو الاستجابة عاطفية تتمثل في استخدام أساليب النداء بكثرة مع حشد مفردات تضح بالحماس في إيقاعها القوي تدور حول معاني الثأر والانتقام "⁵ و" وهي " تدور حول محاور من ألفاظ ومعان "⁶ تنبئ عن قوة العاطفة " كالبركان والعاصفة والسموم والبرق والرجوم " .وكذلك ألفاظ "

1 الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد علي ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983م ، ط 1 ص ص361/362.

2 " الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد علي ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983م ، ط 1 ص 669.

3 د. عبد العزيز عتيق : في النقد الأدب ص 112.

4 فتح مدينة فلسطين .

5 د. محمد صالح الشنطى : في الادب العربي السعودي ، دار الاندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط2 ، 1418 هـ ، 1997م ، ص 154.

6 د. عبد القادر القط : دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001م ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص 454.

هزت ، وتألقي وانطلقى " جميعها أساليب تتم عن تأجج العاطفة لدى الشاعر .وقد كانت معانيه " تروق وتروع العقول والقلوب جميعا.¹

فالشاعر يستعين بالاستعارة فتقوي عنده حرارة العاطفة ليبرز من خلالها استخدامه الكلمات التي تحقق ما يرمى إليه، وقد عمد السنوسي إلى "التركيز العاطفي" بما يؤثر على المخاطب " فقد يكون هذا التأثير إمتاعا أو إقناعا أو شد انتباه أو إثارة خيال ؛ فيتوجه إلى كشف القيمة التأثيرية من ناحية جمالية نفسية عاطفية " ² وكأما " كانت المعاني والأساليب موقوفة بشخصها بين يديه ليختار منها ما تهش له الأسماع وتصغي له الأفتدة"³

ويتجلى الجانب العاطفي في تصويره شيخا طاعنا في السن - في نبرة حزينة - وملامح البؤس تبدو على قسامات وجهه:

وانهار من آلامه جسده

خارت قواه وخــــــــــــــــانه جلده

عمرا تكاد خطاه تفتقه

شيخ يجــــــــــــــــر وراءه منكبته

صورا يخط رسوما نكده

في مقتلتيه وفي مــــــــــــــــلامحه

في شبيهه متدفق زبده 4

البؤس مائجة غــــــــــــــــواربه

"ونجد العاطفة هادئة رزينة"⁵ عندما يستعين بها السنوسي فيعبر عن أصالة الشاعر في قصيدته " الكلمات والشاعر؛ إذ يقول :

للشعر والشعراء عليا

في عالم الكلمات دنيا

وللأرواح لــــــــــــــــقيا

وفي ظلها للفكر منطلق

1 د/ شوقي ضيف/ تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني دار المعارف /طبعة13/ص 219.
2 د/ أمال يوسف سيد يوسف /علم الأسلوب ، مكتبة المتنبى /الدمام /المملكة العربية السعودية/ص 17/15)
3 د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي " دار المعارف /القاهرة /طبعة 2016/39/ ص 115.
4 الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد على ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983م ، ط 1 ص 392.
5 د. عبد العزيز عتيق : في النقد الأدب ص 112.

ويلاحظ في تلك الأبيات "تهذيب النفس الانسانية والسمو بنزعاتها الفطرية إلى أشرف القيم، وأنبل المثل ، وأسمى المبادئ"¹ من أهم المبادئ التي يدعو إليها السنوسي من خلال توظيف العاطفة في أبياته السابقة .

ثم إن العاطفة " عاتية أحياناً"² نجد ذلك عندما يتفجر السنوسي ثائرا على الشعر الحر ، وعلى شعراء التفعيلة ، والخارجين على الشعر العمودي ، وذلك في ثورة عنيفة ولهيب مشتل ، شاعرا وناقدا ومؤرخا وثائرا " ومن ذلك قوله ³:

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري
ولا أغاري دكم شدوي وأطياري
من أين جئتم بهذا الطير ويحكمو
لا الريش ريشي ولا المنقار منقاري
إنني أرى في جناحيه وسحنه
سمات " اليوت " لا سيماء بشار
وصرت أسمع أفاظا مقلقلة
طرق المسامير في دكان نجار
ورب ذي قلم أعطى لأمته
ما ليس يعطيه فيها نهرة الجاري⁴

" فالشاعر هنا "لا يحلل خواطره ولا عواطفه إزاء ما يتحدث فيه " ⁵ و يذهب بجانبه العاطفي بعيدا منتصرا لنغمته على اللون الجديد المتمرد على عروض الخليل .

وفي منحى آخر يوظف الشاعر عاطفته القوية في رسم لوحة اجتماعية من واقع المجتمع السعودي حينذاك ، فخلق من صفة الفقر إنسانا حيا هزيبا ضعيفا:

والفقر هائجة عواصفه
ففي وجهه متربدا لبدده
أبصرته يمشي وقد شخصت
عيناه واعتمدت عصاه يده
تهوي به رجلاه حيث هوت
والدرب يلفظ به ويذرده

1 زكي نجيب محمود : مع الشعراء ، دار الشروق ، طبعة 4 "د ت" ص 51.

2 د. عبد العزيز عتيق : في النقد الأدب ص 112.

3 د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 136.

4 د. علي صبح : ص 136 يشير الشاعر ب" اليوت إلى سمات الغرب .

5 بل د/ شوقي ضيف / تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي " / دار المعارف / القاهرة / طبعة 220/2016/39

في كل زاوية له أمل يقتاده من محسن يجده¹
 إن " من الصعب وضع مقياس واحد تقدر به العواطف المختلفة ، وتعتمد قوة العاطفة على طبيعة الأديب ورهافة حسه و تجاربه² وليست العاطفة إلا شريكة - في الأغلب - للخيال في تشكيل الصورة لدى الشعراء .

أما تلك العواطف الأليمة التي تثير آلام الناس وتشعرهم بما ينغص حياتهم ، ويكدر عليهم صفوهم ، مثل الحسد والسخط واليأس والظلم ونحوها ؛ فإنها لا تصلح أن تكون مجالاً للأدباء ولا موضع اهتمامهم، ومن هذا اللون الساخط الكئيب المنفر من الحياة ، قول المتنبي :

وما الدهر إلا أن تؤمل عنده حياة وأن يشـتاق فيه إلى النسل

3

وللعاطفة الأدبية من وجهة نظر النقاد خمسة مقاييس وهي ، صدق العاطفة وقوتها وتنوعها وثباتها وسموها ، فصدق العاطفة يقصد به : أن تنبعث عن سبب صحيح ونفس عانت تجربة من التجارب تأثرت بوقعه عليها⁴، فالسنوسي في قصيدته " عودة الماضي " يعبر في ثوب يشف عن عاطفة صادقة تجلت في قوله:

ماضي برغمي قد مضى وانطوى بلحن أيامي وأنغامها
 لاح لعيني وفي ناظري ظلال أيام براهها الضنى
 هيجت قلبا لج في كبره جفى الهوى والنفس تشـتاقه
 إذا هفا يوما إلى زهره أبـت معانيه وأخلاقه⁵

وهو أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القلب الموسيقي القديم ويعد هذا الخروج المحافظ جديدا في شعره كله.

¹ الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد على ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983 م ، ط 1 ص 393.

² د. عبد العزيز عتيق : في النقد الأدب ص 112.

³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967 ، 1968 ، ط 1 ، ص 133.

⁴ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967 ، 1968 ، ط 1 ، ص 137.

⁵ د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 95.

ومما يمثل صدق العاطفة قول أمية بن أبي الصلت حينما تنكر له ولده ولم يعطه حق الأبوة :
 إذا ليلة بالشكو نابتك لم أبت لشكواك إلا ساهرا أتلمل
 كأنني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل¹
 والمقصود بقوة العاطفة " قدرة النص على إيقاظ نفس قارئه أو سامعه وقارئه على إثارته وتحريكه على ما يشاء النص ، فإذا كان النص ثائرا أحالك إلى قوة عاتية وأنساك هدوؤك ورزانتك " ، ومن ذلك قول السنوسي مفتخرا :

على التاريخ أن يصغى إلينا ويملا سمعه مما لدينا
 فنحن حماته سلما وحربا ونحن بناتيه دنيا ودينا
 ونحن هداته قولا وفعلا ونحن كماته شدا ولينا
 طريق واضح لا أمت فيه ولا عوجا هداة مهتدينا²

وقد اقتبس الشاعر من القرآن الكريم في البيت الأخير إذ إن قوله " واضح لا أمت فيه " مأخوذ من الآية الكريمة في سورة طه : " لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا " آية 107 " مما زاد قوة العاطفة لديه .

أما ثبات العاطفة فهي قدرتها أن تظل حيه مثيرة للنفوس، محرّكة للخواطر، ملهمة للأحاسيس ، موقظة للمشاعر أطول ما يمكن " ³ "أي خلود النص محرّكا للعواطف مثيرا للانفعالات "⁴

من ذلك قوله في قصيدة ام القرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

ينصاح من فلک الرسالة فجره ويشع من فلق النبوة نيرا

¹ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 139 ديوان أمية بن ابي الصلت.

² د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 85.

³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 151.

⁴ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 153.

في هلاله يحنى الرؤس جلاله
عظة و يجتذب النفوس تذكرا
لمعت على الوادي المقدس شعلة
تركت دجى الدنيا نهارا مسفرا
مست شرارتها الحياة فأشعلت
مثلاً أشع سنا وأكرم جوهرها¹

فمدحه للنبي صلى الله عليه وسلم في الأبيات السابقة؛ تبدو فيها عاطفته ثابتة تسير في هدوء مرتب ،
ونلاحظ أيضا " الاقتباس من القرآن يتكرر ؛ فقوله " الوادي المقدس شعلة " يشبه نص الآية الكريمة في
سورة طه " فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى " ²

وتنوع العاطفة يعني " قدرة الأديب على أن يحرك فينا كثيرا من العواطف بدرجة واضحة قوية ، وأعظم
الأدباء من يستطيع أن يملأ نفسك بالحب والحماسة والإعجاب والإجلال والشفقة والحزن والسرور وغير
ذلك " ³ نجد ذلك " قصيدة قوس حاجب " التي جاءت عاطفته فيها دفقا من الحماس والغضب:

القوة اللغة الفصحاء وعصركم
أصم لا يسمع الأشعار والخطب
هزوا الجزيرة من أركانها حردا
واشعلوا الشرق من أقطاره غضب⁴

نجدها تختلف عن قوله في قصيدة أخی المسلم التي مطلعها :

أخی المسلم الداعى إلى الرشيد والهدى
حري بداعى الرشيد أن يك أرشدا⁵
فقد تنوعت عاطفة الشاعر ففي قوله " أخی المسلم إلى آخر البيت " يدعو أخاه المسلم الذي يقوم على
الدعوة أن يتحلى بالرشيد قبل أن يدعو به غيره ، وهو يتمثل في ذلك قول أبي الأسود الدؤلي :

¹ د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 82.

² سورة طه : آية 12.

³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التاليف ، مصر 1967، 1968 ، ط 1، ص 160.

⁴ د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 82.

⁵ د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 87.

هـ — لا لنفسك كان ذا التعليم

يا أيها الرجل المعلم غيره

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم¹

إبدأ بنفسك فانهها عن غيرها

والمقصودة بدرجتها " نوعها من حيث قيمتها ، هل هي عاطفة سامية ذات قيمة ووزن أم هي عاطفة عادية لا تحرك في الانسان رغبة عارمة في شيء ذي شأن " و "الأدب مناجاة للعقل من خلال القلب"³ ومن الأبيات التي " تراءت في تصوير العاطفة بالخيال تصويراً جميلاً تبدو فيه شخصية الشاعر " ⁴ إذ :يصنع واقعاً جديداً بصورة جديدة تفوق الواقع جمالاً وتأثيراً فهو يستعين بالصور ؛ " لتحطيم الصور والمعاني القديمة المستهلكة والاستعاضة عنها بأخرى جديدة تصبح التجربة بمقتضاها أكثر حيوية وحدة ومضاء"⁵ كقوله :

وران على الأفق صمت رهيب

تحدرت الشمس نحو الغروب

ولاح على الأرض لون كئيب⁶

ولاحت على وجهها صفرة

فالأبيات أشبه بقصائد الأندلسيين والعباسيين التي تتخذ من الطبيعة موضوعاً " الشنطي 155" من مثل قول ابن سهل الأندلسي يصف أحد الأنهار :

فتراه يرقل في قميص أصفر⁷

والشمس قد ألفت عليه رداءها

¹ ديوان ابو الأسود: ابوسعيد ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ط2 ، 1418هـ ، 1998م،ص78.
² عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 164
³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 111.
⁴ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 111.
⁵ الطاهر احمد مكى الشعر العربي ، مكتبة الآداب القاهرة ، 2002، ط5 ، ص90.
⁶ د. محمد صالح الشنطي ، الأدب العربي الحديث ، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياها ونماذج منه ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، ص156.
⁷ ديوان ابن سهل الأندلسي: قدم له احسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1400هـ ، 1980م ، 119/رقل يرقل : جر ثوبه وتبخر وتبخر

فقد نظر السنوسي للشمس لأنه " قد ينظر بعض الشعراء إلى الشمس في هذا المشهد فيجعلها حسناء مفارقة وما دامت كذلك فهي معشوقة أو عاشقة ، وما دامت كذلك فهناك قصة غرام تدور حول هذا المعنى حيث ينتهي بها المطاف وكل هذا لأن الشمس مؤنثة في اللغة العربية وحسناً في تشبيهات الشعراء " عباس محمود العقاد ، ابن الرومي حياته من شعره ، 236" فعاطفة السنوسي في قوله " لاحت على وجهها صفرة فيه من الشعور العميق بوحشة الغروب وما ينعكس عليها من ترنيق واصفرار يعترى وجهها كاصفرار المريض ما يفوق لوازم التعبير"¹

ولاشك أن قول السنوسي مثل قول الشاعر الأندلسي " محمد بن إدريس " في ذات المعنى " والورق تشدو والأراكة تنثني والشمس ترفل في قميص أصفر ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر .²

وقد عبرت الأبيات جميعها عن درجة العاطفة تعبيراً صادقاً ، والسنوسي لا ينفك يقتبس من القرآن ، فالإقتباس يلح عليه حيناً بعد حين فقولهُ " ران " مقتبس من قول الله تعالى في سورة القيامة " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " ، وقد يلجأ الشاعر إلى أسلوب اللغة المجازية ، كالإستعارة من حيث استبدال صورة أو معنى أو موقف محل آخر³ والصورة الإيحائية أقوى وأبعد أثراً من تلك التقريرية المباشرة ؛ فهي تربط بين المحسوسات والعواطف الإنسانية ؛ إذ أن الشاعر فيها يجنح للخيال فيتبع حركات الموصوف " شأنه في ذلك شأن الرسام الماهر الذي ينقل بالألوان على الورقة البيضاء جمال الطبيعة بمنظرها التي تشد إليها أصحاب النفوس الحساسة

¹ انظر المقرئ . نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ج5/ ص 51 " شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات . 305.
² المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شرحه وعلق عليه ، يوسف قاسم طويل مريم طويل ، ط 4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1415هـ ، 1995م ، ص 51 .
³ مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة والنقد بين التأريخ والفن ، دار النجاح للطباعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م ، ص 117.

¹ "ويترجم السنوسي ذلك في صور شعرية بعنوان " حديث فدائي " فيتحول هذا" الشعر الحديث" إلى "شعر اسلامي" إذ يقول :

أنت تقول إن يدي قصيرة
وإن مدافعي خطب طوال
وإنى لن أعود إلى بلادي
كذبت فإبى وأنا الفدائي
جعلتك يا ابن إسرائيل رعبا
تعيش من المخاوف في جزيرة²

وإن عشيرتي بنس العشيرة
وأسلحتي تصاريح مثيرة
ولن ألقى مغايبها النضيرة
سليل أبى عبيدة والمغيرة

فظاهرة أدب المقاومة الفلسطيني ظاهرة فريدة عرفها الأدب العربي، وهذه الظاهرة موصولة الأسباب بالحقبة التي سبقت احتلال فلسطين وإزالة هويتها العربية وإقامة المشروع الاستيطاني الصهيوني عليها. ³ "وقد" رد المحدثون من علماء النفس البواعث الفنية إلى نزعة التعبير عما في النفس ، فالإنسان مفطور بطبعه إلى التعبير عن أفكاره والتخفف من كبتها بين جوانحه "4 مثلما جاهر السنوسي بالنص السابق منتصرا للفدائي الفلسطيني. " وهي صورة تتماها العين والأذن والفكر والوجدان " ⁵

المبحث الثاني

اتجاهات العاطفة في شعر السنوسي

"ليس شعر الوجدان فقط هو الذي يصل من القلب للقلب " ماذا نقول في الشعر الإسلامي الذي نبع من تجربة صادقة من عاطفة ملتبهة مثل بردة البوصيري ونهج البردة لشوقي ؟ هل مثل هذا الشعر لم يخلق

¹ ساسين سيمون عساف : الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبو نواس ، دار المؤسسة الجامعية للدراسات ببيروت ، 1982، ط1 ، ص 23،24.

² د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 91.

³ د . إبراهيم خليل مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة الطبعة 3 ، 2010، 1430، ص237.

⁴ د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روايته ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبي ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 20.

⁵ بن عيسى باطاهر ، أساليب الاقتناع في القرآن الكريم : دار الضياء للنشر والتوزيع ، طبعة أولى ، 1427، 2006، ص 77 .

من القلب إلي القلب مع أنه لم يكن شعر وجدانياً ؟ لا الحق أن البردة ونهجها لازالت تهتز لها أعماق القلوب¹ وكذلك الأمر في شعر السنوسي .
من مثل قوله في قصيدة الرسالة والرسول :

نور تألق من نور فرق به قلب
وفاض عبر شعوب الأرض مندفعاً
الحياة ونض الصخر بالبرد
يحيي القلوب ويشفي ثغر كل صدى
تمازجا كامتزاج الروح بالجسد²
جرى فأخصب الدنيا ندى وهدى

وتبرز النزعة الدينية بوضوح وبشكل لافت ويتفجر الوجدان بشعر المشاعر الدينية الفيضة ويبدو الشاعر وقد تقدم به العمر يركن إلى واحة الطمأنينة النفسية التي يوفرها هذا الفيض الإلهي مما يشير إلى مرحلة جديدة وتوجه جديد وإلى محطة فنية ذات خصائص لها ما يبرزها في حياة الشاعر وطبيعة المرحلة الزمنية³

ففي قصيدة بمناسبة جلاء الإنجليز عن جزء من أجزاء الأمة العربية وهي مصر 1954م ،وقد فازت هذه القصيدة بالجائزة الأولى بجريدة الرياض :

هتفت والشعور روح وراح
قف على قمة الزمان التاريخ
ويك غرد فقد أضاء الصباح
واهتف يهـزك الارتياح
وثبت مصر وثبة في سماء
هزت الغرب في محافلها الكبرى
وقد صـفقت من الشرق راح⁴

¹ د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 122 .

² د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 83 .

³ انظر : د. محمد صالح الشنطي : في الادب العربي السعودي ، دار الاندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط2 ، 1418 هـ ، 1997م ، ص 148 .

⁴ د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 88 .

"وهي تعتبر ثمرة من ثمرات التحول في المرحلة التاريخية التي كانت تشهد نزوعا إلى تحقيق الذات الوطنية ؛ لذا فقد شاع فيها صدى الاندفاع الحماسية التي عمت أرجاء الوطن العربي آن ذاك ، واحتشدت بالنزوع الاستقصائي الذي يتكىء على سياق سردي تتداعى فيه الأحداث ، إذا تتلاحق الافعال الماضية في توالد مطرد يتداعى مع وقدة الحماس المشبوب ويكنظ بمفردات عالية الرنين وافرة الظلال الوجدانية" 1 .

وقوله : في قصيدة "ثاني اثنين " التي يصور فيها عظمة أبي بكر الصديق رضى الله عنه:

يا ثاني اثنين في دار هـى الغار إن اختيـارك للمختار مختار
ويا رفيق الهدى والليل معتكر والأرض ترجف والأهوال إعصار 2

وله قصيدة طويلة تصور وحدة الأمة الاسلامية العربية امام أعدائها في كل عصر حيث يقول فيها :

أخى في ضفاف النيل ليتك أمة تري كل شبر من مواطنها مصرا

ونحن على الأحداث أبناء وحدة تبض دما حرا عربيتها الحمرا 3

" فالنfan يكتشف موضوعه حين يحرك روحه حدث خارجى أو انفعال داخلي يقع على شخصه أو يمس

الذين حوله ، ويحس بالرغبة في اعطاء هذا الشعور شكلا خارجيا "4

ويناجى السنوسي الشاعر الإنسان مهما اختلفت أجناسه في جميع أنحاء العالم ؛ ليعشق السلام وينشر رايته ويعيش في ظله ويمتلئ قلبه بالحب لأخيه الإنسان في أسلوب أقرب للخطابة " والخطابة كالشعر لحمتها الخيال وسداها البلاغة " 5 يقول في ذلك :

أيها الإنسان في كل مكان ياأخى قلبا ولبا وكيان

1 د. محمد صالح الشنطى : في الادب العربي السعودي ، دار الاندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط2 ، 1418 هـ ، 1997م ، ص 150 .

2 د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 84 .

3 د. على على مصطفى صبح : مصدر سابق ص 89 .

4 د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبي ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 18 .

5 د. محمد رفعت أحمد أحمد زنجير : مباحث في البلاغة واعجاز القرآن الكريم ، جميع الحقوق محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط 1 ، 1428 هـ ، 2007 م ، ص 37 .

حبك الأوطان لا يعميك عن حبك الإنسان في كل لسان
اجعل الحب شعاعاً ثابتاً وانتزع عنك طباع الحيوان
شابت الأرض وما زلت فتى أرعنا تفرض رأياً بالسنان¹

و للسنوسي كما للشعراء وسيلة "الإخراج معانيهم وأفكارهم في صور ملموسة ومحسوسة تجسم انفعالاتهم من خلال الوجدان"²

وقصيدة يوم الكرامة التي تحوي الذاتية الوطنية للشاعر وهي " من أكثر القصائد تمثيلاً لبروز العنصر الذاتي من خلال العاطفة الوطنية" ، فهو يقول عن رفض الضيم :

تغيرت المشاعر والسجايا وبيات الشعر "مثالموم المسنن
وكان إذا شدى رفعت جباه ومحمم ضامراً لصدى مرن
وثار من النقيع دجى يغطى جبين الشمس عثيرة الدجني
وهبت نخوة وسما إباء يعافى الضيم عزا والتدنى

وهي تستمد "قوة تأثيرها في النفس من إيقاعها ومرادفاتها التي تتألف من تراكيب تنتهي بقافية نونية تنشر في وجدان المتلقى نغماً حزيناً أشبه بالأنين"³ "والاحساس أيضا موهبة مهمة للغاية ، و بقدر وصفائه في استقبال التأثيرات الخارجية والقدرة على الإنفعال به"⁴ وفي الأبيات عمد الشاعر إلى " تشخيص المعاني والتوافر على الاستعارات"⁵

ومن العواطف السامية ما سلكه السنوسي في اتجاه المدح " بالصفات الإسلامية كقوة العقيدة وإحياء الدين والخشية من الله ، ومن ذلك قوله في مدح الملك عبد العزيز :

¹ د. علي علي مصطفى صبح : مصدر سابق ص 86.
² د. سعد أحمد الحاوي : الشعر الحر " قضايا ومقوماته اللغوية والفنية ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1430 ، 2010 ، ص 97.
³ د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي ، دار الاندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط2 ، 1418 هـ ، 1997م ، ص 153، 152.
⁴ د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روايته ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبى ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 17 .
⁵ د. أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، طبعة 1998/9 ، ص 292.

إمام الهدي عبد العزيز بن فيصل تبوأ من أفق المجرة مقعدا
حمى حوزة الإسلام حتى تحجرت رباه وأحيا الدين نشرا وجددا
وما زال في قمع الضلال وبطشه لباغ بتوفيق الإله مؤيدا¹

إن الوصف يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها² والأبيات مثل سابقتها استلهم فيها الشاعر من عاطفته المخبوءة انتماء واعتداداً كل المعاني التي تطوف على مخيلته كلما عمد إلى يراعه يصوغ لحنا عبقرياً يهديه الأدب السعودي صفاء ونقاء وشعرا خالداً ، حيث إن " الوصف يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها"³.

الخاتمة :

الحمد لله بدءاً وختماً - أن وفق وأعان - فقد وصل البحث نهايته وخلص إلى الآتي :

- طغت العاطفة الإسلامية على جميع الأغراض الشعرية لدى الشاعر .
- الاقتباس من القرآن الكريم بدا جلياً في معظم القصائد ؛ مما ينم عن عاطفة الشاعر الدينية .
- استخدام الشاعر أساليب " الأمر والنداء وغيرها في بعض النصوص وهذا يعلي من قيمة العاطفة لديه .
- المشاركة الوجدانية وإحساس الشاعر وانشغاله بقضايا الأمة العربية كانت إحدى مقومات العاطفة لديه فقد عبر عنها في غير موضع .
- استوفت نماذج الشعر المختارة جميع مقاييس العاطفة النقدية من حيث قوتها . وصدقها ، وثباتها ، ودرجتها . وسموها ؛ مما يعكس مكانة الشاعر بين الأدباء العرب .
- من أجل النصوص وأرقاها عاطفة لدى الشاعر " مناجاته " الإنسان " بمختلف أنواع جنسه ، ولغته . وعاداته ومشاربه ؛ ليكون قلباً واحداً .

¹ د. امال يوسف السيد يوسف في الادب العربي السعودي ، دراسات ادبية وقراءات نقدية ، مكتبة المتنبى ، ط 1 ، 1433 ، 2012 م ، ص 33 .

² د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 ، ص 86 .

³ د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 ، ص 86 .

- لا يمكن للبحث - مهما تعددت مصادره - أن يستوفي جميع ما كتب الشاعر عن العاطفة - فهي لا شك - خصبة وارفة الظلال - فقد تقيأ البحث - جزءاً من ظلالها ليدلو غيره من الأبحاث بدلوه ؛ ليكمل الطريق أمام القراء والباحثين .

التوصيات:

- استناداً إلى ما درسَ في البحث، وعلى ضوء نتائجه، توصي الباحثة بالآتي:
- يعد البحث طريقاً ممهّداً لدراسات أكثر إيفاء للعاطفة لدى الشاعر لا سيما العاطفة الإسلامية.
- أعمال السنوسي الشعرية دوحة غناء تستحق الغوص في أعماقها وإخراج الدرر من بين دفتيها.
- الأدب السعودي بشقيه " الشعر والنثر " لا زال يصبو " للدراسة والبحث .
- التوجيه بدراسة شعر السنوسي ، فالشاعر لم يستوف بحثاً بعد ؛ إذ يعد دوحة غناء تمتد ظلالها لاستيعاب الباحثين على مدى حقب الأدب السعودي
- حث الباحثين على النظر بعين الاعتبار والارتقاء بأدبهم جيلاً بعد جيل .
- عقد موازنات بين عنصر العاطفة عند الشاعر ونظيراتها عند الشعراء العرب .
- أفراد دراسات أدبية مختصة بشعراء العاطفة الوطنية والإسلامية في الأدب السعودي وتقديمها ضمن مناهج التعليم في جامعات المملكة .

مصادر البحث ومراجعته:

- 1- أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 10 ، 1999م .
- 2- أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ط 1 .
- 3- الأعمال الشعرية الكاملة : السنوسي محمد على ، نادي جازان الادبي ، 1403 هـ ، 1983م ، ط 1 .
- 4- بكري شيخ أمين ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، 1985

- 5- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي ، طبعة 3 ، 1992
- 6- حازم القرطاجني ، مناهج البلغاء وسلراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، بدون تأريخ طبعة .
- 7- حسن جاد حسن ، على هامش النقد الأدبي الحديث ، ط 1978م .
- 8- د. الطاهر أحمد مكي ، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، مكتبة المتنبّي ، الدمام ، ط 9 ، 1432هـ، 2011م.
- 9- د. أمال يوسف سيد يوسف ، علم الأسلوب ، مكتبة المتنبّي ، 2013م.
- 10- د. بن عيسى باطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1427هـ، 2006م .
- 11- د. عبد الله أبو داهش، فصول في أدب الجزيرة العربية ، فواصل مقترحة وفصول مختارة ، مطبعة الحميضي بالرياض ، الطبعة الأولى 2014/1435
- 12- د. عبد الله الصالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 11 ، 1435هـ. 2014م، ج 2 .
- 13- د. على على مصطفى صبح ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، تهامة ، ط 1 ، 1404هـ، 1984م .
- 14- د. محمد أحمد الدوغان وآخرون ، مكتبة المتنبّي، الدمام ، 1438هـ، 2017م .
- 15- د. محمد صالح الشنطي ، الأدب العربي الحديث ، مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياها ونماذج منه ، دار الأندلس للنشر والتوزيع.
- 16- د. محمد صالح الشنطي ، في الأدب العربي السعودي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، 1418هـ، 1997م، ط 2.
- 17- ديوان ابن سهل الأندلسي: قدم له احسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1400هـ ، 1980م .

- 18- ديوان ابو الأسود: ابوسعيد ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ط2 ، 1418هـ ، 1998م
- 19- ديوان المتنبي: أحمد بن الحسين ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دارالكتاب العربي بيروت .
- 20- راوية عبد الهادي الجدلي ،المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية ، النادي الأدبي بالرياض ، 1430 هـ ، ط 1 ، 2010م.
- 21- رجاء عيد ، لغة الشعر " قراءة في الشعر العربي الحديث " منشأة دار المعارف الاسكندرية ، 1985م.
- 22- سالم عبد الرازق سليمان المصري ، شعر التصوف في الأندلس ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 2007م.
- 23- سميح عاطف الزين ، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، 1991م ، ج 1 .
- 24- صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1992م .
- 25- عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية، 1972م .
- 26- عبد الفتاح عثمان ، المدخل إلي النقد العربي الأصول والمناهج، دار الهاني شبرا الخيمة ، ط1 ، 1991م .
- 27- عبد القادر القط ، في الأدب العربي الحديث ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001م.
- 28- محمد الجزار ، الفكر الإنساني ، مركز الكتاب للنشر ط1 ، 1426هـ، 2006م .
- 29- محمد الصادق عفيفي ، النقد التطبيقي والموازنات ، مؤسسة الخانجي القاهرة ، 1398هـ ، 1978م .
- 30- محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، منشأة المعارف ، ط7.
- 31- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة القاهرة ، 2001م .
- 32- محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ،النهضة المصرية للطباعة والنشر ، 1970م .

33- محمد منال عبد اللطيف ، الخطاب في الشعر ، دار البركة للنشر ، عمان الأردن ، ط 1 ، 2003م.

34- المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شرحه وعلق عليه ، يوسف قاسم طويل مريم طويل، ط 4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1415هـ .

العلاقات الخارجية للممالك الإسلامية في السودان الفونج - الفور أنموذجاً

د. سلوى التجاني فضل

أستاذ التاريخ المساعد - قسم التاريخ - جامعة الملك خالد وجامعة الأزهرى

Email : Salwa.alfadol@gmail.com

المخلص

4

تعتبر فترة الممالك الإسلامية في السودان أهم فترات الحكم في السودان وبالرغم من قسوة الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، إلا أن سلطنة سنار الإسلامية استطاعت أن تكون قوة سياسية كبرى ، وكذلك مملكة الفور أشهر السلطنات الإسلامية التي نشأت في القرن السابع عشر في أواسط بلاد السودان، تاتي أهمية هذه الدراسة في إبراز دور الطرق والقوافل التجارية في تفعيل وتسهيل الإتصال والحراك بين الدول المختلفة ، وتوضيح دورالعلاقات الخارجية للممالك الإسلامية ودورها في البناء إقتصادياً وإجتماعياً ، بيان دور العلاقات الخارجية في إثراء الحركة الثقافية والدينية والفكرية وذلك عن طريق العلماء ورجال الدين ، وتهدف الدراسة إلى التعرف على البعد التاريخي لعلاقات الفونج، والفور الخارجية ، والكشف عن أهمية النواحي السياسية والإقتصادية والدينية في تطور العلاقات بين الممالك الإسلامية والدول الخارجية، وذلك باستخدام المنهج التاريخي التحليلي الوصفي عبر مجموعة من المصادر الأساسية من مخطوطات وكتب مصدرية ومراجع ، للوصول إلى مجموعة نتائج تؤكد دور العلاقات الخارجية في التطور الثقافي والحضاري والاقتصادي للممالك الإسلامية ، كذلك أثر العلاقات الخارجية في الاستقرار الثقافي والديني والازدهار الاقتصادي ، وتتمثل أهم التوصيات في ضرورة الاهتمام بالدراسة الدقيقة لتاريخ السلطنات والممالك الإسلامية في السودان ودورها في إثراء الحركة الثقافية والفكرية والدينية في السودان .

الكلمات المفتاحية: _ الممالك، العلاقات، رجال الدين ، التجارة ، العلماء

External Relationships of Sudan's Islamic Kingdoms: Funj-Fur as a Model

Dr. Salwa Ettajani Fadhl
Assistant Professor of History, Department

Abstract:

The period of the Islamic kingdoms in Sudan is considered the most important period of rule in Sudan. Despite the harsh political, economic and social conditions, the Islamic Sultanate of Sennar was able to be a major political power, as well as the Fur Kingdom, the most famous Islamic sultanate that arose in the seventeenth century in the middle of Sudan. This study highlights the role of trade routes and convoys in activating and facilitating communication and movement between different countries, and clarifying the role of the external relations of the Islamic kingdoms and their role in building economically and socially. A statement of the role of foreign relations in enriching the cultural, religious and intellectual movement through scholars and clerics. The study aims to identify the historical dimension of the external relations of the Fung and the Fur, And the disclosure of the importance of the political, economic and religious aspects in the development of relations between Islamic kingdoms and foreign countries, using the historical, analytical, descriptive method through a group of basic sources from manuscripts, source books and references, to reach a set of results confirming the role of foreign relations in the cultural, civilization and economic development of the Islamic owner, as well as The impact of foreign relations on cultural and religious stability and economic prosperity, and the most important recommendations are the need to pay attention to a careful study of the history of the Islamic sultans and kingdoms in Sudan and its role in enriching the cultural, intellectual and religious movement in Sudan.

Keywords: _ kingdoms, relations, clerics, trade, scholars.

المقدمة :

مملكة الفونج هي أول دولة عربية إسلامية قامت في السودان عام 1504م بعد دخول وانتشار الإسلام في ربوعه، ولم تكن سنار حاضرة أول سلطنة إسلامية في السودان فقط، بل أصبحت عنواناً للبلاد ومركزاً مهماً للإشعاع الثقافي والإسلامي في أفريقيا، وربما وصفوا بالسنانير، وقامت تلك المملكة نتيجة تحالف بين الفونج والعبدلاب، حيث أثمر ذلك التحالف انتصاراً على مملكة "علوة"؛ المملكة النوبية الثانية القوية في العصر الوسيط في السودان، عرفت تلك المملكة التي ازدهرت وذاع صيتها وقوي مركزها لقرون من الزمن بأسماء متعددة، فتارة يطلق عليها السلطنة الزرقاء، وأحياناً الدولة السنارية، ولقد استمرت زهاء 360 عاماً .

بدأ تاريخ دارفور المدون في القرن الرابع عشر الميلادي، عند بداية انتقال السلطة من سلالة (الداجو) إلى سلالة (التنجر) التي عاصرت دخول الإسلام في منطقة غرب السودان (دارفور). أسس السلطان «سليمان سلونق» «سلطنة الفور الإسلامية» عام (848هـ=1445م)، اهتم ببناء المساجد وفتح المدارس وتعمير الخلاوى بالمدن والقرى، كما واصل حفيده السلطان «أحمد بكر» (1726-1746م) نهج أسلافه في هذا المضمار؛ فقد شجّع هجرة العلماء للعمل بدارفور لنشر دين الإسلام بطريقة علمية مؤسّسة، فأرسل رسله للدول المجاورة، فوفد نفرًا كريمًا من العلماء الأجلاء من تمبكتو غرب إفريقيا، ومن دار شنقيط، ومن سلطنة البرنو، وسلطنة باقرمي والمغرب العربي، مصر، تونس، مفران، الحجاز وسودان وادي النيل بناءً على دعوته .

قسمت الدراسة إلى عدة محاور تشمل الآتي:

1. علاقات مملكة الفونج الإسلامية الخارجية .
2. علاقات مملكة الفور الإسلامية الخارجية .

علاقات الفونج الخارجية :-

كان هنالك إتصال مستمر بين دولة الفونج والبلاد العربية والإسلامية وهذا يعتبر تحولاً حضارياً هاماً ظهرت آثاره من خلال الحركة الفكرية والإقتصادية والثقافية والتوجه الإسلامي لتلك العلاقات وسوف

نستعرض هذا الإتصال بين الفونج ، مصر، الدولة العثمانية ، اليمن ، الحجاز، الحبشة ، المغرب والعراق .

أولاً : علاقة الفونج مع مصر :-

تعتبر مصر إحدى الدول العربية الإسلامية التي اتصل الفونج بها وكما هو معلوم تاريخياً فإن علاقة السودان مع مصر هي قديمة وبدأت منذ الفترات التاريخية القديمة وبالتالي فهي تعتبر إحدى بوابات الأثر العرقي والفكري والثقافي والعربي والإسلامي في السودان ، ولقد شجع قرب مصر وسهولة الوصول إليها عبر الطرق البرية والنهرية في إتصال مملكة الفونج الإسلامية بها .

من الناحية السياسية :-

إتسمت العلاقة مع الممالك بالطبيعية والعادية خاصة وأن الممالك كانوا يمثلون الحامي لأرض الحجاز والحرمين الشريفين⁽¹⁾ يضاف إلى ذلك أن قيام السلطنة جاء مترامناً مع تدهور الأوضاع بين الممالك أنفسهم وإنقسامهم إلى مجموعات متحاربة ومتصارعة⁽²⁾ ونتيجة لهذا الصراع هاجرت العديد من القبائل بعائلاتهم وأستقروا في المناطق الشمالية من السلطنة⁽³⁾ .

إرتبطت السلطنة بعلاقات تجارية موروثة مع مصر حيث كانت القوافل تسير بين البلدين حاملة شتى أنواع البضائع مع سلطنة سنار إلى مصر مثل سن الفيل والعبيد والتمرهندي والصمغ العربي والسهم وريش النعام وغيرها ، وكانت تأخذ من الأسواق المصرية منسوجات حريرية وقطنية وأقمشة الكتان صنع في الدلتا وأسيوط وغيرها ، فقد كانت للبضائع السنارية أسواق رائجة في القاهرة⁽⁴⁾ ، إذا كانت قافلة سنار هي الثانية من حيث الأهمية بعد قافلة دارفور وكانت تتكون من مجموعة من القوافل الصغيرة التي تأتي من مراكز تجارية مختلفة وتبدأ مسيرتها من سنار⁽⁵⁾ .

وقد ألقى ذلك على البلدين مسؤولية تأمين طرق التجارة من اللصوص وقطاع الطرق بصورة رسمية للمحافظة على سلامة القوافل التي تمر عبر أراضيها فكانت التجارة سبباً في توطيد العلاقات الإجتماعية بين القبائل المتواجدة في المنطقة .

من الناحية الثقافية :-

تعتبر مصر مركز للمعرفة والثقافة والذي يتميز بالطابع العلمي فقد كانت الكتب ترد من مصر إلى سلطنة سنار بحيث إمتلأت مكتبات العلماء والفقهاء بذخائر الكتب الفقهية الإسلامية (7) ، كما أمدت البلاد برجال الطرق الصوفية وعلماء الدين حيث وجدو فيما قدمه السلاطين من تقدير لرجال العلم عاملاً مشجعاً فضلاً عن تقدير الأهالي لهم وقد أستقر الكثيرين منهم في السلطنة (8).

وتبلورت هذه العلاقات الثقافية بالقدر الكبير الذي أهتم فيه ملوك الفونج بهجرة الطلاب الوافدين من السلطنة إلى مصر وإنشاء رواق لطلاب العلم من أبنائهم بمصر وهو ما عرف برواق السنارية في الأزهر الشريف (9) .

وأرتبط مشائخ الأزهر الشريف بسلاطين الفونج حتى بلغت درجة تبادل الهدايا بين السلاطين والعلماء وجاء أن السلطان بادي كان على صلة بعلماء مصر ويرسل لهم الهدايا مع مندوبه أحمد علوان حتى أنهم مدحوه بقصيدة أوردتها كاتب الشونة معدداً فيها أمجاد سلطان سنار ومادحاً كرم السلطان وأفضاله (10) . وأيضاً كانت تطلب منهم السلطنة النظر في الفتاوي التي يصدرها علماء ومشائخ سنار ، إضافة إلى أن عيزاب وسواكن كانتا تشكلا طريقاً بديلاً وآمناً أيام الإضرابات التي كانت تحدث في مصر للقوافل التي تذهب إلى الحجاز من الحجاج المصريين وغيرهم (11) .

علاقات الفونج مع الدولة العثمانية :-

تولت الدولة العثمانية مسئولية الدفاع عن الأراضي المقدسة وعن الإسلام والمسلمين في الحجاز ضد التوغل البرتغالي ومحاولة إحتلال مداخل البحار ومساندة المسلمين في الحبشة ضد المسيحيين الذين استعانوا بالبرتغال (12) .

وبلغ عمارة دنقس أن السلطان سليم قدم إلى سواكن ومصوع فأمتلكها بقصد الزحف نحو سنار (30) فكاتبه وأرسل مع الكتاب كتاب أنساب لكامل العرب الذين في مملكته ، فعدل السلطان سليم عن حرب سنار (31) وكان العامل الديني مصدر وسبب حماية لسلطنة الفونج التي كانت قد بسطت سيطرتها على شرق السودان ، وعين على سواكن القائد (عبدالله بوش الأرتيقي) (13) .

وبالرغم من ذلك إلا أن العثمانيون أقاموا حامية في سواكن وجعلوا عليها قائداً ، وعملوا على بناء ثكنات للقوات وعمل التحصينات اللازمة لحمايتها وتأمين المواقع على البحر الأحمر ، ولكي يكونوا قريبين من الحبشة ، إلا أن سواكن قد دخلت في حوزة الدولة العثمانية طواعية وذلك بإجتماع الحكام المحليين وإنضمامهم إلى السلطنة العثمانية وقبولهم أن يكونوا تحت تبعيتها (14). ولكن لم يقبل الشيخ عجيب بذلك وبدأ يشن الهجوم عليها ويهددها واستمر الوجود العثماني بسواكن حتى أصبحت في عام 1555 مقراً (أيلة) للإدارة الحبشية .

أيضاً نجد أن العثمانيون كانوا قد مدوا نفوذهم إلى شمال السلطنة من بلاد مصر في سنة 1530م وذلك بإرسال قواتهم لعمل حاميات لحمايتهم من القبائل التي تسكن تلك الأنحاء (15) وقد استقرت السرية الأولى في منطقة الدّر بالنوبة المصرية ، وطرف آخر منها في جزيرة صاي التي كانت عاصمة إقليم السكوت ، وكانت تتكون السرية من عناصر أثنىة متعددة منهم البوسنيون والهرسك والمجريون وبعض جاليات البحر المتوسط (16) وشراكسة وأرناؤط والتركمان ، وقد انتصر العثمانيون على قوات الفونج في معركة حنك على بعد كيلومترات من الشلال الثالث ، وأسسوا حصون دفاعية في جزيرة صاي واصبحت تدار هذه المنطقة لصالح الوالي العثماني في مصر (17) وفرضوا على الأهالي دفع 24 مداً من الحبوب في السنة و13 ثوباً من نسيج النوبة المسمى فونجي وهو ما يعرف بالدمور (18) .

وبهذا نستطيع أن نؤكد أن العلاقة بين سلطنة الفونج والدولة العثمانية في شمال البلاد إتسمت بالصراع ولكنهم لم يشكلوا عائق في سبيل الطرق التجارية مع مصر .

ثالثاً : علاقة الفونج مع بلاد الحجاز :-

تعتبر بلاد الحجاز قبلة المسلمين جميعاً لذلك بلور اتجاه السلطنة الديني صورة العلاقات مع بلاد الحجاز والتي تتمثل في النواحي الآتية :

الناحية السياسية :-

كانت بلاد الحجاز تخضع للسلطان العثماني الذي تولى مهمة الدفاع عن الأراضي المقدسة وعن الإسلام ضد التوغل البرتغالي في الحجاز ومحاولة إحتلال مداخل البحار التي تطل على البلاد الإسلامية في عدن ومساندة المسلمين بالحبشة ضد المسيحيين الذين استعانوا بالبرتغال (19) كما ذكرنا سابقاً .

ولكن نجد أن السلطنة قد آمنت على سلطنة سنار وتخلت عن حربها والزحف إليها مما أفسح المجال لوجود الصلات بين مملكة الفونج وبلاد الحجاز .

الناحية الثقافية والدينية :-

كانت الصلات بين مملكة الفونج الإسلامية والحجاز صلات وثيقة ومتصلة عن طريق الحج حيث كانت تهوي قلوب ونفوس الأهالي والسكان من السلطنة إليها كما أن الطرق بين الفونج والحجاز متصلة أيضاً عبر البحر الأحمر ، ومن ثم عملت على تذليل الصعاب التي كانت تعترض الحجاج للوصول إلى الحجاز خاصة في عهد عجيب المانجك الذي قام بمجهودات كثيرة منها :

- تمهيد طريق الحج من السودان حيث كان شاقاً يمر بشرق السودان عبر التلال والجبال حيث تمكن من شق الطريق الذي توجد به اليوم محطة آدية (20).
- توفير المياه الصالحة للشرب وذلك بأن حفر حفيراً ضخماً جنوب سواكن يمتلئ بالمياه في موسم الخريف أطلق عليه حفير شان (21) .
- قاد الشيخ عجيب بنفسه أول وفود الحج سالكاً هذا الطريق حيث أراد إظهار عظمة ومكانة بلاده بين كل الوفود الإسلامية .
- قدم الهدايا الثمينة للحكام والمشاهير من العلماء .

بالإضافة لذلك نجد أن سلطنة سنار قامت بشراء منازل خاصة بالحجاج والمسافرين وجعلتها وفقاً للحجاج حول المسجد النبوي وكذلك الحال في مكة المكرمة (22) .

أيضاً شارك الملوك بعمل التحسينات التي أجريت على الأماكن الشرعية في الحرمين الشريفين وجمع لهذا الغرض قدراً كبيراً من ذهب جبال بني شنقول ، حيث أسهم في عمارة المسجد النبوي بالمدينة وتزيين القباب والمنارات (23) .

ونجد أن هذا الإتصال أملتته العلاقات الدينية والثقافية والعلمية حيث هاجر من السودان إلى الأراضي المقدسة عدداً من علماء البلاد لتأدية فريضة الحج. وكذلك وفد إلى السودان العلماء من الحجاز واقاموا فيه فكانوا محل حفاوة عندما يحلون بدار السلطنة حتى أن الشيخ عجيب تتلمذ على الشيخ تاج الدين البهاري (24) .

كما كانت الحجاز أيضاً ملاذاً للفارين من عقاب سلطان الفونج كما حصل للفقير عبد اللطيف بن الخطيب عمار ، كما توجد مجموعة من الشيوخ الذين دخلوا الحجاز وتعلموا على رجال الطرق الصوفية وأسوا بعد عودتهم السودان فروعاً لتلك الطرق فمثلاً الشيخ حمد بن محمد المجذوب أس بعد عودته فرعاً للطريقة الشاذلية في الدامر وسميت طريقته بالمجاذيب (25) .

ولما كان للحج من أهمية فقد حفل كتاب الطبقات لود ضيف الله بذكر كثير من أخبار الحج ، ونلاحظ أيضاً أن أحمد كاتب الشونة قد جعل من الرحلة إلى الحج معلماً يؤرخ منه لأحداثه التي يرويها عن الأحوال في السلطنة منذ قيام قافلة الحج حتى عودتها من أراضي الحجاز مع إثبات السنة التي يتكلم عنها (26) .

الناحية التجارية :-

ارتبطت السلطنة بعلاقات تجارية قديمة وكانت المعبر لها من خلال ميناء عيزاب ثم سواكن ومصوع ، فقد كانت القوافل تخرج من سنار إلى سواكن محملة بالبضائع من عاج وذهب ورقيق وأيضاً تستصحب معها البضائع القادمة من غرب إفريقيا عبر أراضيها والتي تجد لها أسواق في أراضي الحجاز وكثيراً ما كانت ترتبط القوافل التجارية بقافلة الحج وكانت تعود منها بالبضائع المختلفة ، ولأهمية هذا كان للوالي العثماني في كل من سواكن ومصوع وكلاء تجاريين في سنار لإرسال البضائع إلى أرض الحجاز والجزيرة العربية (27) .

رابعاً : علاقة الفونج مع الحبشة :-

كان مصطلح الحبشة هو الذي يغلب على غيره أيام عصر السلطنة وهي الجارة التي تقع على الحدود الشرقية ، والحدود معها واسعة ومفتوحة تسمح بالحركة في سهولة ويسر وبينها تداخل في الحدود والقبائل مما مكن من استمرارية العلاقات بينهما .

وعلاقات السلطنة بالحبشة تعود إلى إحدى الروايات التي نتحدث عن أصل الفونج يعود إلى بعض بني مروان الذين هربوا من العباسيين في عام 570م وقد اختار هذا الفرع من البيت المرواني الحبشة ليلجأ إليها ثم انتقل أحد أفرادها إلى كرن في شمال إريتريا ، حيث تزوج من ابنة ملكها وهناك روايات أخرى تحدد مدناً أخرى كما تحدد أسماء مختلفة لشخص المرواني المهاجر (28) .

العلاقات السياسية :-

يمكن أن نقول أن الحبشة وهي تقود صراعها ضد الإمارات الإسلامية لم تتعرض للسلطنة فقد كانت في طور التكوين ومن المعروف أن الصراع كان صراعاً دينياً بل إستفادت السلطنة من هذه الحروب بأن جعلت العديد من القبائل العربية نفد إلى أراضيها للإحتماء بها والإستقرار فيها (29) .

ويمكن أن نستفيد من الرواية التي أوردها الرحالة داوود بأنه قد وجد السلطان عمارة دنقس عام 1522م متجولاً في المناطق المجاورة للحبشة ولفترات طويلة ويعتبر هذا دليلاً على مدى الأمان الذي كانت تستشعره السلطنة تجاه الحبشة (30) . ونلاحظ أيضاً إعلان الامبراطور الحبشي مالاكاسيدالا عقيدة روما ديناً رسمياً للبلاد مما أدى إلى الإضطرابات حيث لجأ أفراد من بيت الحاكم الحبشي إلى سلطنة سنار ، مما دفع بمجموعة من الكاثوليك عام 1964م بتقديم إقتراح إلى روما بهدف إنشاء إرسالية تبشيرية في العاصمة سنار خدمة للمسيحيين الفارين من الإضطهاد الديني بالحبشة ، ولما تواصل تعذب المسيحيين إعيد الإقتراح مرة أخرى في عام 1697م . إلا أن السلطنة السنارية لم توافق (31) .

بالإضافة إلى أن بعض أفراد البيت الحاكم في سنار يفرون للإحتماء بالحبشة هرباً من العادة التي تقول بقتل حاشية الملك بعد موته (32) .

وقد ذكر كرافورد في هذا الصدد أن عدد الفارين كان يفوق الأثنى عشر ألف فرد شكل هذا التنافس مناخاً خصباً لزعة الثقة المتبادلة بين السلطنة والحبشة وأحدث توتراً في العلاقات بينهما ، وقد أورد أسبولدنق أن سنار في هذا الوقت أصبحت تزدهم بجماعات الأوربيين من الطوائف المتنافسة (33) . بحيث أصبحت سنار معبراً للطوائف المسيحية المتصارعة على الحبشة من اليسوعيين الذين كانوا يتمتعون بدعم الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا إلى أن وصلت السلطنة معلومات تقول أن الحبشة تستعين بالبعثات المسيحية حتى يتم تدريبها على الأسلحة الثقيلة لقتال الفونج (34) .

أصبحت السلطنة تتوجس من هؤلاء القادمين إليها في طريقهم إلى الحبشة وبلغ ذروته عندما وصلتها بعثة من لويس الرابع عشر ملك فرنسا إلى ملك الحبشة آياسو مع مبعوثه لانواردي دول بطريق النيل ومحملة بصناديق الهدايا الفاخرة (35) ، دخل سنار وأقام فيها زمناً وأحسن السلطان إستقبالهم وإقامتهم ولكن وصلته الأخبار من مصر مشككة في البعثة وأنها ماضية لتدريب جيش الأحباش على الحرب الحديثة ،

أصبح السلطان غير مطمئن لهذه البعثة التي تحمل كل هذا الكم من الصناديق فقتلت قوات الفونج المبعوث وإستولت على تلك الصناديق (36)، نقلت هذه الواقعة العلاقات بين البلدين إلى دائرة جديدة اتسمت بالحرب المسلحة إذ وقعت بينهما حربين يمكن أن نلخص بعض من الأسباب التي أوردتها المؤرخون لقيام هذه الحروب .

أولاً: لم يرضى الإمبراطور بأن يقتل السفير المرسل إليه ولذا سعى في القتال مع الفونج إكراماً لهذا الزائر الكريم وربما لنصرة دينه (37) .

ثانياً : توجس الفونج من نوايا الحبشة في تغيير مجرى النيل الأزرق وذلك بمعاونة هؤلاء الأوربيين .
ثالثاً : المصادر المحلية التي تذهب إلى أن السبب في تلك الحروب هو الغلو والتطرف الذي قاد ملك الحبشة لقتل أحد المتصوفة مما جعل سلطان الفونج يستنفر كافة الشيوخ بالدعاء لنصرة جيوش الفونج عليه وقد نصرهم الله حيث عبر عن شكره لله والفرح بهذا النصر بأن زين المساجد والأسواق وأقام ليالي الذكر (38) .

حدثت الحروب الأولى ما بين 1618م - 1619م وكان ورائها قنصل فرنسا في مصر الذي عمل على إتهام إمبراطور الحبشة بأنه حرض سلطان سنار ومرة يتهم سلطان سنار فيحرض عليه حاكم سواكن بأن يعلن إعترافه بشيخ العبدلاب سلطاناً فعلياً على سنار ، وأن يرسل أحد الأعوات إلى سنار لعزل السلطان بادي بعد مقتل دي رول وأن يقطع العلاقات التجارية مع سنار وذلك في نوفمبر عام 1656م (39) .
واستمرت حالة التوتر بين الحبشة وسنار طوال فترة حكم الأباطرة من الأحباش وأخذوا يرسلون بعض الغزوات على الحدود السنارية حتى عهد أياسو الثاني 1730 - 1755 وكان على سنار السلطان بادي أبوشلوخ ، فاعد أياسو الثاني جيشاً كبيراً لغزو سنار وقد فشلت هذه الحرب .

الحرب الثانية مارس 1744م وكانت كالآتي :-

أولاً : استخدمت فيها القوات الحبشية إستراتيجية عسكرية تهدف إلى طرد الأهالي من مناطقهم وقتلهم وقد ذكر مكي شبيكة أنهم طبقوا هذه السياسة لأكثر من ثمانية أيام (40) .

ثانياً : حاول العرب الذين يقيمون على نهر الدندر مقاومتهم والوقوف ضد سلب البهائم وحرق القرى فقاموا بإرسال مواشيهم بعيداً عن مناطق القتال.

ثالثاً : سارت القوات حتى وصلت إلى منطقة شرق سنار وحدث هرج بين السكان إلا أن السلطان بادي إستجاب للخطة التي قال بها السلطان خميس سلطان دارفور بعبور القوات خارج سنار إلى الضفة الشرقية حيث إستفاد من انقسام جيش الحبشة إلى قسمين فأنزل بهم الهزيمة⁽⁴¹⁾ نتيجة لذلك نستنتج الآتي:-

- أ _ رفعت هذه المعركة من مكانة السلطنة في العالم الإسلامي والذي كان يتابع هذه المعركة ، وفرح سلطان الدولة العثمانية لهذا النصر .
- ب _ أظهرت الواقعة قيمة التضامن الذي ظهر في تعاون السلطان خميس سلطان مملكة الفور الإسلامية الذي كان في قيادة المعركة .
- ج _ رفض حاكم سواكن اجابة التحريض الذي كان يقوم به السفير الفرنسي ضد سلطان الفونج
- د _ انفتحت البلاد بعد هذه الحرب حتى قصدها الوفود من الحجاز والسند والهند وأهل مصر و صعيد مصر والمغرب واستوطنوا فيها⁽⁴²⁾ .
- هـ _ أوجدت هذه المعركة القوات المتصارعة بين الفونج وإشترك في هذه المعركة الشيخ محمد أبولكيلك والشيخ الأمين من العبدلاب والذي كان قائداً للقوات⁽⁴³⁾ .

العلاقات التجارية مع الحبشة :-

على الرغم من توتر العلاقات السياسية السنارية الحبشية فقد ارتبطت السلطنة مع الحبشة بعلاقات تجارية حيث كانت أسواق سنار ملاً بالبضائع التي يجلبها الجالا والخبرة من العاج والبخور والمسك والتوابل والجلود والبن .

وكان التجار الأمهرا والنقراي يصلون إلى أسواق المتمة للمقايضة مع الجعليين بالملح والأقمشة وعقود الخرز المشكلة⁽⁴⁴⁾ كما كانت الطرق التجارية بين الحبشة والسلطنة آمنة بحيث تنقل من خلالها البضائع الواردة من المغرب ومصر وحوض البحر الأحمر ، وقد أتخذت منطقة غندار نقطة إرتكاز للتبادل التجاري بينهما ، وأهم ما كانت تستورده الحبشة من سنار إلى جانب البضائع المختلفة من العطور والكحل والمحلب والمسك والصندل فكان أهمها السيوف المطلية بالذهب⁽⁴⁵⁾ .

رابعاً : علاقات الفونج مع اليمن :-

ساعد موقع اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وصغر حجم الفاصل البحري ، ووجود شواطئ طبيعية في الشق الأفريقي بأن تكون معبراً للقبائل والقوافل التجارية ، حيث توغلت عن طريقها القوافل العربية وصاهروا قبائل البجة والنوبة (46) .

أولاً : الناحية الثقافية والدينية :-

العلاقات بين بلاد اليمن والسودان قديمة فتعتبر اليمن أول مصدر للثقافة الدينية والصوفية في السودان منذ القرن الرابع عشر الميلادي فقد ظهر العلماء الذين ساهموا في نشر التعليم الديني في السودان ، فكان أحد هؤلاء هو الشيخ غلام الله بن عائد جد الركابية ، وقد أسس خلوة بدنقلا وبنى المساجد وقام بتعليم القرآن والعلوم ، وخرجت من ذريته مجموعة من علماء الدين نشروا الثقافة في دار الشايقية ، وقد ذكر ود ضيف الله أسماء مجموعة أخرى من العلماء الذين وفدوا من اليمن للسودان منهم الشيخ حمد ولد زروق من حضرموت بأرض اليمن وسكن الصبائي ، والشيخ جبارة والفقير جار النبي الذي كان عبداً صالحاً وفقهياً (47) .

ثانياً : الناحية التجارية :-

ترتبط سلطنة الفونج مع اليمن بعلاقات تجارية حيث كانت القوافل تذهب عن طريق سواكن ومصوع وتعتبر تجارتها إلى جنوب الجزيرة العربية ودول شرق آسيا والهند (48) .

وتجار سنار يقيمون في سواكن ومنها ينطلقون إلى مخا والتي تتبع لملك اليمن ومن هنالك إلى اليمن حاملين الذهب وسن العاج ويستوردون منها التوابل والسلع الآتية من بلاد الهند (49) .

خامساً : علاقات الفونج مع المغرب العربي :-

الروابط الثقافية بين السودان والمغرب ترجع لفترات طويلة ، وتظهر تجليات الارتباط الثقافي بين البلدين بارزة من خلال الارتباط المذهبي خاصة في إتباع المذهب المالكي والذي يعتبر سائداً في كثير من الدول الإفريقية لذلك فإن العامل الديني والروحي هو الذي يطي على الروابط الثقافية بين السودان والمغرب . ولقد أسهمت بلاد المغرب في دعم الحركة الفكرية في مملكة الفونج من خلال التأثيرات الثقافية التي انتقلت إلى الفونج عن طريق مجموعة من العلماء المغاربة الذين هاجروا إلى سلطنة الفونج حيث طاب

لهم المقام وإستقروا في ربوعها ومنهم الشيخ التلمساني الذي قدم على الشيخ محمد ود عيسى سوار الذهب وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها ، ومنهم الشيخ عبدالكافي المغربي الذي تتلمذ عليه الشيخ إدريس بن الأرباب وعلمه التصوف ومنهم الشيخ الحاج موسى جد الشيخ حسن ود حسونة ، ومنهم الشيخ دفع الله بن مقبل وسعد ود شرشاي (50) .

سادساً : علاقة الفونج بالعراق :-

علاقات الفونج ببغداد كانت ترتبط بمجموعة من العلماء البغداديين الذين جاءوا إلى دنقلا لتعليم الناس أمور الدين ، وكذلك مجئ الشيخ تاج الدين البخاري البغدادي إلى السودان بدعوة من أحد الحجاج السودانيين ، وكان لهذا الشيخ الفضل في دخول الصوفية بلاد الفونج وهو من اتباع الشيخ عبدالقادر الجيلاني وقد سلك الطريقة القادرية عليه مجموعة من المتصوفة أمثال الشيخ بانقا الضرير ، والشيخ الهميم ، والشيخ حجازي والشيخ شاع الدين وغيرهم (51) .

سابعاً : علاقة الفونج مع غرب إفريقيا :-

ظهور دولة الفونج ساهم في خلق وتطوير علاقات قوية بين العالم الإسلامي في الشرق الأوسط والممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وذلك من خلال رحلات الحجيج التي تأتي من الممالك في غرب إفريقيا عبر مملكة الفونج ، كانت السلطنة السنارية حلقة وصل بينهما مما اسهم في نشر الدين الإسلامي والعلوم الدينية في ممالك غرب إفريقيا (52) .

علاقة مملكة الفور الإسلامية الخارجية :-

لقد بدأ الإسلام ينتشر في سلطنة الفور عبر الطرق التقليدية إنتشاراً سلمياً وفي هدوء مع حركة التجار المسلمين ، من أطراف القارة الأفريقية من الشمال والشرق والغرب ، ومع المهاجرين والمرتحلين والحجاج وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التهيؤ ، ثم تنتهي هذه المرحلة بعد أن إستمرت سنوات لتبدأ مرحلة النضج والإزدهار التي تعد فيها قيام سلطنة الفور الإسلامية إيذاناً بوصول الإقليم إلى مرحلة التمكن في الثقافة الإسلامية ، ويعد مؤشراً واضحاً لأثر الهجرات العربية والإسلامية التي تغلغت في الإقليم واضحت جزءاً لا يتجزأ من بنائه الحيوي على كافة الأصعدة سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً ،

هذا فضلاً عن مؤثرات أخرى ساهمت بدور بارز في حضارة الإقليم ، كالتجارة والحج مما عززت علاقات سلطنة الفور الخارجية⁽⁵³⁾ .

تضاربت الروايات التاريخية حول نشأة السلطنة ، ولعل أهم تلك الروايات الرواية الأولى التي قالها نعيم شقير بأن هذه السلطنة نشأت في عام 848هـ ، 1445م ، تبناها عدد من المؤرخين العرب⁽⁵⁴⁾ ، أما الرواية الثانية تقول أن سلطنة الفور قامت على يد السلطان سليمان سولونج في عام 1005هـ ، 1596م وصاحب هذا الرأي هو تر منجهام⁽⁵⁵⁾ أم الرأي الثالث فقد إنفرد به الدكتور مصطفى مسعد ، حيث يرى أن السلطان سليمان أقام سلطنته في عام 1019هـ ، 1610م⁽⁵⁶⁾ الرأي الرابع الذي يذكر أن السلطان سليمان سولونج قد حكم دارفور 1055هـ، 1646م واستمر في الحكم حوالي عشرين عاماً إلى عام 1076هـ ، 1665م كما يرى ناخنتال⁽⁵⁷⁾ ، في حين يرى آركل أن قيام السلطنة كان في عام 1050هـ ، 1640م على يد السلطان سليمان سولونج الذي استمر حكمه للبلاد حتى 1081هـ ، 1640م وكما تبني هذا الرأي الرحالة وليم براون⁽⁵⁸⁾ .

هذه هي مجمل الآراء التي تناولها المؤرخون ، والملاحظ أن هنالك تفاوتاً في نشأة السلطنة من رأي إلى آخر وهذا يؤكد أنه لا توجد آراء قاطعة في هذا الشأن .

إن معظم الروايات التي جعلت قيام سلطنة الفور في وقت متأخر تعود إلى أواخر القرن السابع عشر هي روايات وردت من الكتاب الأوربيون ، وهي ربما تكون ضعيفة الدليل ، ولا تتماشى مع طبيعة التطور التاريخي للمنطقة ، حيث كان العرب والمسلمون قد أخذوا بزمام التجارة التي كانت تعبر دارفور من الغرب والشرق ومن الشمال إلى الجنوب منذ قرون عديدة ، سبقت القرن السابع عشر الميلادي ، وأدت هذه التجارة لنشر الإسلام والثقافة العربية من نهر السنغال غرباً إلى نهر النيل شرقاً⁽⁵⁹⁾ ، وربما الهدف من هذه الروايات هو طمس للملامح الإسلامية في هذا الإقليم ، وأن السلطنة الإسلامية في دارفور ليست عميقة الجذور في السودان ، وهكذا يبدو أن التاريخ الأقرب إلى التدوين بتولي سليمان سولونج ملك السلطنة سنة 1640 - 1670م الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لسلطنة الفور الإسلامية ، فأتخذ من بلدة نامي عاصمة له ، ونظراً لعروبه فقد حبيب إليه القبائل العربية المنتشرة في البوادي والصحراء ثم

أخضع الخارجين عليه وحقق وحدة البلاد كلها وخاض في ذلك ثلاث وثلاثون معركة اخضع فيها القبائل وقضى على حركة قام بها التجور لاسترداد حكمهم (60) .

تعاقب على حكم دارفور بعد وفاة سليمان عشرة من سلاطين الفور من أسرة الكيرا وحتى ضياع إستقلالها في 1874م (61) ، ومن أميز سلاطين هذه الفترة السلطان عبدالرحمن الرشيد بن أحمد بكر (1787 - 1802م) ، الذي يعتبر عهده صفحة جديدة في تاريخ دارفور السياسي ، حيث نقل العاصمة من شوبا إلى الفاشر 1793م وبذلك سيطر على طريق المواصلات الإقليمية والعالمية المتصلة بدارفور ، مما فتح الباب أمام هجرة رجال العلم والدين ف جاء الرحالة متقاطرين إلى دارفور ، منهم الرحالة الإنجليزي وليم براون وهو أول رحالة أوروبي يزور دارفور ، كما زار دارفور بعض العلماء ، ومنهم الشيخ عمر بن سلمان التونسي في عهد السلطان محمد الفضل وأقام سبع سنوات ألف بعد عودته من مصر كتاب تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان والذي يعتبر مرجعاً مهماً عن تاريخ دارفور ، وخلف هؤلاء الرحالة معلومات مهمة عن تاريخ دارفور الحضاري ، كما شهدت فترته هجرة العلماء الوافدين من غرب إفريقيا (62) وكان محباً للعلم والعلماء ، كما شهدت فترته توطيد صلاته بالعالم الخارجي ، فخاطب السلطان العثماني الذي شكره بخطاب رقيق ولقبه بالرشيد ، وكما أنه هنا نابليون بونابرت على انتصاره على المماليك الذين هددوا الطريق بين دارفور ومصر ، اهتم نابليون برسالة السلطان ، فرد عليه فور وصوله من مهمته في بلاد الشام (63) . مهما يكن من أمر فقد قامت في دارفور سلطة سياسية مستقرة ذات نظام إداري متميز يعتمد على مشاركة زعماء القبائل . ولكنه كان نظاماً ملكياً مطلقاً يعتمد على قوة وشخصية السلطان الذي يمثل السلطة العليا في البلاد (64) .

أولاً : علاقة مملكة الفور الإسلامية بمصر :-

كان لتأصيل علاقات دارفور بغيرها من الدول الإسلامية ولاسيما مصر التي كان لها إتصالاً وثيقاً بدارفور من النواحي الآتية :

الناحية الدينية والثقافية :-

إنتشرت المساجد والخلوي والمدارس القرآنية في معظم أجزاء دارفور وكانت تدرس فيها الوعظ والارشاد وتعليم القرآن وحفظه والأحاديث النبوية باللغة العربية ثم يفسرها للناس بلغاتهم المحلية

ليفهموها (65) وبعد أن يتخرج الطالب في هذه المدارس ، أما أن يعود إلى قريته ليصبح معلماً للقرآن الكريم والذي يعرف بالفكي أو أن يهاجر للمزيد من العلم ، وقد ذهبت مجموعة منهم إلى الأزهر الشريف ، وكان في مقدمتهم أبناء السلاطين والعلماء ، ويبدو أن عدد طلاب دارفور كان كبيراً لحد يسمح بأن يكون لهم رواق خاص بهم فيتعلمون ويعودون شيوخاً لنشر العلم بين أهلهم (66) .

ومن الدارفوريين الذين تلقوا العلم في الأزهر وعادوا لنشر الثقافة الإسلامية والعربية الشيخ محمد البدوي الذي مكث فيه نحو عشر سنوات والذي إستقر في الفاشر ثم إلى بلدة أم شنقة وفتح فيها مدارس لتعليم أبنائها ، أيضاً الشيخ صالح إدريس وهو من أهالي منطقة طرة ومكث فيها ثماني سنوات ثم عاد وعين قاضياً وإماماً في منطقة القلابات .

كما وفد علماء مصريين ومغاربة ومن الكانم والبرنو الذين درسوا في الأزهر ، وأسهموا في نشر العلوم الدينية ، الوعظ ، الارشاد والتعليم في المساجد ، ومكاتب العلم التي الحققت بالخلوي التي انتشرت في أنحاء السلطنة حتى صارت في دارفور نهضة دينية مرموقة وقد ساعدها على هذا مركزها الإقتصادي ، وموقعها على طرق القوافل التجارية وكل ذلك مكنها من الإتصال بالعالم الإسلامي (67) .

الناحية التجارية :-

عرف أهل دارفور التجارة الخارجية منذ القرن السادس عشر الميلادي ، والواضح أن العلاقات المصرية الدارفورية بدأت بالتجارة وتبادل السلع التجارية ، فيذهب التجار المصريون إلى دارفور بكميات من العطور والروائح الهندية ، والصابون والمنسوجات ويرجعون بالرفيق والسمع وسن الفيل... إلخ. وازدادت العلاقات بين البلدين قوة واستمرارية (68) .

لعل أهم الطرق البرية التي ربطت دارفور بالعالم الخارجي هو درب الأربعين ذلك الطريق الصحراوي الذي لعب دوراً في الارتباط العضوي بين البلدين وشكل معبراً هاماً منذ عصر الأسرة السادسة الفرعونية فقد استخدمه الرحالة الشهير حروف أفان رحلته للسودان لذلك له دور في التأثير الحضاري والتجاري بين الدول الإسلامية (69) .

وهذا الطريق الرئيسي له فروع عديدة مختلفة تصله بالوحدات الأخرى المنتشرة بالصحراء الغربية ويمكن الوصول إليه من عدة مدن مصرية على النيل (70) .

وقد ساعد على ازدهار درب الأربعين توفر مصادر المياه الجوفية من آبار وغيرها في الصحراء الكبرى ولا تزال حتى اليوم كثير من الشواهد الميدانية تدل على ذلك منها بئر مر ، أبو والحسنين ، وكبيسة ، وكريم ، والنخلاوي ، وبئر النطرون ، وتشكل الآبار محطات تجارية مصممة للاستجمام والراحة والتزود بالمياه ، وقد قدر الرحالة وليم براون هذه المحطات التجارية من أسبوط حتى كوبي بحوالي أثنى عشر محطة بالرغم من أن هذا الطريق يشق منطقة صحراوية قاحلة إلا أن التجار يفضلونه أكثر من غيره من الطرق التجارية الأخرى لدواعي الأمن وتحاشي الضرائب والجمارك التي تؤخذ منهم على الطريق النيلي وكذلك فقدهم لكثير من بضائعهم بسبب الرشاوي والهدايا التي يدفعونها لزعماء القبائل في تلك المناطق (71).

هذه التسمية درب الأربعين نابعة أن الرحلة من أسبوط في مصر حتى كوبي في دارفور تستغرق في الغالب أربعين ليلة على أقل تقدير ، على أن هذه المدة الزمنية قد تطول أو تقصر عن الأربعين يوماً تبعاً لسرعة القافلة أو كمية الحمولة ، وتعتبر الجمال هي الوسيلة الوحيدة والمثلى لنقل البضائع (72) .

على أن هذا الطريق نفسه لا يخلو من المصاعب فبعض قبائل دارفور وشمال السودان وشمال كردفان كانوا يشكلون عقبة في طريق التجارة من مصر بغاراتهم الخاطفة على التجار وهم يستريحون مما حدا بسلاطين الفور أن يرسلوا لهم وحدات من العساكر لحمايتهم تحت إمرة التكنيواي (73) ، أما في مصر فإن المماليك كانوا دوماً يسببون إضراباً للقوافل التجارية بين دارفور ومصر وكان هذا هو السبب الذي دفع السلطان عبدالرحمن الرشيد لأن يكتب إلى نابليون مهناً بالانتصار على المماليك كما ذكرنا سابقاً . كذلك فإن القوافل التجارية كانت تتعرض إلى التيه والضياع بسبب سوء الأحوال الجوية مما يؤثر على سير القافلة ، كما أن قلة خبرة الخبير يؤثر أيضاً على سير القافلة التجارية وبالرغم من هذه العوامل فإن درب الأربعين من الطرق التي حسنت الإتصال التجاري بين البلدين ، كما شهد حركة دائبة للقوافل التجارية ورحلات الحج السنوية (74) .

قافلة دارفور :-

كانت تمثل القافلة الرئيسية في مجال التبادل التجاري بين دارفور ومصر وتبدأ كما ذكرنا من كوبي العاصمة التجارية لسلطنة سنار حتى أسبوط ولما كانت المسافة بينهما تقدر بحوالي ألف ومائة وأثنين

وثمانين ميلاً فإن القافلة كانت تحل رحاها في عدة محطات تجارية وذلك تحت حماية رئيس القافلة ، ولا يسمح للقافلة بالتقدم حتى تسدد ما عليها من رسوم ، وكانت قافلة دارفور ذات طابع الاستثمارية ، وكان تجار دارفور مشهورين في القاهرة بأنهم اسخى في الدفع من تجار القوافل الأخرى فقد كانت لهم رؤوس أموال كبيرة ويؤتمنون على قروض وفيرة ، مما جنى المصريون من ورائها أرباحاً طائلة ، وقد أشار إليها الحسن الوزان في منتصف القرن السادس عشر قائلاً (إن سكان منفلوط والمنيا أغنياء لأنهم يتاجرون مع دارفور) ونتج عن ذلك انتعاش متبادل للتجارة بين مصر ودارفور، واصبحت قافلة دارفور هي الرئيسية في عملية التبادل التجاري بين مصر والسودان الشرقي والأوسط والمغرب العربي (75) .

السلع الرئيسية التي كانت تحملها القافلة إلى دارفور تشمل المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية ، الشيلان الهندية والمصنوعات الحريرية الواردة من أوروبا والأسلحة النارية ، وأدوات الزينة ، والسلع المصرية والآسيوية والأوربية لذلك تعتبر مصر ملتقى طرق القوافل البرية والبحرية نسبة لموقعها الإستراتيجي (76) .

وهكذا كانت العلاقات التجارية بين دارفور ومصر قوية ومؤثرة وفاعلة ، كان تأثيرها واضحاً على النواحي الإقتصادية والثقافية والاجتماعية والعمرانية في دارفور .

ثانياً : العلاقات الدينية بين مملكة الفور والحجاز :-

صلات دارفور بأرض الحرمين الشريفين صلة طبيعية درجت عليها أغلب الممالك الإسلامية في العصور الوسطى والحديثة وذلك بسبب الحج إلى الأراضي المقدسة الذي يحتل مكاناً خاصاً في قلوب مسلمي بلاد السودان الغربي (77) .

وبذلك ارتبطت سلطنة الفور عن طريق الحج بالأراضي المقدسة ، فقد قام بعض السلاطين من أسرة الكيرا ، ومنهم السلطان محمد تيراب وكان بصحبة بعض رجال العلم والفقهاء ، وكبار رجال الدولة ، والخدم والاتباع ، في موكب ضخم ، ويأخذ معه الأموال لكي يوزعها على فقراء الحجاز ، وفي طريق عودته يستصحب معه بعض رجال العلم من الأراضي المقدسة إلى سلطنته (78) .

ظلت سلطنة دارفور ذات سلطة مستقلة لا تدين بالولاء لأي جهة غير أنها كانت حريصة على دفع صرة الحرمين الشريفين إلى الأراضي المقدسة سنوياً، حيث يتم جمع المساهمات من مختلف أنحاء السلطنة

ويذهب الموكب المحمل إلى مصر ومعه الريش والسمن والصمغ وغيرها من خيرات ويتم بيعها وبثمنها تكون نقود الصرة التي ترسل مع الحجيج إلى الحرمين مع الركب المصري (79) .

وظل هذا التقليد متبعاً حتى سقوط السلطنة في عهد السلطان إبراهيم محمد حسين 1839-1874م بالرغم من فترات الإضطراب السياسي والضعف الاقتصادي ، أيضاً ساهمت دارفور بارفال رجال لخدمة البيت والحرم الشريف ، ومن هنا يتضح الدور المهم لسلطنة الفور الإسلامية في خدمة الحرمين الشريفين مادياً ومعنوياً وإلتزامها الديني لدعم العلاقات الدينية والثقافية بين البلدين .

ثالثاً : علاقة دارفور مع شمال القارة الإفريقية :-

كانت لدارفور علاقات وطيدة بشمال القارة الإفريقية ، ليبيا ، وتونس ، والمغرب وترجع لفترات تاريخية قديمة ، إتسمت هذه العلاقات بالجانب الاقتصادي والتجاري وكانت له أبعاد ثقافية ودينية وإجتماعية وسياسية (80) . ولقد إرتبطت دارفور بشمال إفريقيا عبر طريقين هما :

أولاً : الطريق الذي يبدأ من منطقة الواياتي بشمال دارفور ويتجه إلى الناحية الشمالية الغربية ليمر بقرية بسارا ، والكفرة ، وعبر واحة جالوت ، فطرابلس وتونس لترتبط دارفور بموانئ البحر الأبيض المتوسط ثانياً : الطريق الذي يبدأ من كوبي بدارفور إلى كوكاوا عاصمة برنو ثم يتجه شمالاً إلى كانم ، بلما ، وجادو ، وفزان ، وطرابلس ، ويفترع عند فزان ليتجه شرقاً ليربط مصر بشمال إفريقيا (81) .

ونجد أن إنتظام العلاقات بين دارفور وشمال إفريقيا كان يتوقف على إستقرار الأوضاع في امبراطورية البرنو الإسلامية في وسط إفريقيا فهي كانت ملتقى طرق القوافل التجارية .

بالرغم من حالة عدم الأمن والاستقرار التي كانت تسيطر على القوافل التجارية بين دارفور وشمال إفريقيا إلا أنها كانت تجارة رائجة تخصصت في جلب الأسلحة النارية ، فمثلاً السلطان تيراب كان يرسل سنوياً قافلة أو قافلتين محملة بالرفيق وريش النعام والبضائع الأخرى لتونس ليبيعو ويشترى بثمانهم الأسلحة النارية لتطوير جيوشه (82) .

أهم المنتجات الدارفورية إلى شمال إفريقيا هي ،ريش النعام ، العاج ، الجلود ، جلود الفهود ، وغيرها أما السلع والبضائع التي كانت تستوردها دارفور من بلاد المغرب العربي ، المنسوجات القطنية شيت ، حرير ، والبرانيس الذي يصنع في إنجلترا ، والخرز الزجاجي ، والأسلحة النارية التي كانت تصنع في

إيطاليا وألمانيا ، وأوراق الكتابة ، والأواني الزجاجية ، والطرابيش المغربية ، وأقداح القهوة ، والملابس الجاهزة والصابون ، والنحاس الأصفر الذي إشتهر الطوارق بتجارته مع دارفور ، لعل بعض صادرات دارفور كانت تباع في برنو أو عزان قبل وصولها إلى موانئ شمال إفريقيا (83) .

رابعاً : الناحية الدينية :-

من الآثار المباشرة للإتصال بين دارفور ودول شمال إفريقيا نشأت الطرق الصوفية في دارفور فقد كان للصوفية دور كبير في إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، عملت الطرق الصوفية على التقريب بين القبائل والأجناس وبذلك لها دور رائد في دمج المجتمعات الإفريقية في دارفور ، أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في دارفور تتمثل في الآتي :-

الطرق التجانية :-

تعتبر الطريقة التجانية من أكثر الطرق الصوفية نشاطاً في إفريقيا ، مؤسسها هو الشيخ سيدي أحمد التجاني بن سيدي أحمد مختار بن أحمد ينتمي نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولد الشيخ أحمد التجاني ببلدة عين ماضي في جنوب الجزائر 1500هـ — 1737م (84)

إنتقلت هذه الطريقة إلى دارفور مع التجار ومع حركة الحجيج والفقهاء المتجولين ويعتبر الشيخ سيدي محمد المختار بن عبدالرحمن الشنقيطي هو أول من أدخل الطريقة التجانية إلى دارفور ، ولقد كان تاجراً بين دارفور والمغرب العربي ومصر ، أهم أتباعه السلطان محمد حسين سلطان دارفور والشيخ محمد البدوي .

إنتشرت هذه الطريقة وسط طبقة التجار ورجال الدين وكونت قوة اقتصادية كبيرة ساعدت على انتشار الطريقة بين السكان المحليين في دارفور (85) .

الطريقة السنوسية :-

إنتشرت هذه الطريقة في بلاد المغرب العربي ، مؤسسها هو محمد بن علي السنوسي 191 - 1859م ووجدت إقبالاً في ليبيا وكانت لها زوايا عديدة ، في طرابلس ، وبرقة ، والكفرة ، الدعوة السنوسية تسربت إلى دارفور مع التجار الطوارق الذين أسسوا لهم زاوية جنوب الفاشر مع الشيخ أبوبكر القداسي

وزاوية أخرى شمال جبل الميدوب ، وانتشرت هذه الطريقة أيضا وسط القرعان ، والزغاوة والشناقيط وهؤلاء هم السنوسيون في السودان وفي دارفور ، وكانت تعمل بتجارة الإبل بين ليبيا ودارفور (86) .

رابعاً : علاقة مملكة الفور مع غرب إفريقيا :-

ظلت سلطنة الفور مع أشهر الممالك الإسلامية في القارة الإفريقية وكانت تتمتع بالإستقرار السياسي والإزدهار الإقتصادي بسبب موقعها المتميز الذي جعلها القوة التجارية المسيطرة على طرق التجارة بين الشرق ، الغرب ، الشمال ، هذا بجانب أنها تتوسط طرق الحج بين غرب إفريقيا والأراضي المقدسة كل هذا جعل من دارفور مركزاً حضارياً ومصدر اشعاع ثقافي وديني مهم الأمر الذي قوى من أواصر العلاقات بينها وبين الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا (87) .

الناحية التجارية :-

تعتبر العلاقات التجارية بين البلدين كانت أساساً قوياً في استمرارية الارتباط بينهما ، ويعتبر الطريق الغربي المنفذ التجاري الثاني لسلطنة الفور ، وقد ساعد في ربط السلطنة بغرب إفريقيا ، بالإضافة إلى إنتقال ثقافات تلك المناطق لتتلاقح فيها ، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يقولون بأن التركيبة الثقافية لدارفور لا تمت بصلة إلى الهجرات العربية من الشرق بقدر ما تمت إلى مجموعة العلماء والحجاج الوافدين من غرب إفريقيا في طريقهم إلى مكة المكرمة (88) .

لقد إرتبطت دارفور بعدة طرق داخلية ساعدها على ذلك أنها تتوسط القارة الإفريقية ومن ثم إمتدت إليها الطرق من اتجاهات كثيرة خاصة من السودان الأوسط والسودان الغربي ومن أهمها :

أولاً : الطريق الذي يبدأ من غانا ويشق بلاد الهوسا فبلاد البرنو ثم الكانم ووادي إلى كوبي بدارفور ومنها شرقاً عبر كردفان إلى سنار فسواكن ومن هناك إلى الأراضي المقدسة ، ويتفرع هذا الطريق من أبشى أهم مدن سلطنة وادي إلى ثلاثة فروع رئيسية تتجه كلها صوب دارفور .

ثانياً : الطريق الذي يربط دارفور بالنيجر ، ويبدأ من كوبي ويتجه غرباً إلى أبشى ، ومنها إلى حوض بحيرة تشاد ثم إلى النيجر .

ثالثاً : الطريق الجنوبي ، هو الذي يمر بجنوب دارفور وبمنطقة أعالي النيل ، والمنطقة الإستوائية ببحيرة تشاد ومملكة البرنو ، هذا الطريق هو الوحيد الذي لم تسلكه القبائل العربية فقد سلكته القبائل

الزنجية من غرب إفريقيا ومنها إلى دارفور وسنار وهو الطريق الذي سلكه السلطان علي بن عمر سلطان برنو 1645 - 1684م ومن المرجح عبره انتقل التأثير البرناوي إلى سلطنة سنار (89) .

رابعاً : الطريق الذي يربط غرب القارة الإفريقية بشرق إفريقيا ويبدأ من مركز تمبكتوم ويمر ببلاد برنو وكوكاوا ، وادي ، ومنها إلى دارفور وكردفان وسنار والحبشة ومنها إلى منطقة القرن الإفريقي .

وقد تميزت هذه الطرق بالأمن وشعر مرتادوها من التجار والحجاج بالطمأنينة ، وتوفر أماكن الراحة ، كما كانوا يشترون طعامهم عن طريق المقايضة ، وعملت الممالك الإفريقية على بسط سيادتها على طرف الطرق وتأمينها من قطاع الطرق ، لذلك اندفعت أعداد كبيرة من تجار غرب إفريقيا قاصدين سلطنة الفور ، ومما شجعهم أكثر أن سلاطين الفور كانوا يقدمون لهم المساعدات (90) والتسهيلات اللازمة .

من الواضح أن دارفور قد توطدت علاقتها الاقتصادية بدول غرب إفريقيا خاصة امبراطورية البرنو (91) ويظهر ذلك في الآثار التي خلفوها والتي تؤكد نفوذهم الإقتصادي في السلطنة وتتمثل في الآتي :-

أولاً : التشابه في أسلوب المعاملات التجارية ، فقد كانت العملة السائدة في امبراطورية البرنو ، بحيرة تشاد هي قطع القماش وهي ذات العملة الموجودة أو المتداولة في دارفور والتي تعرف بالتكاكي ، بجانب العملات التي كانت متداولة في كوبي عاصمة سلطنة الفور التجارية هي الفرنك ، والدولار المجيدي ، والماري تريزا الدراهم التكرونية وهي عملات أهل وداي (92) .

ثانياً : نجد أن أثرياء برنو وكانم قد استقروا في مدن سلطنة دارفور الرئيسية مثل كبايية ، الفاشر ، كوبي وبدأوا يطلقون على هذه الأماكن أسماء مناطقهم الأصلية مثل منطقة قتابرنو ، زنقوا .

ثالثاً : من أهم الأدلة هي التجارة الكارمية * التي اشتغل بها سكان غرب إفريقيا ووسعوا دائرة نشاطهم التجاري حتى البحر الأحمر ، الحبشة عبر دارفور ومما يؤكد وصول النشاط الكارمي في دارفور هو الملح الأغاوي والدراهم التكرونية المنتشرة في مدن السلطنة .

رابعاً : منطقة جبل أوربي بالقرب من الحدود مع وداي كانت تمتاز بموقع تجاري مميز إذ أنها تربط وداي بغرب إفريقيا .

أهم صادرات دارفور إلى وداي وممالك غرب إفريقيا هي البضائع المستوردة من مصر كما صدرت دارفور إلى وداي النحاس والقصدير وبذلك تكون دارفور تلعب دور الوسيط التجاري في إعادة تصدير بضائعها مرة أخرى إلى غرب إفريقيا (93) .

وفي المقابل استوردت دارفور من ممالك غرب إفريقيا الرقيق ، الصمغ ، اللبان ، سن الفيل والجلود والتمرهندي ، وغيرها ويتم التبادل والمقايضة بالرقيق والبقر ، الجمال بالرغم من تداول العملات الأجنبية بين وداي ودارفور وبذلك قوية الصلات والعلاقات بين دارفور وغرب إفريقيا وفرت المياه واستتاب الأمن (94) .

الخاتمة:-

مما لا شك فيه أن الممالك الإسلامية كانت لها علاقات وصلات خارجية مع العديد من الدول ، كما أنها أصبحت معروفة في معظم حواضر العالم الإسلامي ، هذه الشهرة جذبت لها العديد من الرحالة الأوربيون الذين اصطحبوا القوافل وتركوا لنا ثروة ضخمة من المعلومات عن الممالك الإسلامية في مختلف المجالات

كذلك وفد على الممالك الإسلامية العديد من العلماء ورجال الدين ، والطرق الصوفية والذين ساهموا في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه ، كما شكل التسامح الديني الذي إتسمت به الممالك الإسلامية ميزة هامة ، ساهمت العلاقات التجارية في ترويج السلع السودانية عن سائر شعوب العالم وجعلها معروفة في العالم الخارجي .

النتائج :-

- الممالك الإسلامية في السودان أسست لسياسية خارجية كان لها الدور الفعال والمؤثر في التحول الحضاري والسياسي الديني في السودان .
- بالرغم من قلة المصادر يتضح لنا ما بذلته الممالك الإسلامية من جهد ونشاط في الجوانب المختلفة .
- العلاقات التجارية التي كانت أساساً قوياً في إستمرار الإتصال والإرتباط بين الدول .

- زيارات الرحالة الأجانب في أوقات مختلفة وكتاباتهم عن الممالك الإسلامية اوضح الكثير من الجهد والنشاط في الجوانب المختلفة .
- كان العامل الديني وسيلة تواصل في العلاقات بين الممالك الإسلامية والدول الخارجية .

التوصيات :-

- الإهتمام بجمع الروايات الشفوية نسبة لقلّة المصادر المكتوبة بالنسبة لتاريخ مملكة الفور الإسلامية ولأهميتها في كتابة معلومات تلك الحقبة التاريخية .
- التعمق في دراسة تاريخ الممالك الإسلامية في السودان .

الهوامش :-

1. يوسف فضل حسن : ملامح من العلاقات السودانية التركية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الأولى ، 2004 ، ص 36 .
2. يوسف فضل حسن : الممالك الإسلامية في السودان (1786 - 1822م) ، مجلة الدراسات السودانية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، يونيو 1973 ، ص 8 .
3. يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، 1975 ، ص 149 .
4. نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم ، 2002 ، ص 415 .
5. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : العلاقات الإقتصادية بين مصر والسودان ، مؤتمر دول حوض النيل ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، 1982 ، ص 8 .
6. المرجع نفسه ، ص 12 .
7. محمد فوزي مصطفى : الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1972م ، ص 37 .
8. الفاتح حسن قريب الله : التصوف في السودان إلى نهاية عهد الفونج ، مطبوعات كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ط1 ، 1987م ، ص 127 .

9. المرجع نفسه ، ص 45 .
10. أحمد بن الحاج أبو علي : مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، 1960 ، ص 29 .
11. محمد النور ضيف الله : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء في السودان ، 1992م ، ص 51 .
12. هارولد أ. مكمايكل : تاريخ العرب في السودان ، ترجمة سيد علي محمد ، ط3 ، الكتاب الثاني ، ص 213 .
13. مكي شببكية : السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1964م ، ص 62 .
14. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 388 .
15. السر سيد أحمد العراقي : سواكن في العصر العثماني ، 1520 - 1923م ، كتاب الخرطوم ، 78 ، 2014م ، ص 176 .
16. أنعم محمد عثمان الكباشي : سواكن في العصر العثماني في فترة التأسيس ، كتاب الخرطوم ، 78 ، 2014 ، ص 148 .
17. متوكل أحمد الأمين : النوبة التراث ، مؤسسة القرش للإعلان ، ب.ت ، ص 90 .
18. محمد إبراهيم أبو سليم : الفونج والأرض وثائق تملك ، إصدار مركز أبوسليم ، الطبعة الثانية ، 2013م ، ص 7 .
19. هارولد أ. مكمايكل ، مرجع سابق ، ص 213 .
20. صلاح محي الدين محمد : الشيخ عجيب والدولة السنارية في سنار ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الثالثة ، ص 34 .
21. السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 167 .
22. محمد صالح محي الدين : مشيخة العبدلاب وأثرها في تاريخ السودان السياسي ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1972م ، ص 265 .
23. صلاح محي الدين : مرجع سابق ، ص 36 .

24. يحي محمد إبراهيم : تاريخ التعليم الديني في السودان ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1978م ، ص 44 .
25. حمد فوزي ، مرجع سابق ، ص 54 .
26. أحمد الحاج أبو علي ، كاتب الشونة ، مصدر سابق ، ص 28 .
27. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 341 .
28. هارولد. أ . مكمايكل ، مرجع سابق ، ص 200 .
29. قيصر موسى الزين : فترة انتشار الإسلام والسلطنات (641 - 1821) ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، أم درمان 1998م ، ص 43 .
30. مصطفى محمد سعد : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ مملكة الفونج ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثالث ، 1972م ، ص 17 .
31. المرجع نفسه ، ص 17 .
32. الشاطر بصيلي عبدالجليل : معالم تاريخ السودان وادي النيل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1955م ، ص 87 .
33. مكي شبكية : السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، 1964م ، ص 81 .
34. الشاطر بصيلي : مرجع سابق ، ص 27 .
35. المرجع نفسه ، ص 89 .
36. المرجع نفسه ، ص 90 .
37. المرجع نفسه ، ص 17 .
38. مكي شبكية ، مقاومة السودانيين للغزو والتسلط ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1972م ، ص 17 .
39. المرجع نفسه ، ص 17 .
40. الشاطر بصيلي ، مرجع سابق ، ص 88 .
41. مكي شبكية ، مرجع سابق ، ص 19 .
42. أحمد بن الحاج أبو علي (كاتب الشونة) ، مصدر سابق ، ص 19 .

43. قيصر موسى الزين ، مرجع سابق ، ص 37 .
44. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 42 .
45. السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 169 .
46. السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 42 .
47. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 ، ص 271 . احمد النور ضيف الله ، مصدر سابق ص 113 .
48. محمد الفاتح حسن قريب الله ، مرجع سابق ص 113 .
49. يحي محمد إبراهيم ، مرجع سابق ، 45 .
50. أحمد بن الحاج علي (كاتب الشونة) ، مصدر سابق ، ص 19 .
51. محمد النور ضيف الله ، مصدر سابق ، ص 41 .
52. المصدر نفسه ، ص 42 .
53. عبدالمجيد عابدين : دراسات سودانية ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ، الطبعة الثانية ، 1972م ، ص 14 .
54. رجب محمد عبدالحليم : العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب . ت .
55. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 442 .
56. Trimmingham .J. Speror , Ahistory of islam in west Africa , Oxford University Press ,1962, gondon, P11 London .
57. مصطفى محمد مسعد : سلطنة الفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد 11 ، 1963م ، ص 228 .
58. Gusta Nachtigal : Sahara and sultan , vo11v Wadai and Darfur , Billing and Sonslimited , 1971 , London > p11 >
59. Arkell . A . D : The History of Darfur 1200-1700 SMR Vol33 , 1952, p152 >
60. رجب محمد عبدالرحيم ، مرجع سابق ، ص 245 .

61. يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، (1450-1821) دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الطبعة الرابعة ، 2002م ، ص 92 .
62. محمد عمر التونسي : تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة ، 1965م ، ص 183 .
63. إبراهيم موسى محمد : المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، مجلة الدراسات الإفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية ، العدد 17 ، 1997م ، ص 67 .
64. يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص 103 .
65. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 471 .
- ومن خلوي دارفور الشهيرة خلوة طرة ، شوبا ، أم شنقة ، الطينة ، بيدو ، أن فكرة المدارس القرآنية قد انتقلت إلى دارفور من غرب إفريقيا حيث كانت منتشرة وتعرف بمدارس الكتاتيب تدرس فيها الفقه والإرشاد وحفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة .
66. إبراهيم موسى ، مرجع سابق ، ص 66 .
67. المرجع نفسه ، ص 67 .
68. شوقي عطا الله : تاريخ حضارات السودان وداس النيل وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1969م ، ص 264 .
69. مكي شبكية ، مرجع سابق ، ص 13 .
70. Reisner G.A : outline of the Ancient History sultan .S.N . R part one , 1918 . p4
70. ابن حوقل أبي القاسم محمد النعسيبي : تاريخ أواخر القرن الرابع الهجري صورة الأرض ، ج1 ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1938 ، ص 101 .
71. المصدر نفسه ، ص 102 .

72. راشد توفيق عاطف : التجارة في السودان ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، 1989م ، ص 102 .
73. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 123 .
- كان سلطان دارفور هو الذي يعين رئيس القافلة بصلاحيات واسعة ويرفع له تقريراً شاملاً عن الرحلة عند عودة القافلة وعادة كان السلطان يعين رئيس القافلة من معارفه وأقربائه .
74. راشد توفيق ، مرجع سابق ، ص 51 .
75. الحسن بن محمد الوزان الزياتي : وصف أفريقيا ، ترجمة عبدالرحمن حميدة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 2005 ، ص 41 .
76. المصدر نفسه ، ص 42 .
77. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 182 .
78. ضرار صالح ضرار : السلطان تيراب ، المطبعة الحكومية ، الخرطوم ، 1950 ، ص 19 .
79. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 477 .
80. التونسي ، مصدر سابق ، ص 249 .
81. المصدر نفسه ، ص ، 250 .
82. سبنسر تريمنجهام : الإسلام في السودان ، ترجمة فؤاد عكود ، القاهرة ، 1946م ، ص 226 .
83. المرجع نفسه ، ص 228 .
84. علي محمد الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 2001 ، ص 42 .
85. الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 543 .
86. يوسف فضل ، دراسات تاريخ السودان ، معهد الدراسات الإفريقية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1975م ، ص 22 .
87. الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 544 .
88. التونسي ، مصدر سابق ، ص 544 .

89. إبراهيم علي طوقان : امبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1975 ، ص 359 .

90. المرجع نفسه ، ص 359 .

• مصطلح التجارة الكارمية أطلق على التجار البدو من غرب إفريقيا من أهل كانم طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر يعملون في تجارة الفلفل ، القرنفل وغيرها من الصادرات الهندية واليمنية ، واشتهروا باسم التجار الكارم ، وازدهرت هذه التجارة في العصور الوسطى واصبحت تجارة عالمية ، وتعتبر ركيزة أساسية للاقتصاد المغربي ، إبراهيم طوقان — مرجع سابق ، ص 360 .

91. التونسي ، مصدر سابق ، ص 58 .

92. المصدر نفسه ، ص 249 .

الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعر ابن عثيمين (ت 1363هـ) قصيدة المدح أنموذجاً - دراسة وصفية تحليلية

د. هرمين سمير مصطفى البنا

رئيس قسم اللغة العربية ، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب،

جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

Email: halbanna@kku.edu.sa

الملخص

يأتي البحث في مجمله عن الشاعر السعودي ابن عثيمين و يتناول الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعر ابن عثيمين (ت 1363هـ) ، وقد استهل بالتعريف بالأدب العربي في المملكة العربية السعودية ، ومكانته بين الآداب واتجاهاته ، ثم فصل القول في البيئات المختلفة التي مر بها الأدب السعودي والإشارة إليها .

وبتأن وقف البحث عند الشعراء المحدثين ؛ الذين على رأسهم يقف شامخاً الشاعر ابن عثيمين ؛ إذ يعتبر رائد هذه المدرسة الأدبية وله فيها مكانة لا تشابهها مكانة . ثم أُفردَ حيزٌ من البحث للتعريف بالشاعر الذي يُعدُّ شاعرَ نجد بلا منازع ، ثم تبين أغراض الشعر التي طرقها خلال مسيرته الشعرية، منوهة بما أورده الباحثون حول الموازنة بينه وبين محمود سامي البارودي ، ثم الوقوف على مقتطفات من شعره بالتركيز على قصيدة المدح لديه، فهو يتميز بقوة لغته وثقافته اللغوية والتاريخية. وكان لابن عثيمين شعر عامي إلى جانب الشعر الفصيح .

تلا ذلك العناية بعنصر الخيال لدى الشاعر، لا سيما قصيدة المدح الذي خصها البحث بالدراسة ؛ لما تجلّى فيها من الصور الحية التي رسمها الشاعر ؛ بها تميزت قصيدة المدح عن غيرها من قصائده - وإن كانت أغلب الأغراض التي طرقها الشاعر بغرض المدح ، وستبين الباحثة لاحقاً تفضيل غرض المدح عن غيره من الأغراض .

هذا، وقد وقف البحث في الختام على الصور البيانية الخيالية وأثرها ودواعيها ومسبباتها ، وكيف اتخذها الشاعر سبيلاً لإعلاء القيمة الفنية والجمالية في قصيدة المدح ، ثم ختم البحث بنتائج وتوصيات توصلت إليها الباحثة.

الكلمات المفتاحية:

ابن عثيمين ، الصورة ، الخيال ، الشعر السعودي، المدح .

5

Imagination and its Role in Shaping the Imagery of Ben Othaymin's Poetry (1363 AH): A Descriptive and Analytical Study of *Madih* Poem

Dr. Haramain Sameer Mustafa Elbana

Head of Arabic Department and Assistant Professor of Arabic, Faculty of Science and Arts-South Dhahran, King Khaled University, KSA

Abstract:

The research comes in its entirety on the Saudi poet Ibn Uthaymeen and deals with the imagination and its effect on the praise poem of Ibn Uthaymeen (d.1363 AH). It began by introducing Arabic literature in the Kingdom of Saudi Arabia, and its position between literature and its trends, and then they separated a saying in the different environments that Saudi literature has gone through. And refer to it

Carefully stop the search for modern poets; On whose head stands the poet Ibn Uthaymeen standing tall. If the pioneer represents this literary school and has a stature in it that is not similar to it.

Then he devoted a space of research to define the poet, as he is a poet we find undisputed, then to explain the purposes of poetry that he used during his poetic career, noting what the researchers reported about the balance between him and Mahmoud Sami Al-Baroudi, then standing on excerpts from his poetry by focusing on the poem praising him, it is distinguished By the strength of his language, linguistic and historical culture. And Ibn Uthaymeen had colloquial poetry as well as eloquent poetry.

This was followed by attention to the poet's element of imagination, especially the praise poem that was singled out by the study. Because of the vivid images drawn by the poet, it was revealed. By it, the praise poem was distinguished from other poems - although most of the purposes that the poet approached were for the purpose of praise, and the researcher will later show the preference for the purpose of praise over other purposes.

In conclusion, the research focused on the types of literary fiction, its impact, reasons and causes, and how the poet took it as a way to raise the artistic and aesthetic value of the praise poem.

Then he concluded the research with the results and recommendations reached at the end of the research

Keywords:

Ibn Uthaymin, Image, imagination, Saudi poetry, praise.

مقدمة :

إن الأدب في مفهومه العام يستند إلى ركيزة نفسية قوية وينبني على أساس إنساني صادق ، يعبر فيه الشاعر عن مكونات نفسه وإحساساته ، فيستخدم أدوات التعبير المختلفة مثل الخيال والعاطفة والوجدان ليتكئ عليها لإبراز الصورة الفنية للنص

والأدب السعودي - قد مر بمراحل مثله مثل كل الآداب في العصور المختلفة ، وقد التفتت الدراسات التي دارت حوله نحو الحركة الفكرية والتاريخ الأدبي .

والشعر في المملكة العربية السعودية جدير بالتقييم والتحليل والنقد والموازنة للتعرف على خصائصه الفنية ، ومن الطبيعي أن يكون للدولة السعودية- أثناء مراحل تأسيسها- شعراء ينطقون باسمها ويدافعون عنها ويواكبون انتصاراتها، وقد كان أعظم شعرائها في تلك المرحلة ابن عثيمين ، فكان لسان حال تلك المرحلة بكل تفاعلاتها ،وقد شغف الشاعر ببيئته المحلية فسطر بالشعر البطولات والأمجاد ، ومدح الملك عبد العزيز الذي ذاعت شهرته وانتصاراته أرجاء شبه الجزيرة العربية.

ولما ضعف الشعر في الجزيرة العربية لعوامل متعددة ، قيض الله الشاعر ابن عثيمين¹ للنهوض بالشعر في جزيرة العرب ولأسيما في نجد ، فعاد للشعر سموه ورونقه الأصيل ، والشاعر ابن عثيمين ولد عام 1270 هـ ، ونشأ عند أخواله وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في كُتَّاب بلدته ، ثم أدرك شيئاً من علمي التوحيد والفقہ ، كما درس على بعض علماء نجد، ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، ثم على أحمد الرجباني ، وأفاد من قراءته الواسعة وحفظه للشعر العربي والإمام بالكثير من أخبار العرب وتراثهم في الجاهلية والإسلام ، وعمل في تجارة اللؤلؤ ، ووجه شعره لقضايا المملكة وما يستجد بها من أحداث ، وقد تمت الموازنة بينه وبين البارودي الذي نهض بالشعر في مصر، ومن الثابت أن ابن عثيمين قد حاكى عصور ازدهار الشعر العربي كالعصر الجاهلي والعباسي ؛ وذلك لثقافته وعلمه الغزير واطلاعه الواسع على كتب الأدب وكتب اللغة والمعاجم ، وله ديوان شعر اسمه " العقد الثمين من شعر ابن عثيمين " طبع سنة 1980م .

¹ الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين انظر : الاعلام ، خير الدين الزركلي ، ج السابع ، ص 124 ، د.ت ، ط. 3 .

يمثل ابن عثيمين المرحلة المحافظة في مسيرة الشعر السعودي المعاصر، ويكاد يكون غرة جبين الاتجاه المحافظ، وقد نهج الشاعر نهج الشعراء القدامى في بناء أغلب قصائده. والمتأمل لعناصر التشكيل والصياغة عنده يجده يعتمد في تشكيله لصوره على التشبيه، الذي يعبر فيه عن صميم البيئة التي عاشها. فقد نهل من تراث الأدب العربي، واقتبس من القرآن والأحاديث وعف لسانه عن فاحش القول. وتجلت النزعة الإسلامية في اختياره لمفردات بعض قصائده، وكان يضع لمعظم قصائده مقدمات نثرية ليبين الغرض منها ومناسبتها.

واللافت في إنتاج ابن عثيمين الشعري أن بعض شروحه لقصائده أقرب إلى الدراسات الأدبية المتعمقة التي تدل على سعة اطلاعه، وقد سار فيها على نهج مؤلفي كتب الأدب القدامى مثل ابن قتيبة والمبرد والأصفهاني.

وبتسليط الضوء على الخيال الذي يعلي من قيمة الصورة في شعر ابن عثيمين، فقد اعتمد عليه، وكان أداة مسيطرة عليه زين به جميع قصائد المدح لديه، ومن الشخصيات المهمة التي تناولها الشاعر بالمدح وركز البحث عليها شخصية "الملك عبد العزيز لما أنجزه من انتصارات على المستوي العسكري والسياسي" 1، وتبرز قدرة ابن عثيمين الفنية في ديوانه من خلال التلاؤم بين استخدامه للألفاظ والمعاني والصور في صور مجازية توجهها الخيال، وما انفك يستخدمه في شتى أغراضه الشعرية معتمدا على التشبيهات مرة والاستعارات التشخيصية مرة أخرى؛ وغيرها من ألوان البيان التي تبرز فنية القصيدة وتعبر عن انفعالاته ومقومات الملكة الخيالية لديه.

أما لبُّ العمل الفني كله فقد كان "الخيال؛ أي مادته وموضوعه من الطبيعة" 2 وبعد "استخدامه هو الخاصة المميزة للأعمال الأدبية" 3، لأنه "عنصر الإثارة في العمل الأدبي" 4؛ إذ

1 د. محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي السعودي "فنونهم واتجاهاتهم ونماذج منه"، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط2، 1418-1997م، ص35.

2 د. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص413.

3 د. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط1992م، ص81.

4 حسين جاد حسن: على هامش النقد الأدبي، 1978م، ط1، ص35.

"يضيف على الحقيقة أزياء براقية، ويلونها بالألوان والأصباغ الفنية فتثير المشاعر وتبهر الإحساس" 1 ، وقد اتخذ الشاعر من الخيال طريقاً للصعود إلى منزلة الممدوح ، فهو يكاد يكون شاعر الملك عبد العزيز الأول ، وقد استعان بالتشبيه ، والمقابلة بين البأس والكرم والغيث والليث والنفع والضرر ، فقد مزج بوجوده الدافق بين تشخيص المعنويات والحسيات، ولولا الخيال لما استطاع الشاعر أن يصل إلى هذه المرتبة الرائعة من القول ، ويمثل ذلك قوله في المدح :

ملك تجسد من بأسٍ ومن كرم
كالغيث والليث في نفع وفي ضرر 2

أما أسباب اختيار الموضوع، فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- إثراء المكتبة الأدبية السعودية بالنتاج الأدبي للشاعر ابن عثيمين .
- ابن عثيمين شاعر جدير بالدراسة والبحث فهو من شعراء إحياء التراث .
- الوقوف على الخيال وأثره وتأثيره في إثراء التجربة الشعرية للشاعر.
- قصيدة المدح عنده أبرزت مظاهر الطبيعة والقيم الاجتماعية .
- طغى غرض المدح عنده على بقية الأغراض مما عزز دور الخيال في ديوانه.
- الإسهام في إبراز مفردات الأدب السعودي ومناهجه في الجامعات والمعاهد العليا .
- الاستفادة من آراء الباحثين والمحققين في الأدب السعودي .
- عرض نماذج من شعر ابن عثيمين والوقوف على نماذج أخرى غير المدح.
- كثرة عناصر الخيال في قصائده، يعد قضية جديرة بالبحث والتنقيب والاهتمام .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي :

- الخيال من الأغراض البيانية التي تبرز شخصية الشاعر بين الأدباء .
- ارتباط المدح بالخيال والمعجم الشعري للشاعر، وبالتراث السعودي .

¹ حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، 1978م ، دط ، ص 35.

² ديوان العقد الثمين : ص 348.

- تجلي أثر الصور البيانية في قصائد المدح يعلي من الحس الأدبي لدى الشاعر .
- المديح يعد من أهم و أكثر الأغراض الشعرية التصاقاً بشعره .

أهداف البحث :

يهدف البحث، إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الوقوف على السمات الأدبية والفنية للشاعر وتحليلها .
- إيجاد علاقة بين البناء الشعري والخيال عند ابن عثيمين.
- الإفادة من الدراسات الأدبية والنقدية في قصيدة المدح .
- توظيف درجات الخيال لدى الشاعر في قصيدة المدح .

الدراسات السابقة :

- الدراسات السابقة التي رجعت إليها - في حدود ما قرأت- لم تقف عند (الخيال وأثره في قصيده المدح لدى ابن عثيمين) وقد أشارت العديد من الدراسات إلى الجانب التاريخي لشعر الجزيرة العربية ، منها
- رسالة دكتوراه للمؤلف : عبد العزيز بن إبراهيم الفريح ، بعنوان: (ابن عثيمين رائد الشعر الحر في نجد)¹
- دراسة السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، بعنوان : (محمد بن عثيمين : شاعر الملك عبد العزيز)
- دراسة د. عبد العزيز الخويطر، بعنوان : (قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين)
- دراسة أ. د محمد بن سعد بن حسن ، بعنوان : (الشاعر الكبير محمد بن عبد الله بن عثيمين : شعره ونثره)

¹ ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، عبد العزيز الفريح، رسالة دكتوراه غي منشوره، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1379هـ-1977م.

- دراسة محمود محمد بركاته¹ ، بعنوان : (شعر ابن عثيمين ، دراسة في الشكل والمضمون

(

حدود البحث :

اقتصرت الدراسة على قصيدة المدح في ديوان : (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)

منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي النقدي .

خطة البحث :

اشتمل البحث على: مقدمة، تضمنت التعريف بالبحث، والإطار العام له.

تمهيد : وفيه تعريف بالشاعر .

المبحث الأول: تحديد المفهوم : الخيال - مصادره - صورته .

المبحث الثاني: الخيال ونموذج المدح .

ونعرج إلى الخاتمة وثبت المصادر والمراجع والنتائج والتوصيات في نهاية البحث.

تمهيد: التعريف بالشاعر .

ابن عثيمين شاعر نجدي أدرك بضع عشرة سنة من قيام المملكة العربية السعودية، ولد في بلدة السلمية بالخرج جنوب الرياض، ونشأ فيها يتيمًا عند أخواله، وتلقى القرآن الكريم وعلوم الدين على طريقة أهل زمانه في حلق العلم في المساجد، وارتحل يطلب العلم على أيدي عدد من علماء عصره في عدد من البلدان.

رحل ابن عثيمين في طلب العطاء، ومدح أمراء البحرين وقطر، وحظي عندهم، ثم قدم إلى الملك عبدالعزيز آل سعود الذي كان قد بدأ توطيد قواعد مملكته، فمدحه بقصائد جيدة كثيرة، ونال عنده

مكانة كبيرة.²

¹ دراسة في المضمون والشكل، محمود محمد بركات، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م

² انظر الأدب الحديث في نجد ، محمد بن سعد بن حسين ، تحقيق وتعليق عبد السلام سرحان ، د. ت ، مطبعة الفجالة ، مصر ، ط1 ، ص

أكبّ ابن عثيمين على دراسة الشعر العربي في عصوره الزاهرة، وحفظ منه كثيراً، فظهر أثره في شعره، وعارض كثيراً من قصائد الفحول الجاهليين والأمويين والعباسيين، واتّسمت لغته بالجزالة التي تصل أحياناً إلى حدّ الغرابة؛ وذلك لأنه يتّقف ثقافة لغوية واسعة، أمّنتها ذاكرة قوية، وقدرة على الاحتذاء، وسليقة صافية، وقد شرح هو قصيدته النونية في مدح الملك عبدالعزيز، فتمّ شرحه على تلك الثقافة اللغوية والتاريخية التي انعكست في شعره من كثرة اطلاعه على كتب اللغة والأخبار وأيام العرب وتاريخهم، وله شعر ملحون (عامي) إلى جانب شعره الفصيح. وقد اعتزل قول الشعر في آخر حياته، وانقطع للعبادة، وتدل جزالة لفظه على ثروته المعجمية، وثقافته المتمكنة وامتلاكه لخاصية اللغة ومفرداتها وإكثاره من الاقتباس من القرآن والحديث¹ وقد شهد له " بتبحره في علوم الدين " 2. يعدّ ابن عثيمين باعث الشعر الفصيح في نجد، وهو أحد من أعادوا ذلك الشعر إلى الصدارة بعد أن ضعف زمنًا طويلاً في قلب الجزيرة العربية، وانزوى في منظومات علمية نثرية، أو في عبث لفظي، ولو قدّر له أن يواكب حركة الاتصال بالأدب العربية الناهضة حينذاك، وما علق بها من مؤثرات أجنبية لكان له شأن آخر.

وقد التفت كثير من الباحثين إلى أن " ما أنجزه ابن عثيمين من إعادة الوهج إلى الشعر الفصيح، وتخليصه من قيود البديع والصنعة والتكلف، يشبه شبهًا كبيرًا ما أنجزه البارودي في مصر، وهذا ما أكده قاموس العديد من الكتب التي تناولت بالبحث الشاعر ابن عثيمين " 3.

¹ انظر : الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين، ص 13 .
² انظر: حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. عثمان الصالح العلمي الصبيونع ، د. د، ط 1 ، 1987 ، الجزء الأول ص 185، 184 .
³ انظر : قاموس الأدب والادباء في المملكة العربية السعودية فقد ورد به الكتب التالية :
 - ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، عبدالعزيز الفريح، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1397هـ (1977م).
 - اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، حسن بن فهد الهويمل، الطبعة الأولى، بريدة، نادي القصيم الأدبي، 1404هـ.
 - الأدب الحديث في نجد، محمد بن سعد بن حسين، الطبعة الأولى، القاهرة، المؤلف، 1971م.
 - التنازع على الشعراء في الخليج والجزيرة، عبدالرزاق حسين، الطبعة الأولى، عمّان، دار البشير، 1406هـ (1985م).
 - شعر ابن عثيمين، دراسة في المضمون والشكل، محمود محمد بركات، الطبعة الأولى، الكويت، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1405هـ (1985م).
 - الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، عبيدالله الحامد، الطبعة الأولى، الرياض، المؤلف، 1402هـ (1981م).

وقد جمع سعد بن رويشد ما وجده من شعر ابن عثيمين في ديوان سماه (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)1، وضم قصائده التي أنشأها بين سنتي 1320 و1355هـ، ولم يشر جامع الديوان إلى ما قاله من شعر قبل ذلك، وقد نُقِلَ أن ابن عثيمين مزَّق بعض شعره الغزلي، وفي بعض قصائده ما يوحي باستكفاه من الغزل، على الرغم من أنه يعد من براعة المطالع الشعرية الاستهلاكية عند العرب.

وقد جعل ابن رويشد الديوان سبعة أقسام، فالأقسام الأربعة الأولى تحوي ما قاله في المديح (في الملك عبدالعزيز؛ وفي الملك سعود (وكان ولياً للعهد)، وفي حاكم البحرين وفي حاكم قطر)، وفيه سبع وثلاثون قصيدة، والقسم الخامس في المتفرقات، لا يحوي سوى قصيدة واحدة، والقسم السادس في المراثي، وتضمن سبع قصائد، وأضاف في القسم الأخير ثلاث قصائد جديدة.

وعُني جامع الديوان بإثبات المقدمات النظرية التي كتبها ابن عثيمين، كما شرح الغريب من الألفاظ، ووضع لكل قصيدة عنواناً مستمداً من مطلعها، وأشار إلى تاريخ نظمها.

كُرِّمَ ابن عثيمين في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد بمكة المكرمة سنة 1394هـ (1974م)، ضمن من كُرِّمَ من الأدباء المتوفين، وأنجزت عن شعره بضع رسائل علمية، وهي في ديوانه: العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، القاهرة، 1375هـ (1955م).

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين والمحللين اقتصرُوا على دراسة ابن عثيمين في إطار إقليمي ضمن بلدان الجزيرة العربية ولكن العديد تناولوه بالإطراء كأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في كتابه: "الأدب الحديث في نجد" والأستاذ الدكتور عبد الله الحامد في كتابه: "الشعر في

-
- شعراء نجد المعاصرون، عبدالله بن إدريس، الطبعة الثانية، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، 1423هـ (2002م).
 - قراءة في ديوان الشعر السعودي، يوسف حسن نوفل، الطبعة الأولى، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، 1401هـ (1981م).
 - معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، الدائرة للإعلام، الرياض، الدائرة للإعلام، 1413هـ (1993م)
 - معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، علي جواد الطاهر، الطبعة الثانية، الرياض، دار الإمامة، 1418هـ (1997م)

¹ انظر: العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، دار الشبل، الرياض، 1430 هـ، ط 4، ص 17.

الجزيرة العربية خلال القرنين 1150هـ - 1350هـ " وغيرهما ، فالحق أن ابن عثيمين يفوق غيره من معاصريه لما اشتمل عليه شعره من مظاهر الجزالة في الأسلوب ؛ إذ كان يصدر في حياته عن واقع حقيقي بيئي ظاهر، مما أهله لمشابهة الأوائل من الشعراء ولاسيما في تناولهم الشعري وتعبيرهم عن واقع بيئتهم ومجتمعهم .

ومما لا شك فيه أن ابن عثيمين يتصف بالبراعة الشعرية والقدرة على التناول ورقة الأسلوب؛ مما جعل النقاد والأدباء يعقدون موازنة بينه وبين البارودي؛ فالبارودي " أثبت بما أعطى من ملكات وما وهب من ذكاء وقدرة على الاستظهار وما تأتي له من إتقان في القول والنظم أن يقدم قصائد مؤكداً بها إحياء الشعر وابتعاثه من رقاده " 1، ومثله ابن عثيمين الذي يمثل في الشعر السعودي مدرسة الإحياء والبعث ، كما يمثل البارودي هذا الاتجاه في الشعر العربي بعامة والشعر المصري بشكل خاص مع التباين بين الشاعرين ، وظل " ابن عثيمين علماً على تلك المرحلة- الإحيائية - كما كان البارودي في مصر على اختلاف المشارب والأهواء والتكوين النفسي والثقافي بينهما" 2 .

وقد أشار سعد بن عبد العزيز ابن رويشد جامع ديوان ابن عثيمين والذي سماه : (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)، إلى أن هذا الشاعر كان في عهده شاعر نجد على الإطلاق وكانت منزلته بين الأدباء لا تساميتها منزلة ، وقد حوى الديوان قصائده المنظومة بين عامي 1320-1355هـ.

أما أغراضه الشعرية التي أضاء بها الساحة الأدبية السعودية وحوأها ديوانه فيغلب على معظمها المدح ، وقد قسم ديوانه إلى ستة أقسام، أولها : في مدح الملك عبد العزيز آل سعود؛ فقد لازمه ومدحه ، وأشهر قصائده هي التي مدحه بها وقد احتذى فيها أبا تمام - بعد فتح الأحساء ومطلعها :

العز والمجد في الهدية القضب لا في الرسائل والتمنيق للخطب

1 د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، عمان ، ط 3 ، 1430 هـ ، 2010 م ، ص 63 .
2 د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي "فنونه واتجاهاته ونماذج منه" ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ط2، 1418-1997م ، ص36.

تقضى المواضي فيمضى حكمها أمماً إن خالغ الشك رأي الحانق الأرب¹

أما القسم الثاني من الديوان فقد كان في مديح الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، والناظر للقسم الثالث والقسم الرابع يجد أنه كان في مدح الأمراء أيضا ، واحتوى الخامس على موضوعات عامة وأغراض شعرية مختلفة ، بينما اشتمل القسم السادس من الديوان على عددٍ من المراثي.

وجدير بالذكر أن ابن عثيمين قد امتدت حياته حتى بلغ من العمر مائة سنة أويزيد، متمتعا بصحته العقلية ، وكان فقيرا نذر حياته لعلوم الشرع ، وله باع طويل في الأنساب ، ومن أجود الأبيات التي تعبر عن تجربة الشاعر حين استطاع بالخيال أن " يجسم التجربة، وأن يتصور في وضوح أحداثها، وكانت مشاعره من القوة والتحفز بحيث تستجيب لخياله إحساسنا في أدبه بما نسميه الصدق"² ، ويمثل ذلك قول ابن عثيمين :

غر مكارمهم حمر صوارمهم خضر مراتعهم للفضل تيجان

لكن أورا هم زندا وأسمحهم كفاً وأشجعهم إن جال أقران³

وقد اتخذ ابن عثيمين من صفة الكرم مُدخلاً للمدح ، حيث كنى هنا عن كرمهم وجودهم ، ووصفهم بأنهم غر المكارم ، وجاءت الصورة هنا ملائمة للغرض في " حمر صوارمهم " ، وقد مزج الشاعر بين الصورة الحسية والمعنوية ؛ أي الفضائل المعنوية للممدوح والبعد الحسي للصورة . ومما لا شك فيه أن الشاعر قد اعتمد على الخيال في هذا النص ، وهذا هو أسلوبه وطريقته في شتى قصائده ، لا سيما قصائد المدح .

فالخيال يعد من العناصر التي يعبر بها الأديب عما يحس به بدافع الأناقة في القول والخلابة في الأسلوب، ومنه المجاز والاستعارة والتشبيه، وغيرها من فنون التعبير.

¹ العقد الثمين : ص 37.

² د. محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 9 ، 2010م ، ص 16، 15.

³ العقد الثمين : ص 53.

المبحث الأول

تحديد المفهوم : الخيال - مصادره - صورته.

فطر الإنسان على متعة الخيال وجعلها إحدى وسائله للإبداع في الفن وغير الفن ، وقد تعددت تعريفات الخيال بين التعريف اللغوي والاصطلاحي والأدبي ؛ وتعريف الخيال لغة هو : "خال الشيء بِخَالٍ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلًا وَخَيْلًا وَخَيْلَانًا وَمَخَالَةً وَمَخِيلَةً وَخَيْلُولَةً: ظَنَّهُ، وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ يَسْمَعُ يَخَلُّ أَي يَظُنُّ، وَهُوَ مِنْ بَابِ ظَنَنْتَ وَأَخْوَانَتَا الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبْرِ، وَخَيْلٌ فِيهِ الْخَيْرُ وَتَخَيْلَهُ: ظَنَّهُ وَتَفَرَّسَهُ. وَخَيْلٌ عَلَيْهِ: شَبَّهَهُ. وَأَخَالَ الشَّيْءُ: اشْتَبَهَهُ. يُقَالُ: هَذَا الْأَمْرُ لَا يُخِيلُ عَلَى أَحَدٍ أَي لَا يُشْكَلُ. وَشَيْءٌ مُخِيلٌ أَي مُشْكَلٌ".¹

والخيال في معجم التعريفات معناه : " هو قوة تحتفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها ، فهو خزنة للحس المشترك، ومحلّه مؤخر البطن الأول من الدماغ"²

والخيال لغة أيضاً هو: " ما تشبه لك في اليقظة و الحلم من صورة ، ج : أخيلة"³ ، وهو عبارة عن " اختلاق الصور ؛ حيث تكون أجزاء هذه الصور مما جرده العقل وتم حفظه بالذاكرة ومن هذا نستطيع القول : إن الخيال هو مصدر التخيل من الشاعر عن طريق التأليف والتركيب"⁴ ؛ فالشاعر يحتاج إلى التخيل لأنه لا يستطيع أن يعبر مباشرة كما يفعل العلماء ، بل يلجأ إلى التعبير التصويري.

¹ أحمد رضا : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1958 م ، مادة خيل ، خ ، ي ، ل ص 99 .
² انظر معجم التعريفات : للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، 2004م ، رقم المصطلح 835 ، ص 90 .
³ المعجم الوسيط : تأليف العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي "المتوفى سنة 817هـ" تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط6 ، 1989م مادة خيل ص 996 .
⁴ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر ، 1967 ، ط1 ، ص 105 .

أما الخيال اصطلاحاً فهو: " قوة تحتفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها ، فهو خزانة"1 " والخيال هو الدافع ، و هو حديث معقد له عناصر مختلفة كثيرة ، وليست الصورة هي الأفكار ؛ إذ الأفكار للأشياء المجردة العامة والصور للأشياء المحسوسة الخاصة ، وقد كانت الأفكار كانت تفهم في الأصل من صور حسية ثم تجردت من حسيتها بعد طول استعمال"2

والخيال الأدبي يعد أحد العناصر الرئيسية داخل العمل الإبداعي في الفنون الأدبية ، سواء أكانت شعراً أم قصة أم رواية أم مسرحية . ولما كان الخيال ملكة إبداعية تميزت به عناصر النص الأدبي ؛ صار ركيزة أساسية مع غيره من أركان النص الأدبي: الفكرة والعاطفة والأسلوب، و لابد في الصور الخيالية سواء أكانت صور جزئية ؛ كالاستعارة والتشبيه أم صوراً كلية ،لابد من صلة بين طرفيها كتشابه أو انتماء الجزء للكل أو المجاورة .

ومما استوقفني في الشعر العربي بيت الوأواء الدمشقي المشهور :

وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

هذا البيت امتدحه أبو هلال العسكري في الصناعتين وديوان المعاني ، وأبو منصور الثعالبي في بينمة الدهر ، بأن خيال الشاعر قد " حدا به أن يركب البيت في خمسة تشبيهات: "تشبيه الدمع باللؤلؤ، والعين بالنرجس، والجد بالورد، والأنامل بالعناب لما فيهن من الخضاب ،والنثر بالبرد"3 وقد التفت غير واحد من الباحثين إلى أنواع الخيال حيث إن للخيال أنواعاً متعددة تمد الأديب بأسباب الحياة وتعطيه حظه من الحيوية ، فمنهم من يراه خيالاً أولياً وخيالاً ثانوياً 4 ومنهم من يقسمه

¹ على بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، ص 90.
² انظر د. محمد غنيمي هلال : المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، ص 90 ، و 389 ، ود. مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص 16 ، 17 ، 18.
³ أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، ص 301.
⁴ انظر د. محمد زكي العثماني : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م ، ص 65 و67 و68.

إلى ثلاث: "1 الخيال الابتكاري وهو الذي يخلق صورة تركيبية جديدة لا وجود لها في عالم الواقع ومنها الخيال التالي في ، " وهو أقرب ما يكون إلى النداعي النفسي والترابط الوجداني "2، ومنها الخيال التفسيري أو الخيال البياني ، وهو الذي " يقف أمام المثير الحسي فيخلع عليه من وجدانياته ومشاعره صفات توضحه للنفوس "3 ، ومن ثم نستطيع وصف العمل الفني بأنه " يكون مجاله الخيال؛ أي أن مادته وموضوعه من الطبيعة" 4 وأن "استخدامه هو الخاصية المميزة للأعمال الأدبية" 5؛ إذ لابد " أن يحتوى مجال الفنون والآداب شيئاً من الخيال "6، وهو أساس الصورة الأدبية "7 وتكمن " براعة الشاعر أو الأديب في قدرته على الربط بين الأشياء المتباينة ، ونقل المشاعر من مجرد معانٍ هائمة في نفسه إلى أشياء مدركة "8 ومن ذلك قول ابن عثيمين في المدح :

نظروا ليثاً وبدراً طالعاً
وبنائاً بالعطفاً وطفلاً تسح⁹

يدل هذا البيت على تمكن الشاعر من اللغة حيث يتميز شعره بالجزالة والرصانة ، فضلاً عن القوة ، ومما يعزز صدق الخيال أن " الأديب يتخذ من تجاربه الفعلية في الحياة مادة لأدبه ، فهو أيضاً كثيراً ما يتخذ الأدب وسيلة لادخار طاقته ، فالتجارب التي لا تمكنه ظروف الحياة من أن يعيشها نراه من أجل يشبع هذه الرغبة يتخذ الأدب وسيلة لكي يعيشها بالخيال ، والشاعر الذي لا تواتيه فرصة لكي يعشق ويحس العشق قد يستطيع بخياله أن يعيش هذه التجربة ، وهنا قد نحس بمعنى الصدق والكذب ، ولكنه في الواقع ليس صدقاً ولا كذباً ، إنما هو ضعف أو قوة في الخيال ، وشدة ارتباط أو تراخ بين الخيال والمشاعر .

¹ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 188.
² عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 191.
³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 195، 196.
⁴ د.محمد غيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص 413.
⁵ د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1992م ، ص 81.
⁶ محمد الجزار : الفكر الإنساني مركز الكتاب للنشر ، ط 1 ، 1426 هـ 2006م ، ص 52.
⁷ أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 10 ، 1999م ، ص 243.
⁸ محمد زغول سلام : النقد العربي الحديث ، ص 12.
⁹ العقد الثمين : ص 230.

فبواسطة قوة الخيال " تستطيع صورة معينة أو إحساس معين واحد أن يهيمن على عدة صور وأحاسيس يحقق فيما بينها وحدة أشبه بالصرح ، وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التي تخلقها الطبيعة ذاتها ، عندما تشاهد أحد مناظرها تشعر بوحدة هذا المنظر ، فالخيال يذوب ويتلاشي ويتحطم، ليخلق من جديد "1 وقد تنطبق هذه الحقيقة على قول شاعرنا في خلق صورة جديدة جديدة في قوله حينما مدحَ الملك عبد العزيز :

فَأَسْقَيْتَهُمْ سَمَاءً زَعَافًا يَشُوبُهُ بِأَفْوَاهِهِمُ بِأَمْوَاتٍ صَابٍ وَعَلَقَمٌ²

في هذا البيت قام ابن عثيمين بتوظيف الخيال متمثلاً في التشبيه و الكناية لخدمة المعنى ، حيث شبه قتل الملك عبد العزيز الأعداء والقضاء عليهم بسقى السم الذي يقتل في حينه ، فاعتمد على الشكل الحسي ، فالممدوح يجيد فن القتال بإتقان، فسار القتل شيئاً سهلاً الشراب ، يمتزج طعمه بالمرارة؛ فيؤكد النهاية القاسية للأعداء ، وجاءت الكناية في لفظتي صاب وعلقم .

ويمكن أن " يعبر الشاعر تعبيراً رزيناً عن فكرته، و تساعده غلبة الخيال وروعة التصوير على إبراز المعنى "3 ،ومن الأبيات التي مثلت التناغم بين العاطفة والخيال وقوله:

الْمُنْعَمِينَ بِلَا مَن وَلَا كَدْرٍ وَالْحَاكِمِينَ بِلَا جُورٍ وَلَا مِيلٍ⁴

يصف الشاعر الممدوح بالعطاء بلا حدود وبلا تكلف وبلا منٍّ ولا كدر ، فيجمع بين صفة الجود والكرم وصفة العدل .

وعندما طاب له أن يصور " العاطفة بالخيال تصويراً جميلاً تبدو فيه شخصيه الشاعر "5 المتعلقة بالتراث والبيئة الشعبية ، فقد قال :

¹ سالم عبد الرازق سليمان المصري : شعر التصوف في الأندلس ، ص 44.

² العقد الثمين:ص 162.

³ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 88.

⁴ العقد الثمين : ص 318.

⁵ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 111.

على ضمير بين الوجيه ولاحق تعارض ما أبقي الجديل وشدقم¹

يعمد الشاعر هنا إلى البيئته والتراث في وصف خيل الممدوح ، فقد وجه الشاعر المدح للممدوح عندما وطف الكناية ووصف خيل الممدوح القوية الأصيلة حيث لا يركب الملك إلا الخيل السريعة .

وتتمثل قوة الأديب الفنية " من حيث براعة الخيال وحسن الموسيقى ، وبراعته في التصوير وحسن انتعاشه للألفاظ والعبارات التي تعطي للموضوع طابعا يحقق اللذة والاستمتاع إلى جانب ما تحققة الفكرة من تهذيب وإرشاد"2 ، ذلك الأدب هو مصور للأخلاق وهو ما نجده من خلال قصيدة المدح في قول ابن عثيمين :

الله أعلى سعوداً في سعادته فكان أشهر من نارٍ على علم³

ونلاحظ أن أساليب ابن عثيمين في المدح قد تعددت في لغة المخاطب ؛ وذلك لأن " أثر الأسلوب على المتلقي ؛ قد يكون إمتاعاً أو إقناعاً أو شد انتباه أو إثارة خيال "4 ، وقد استحق الشاعر بجدارة أن يكون شاعر الملك عبد العزيز الأول حين قال :

العز والمجد في الهدية القضب لا في الرسائل والتمنيق للخطب

تقضى المواضي فيمضى حكمها أمماً إن خالج الشك رأي الحاذق الأرب

ليث الليوث أخو الهيجاء مسعرها السيد المنجب ابن السادة النجب

¹ العقد الثمين : ص 164.

² عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1 ، ص 171.

³ العقد الثمين : ص 352.

⁴ د. أمال يوسف سيد يوسف : علم الأسلوب ، مكتبة المتنبى ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ص 15 .

عبدالعزیز الذی ذلت لسطوته

شوس الجبابر من عجم ومن عرب¹

وجاء المدح هنا معتمدا على الصفات المعنوية لدى الممدوح ، وقد أبدع الشاعر في رصد صفات الممدوح المعنوية وقدم راحة الرأي والإشادة بالخبرة والسطوة والحكمة .

وفى موضع آخر ينطلق الشاعر من مدح الملك عبد العزيز في فتح الأحساء وقد عارض في المطلع الشاعر الكبير أبا تمام وحاكاه في قصيدة " فتح عمورية " ، بقوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب²

وبنظرة متأنية حول البيتين نلاحظ أنهما " على نمط البحر والقافية، ونظمت في الغرض نفسه ، وقد تأثر الشاعر بأبي تمام في بعض المضامين ، ومهما يكن من أمر فإن هذه المعارضة تتميز بقربها الشديد من حيث المناسبة والمضمون ، فالروح الإسلامية الوثابة فرضتها طبيعة الفتح والحافز في كليهما حافز ديني ، كما أن شخصيتي الممدوحين متقاربه " 3 ، والمديح يعد أهم الأغراض التي تتجلى فيها خصائص أبي تمام وهو في كثير منه لا يحتفظ بالمقدمة الطللية مودعا فيها كثيرا من لفتاته وخواطره النادرة التي تدل على سعه خياله " 4 ويشابهه ابن عثيمين عندما أراد أن يعبر بالشعر عن الحكمة في تصرفات الملك عبد العزيز في تحقيق النصر والاستقرار ، فالحكم للسيوف وليس للخطب.

وقد أشار غير واحد من الباحثين إلى معارضة ابن عثيمين لأبي تمام بقوله : " فهي صورة تكاد تكون معارضة لقصيدة أبي تمام ... والفرق الوحيد بين القصيدتين أن ابن عثيمين محا اسم المعتصم وأحل محله " عبد العزيز " ، وحذف كلمة " الخليفة " ووضع مكانها " الإمام " ، وغير اسم

¹ العقد الثمين : ص 37

² ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصلي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، اللعازرية ، بيروت ، ط 1 ن 1986 م .

³ د. محمد صالح الشنطى ، في الادب العربي السعودي دار الاندلس للنشر والتوزيع ، 1417 هـ ، ص 87، 86.

⁴ د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 17 ، 279 .

المعركة " عمورية " وجعل بدلها " الأحساء والرياض " ثم أبقى كل شيء كما كان بحراً ، ووزناً ، وتعابير ، وشكل أداء " 1

والخيال أيضا هو " القوة التي تنفث في الأدب الحياة والحركة ، وتمده بالصور الوفيرة المجسمة لإحساس الأديب ومشاعره وهي التي تساعدنا على الإحساس بالتجربة الأدبية التي مر بها الفنان المصور "2، وقد جسد ذلك ابن عثيمين عندما ربط بينه وبين البيئة في قوله :

أقول للعبس إذا تلوى ذفاريها
للإلفها ولها في الدو تحنان
ردى مياها من المعروف ظامية
نباتها التبر لا شيخ وسعدان³

هنا مرة أخرى يستعين ابن عثيمين بالبيئة في رسم ملامح الكرم والجود والإحسان للملك حيث يجعل الناس يقصدون موارد الملك وعطاياه ، وتعد البيئة هي إحدى مرتكزات الخيال عند الشاعر، بالإضافة إلى الأدوات الفطرية والمكتسبة ، "ويجيء الخيال في مقدمة المواهب الفطرية ويؤدي دورا جوهريا في الإبداع أيًا كان لونه ، فهو الذي يعطى الأفكار المبهمة الشكل والكثافة التي تكون البذرة الأولى للعمل الفني ، وبقدر ما يكون الخيال حرا ومنطلقا في مجال الممارسة يجيء نتاج الفنان أصيلاً ومبتكراً. 4

وتتجلى براعة الخيال في قدرة الفنان المبدع على تجسيم المعنويات ، وتلك القدرة تجعله يخلع الأحاسيس والانفعالات الإنسانية على الجمادات والأشياء غير العاقلة ، وإذا كانت أهمية الخيال تعد إحدى العناصر المهمة في العمل الأدبي ، فإنه قد استمد تلك الأهمية من علاقته بالعاطفة من جهة

¹ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 251.

² عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 173.

³ العقد الثمين : ص 104، 105.

⁴ د. الطاهر احمد مكي : الشعر العربي المعاصر رواه ومدخل لقرائه ، مكتبة المتنبي ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 17.

ومن نوع الخيال فهو: " بسيط ، عميق ، موح ، مبدع ، خلاق ".....ففي هذا البيت ينكئ الشاعر على التجسيد لما فيه من " القدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز "1

فالشاعر " يلجأ إلى الصور التي تجسم المعاني وتنقلها إلى درجة أرقى؛ لتزداد قوة وجمالاً ، فهو يلجأ إلى صور التشبيه والاستعارة والكناية أو المبالغة أو التخيل "2، وقد تأثرت تلك الصور بسعة خيال الشاعر ، وقدرته على استيعاب الأشياء من حوله ، وانتزاع أوجه الشبه بين المتشابهات، ويتطلب ذلك إحساساً مرفهاً وإدراكاً دقيقاً لجماليات الموصوفات ،ويقودنا إلى ذلك قول ابن عثيمين :

ولما رأوا منك الصرامة أدبروا
يظنون رحب الأرض حلقة خاتم 3

فقد أراد الشاعر وصف الممدوح بالقوة والصرامة والشجاعة ؛ فوصف حالة أعدائه عندما رأوه ، فقدم خوف الأعداء على صفات الممدوح؛ ليرسم صورة خيالية مبدعة عن حالة الخوف والهلع الذي أصاب الأعداء وهي كناية عن مهابة الممدوح وشجاعته .

المبحث الثاني

الخيال و قصيدة المدح

تتكون القصيدة العربية من مجموعة " من الأبيات تلتزم وزناً شعرياً واحداً وقافية واحدة"4 ، وهذا ما جاءت عليه قصائد شاعرنا ، فقد جاءت قصيدة المدح لديه مفعمة بالحماسة والجدة ، وملتهبة بعواطف الحب والفرح ، وقد اتخذ ابن عثيمين من الملك عبد العزيز رحمة الله عليه رمزاً للكفاح، ومظهراً من مظاهر الشجاعة ، فالمعارك التي خاضها والانتصارات التي حققها جعلته يستحق هذا التقدير والاحترام من شعبه ، ومن الشعراء والأدباء .

¹ مصطفى ناصف الصورة الأدبية : ص 136.

² محمد حسن عبد الله : الصورة والبناء الشعري ، ص 10 .

³ العقد الثمين : ص 295.

⁴ د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقي ، دار النفائس ، ط1 1987م ، ص 13.

ويعد بيت الشعر هو "وحدة القصيدة ، في مبناها لا في معناها. فالقصيدة قد تدور كلها حول معني واحد ، كما هو الحال في أكثر الشعر الحديث، أو تتناول موضوعات شتى ، كما يظهر في أكثر الشعر الجاهلي "1 ، وقد تعتمد الشاعر في الكثير من أشعاره تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة كقصيدة المدح مثلاً .

ويعد الشاعر ابن عثيمين من الشعراء الذين أخذوا على عاتقهم إحياء التراث، والنهوض به من حالة الجمود إلى التطور ، وقد مثل شعره تياراً جديداً فنياً ميزه عن غيره من شعراء عصره وبيئته ، وفي اتخاذ الشاعر غرض المديح ودمجه بالتراث والبيئة والتاريخ أثرٌ كبيرٌ في تميزه وتفرده .

ومما لا شك فيه أن الخيال يؤدي دوراً مهماً في قصيدة المدح عند ابن عثيمين ، وقد علت القيمة الفنية لهذه الصورة في إبراز التعبير الشعري لدى الشاعر ولاسيما في قصيدة المدح ، حيث كانت هي الوسيلة التي ينكئ عليها الشاعر، وتعد إحدى أبرز مقومات العمل الفني لديه، بالإضافة إلى الأفكار والعاطفة والأسلوب .

وقد أولى الشاعر بالعناية والاهتمام بل والغناء ببطولات الملك عبد العزيز (رحمه الله) وأمجاده ، ومن تلك اللحمة التي ربطت بين ابن عثيمين والملك نستطيع أن نؤكد قول د. الطاهر مكي : إن الشاعر " يكتشف موضوعه حين يحرك روجه حدث خارجي أو انفعال داخلي يقع على شخصه أو يمس الذين حوله، ويحس بالرغبة في إعطاء هذا الشعور شكلاً خارجياً"2 ، وقد أسهم تميزه أيضاً " بحسن الديباجة ، وقوة السبك ، وتخير الألفاظ ، وابتكار المعاني ، وجودة التصوير ، وخصوبة الخيال "3 ؛ لعنايته بالتفاصيل في قوله :

¹ د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقي ، دار النفائس ، ط1 1987م ، ص 23 .
² د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روايته ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبى ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 18 .
³ انظر : العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، دار الشيل ، الرياض ، 1420 هـ ، ط 4 ، 17 .

عُجِبَ بِي عَلَى الرَّبْعِ حَيْثُ الرَّئْدُ وَالْبَانُ وَإِنْ نَأَى عَنْهُ أَحْبَابٌ وَجِيرَانُ¹

وقد يأتي ابن عثيمين ببعض الصور في مدحه فنجد " فيها الحياة وفيها الحركة ، فإذا أضاف لها الحوار استوت لها كل عناصر التخيل "2

ويعد الخيال " أقدم من الفكر عهداً بالإنسانية، وهو ظاهرة فطرية وعامل مهم من عوامل الإثارة الفنية ؛ لأنه عدة الأديب في تجسيم انفعالاته وتجسيد مشاعره في صورة جميلة تعبر عن الإحساس والشعور والاستجابة للأديب والتجاوب معه فيما عبر عنه "3 وقد ظهر ذلك جليا في قول ابن عثيمين :

يحكى اشتعال المواضي في أكفهم تألق البدر في وطفاء مدارار⁴

فقد وفق الشاعر في الجمع بين البيئة والمدح حيث يعتمد الخيال على تجارب المبدع الحيوية أو البيئة العقلية والجو النفسي للشاعر، وهذا ما نراه في أشعار ابن عثيمين في مدح الملك عبد العزيز حيث جنح الشاعر إلى ذكر فضائل الممدوح في أكثر من موقف بإيراد صفات متعددة للممدوح ، حيث ربطت الشاعر علاقة قوية بالممدوح .

فقوة وشجاعة وخبرة وسطوة الممدوح إذا ولى زمام الحكم ، وقد ظهر ذلك فيما جادت به قريحة الشاعر حين قال :

كَأَنَّ زِحَامَ الْمُعْتَفِينَ بِبَابِهِ تَزَاحِمُ مَنْ تَرْمِي الْجِمَارَ أَصَابِعِهِ⁵

¹ العقد الثمين : ص 47.

² د. بن عيسى باطاهر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1427 هـ ، 2006 م ، ص 77.

³ الكلام بتصريف من عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967 ، 1968 ، ط1 ، ص 157، 174.

⁴ العقد الثمين : ص 306.

⁵ العقد الثمين : ص 192.

وقد تجلت الحيوية في صور كفاح الممدوح وسعيه لتوحيد المملكة ، والتقل سعيًا وراء النصر والمجد ، وتحقيق المكانة التي ينالها أمام ملوك وعظماء العالم في وقته ، فهو يليق به الكفاح والنضال ، وقد أشاد بذلك ابن عثيمين فقال عنه :

أجيب حظك إذ ناداك معترماً
بالمهفات وجرّد كالسراحين¹

و قد يخرج الشاعر عن المألوف لدى القدماء في الخروج من ثوب عباءة " المقدمة الطلّية إلا ما ندر والتمهيد إلى الغرض المقصود برفق ولين، والختام بالحمد والصلاة على النبي ﷺ ، في آخر قصائده، كذلك إهداء النصح والإرشاد للممدوح " ².

وقد تناول العديد من الباحثين والنقاد دراسة المديح كأحد موضوعات الشعر الذي " هو أكثرها استبدالاً به، إذا يبلغ مجموع قصائد المدح عنده تسع وثلاثون قصيدة ، وقد أشاد فيها بمناقب من مدحه من الملوك والأمراء"³ وكان للملك عبد العزيز النصيب الأكبر من هذه القصائد ، حيث اعتمد على الدين فهو " يمنحه الأدلة والبراهين على شرعية الممدوح وعدالته فيما يطبقه في السلم والحرب ، وفي تعامله مع شعبه وخصومه ، والمصدر الأدبي يمدّه بثروة من الألفاظ والصور والسمات الخلقية والخلقية...، ؛ إذ يعتبر شعره أحد مصادر القوة عند الحكام، حيث يضيف الشرعية ، و يسجل الحدث للتأريخ بشعره "⁴.

وقد أخذ ابن عثيمين على عاتقه مدح الملك عبد العزيز دون مقابل ، حيث " يرى أن من واجبه أن يرفع الشكر والثناء إلى من يستحق ، وأنه إذا سكت عن ذلك فقد قصر في واجبه...فقد

¹ العقد الثمين : ص 183.

² حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. عثمان الصالح العلمي الصبوينع ، د. د ، ط 1 ، 1987 ، الجزء الأول ص 171 .

³ انظر : مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودي الحديث في منطقة نجد 1157هـ - 1343هـ ، إبراهيم بن فوزان الفوزان ، دن ، الرياض ، 1418هـ ، ط 1 ، ص 209.

⁴ السابق مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودي الحديث في منطقة نجد 1157هـ - 1343هـ ، إبراهيم بن فوزان الفوزان، ص 209.

عاش ابن عثيمين فقيراً ومات فقيراً¹ وقد نرى الشاعر يعمد للخيال مع استخدام " شرح المفردات ثم التراكيب، مبيناً استعمالاتها في شعر الأقدمين وأوجه البلاغة فيها"²، وهو هنا فهو يسير على نهج القدماء ، ففي قوله :

عبدُ العزيز الذي نالتْ به شرفاً بنو نزارٍ، وعَزَّتْ منه فحطانُ
مُقَدِّمٌ في المعالي ذكرُهُ أبداً كما يُقَدِّمُ باسمِ الله عوانُ
مَلِكٌ تجسَّد في أثناء بُرْدَتِهِ غيثٌ وليثٌ وإعطاءً وحرمانُ³

يأتي الخيال في ثوب التشبيه حيث أبدع ابن عثيمين في الثناء على الممدوح ، حيث شبه الملك عبد العزيز في تقدم ذكره في كل الفضائل وكأنه كالبسمة التي تبتدأ بها كل الأمور كما علمنا ديننا واتباع لسنة حبيبنا محمد ﷺ " فشان الملك كشأن البسمة ، ووجه الشبه هو المعنى العقلي في البدء والشرف والتقديم ، وفي تفهيد بلفظ عنوان ، مناسبة هنا لمقام الصورة ، فالملك كالبسمة التي تتقدم العناوين التي من شأنها أن تبين لنا ما يأتي بعدها " ⁴، وهكذا فقد أدَّى الخيال دورا في تغيير صورة المدح لدى الشاعر ، والخيال "خير وسيلة لوصف الطبيعة وصفاً أدبياً رائعاً لقدرتة على إدراك جمالها ، وتفسير مظاهرها والنفاذ إلى أعماقها"⁵، وهذا ما وجدناه في مدح ابن عثيمين السابق .

والصور الشعرية عند ابن عثيمين لا تختلف في مجملها عن الصور الشعرية في شعر القدماء ، والبناء الهيكلي للقصيدة لديه مماثل للقدماء ولكن " إن كان مقلداً لأولئك السابقين فإن تقليده هذا كان من باب التجديد ، ومن هنا يعد ابن عثيمين المجدد الأول للشعر العربي في جزيرة العرب ، شأنه كشأن محمود

¹ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 241.

² انظر : في الأدب العربي السعودي ، وفنونه واتجاهاته ونماذج منه ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس ، حائل ، 1997م ، ط 2 ص 83 .

³ العقد الثمين : 77 .

⁴ الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن علي الفحطاني ، 1433 هـ ، ص 33 .

⁵ حسين جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، ص 42 .

سامى البارودي في مصر " ، ونراه تارة يختتم قصائده¹ بالنصح أو الإرشاد أو الفخر أو بالدعاء أو بالحكمة وما إلى ذلك مما يحسن الختام به " وقد لاحظ كثرة الاعتماد على الاستعارات في ديوان الشاعر ولاسيما فيما يخص المدح ، والأسلوب البليغ في معظم الصور التي لا تخرج عن صورة التشبيه القديم في تشبيه الممدوح بالليث في الإقدام والشجاعة والغيث في الكريم ، والحرص على تقريب الصور باستخدام الأطراف الحسية الأقرب لتصور العقل ، ويعتمد على الصور البصرية و يحذف أحيانا وجه الشبه ليدفع القارئ للتأمل والتخيل ، وقد أثارت البيئة بمفرداتها حفيظة الشاعر، فعمد إلى مفردات البيئة والحرب والصورة المتحركة والصامتة، ونراه يعمد أحيانا إلى الاقتباس من القرآن الكريم ، وبحسن المطابقة بين المشبه والمشبّه به لتكتمل الصورة في ذهن المتلقي .

والشاعر المثقف ذو الشخصية الواضحة قد اعتمد في مادته التي يتركب منها الخيال على عناصر متعددة، أهمها : الحرب وما يتصل بها من مفردات تتعلق بالطبيعة والقتال والفتك والصراع والحوادث حيث يقول في تهنئة الملك عبد العزيز بفتح الأحساء :

العز والمجد في العنيدة القُضِبِ لا في الرسائلِ والتنميقِ للخطبِ
تقضي المواضي فمضي حكمها أمماً إن خالَجَ الشك رأي الحاذق الأرب²

وفى موضع آخر نرى ابن عثيمين يجمع في الخيال بين المدح و مفردات الحرب ، في موضع المدح بقوله :

بين العلى والقتا والمشرفى نسب وصدق عزم الفتى في ذلك السبب³

¹ انظر : الشاعر الكبير محمد بن عثيمين شعره ونثره، محمد بن سعد الرويشد ، دار عيد العزيز آل حسين ، الرياض 1412 هـ ، ط 1 ، ص

116، 117.

² العقد الثمين : ص 37.

³ العقد الثمين 133.

يصور الشاعر البيئته في هذا البيت ، وهي لمحة من الصورة القديمة التي حرص الشعراء القدماء على تداولها، وهي صورة حسية ، متحركة تنبض بالحياة ، وتجمع بين الصورة البصرية والسمعية، وتجمع أيضا بين مفردات القتال وغاية المديح .

ويستمر ابن عثيمين في إكمال خواطره وانفعالاته الجياشة ليصف لنا حال مجتمعه، حيث يقوم " بإيراد الصور ، وتخير التشبيهات ، إلى درجة أننا لو نسبنا هذه القصيدة إلى شاعر أموي ، أو عباسي لكان فيها كثير من الدلائل على تلك النسبة ¹، وإذا كان السبيل للتعبير عن العاطفة والخيال فنراه يقصد "وضوح الصور، المفرد منها والمركب ، ومن حسن انتقاء الاستعارات التي تعطي صورا بديعة ²، وجاءت الصور متتابعة في قوله :

عبد العزيز الذي ذلت لسطوته
شوس الجبابرة من عجم ومن عرب
ليثُ الليوث أخو الهيجاء مسعرها
السيد المنجب ابن السادة النجب ³

فهنا عقد الشاعر العديد من الصور معتمداً على الخيال في تشبيه الملك عبد العزيز بليث الليوث ؛ إذ الأسد هو مثال الشجاعة وكذلك فإن " صور الوحوش ترتبط بالرجل ⁴ والخيال هنا اعتمد على الصور المستوحاة من البيئة ، فهو " يوهم باتحاد المشبه بالمشبه به وعدم تفاضلها ؛ أي أن عبد العزيز يعلو إلى مستوي المشبه به ، ويسمى هذا التشبيه المؤكد ،... إنه الملك عبد العزيز الذي أخضع الجبابرة من عرب ومن عجم ، فهو أشجع الشجعان وأسد الأسود ومضرم نيران الحروب ⁵ ونرى للتشخيص دوراً مهماً في الاستعارة المكنية في قوله : " أخو الهيجاء " و " مسعرها " ، حيث سيطر الخيال على الشاعر فجعله يشبه الحرب بالنار ، وجاء بالإسعار وهو الإشعال لتكتمل الصورة .

¹ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 431،432.
² قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد بن عثيمين ، عبد العزيز بن عبد الله الخويطر ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1412 هـ ، ط 1 ، ص 271.
³ العقد الثمين : ص 38،39.
⁴ انظر : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي : د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1403 هـ ، ط 2 ، ص 88.
⁵ الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن علي القحطاني ، 1433 هـ ، ص 32.

وفي موضع آخر نرى الخيال يجمع بين المدح و مفردات الطبيعة في صورة مركبة في قول ابن عثيمين :

إذا نازلوا كانوا ليوثاً عوايساً وإن نزلوا كانوا بحوراً تدفق¹

حيث يعود ابن عثيمين مرة أخرى لوصف وتشبيه الملك وأتباعه في خوضهم المعارك بالليوث، وهي كناية تدل على القوة والشجاعة ، وقد جمع ابن عثيمين بين مفردات البيئة والاقتباس من القرآن الكريم في قوله ﷺ : " إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا " ² ثم أضاف بعداً دلاليّاً آخر في استخدام لفظة التدفق والبحور مما يدفع المتلقي إلى الدخول في حالة من تخيل الصورة التي تعتمد إلى التشبيه الحسي " ووجه الشبه في الصورة الأولى هو القوة والشجاعة ، وفي الصورة الثانية هو الجمود والسعة ، وكان الجامع في الصورتين عقلياً ³ ، بالإضافة إلى الجناس الناقص بين " نازلوا - نزلوا " الذي أعلى من الإيقاع الموسيقي الناجم عن الجرس الداخلي .

والصورة الخيالية " هي المجهر الذي يعكس لنا نفسية الأديب وهي المشعل الذي يلهب نفسية السامع، ويحرك أحاسيسه ، ويثير انفعاله ؛ فالخيال في الحقيقة مظهر العاطفة والإطار الذي يحدد قيمتها وعمقها ⁴ وقد عبر عن ذلك ابن عثيمين بقوله :

لُيُوثٌ إِذَا لَاقُوا بِدُورٍ إِذَا انْتَدُوا غُيُوثٌ إِذَا أُعْطُوا جِبَالَ لِمَحْتَمٍ⁵

¹ العقد الثمين : ص 122.

² سورة الإنسان آية : 10 .

³ الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن علي القحطاني ، 1433 هـ ، ص 35.

⁴ عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر ، 1967 ، 1968 ، ط1 ، ص 176.

⁵ العقد الثمين : ص 280.

و هنا يمدح ابن عثيمين قومه ويشبههم بالليوث ، وأيضا شبههم بالبدور، وهذا يعد إطرأ على قومه وارتفاع منزلتهم ، وقد يعمد الشاعر إلى توظيف الخيال وذلك بـ " تشخيص المعاني وتوافر الاستعارات " ¹ كقوله :

لكنه الأسد الضرعام إن ضبَّتْ
كفَّاه بالضد أضحى الليث كالنقد²

وقد يعمد ابن عثيمين إلى توظيف الخيال وذلك بـ " تشخيص المعاني من خلال تتابع الاستعارات " ³ وقد يكون للخيال أثر في اكتمال الحدث لدى المتلقي ، ففي قول ابن عثيمين في مدح الملك عبد العزيز :

بجيش بغيب الشمس عثير خيله
ويحمد بعد اللقا الذئب والنسر
كأنَّ اشتعالَ البيضِ في جنباته
سنا البرق والرعد الهامم والزجر⁴

يدمج ابن عثيمين الخيال بالبيئة في صورة متحركة لخدمة المدح ، فالشمس ، والغبار ، والبرق ، وصوت السيوف ، تشكل صورة بصرية ، يسندھا تعبير الشاعر عن اشتعال السيوف التي تشبه سنا البرق ، أما جمعه بين البرق والرعد والهامم والزجر ما يلبس الأسلوب شكلا من أشكال القوة والبطش والهيبة .

ويسهب ابن عثيمين في سرد أبيات المدح التي جعلها مدخلا للغرض الرئيس من القصيدة ، وهو ذكر ملامح شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله ، ويصفه بأنه قد دانت له القبائل العربية لعزمه وهمته وكرمه وشجاعته و قوة جيشه، وهنا نلاحظ أن " الوصف يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها " ⁵ كما يظهر هنا من عاطفة قوة تربط الشاعر بالممدوح.

¹ انيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م ، 292.

² العقد الثمين : ص 204.

³ انيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م ، 292.

⁴ العقد الثمين: ص153.

⁵ د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 ، ص 86.

فالشاعر أعمل الخيال ليخرج لنا صوراً مركبة ، الأولى تعتمد على تشبيه حال اشتعال السيوف بحال البرق والثانية تعتمد على تشبيه حال أصوات الأبطال بصوت الرعد ، والصورة الثالثة التي تعتمد على الاستعارة ، حيث تنتقل العبارة من مستواها العادي إلى مستوى أعلى تميزاً . في هذا البيت لا ننكر صدق العاطفة التي طغت على الشاعر، فجعلته يخلع على الملك صفات تتعد عن المبالغة والتصنع ، فقد استطاع رسم الواقع بصورة وخيال مبدع ، حيث قال :

وأنت كالغيث يعلو كل رابية
ويستقر لنفع الناس في السهل¹

ونلاحظ في البيت السابق وغيره من الأبيات السابقة مدي إغراق ابن عثيمين في الخيال مع ممدوحه ، حيث يرسم بالصور المنكررة عن كرم وشجاعة الممدوح لوحات مبدعة ، ويقول :

بحر من العلم قد فاضت جداوله
لكنه سائغ في ذوق من طعام²

فهنا شبه ابن عثيمين الممدوح بالبحر ، وهي من الصور القديمة في وصف الممدوح التي تتناسب مع الكرم والسخاء ، وقد ورد التشبيه عند ابن عثيمين بصور شتى ، قد يكون للمبالغة أو الإيضاح أو للإيجاز ، وفي البيت التالي يجيء لإيضاح الصورة . وهو قوله :

الله أعلى سعوداً في سعادته
فكان أشهر من نارٍ على علم³

فابن عثيمين له " معان واضحة لا تكلف فيها ولا بعد سواء حين يتكلم عن أحاسيسه أو حين يصور ممدوحه؛ فيسكب على وصفه من خياله ما يحيله عن حقيقته "4 ويظهر هذا جلياً عندما وجه مناصحة ولي الأمر إلى الملك الفاتح:

يا أيها الملك الميمون طائره
اسمع هديت مقال الناصح الحذب

¹ العقد الثمين : ص 324 .

² العقد الثمين : ص 470 .

³ العقد الثمين : ص 352 .

⁴ د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر ، ط 39 ، 2016 م ، 219 ، 220 .

اجعل مشيرك في أمر تحاوله
مهذب الرأي ذا علم وذا أدب
وقدم الشرع ثم السيف إنهما
قوام ذا الخلق في بدء وفي عقب
ويقول أيضا :

لكم ذائد عنكم بسيفٍ ومنصلٍ
ورأيٍ كمصقولٍ الجرازِ المصممِ 1

فالشاعر هنا عمد لاستخدام " أدوات القتال مثلما هو الحال في الشعر القديم ، فهي لا تتعدى السيف والقنا . فأسلوب المدح هنا لا يختلف في كثير أو قليل عن أسلوب القدماء "2، وقد جمع بين المدح ومفردات القتال ، كما سبق وأشار سابقاً.

يعمد ابن عثيمين في الابيات السابقة إلى المجاز ، لأنه " أبلغ من الحقيقة لما فيه من خيال وجمال تصوير "3 ، وقد استخدم هنا الصور البيانية المركبة التي تجذب انتباه المتلقي ، فالصور الحسية جاءت في تشبيه هيئة الدفاع بالسيوف والرأي السديد بهيئة السيف المصقول في قطعه السريع ومضيه ، فالصور مستوحاة من البيئة وأدوات الحرب ، ونرى مدى قدرة الشاعر اللغوية في معرفته باللغة و مترادفات الكلمات.

ويقول مادحاً رائحة الروض :

ثناء كنشر الروض راوحه الندي
وغاداه معلول الصبا المتسم 4

وهكذا يكون الشاعر قد ضمن صفات الممدوح في العديد من الدلالات السابقة والصور الخيالية المركزة في قصائد المدح ، ولعل القاسم المشترك في قصائد المدح هو شخصية الملك عبد

1 العقد الثمين : ص 287.

2 د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسرة ، ط 3 ، 2010 م ، ص 58 .

3 د. سعد احمد الحاوي : الشعر الحر قضايا ومقوماته اللغوية والفنية ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1430 هـ ، 2010 م ، ص 97 .

4 العقد الثمين : ص 414 .

العزير رحمه الله ، فبين النفس الشامخة والشخصية القوية نبضت صور الشاعر ابن عثيمين ممتزجة بجودة التصوير وصدق العاطفة وبراعة الخيال .

وهنا تكمن قوة الشعر وسحره في براعة الشاعر في مزج علاقات تركيبية بخياله بين أشياء متوقعة وأشياء غير متوقعة ، أو أشياء حسية وأخرى معنوية، حيث يعمل الخيال على صهر الاحساس الجديد بالأحاسيس القديمة المخزونة لدى الشاعر ، والتي تظهر في شكل تركيب جديد نابض بالحياة والحركة والألوان ، ويداعب مشاعر المتلقى ، ويذهب بها كل مذهب .

الخاتمة :

الحمد لله أولاً وآخراً - أن سدد ووفق- وها هو بحث " الخيال وأثره في تشكيل الصورة لدى ابن عثيمين قصيدة المدح أنموذجاً" قد أثمر ثمره وأخصب خصبه ، وخلص في ختامه إلى النتائج والتوصيات الآتية :

- شعر ابن عثيمين برهان على تمكنه من الشعر القديم لفظاً ومعنى .
- ارتقى ابن عثيمين بالخيال من خلال قصيدة المدح مما جعله في مصاف عظماء الشعراء العرب عامة، والشعراء السعوديين خاصة .
- اعتمد ابن عثيمين في سياق المدح الأساليب البلاغية من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز ، وعبر عن المدح بالصورة الخيالية التي يميل إليها القدماء .
- زواج ابن عثيمين بين التراث والبيئة ، ليرسم بالخيال ملامح شخصية الممدوح بين الصفات المعنوية والحسية .
- أبدع ابن عثيمين في تهذيب أسلوب المدح مستندا على الخيال أداة للتعبير .
- شغل الخيال مساحة كبيرة في قصيدة المدح ، فكان أوفر حظا بشتى صورته ومختلف أدواته .
- لم يكن الخيال حصراً على قصيدة المدح فقط، وإنما شاركت أغراض أخرى ابن عثيمين في التعبير به ؛ مما يؤكد نفاذ قريحة الشاعر وعلو منزلته الشعرية .

- صفات الملك عبد العزيز ومآثره جاءت إحدى روافد الشاعر التي شحذت قصيدة الخيال لديه.

التوصيات:

استنادًا إلى ما درس في هذا البحث، وعلى ضوء نتائجه، توصي الباحثة بالآتي:

- التوجيه بالبحث حول الشاعر لتعظيم الإفادة من فنه ؛ كونه رافداً مهماً من أعلام الأدب السعودي.
- قصيدة المديح من الأغراض التي تعبر عن الفضائل الإنسانية ودراستها جديرة بالاهتمام .
- حث الباحثين بالسير قدما في طريق البحث حول الأدب السعودي نثرا وشعرا؛ للارتقاء به وتقديم ما لم يجد طريقه للبحث .

مصادر البحث ومراجعته:

1. إبراهيم بن فوزان الفوزان : مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودي الحديث في منطقة نجد 1157هـ- 1343هـ ، دن ، الرياض ، 1418هـ ، ط 1 .
2. أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، دط.
3. أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 10 ، 1999م.
4. أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م.
5. بكري شيخ أمين: الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985.
6. جميلة بنت سعيد بن علي القحطاني : الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ،كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1433هـ.
7. حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، 1978م ، د ط .
8. خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج السابع ، ص 124 ، د.ت ، ط. 3 .

9. د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، عمان ، ط 3 ، 1430 هـ ، 2010 م .
10. د. الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روائحه ومدخل لقراءته ، مكتبة المنتبي ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م .
11. د. أمال يوسف سيد يوسف : علم الأسلوب ، مكتبة المنتبي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، د. ط .
12. د. بن عيسى با طاهر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1427 هـ ، 2006 م .
13. د. سعد احمد الحاوي : الشعر الحر قضايا ومقوماته اللغوية والفنية ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1430 هـ ، 2010 م .
14. د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 .
15. د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر ، ط 39 ، 2016 م .
16. د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 17 .
17. د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1992 م .
18. د. عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التاليف ، مصر 1967 ، 1968 ، ط 1 .
19. د. عثمان الصالح العلمي الصيويينغ : حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. د ، ط 1 ، 1987 ، الجزء الأول .
20. د. على على مصطفى صبح ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، تهامة ، ط 1 ، 1404 هـ ، 1984 م .
21. د. محمد أحمد الدوغان وآخرون ، مكتبة المنتبي، الدمام ، 1438 هـ ، 2017 م .

22. د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي "فنونه واتجاهاته ونماذج منه" ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1418-1997م .
23. د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997م .
24. د. محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 9 ، 2010م .
25. د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقي ، دار النفائس ، ط1 1987م .
26. د. نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1403هـ ، ط 2 .
27. دارة الملك عبد العزيز : قاموس الأدب والادباء في المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول أ- ر ، الرياض ، 1435 هـ ، المجلد 3 .
28. ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصللي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، للعازارية ، بيروت ، ط 1 ن 1986 م .
29. عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التاليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 88.
30. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر : قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد بن عثيمين ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1412 هـ ، ط 1 .
31. عبد العزيز الفريح : ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، رسالة دكتوراه غي منشوره، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1379هـ/1977م.
32. العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، دار الشبل ، الرياض ، ط 4 ، 1420هـ.
33. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة .

34. على بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، 2004م .
35. محمد الجزار : الفكر الإنساني مركز الكتاب للنشر ، ط1 ، 1426هـ - 2006م .
36. محمد الصادق عفيفي ، النقد التطبيقي والموازنات ، مؤسسة الخانجي القاهرة ، 1398هـ ، 1978م .
37. محمد بن سعد بن حسين : الأدب الحديث في نجد ، تحقيق وتعليق عبد السلام سرحان ، د. ت ، مطبعة الفجالة ، مصر ، ط1 .
38. محمود محمد بركات : دراسة في المضمون والشكل ، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1405هـ ، 1985م .
39. المعجم الوسيط : تأليف العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي "المتوفى سنة 817هـ " تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط6 ، 1989م .

وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع

دراسة اجتماعية تحليلية

د. عزيز أحمد صالح ناصر الحسني

أستاذ علم الاجتماع المشارك - ورئيس قسم العلوم الاجتماعية

كلية الدراسات العليا - أكاديمية الشرطة - اليمن

Email: rashedo2269@gmail.com

الملخص

إن من أهم أهداف هذه الدراسة توضيح أهمية الضبط الأسري في أمن الأسرة والمجتمع. وتوضيح وسائل الضبط الأسري الوقائية، والوسائل العقابية (الرادعة). وإبراز أهم المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري ومعالجتها. وغيرها من الأهداف التي أدت إلى التعبير عنها بأسئلة عدة، من أهمها: ما مدى أهمية الضبط الأسري في حياة الأسرة وأمنها وأمن المجتمع؟ ما مقومات الضبط الأسري؟ ما وسائل الضبط الأسري؟ ما دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع؟ ما المعوقات المختلفة الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري؟ وما الحلول أو المعالجات التي تعالج المعوقات التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري؟ ولتحقيق الأهداف، والإجابة عن الأسئلة، تم استخدام المنهج الوصفي؛ لأنه المنهج المناسب لهذه الدراسة. وفي نهاية الدراسة تم التوصل إلى عدد من النتائج، من أهمها: إن تربية الأبناء التربوية الصالحة لها دور فعال في تكيفه مع أوضاع أو أحوال ونظام الأسرة، بالإضافة إلى أن الابن يتفاعل مع بيئة الأسرة، وكذا يتفاعل مع النظام والقيم والعادات والتقاليد التي يتلقاها من الوالدين وإخوانه الكبار. وكذلك إن الضبط الأسري له دور كبير في الحفاظ على مكانة وسمعة الأسرة وأفرادها في المجتمع، وكذا الحفاظ على أمنها واستقرارها، بل والمحافظة عليها من الصراع والتفكك.

الكلمات المفتاحية: الوالدين، الأسرة، الضبط، الأمن.

6

Family Control Methods and their Role in the Security of Family and Community: A Social and Analytical Study

Aziz Ahmed Saleh Naser Elhasani

Associate Professor of Sociology and Head of Sociology Department, Faculty of Higher Studies, Police Academy, Yemen

Abstract

One of the most important objectives of this study is to clarify the importance of family control in the security of the family and society. To clarify preventive family control salvo and punitive (deterrent) means. Highlighting the most important internal and external constraints that adversely affect family control and treatment. And other objectives that led to their expression with several questions, the most important of which are: How important is family control in family life, security and community security? What are the elements of family control? What are the means of family control? What is the role of policing in the security and stability of the family and society? What are the different internal and external constraints that negatively affect family control? What solutions or treatments address the constraints that adversely affect family control?

To achieve the objectives and to answer questions, the descriptive approach was used because it was the appropriate method for this study. At the end of the study, a number of results were reached, the most important of which are: the education of children and the good education have an active role in adapting to the conditions, conditions and system of the family, in addition to the fact that the son interacts with the family environment, as well as interacts with the system, values, customs and traditions that he receives from parents and his adult brothers. Family control also plays a major role in maintaining the status and reputation of the family and its members in society, as well as maintaining its security and stability, and even preserving it from conflict and disintegration .

Keywords: parents, family, control, security.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

يعد موضوع وسائل الضبط الأسري من الموضوعات المهمة والرئيسية في تنشئة الأبناء (الذكور، والإناث)؛ لأن وسائل الضبط هي الطرائق التي يتم من خلالها تنفيذ عملية توجيه وضبط سلوك الأبناء في داخل الأسرة والجماعة والمجتمع، والضبط الأسري يعد ضرورة لاستقرار الأسرة، بل ويحافظ على كيان وأمن واستقرار الأسرة وأفرادها من الصراع والتفكك؛ لأن الأسرة وحدة متكاملة، ونظام متكامل.

لذا، فقد تركز الحديث في هذه الدراسة على وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع، وذلك انطلاقاً من أهداف عدة، تتلخص في: التعرف إلى أهمية الضبط الأسري في أمن الأسرة والمجتمع. وتوضيح وسائل الضبط الأسري من حيث الوسائل الوقائية، والوسائل العقابية (الرادعة). وإبراز أهم المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري ومعالجتها. وغيرها من الأهداف التي أدت إلى التعبير عنها بأسئلة عدة، من أهمها: ما مدى أهمية الضبط الأسري في حياة الأسرة وأمنها وأمن المجتمع؟ ما مقومات الضبط الأسري؟ ما وسائل الضبط الأسري؟ ما دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع؟ ما المعوقات المختلفة الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري؟ وما الحلول أو المعالجات التي تعالج المعوقات التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري؟

ولتحقيق الأهداف، والإجابة عن الأسئلة، تم استخدام المنهج الوصفي؛ لأنه المنهج المناسب لهذه الدراسة، وهو القيام بوصف وتحليل المعلومات التي جُمعت من المصادر المكتوبة؛ وذلك لغرض التوصل إلى المعالجات المناسبة التي تعالج مشكلة الدراسة. وهذا ما سيتضح جلياً في هذه الدراسة، التي تتضمن مطلب تمهيدي: متمثلاً في الإطار العام للدراسة، وثلاثة مباحث، هما، الأول: مقومات ووسائل الضبط الأسري، والثاني: دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع، والثالث: معوقات الضبط الأسري ومعالجتها.

مطلب تمهيدي

الإطار العام للدراسة

يتضمن هذا المطلب موضوعان، هما الأول: الإجراءات المنهجية، والثاني: المصطلحات الأساسية للدراسة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً – الإجراءات المنهجية: ستركز الحديث في هذا الموضوع عن نوع الدراسة، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وأسئلة الدراسة، ومنهج الدراسة، وأداة جمع المعلومات، وذلك على النحو الآتي:

1- نوع الدراسة: تُعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية؛ كونها تُعد من أنسب أنواع الدراسات ملائمة لطبيعة الظاهرة محل الدراسة، وذلك في جمع المعلومات من المصادر المكتوبة، وتحليلها وتفسيرها والتوصل إلى نتائج يمكن تعميمها.

2- مشكلة الدراسة: إن تحديد مشكلة الدراسة تعد من الخطوات الضرورية للبحوث والدراسات العلمية المنهجية، بل إن تحديد المشكلة يعد من أهم مميزات البحوث والدراسات العلمية، فالمشكلة التي تُحدد تحتاج إلى بحث وتحليل من جميع الجوانب؛ بغية الوصول إلى نتائج علمية تنفع في معالجة مشكلة البحث أو الدراسة، واستنادًا إلى ذلك فإن المشكلة المراد استجلاءها تتمثل في وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع.

3- أسئلة الدراسة: تثير الدراسة العديد من الأسئلة التي تتطلب الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

أ- ما مدى أهمية الضبط الأسري في حياة الأسرة وأمنها وأمن المجتمع؟

ب- ما مقومات الضبط الأسري؟

ج- ما وسائل الضبط الأسري؟

د- ما دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع؟

هـ- ما المعوقات المختلفة الداخلية والخارجية التي تؤثر سلبًا في الضبط الأسري؟

و- ما الحلول أو المعالجات التي تعالج المعوقات التي تؤثر سلبًا في الضبط الأسري؟

4- أهمية الدراسة.

أ- الأهمية العلمية: تتمثل أهمية هذه الدراسة من الناحية العلمية في الآتي:

- إن الأسرة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام بحاجة إلى مثل هذه الدراسة العلمية؛ لأنه تم فيها دراسة وتحليل وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع. ووضع الحلول التي تعالج المعوقات التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري.
- ومن أهمية الدراسة - أيضاً - كونها من الدراسات النادرة؛ لأنه على حد علمي لم يتطرق إليها أحد من الباحثين، كدراسة وتحليل وسائل الضبط الأسري ودورها في أمن الأسرة والمجتمع.

ب- الأهمية العملية: تكمن أهمية هذه الدراسة من الناحية العملية في الآتي:

- توفير المعلومات التي تبين مقومات ووسائل الضبط الأسري الوقائية والعقابية، وكذا توضيح دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع، ومعوقات الضبط الأسري ومعالجتها.
 - رفد المكتبة اليمنية بشكل خاص، والمكتبة العربية والإسلامية بشكل عام.
- لذا، فإن هذه الدراسة لها أهمية ترجع إلى ما تضمنت من الموضوعات ومناقشتها مناقشة علمية، وما تم التوصل إليه من النتائج والتوصيات، التي تفتح فرصاً كثيرة للأبحاث والدراسات المهمة، بتربية وضبط الأبناء بشكل خاص، والأسرة بشكل عام.

5- أهداف الدراسة.

أ- التعرف إلى أهمية الضبط الأسري في أمن الأسرة والمجتمع.

ب- التعرف إلى مقومات الضبط الأسري.

ج- توضيح وسائل الضبط الأسري من حيث الوسائل الوقائية، والوسائل العقابية (الرادعة).

د- توضيح دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع.

هـ- إبراز أهم المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري.

و- تقديم الحلول التي تساهم في معالجة المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري.

6- منهج الدراسة: بما أن منهج الدراسة يتحدد بناءً على طبيعة الموضوع، فإن المنهج الوصفي هو المنهج المناسب لهذه الدراسة، وهو القيام بوصف وتحليل المعلومات التي جُمعت من المصادر المكتوبة؛ وذلك لغرض التوصل إلى المعالجات المناسبة التي تعالج مشكلة الدراسة.

7- أداة جمع المعلومات: إن الأداة المستخدمة في أي بحث أو دراسة علمية تعتمد إلى حد كبير على نوع المشكلة التي سوف تدرس، لذا في هذه الدراسة تم استخدام أداة جمع المعلومات من المصادر المكتوبة، كالكتب، والبحوث المنشورة.

ثانياً - المصطلحات الأساسية: في هذا الموضوع سيتم التركيز على أهم المصطلحات الأساسية المتعلقة بهذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

1- الوسائل لغةً واصطلاحاً.

أ- الوسائل لغةً: الوسيلة مفرد، والوسائل جمع، ووسل: كل ما يتحقق به غرض معين، يقابلها غاية، اتخذ كل الوسائل للحصول على وظيفة، وسيلة شرعية، وسائل التعليم، وسائل الراحة، وسائل النقل ... إلخ⁽¹⁾. وجاء في مختار الصحاح، الوسيلة، وهي ما يُتقرب به إلى الغير، والجمع (الوسيل، والوسائل)، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلةً بالتشديد، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل⁽²⁾ لذا، فالدلالة اللغوية لكلمة (الوسائل) تدل على أنها عامة؛ أي لها معان كثيرة، مثل: الوسائل التي يستعملها الإنسان في قضاء حوائجه، كوسائل الاتصال، ووسائل النقل، ووسائل الكسب وتوفير المال،

(1) عمر، أ.د أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/ 2008م، ج3، حرف الواو، رقم 5603 - و س ل، ص2441.

(2) الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط، 1406هـ/ 1986م، باب الواو، و س ل، ص721.

وسائل حفظ المال ... إلخ. وكذا الوسائل التي يستعملها العالم للبحث والكتابة، وسائل التنبيه، ... إلخ. وكذلك وسائل الضبط، كالوسائل التي يستعملها رب وربة الأسرة في تربية وضبط سلوك الأبناء⁽¹⁾.

ب- الوسائل اصطلاحاً: الوسائل هي: ((الجهود التي تبذل لمنع الانحرافات البدنية، أو الاجتماعية قبل وقوعها، أو الإبقاء على الأفراد السويين في وضعهم القائم))⁽²⁾.

وهنا، يمكن تعريف الوسائل إجرائياً بأنها: كل الجهود التي يبذلها رب وربة الأسرة في تنمية وضبط سلوك الأبناء (الذكور، والإناث) أطفالاً وشباباً، وتحسينهم من ارتكاب أي خطأ، أو انحراف عن السدين الإسلامي، والقيم، والأخلاق، والعادات والتقاليد، والأنظمة والقوانين السائدة في المجتمع، وذلك من خلال الوسائل الوقائية، والوسائل العقابية أو الرادعة التي يستعملها رب وربة الأسر في عملية الضبط؛ ليكونوا أفراداً صالحين في الأسرة والمجتمع.

2- الضبط لغةً واصطلاحاً.

أ- الضبط لغةً: الضبط: مصدر الفعل الثلاثي (ض. ب. ط) يضبط، ويضبط، ضبطاً، فهو ضابط، والمفعول مضبوط. ضبط لسانه: حفظه بالحزم حفظاً بليغاً، ضبط الكتاب ونحوه: أصلح خله، أو صححه⁽³⁾. وجاء في مختار الصحاح، ضبط الشيء، حفظه بالحزم، وبابه ضرب، ورجل ضابط؛ أي حازم⁽⁴⁾. والضبط في اللغة: الحزم⁽⁵⁾ ومما سبق، يتبين بأن الضبط لغةً: هو الحزم في كل أمر من الأمور، فعلى سبيل المثال: أن يكون الوالدين حازمين في ضبط أبنائهما؛ ليكونوا أفراداً صالحين.

(1) ملحوظة: كلمة (الأبناء) في هذه الدراسة تشمل الأبناء الذكور والإناث، وهذا للتوضيح.

(2) بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1987م، ص198.

(3) عمر، أد. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مصدر سابق، ج2، حرف الضاد، رقم 3106- ض ب ط، ص1345.

(4) الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، باب الضاد، ض ب ط، مصدر سابق، ص376.

(5) الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، ضبط نصوصها وعلق عليها: محمد علي أبو العباس، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، دون ذكر الطبعة، 2009م، باب الضاد، فصل الباء، ص138.

ب- الضبط اصطلاحاً: الضبط هو: ((كل ما يتخذ من وسائل رسمية وغير رسمية لضمان طاعة وخضوع الأفراد في المجتمع، لما فيه من قوانين، وآداب عامة، وقيم، ومعايير سائدة))⁽¹⁾. ويقال: ((ضبط السلوك الجماعي للدلالة على قيام الأسرة، أو الجماعة، أو الأمة بتوجيه ورقابة السلوك الفردي))⁽²⁾.

وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني، بأن الضبط اصطلاحاً، هو: ((إسماع الكلام، كما يحق سماعه، ثم فهم معناه الذي أريد به، ثم حفظه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى غيره))⁽³⁾. ويعرف الضبط الاجتماعي بأنه: ((ما يفعله أي فرد لمنع وقوع أفراد آخرين، أو جماعة أخرى في فعل ما قد يكون له تأثيره على أمن واستقرار المجتمع. وأحياناً تتم ممارسة الضبط لمنع أي انحراف، أو خروج على النماذج السلوكية المتعارف عليها، والتي تقرها الجماعة التي ينتمي إليها الفرد))⁽⁴⁾. ويعرف (دود) أن الضبط هو: ((نوع من الإرشاد والتوجيه للسلوك الإنساني))⁽⁵⁾.

ومن التعريفات السابقة، يتبين أن كل عالم أو باحث، يعرف الضبط انطلاقاً من الدراسة التي أجراها⁽⁶⁾، وهنا يمكن تعريف الضبط الأسري إجرائياً بأنه: تلك الوسائل الوقائية والعقابية أو الرادعة التي يستعملها الوالدين في تنمية وضبط سلوك أبنائهما أطفالاً وشباباً، المستمدة من الدين الإسلامي، والأخلاق والقيم الإسلامية، وقيم وثقافة وسلوك المجتمع.

وكلمة (الضبط) لها معاني عدة، أو استعمالات كثيرة، مما تدل على الشمول لجميع مناحي الحياة؛ لأنها تستعمل في العلوم المختلفة، لذلك فإن لها مفاهيم تخصصية كثيرة، من أهمها: الضبط النفسي،

(1) الكيلاني، إعداد الدكتور إبراهيم، وآخرون، القاموس الأمني، إنجليزي - عربي، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1428هـ، ص209.

(2) بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1982م، ص110.

(3) الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، باب الضاد، فصل الباء، مصدر سابق، ص138.

(4) سليم، د. سلوى علي، الإسلام والضبط الاجتماعي، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، مكتبة وهبة، ط، 1985م، ص21. نقلًا عن: عبدالسلام، د. طارق الصادق، الضبط الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص87.

(5) عبدالسلام، د. طارق الصادق عبدالسلام، الضبط الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص88.

(6) ملحوظة: يجب التوضيح هنا بأن أغلب تعريفات الضبط تتركز على الضبط الاجتماعي في مفهومه العام.

والضبط الأسري، والضبط الصحي، والضبط الأمني (الشرطي)، والضبط القضائي، والضبط الاقتصادي، والضبط السياسي، والضبط العسكري، والضبط القانوني، والضبط الثقافي، والضبط التربوي، والضبط الإداري، وضوابط أخلاقية، وضوابط قيمية، ... إلخ). وهذه الضوابط المذكورة سابقاً تعد من مكونات أو فروع الضبط الاجتماعي في مفهومه العام. لذا فالضبط الأسري فرع من فروع الضبط الاجتماعي العام.

لذا، فكلية (الضبط) بمعناها الشاملة تتضمن أنواع أو أشكال أو مجالات كثيرة، ومتداخلة ومتراصة كل منها يؤثر ويتأثر بالآخر سلباً وإيجاباً، فمثلاً الضبط الأسري يؤثر سلباً وإيجاباً في الضبط الاجتماعي (المجمعي)، والعكس. وكذا الضبط السياسي يؤثر ويتأثر بالضبط الاجتماعي، والعكس. وهكذا في بقية (فروع، أو أنواع، أو أشكال) الضبط الاجتماعي. لهذا فالضبط الاجتماعي - بما يتكون من ضوابط فرعية - يشكل منظومة متكاملة في تحقيق أمن واستقرار الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع والدولة.

3- الأسرة لغةً واصطلاحاً.

أ- الأسرة لغةً.

الأسرة لغةً: أهل الرجل وعشيرته⁽¹⁾، ويقال: ذهب الرجل هو وأسرته إلى مكان ما. فالأسرة من الناحية اللغوية هي التي ينتسب إليها الإنسان (الذكور، والإناث)، وهي التي يعيش في كنفها، والأسرة هي العشيرة التي توفر لأفرادها سبل الحياة، والحماية، والتربية، والتضامن بين أفرادها، ... إلخ.

ب- الأسرة اصطلاحاً.

الأسرة هي: ((الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقننات التي يرتضيها العقل الجمعي، والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة))⁽²⁾. ويعرف الأسرة كل من (أوجبرن، ونيمكوف)، بأنها: ((رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفال أو دون أطفال، أو من

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط، 1992م، ص16.

(2) بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص152.

زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة مع أطفالها، وقد تتسع وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوجة أو الزوج والأطفال⁽¹⁾.

ومن التعريفات السابقة، يتضح أن كل عالم أو باحث، يعرف الأسرة انطلاقاً من الدراسة التي أجراها، وهنا يمكن تعريف الأسرة بأنها: وحدة أو رابطة اجتماعية، تتكون من الزوجين (الرجل، والمرأة)، القائم على الزواج الشرعي، وهما نواة الأسرة، والأولاد – أو من دونهم – وقد تشمل الجدود والأحفاد، ويعيشون حياة مشتركة، وتحت سقف واحد.

ومن الجدير بالذكر هنا، بأن لكل من الزوجين دوره في الأسرة (الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، ...)، وكذا لكل فرد من أفراد الأسرة بشكل خاص، والأسرة بشكل عام دور في المجتمع.

4- تعريف الضبط الأسري: يتكون الضبط الأسري من كلمتين، الأولى: كلمة الضبط، والثانية: كلمة الأسرة. لذا من خلال التعريفات السابقة لكلمة الضبط، ولكلمة الأسرة، يتم وضع تعريف للضبط الأسري بأنه: الجهود التي يبذلها الوالدين في تنمية وضبط سلوك أبنائهما، وذلك من خلال وسائل الضبط الوقائية والعقابية أو الرادعة، المستمدة من الدين الإسلامي، ومن القيم والثقافة الإسلامية، والأخلاق والقيم والعادات والتقاليد الاجتماعية الحميدة، والنظم والقوانين السائدة في المجتمع، وذلك لضبط سلوك الأبناء أطفالاً وشباباً، من أجل الحفاظ على كيان وأمن الأسرة وأفرادها من ناحية، وحفاظاً على أمن المجتمع والأمة من ناحية أخرى.

5- الدور لغةً واصطلاحاً.

أ- الدور لغةً: الدور لغةً، يقال: دور الفعل في الجملة. ويقال: قام (فلان من الناس) بدور رئيس في المعركة، قام بدور، لعب دوراً. خذ دورك في الفصل، هذا دورك في شرح القصيدة. وجاء دورك في كذا⁽²⁾.

(1) د. زيدان عبدالباقي، الأسرة والطفولة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1980م، ص95.

(2) عمر، أ.د أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مصدر سابق، ج1، حرف الدال، رقم 1884 - د و ر، ص784.

لذا، فالدور هو ما يقوم به الشخص في أداء عمل ما، وكذا من الأدوار ما يقوم به الوالدان في تربية وتنمية وضبط سلوك الأبناء.

ب- الدور اصطلاحًا: يعرف (لينتون)، الدور بأنه: ((الجانب الدينامي لمركز الفرد، أو وضعه، أو مكانته في الجماعة))⁽¹⁾. ويعرف الدور بأنه: ((السلوك المتوقع من الفرد أدائه في مكانة معينة))⁽²⁾. ومن الباحثين من يعرف الدور هو: ((السلوك الذي يقوم به الفرد في المركز الاجتماعي الذي يشغله))⁽³⁾. وأحد الباحثين يعرف الدور بأنه: ((السلوك الذي يتوقع من الفرد في المكان الذي يشغله))⁽⁴⁾.

والدور الاجتماعي هو: ((السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة، وهو الجانب الدينامي لمركز الفرد ...، وعادة ما يكون للفرد أكثر من دور واحد داخل النظام المجتمعي الذي ينتمي إليه، فالأب، والابن، والمدير، والمعلم، كلها أدوار اجتماعية، تتطلب ممن يشغلها أن يلتزم بأساليب سلوكية معينة يحددها له المجتمع))⁽⁵⁾. وكذا من أمثلة الأدوار الاجتماعية، دور الأب، ودور الأم، ودور المربي، ودور العالم، ودور القائد، ودور الطبيب ... إلخ⁽⁶⁾. والدور هو مساهمة الفرد في الأسرة، ومساهمته في المجتمع.

وكلمة (الدور) لا يقتصر استعمالها على دور الفرد بحكم عمله الوظيفي (رئيس، وزير، قائد، مدير، ... إلخ) ومكانته في الأسرة أو المجتمع، بل لها استعمالات أخرى كثيرة، على سبيل المثال لا الحصر، مثل: دور وسائل التنشئة الاجتماعية في تنشئة أفراد المجتمع. ودور وسائل التربية في تنمية الفرد. ودور المؤسسات التعليمية في رفع المستوى العلمي للمجتمع. ودور وسائل الإعلام في نقل الأخبار وتقريف المجتمع ... إلخ. وكذا القيم الإسلامية ودورها في ترشيد السلوك، ورأس المال ودوره في الإنتاج.

-
- (1) زهران، د. حامد عبدالسلام، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 1984م، ص129.
 - (2) الخطيب، د. سلوى عبدالحميد، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، القاهرة، مطبعة النيل، ط1، 2002م، ص647.
 - (3) د. إبراهيم ناصر، علم الاجتماعي التربوي، بيروت، دار الجبل، ط1، 1992م، ص170.
 - (4) رشوان، د. حسين عبدالحميد أحمد، التنظيم الاجتماعي والمعايير الاجتماعية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2014م، ص303.
 - (5) د. إبراهيم ناصر، علم الاجتماعي التربوي، مصدر سابق، ص173.
 - (6) لمزيد من الاطلاع، انظر: زهران، د. حامد عبدالسلام، علم النفس الاجتماعي، مصدر سابق، ص129. وانظر: رشوان، د. حسين عبدالحميد أحمد، التنظيم الاجتماعي والمعايير الاجتماعية، مصدر سابق، ص303 وما بعدها.

والجمعيات الخيرية ودورها في دعم المحتاجين. والرعاية الاجتماعية ودورها في المجتمع ... إلخ. وكذلك الدور الذي تلعبه كل وسيلة من وسائل الضبط الأسري، لضبط سلوك أبناء الأسرة.

وما يهم هنا في هذا الموضوع هو دور كل وسيلة من وسائل الضبط الأسري الوقائية والعقابية أو الرادعة التي يستعملها آباء والأمهات في ضبط سلوك الأبناء؛ ليكونوا أفراداً صالحين للأسرة والمجتمع.

6- الأمن لغةً واصطلاحاً.

أ- الأمن لغةً: الأمن: ضد الخوف⁽¹⁾، لذا فالدلالة اللغوية للمفهوم تدل على أن الأمن هو عدم الخوف أو زوال الخوف، والأصل هو الاطمئنان، وبزوال الخوف يستطيع الإنسان أن يعيش وهو آمن على حياته وممتلكاته، أو بمعنى لا يشعر بأي خوف يهدده.

ب- الأمن اصطلاحاً: الأمن اصطلاحاً هو: ((عدم توقع مكروه في الزمن الآتي))⁽²⁾، ويعرفه أحد الباحثين بأنه: ((الشعور بالطمأنينة الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة، ووقايتها من الخروج عن قواعد الضبط الاجتماعي، من خلال ممارسة الدور الوقائي، والقمعي، والعلاجي الكفيل بتحقيق هذه المشاعر))⁽³⁾.

ومن الباحثين من يعرف الأمن بأنه: ((اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وماله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الوقت الحالي أو في الزمن الآتي، في داخل بلاده ومن خارجها، من العدو ومن غيره، ويكون ذلك على وفق توجيه الإسلام وهدى الوحي ومراعاة الأخلاق والأعراف والمواثيق والعهود))⁽⁴⁾.

(1) الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، باب الهمزة، أمن، مصدر سابق، ص26 - 27. وللمزيد انظر: العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع، باب النون، فصل الهمزة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1412هـ/ 1991م، ص281.

(2) الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، باب الألف، فصل الميم، مصدر سابق، ص42.

(3) عقيد.د. عماد حسين عبدالله، إدارة الأمن في المدن الكبرى، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ط، 1411هـ/ 1991م، ص32.

(4) الخادمي، أ.د. نور الدين مختار، ((القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل))، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مجلة مجلة دورية، تصدرها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد (21)، العدد (42)، رجب 1427هـ/ أغسطس 2006م، ص21.

وعلى الرغم من وجود تباين بين الباحثين بشأن تعريفات الأمن؛ نتيجة للتباين في طبيعة واختلاف كل دراسة، أو بحث عن الآخر، إلا أن جل تلك التعريفات للأمن تكاد تتفق في مجملها على أن تعريف الأمن يعني: الاطمئنان، والسكينة، وعدم وقوع أي مكروه في الحاضر والمستقبل.

وهنا، يمكن تعريف الأمن بأنه: اطمئنان الإنسان، والأسرة على حياتهما وأموالهما من أي انتهاك، وأن ينال الإنسان ويمارس كل حقوقه في أمن وأمان.

لذا، فالأمن يدل على الشمول لجميع مناحي الحياة، والأمن بكل بساطة هو: التحرر من الخوف، أو الحاجة؛ بمعنى التحرر من الخوف، أيًا كان نوعه ومصدره، وكذا التحرر من الحاجة أيًا كان نوعها ومصدرها.

7- المجتمع لغةً واصطلاحًا.

أ- المجتمع لغةً: الاجتماع في اللغة: من الجمع، ويقال: الجمع من جماع الناس ...، واجتمع القوم واستجمعوا؛ بمعنى تجمعوا⁽¹⁾؛ أي تجمعوا في مكان ما. وفي القاموس المحيط جاء: واجتمع ضد تفرق ...، والإجماع الاتفاق، وجماع الناس كُرمانٍ أخلاطُهُم من قبائل شتى⁽²⁾. فكلمة (الاجتماع) في اللغة من الجمع، والجمع ضد التفرق أو التفرقة.

ب- المجتمع اصطلاحًا: توجد تعاريف كثيرة لمصطلح المجتمع، فمن الباحثين من يعرف المجتمع بأنه: ((مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة ومعترف بها، وتتمسك بمجموعة من المبادئ، والمفاهيم، والقيم، والروابط الاجتماعية، والأهداف المشتركة التي أساسها اللغة والتاريخ، والمصير المشترك الواحد))⁽³⁾.

وجاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بأن المجتمع هو: ((جماعة من الناس يعيشون معًا في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة، كما ينظرون إلى أنفسهم

(1) الفيومي، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط4، 1921م، ج1، كتاب الجيم، الجيم مع الميم، ص150.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، باب العين، فصل الجيم، مصدر سابق، ص22 - 23.

(3) الحسن، أ.د. إسمان محمد، موسوعة علم الاجتماع، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1999م، ص550.

ككيان متميز، ويتميز المجتمع كتجميع الجماعات ببنیان من الأدوار المتصلة ببعضها، والتي تتبع في سلوكها المعايير الاجتماعية، ويتضمن المجتمع جميع النظم الاجتماعية الأساسية الضرورية لمواجهة الحاجات البشرية الأساسية...، لبقائه⁽¹⁾.

ومن الباحثين من يعرف المجتمع بأنه: ((مجموعة من الأفراد تعيش في بيئة محددة وموقع جغرافي واحد وتترابط مع بعضها من خلال مؤسسات تنظم علاقاتهم وتخدم حاجاتهم، ويتشكل لدى هذه الجماعة تراثاً ثقافياً مشتركاً يجمعهم ويحسون معه بالانتماء والولاء إلى بعضهم يدفعهم إلى حماية المجتمع وتماسكه واستقراره⁽²⁾)).

ومن التعريفات السابقة، يتبين أنه لا يوجد تعريف محدد لكلمة (المجتمع) يتفق عليها الباحثون والعلماء، وإنما كل باحث ينطلق في تعريفه من وجهة النظر التي تبناها في دراسته. وفي هذه الدراسة يمكن تعريف كلمة (المجتمع) بأنها تعني: اجتماع مجموعة من الناس للعيش معاً في منطقة محددة لغرض العيش في أمان، وتبادل المنافع، والمصالح، والنضامن لتحقيق الأمن والاستقرار، ويخضعون في سلوكهم إلى القيم والمعايير والقواعد التي يتفقون عليها، والأنظمة الاجتماعية التي تحافظ على كيانهم وبقائهم وتماسكهم وتنظم حياتهم اليومية في أمن وأمان.

هذا وفي الموضوعات القادمة سينتقل الحديث عن مقومات ووسائل الضبط الأسري، ودور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع، ومعوقات الضبط الأسري ومعالجتها.

(1) بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص400. كما ذكر الدكتور عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص419، فالمجتمع عبارة عن أناس وأفكار ومشاعر وأنظمة، هذه هي عناصر التكوين الأساسية التي تكون المجتمع، فالناس هم النواة، والأفكار والمشاعر هي الرابط الذي يربط الناس، ولذلك لابد من أنظمة تحدد هذه العلاقات والتي تقوم على أساس المصلحة بين الناس.

(2) عمر، د. محمد عبدالحليم، ((الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي))، نشر في كتاب مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، بحوث المؤتمر العام الـ 20 للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة، مارس 2008م، القاهرة، وزارة الأوقاف، دار الكتب المصرية، ط، 2008م، ص695.

المبحث الأول

مقومات ووسائل الضبط الأسري

في هذا الموضوع سيتم الحديث عن أهم مقومات ووسائل الضبط الأسري، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول

مقومات الضبط الأسري

إن الضبط الأسري له مقومات عدة، ومن أهمها: قدرة الوالدين على ضبط الأبناء، والتفاهم بين الوالدين في تربية الأبناء، وتربية الأبناء التربية الصحيحة، واستقرار الأسرة وتماسكها وترابطها، وإشباع احتياجات أفراد الأسرة، والشورى بين أفراد الأسرة، والبيئة الاجتماعية التي تعيش فيها الأسرة واستقرارها وغير ذلك، وهذه المقومات بإيجاز على النحو الآتي:

أولاً - قدرة الوالدين على ضبط الأبناء:

تتمثل قدرة الوالدين في ضبط الأبناء، بتربيتهم التربية الصحيحة، ومعاملتهم المعاملة الطيبة بلطف وحنان، وإبراز مشاعر الحب والعطف والحنان، وأن لهم مكانة في قلوبهما، واختيار أحسن الألفاظ وأرقها في التخاطب والحوار والنقاش معهم، وأن لا يكثر الوالدين في وجه الأبناء، بل تظهر في وجهها الابتسامة، وكذا تجنب التوبيخ أو التأنيب الزائد، وعدم السخرية والشتم والاستهزاء. ويجب على الوالدين أن يكونان حازمان في التوجيهات أو الأوامر التي تصدر إلى الأبناء.

وكذلك أن يكون الوالدين قادران على تنمية قدرات أبناءهما الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وتوجيههم وإرشادهم ونصحهم بما ينفعهم ويضرهم، وتعريفهم بالمشوح والممنوع أو المحرم، والصح والخطأ ... إلخ. وتوفير احتياجاتهم المادية والمعنوية، بحسب قدرة الوالدين، وتشجيعهم ومكافأتهم ورفع معنوياتهم بالكلام الطيب. وكذا تربية الأبناء كيف يتخاطبون ويتعاملون مع الناس؛ أي مع أفراد المجتمع في كل شؤون الحياة. وقدرة الوالدين في ردع أو معاقبة الأبناء في حالة ارتكاب أي خطأ يحصل منهم أو من أحدهم، وللتوضيح هنا بأن كل ما ذكر سابقاً من القدرات هي على سبيل المثال، وليس الحصر.

أما جهل الوالدين بالأساليب التربوية الصحيحة؛ أو بمعنى التربية الخاطئة، التي تتمثل في معاملة الوالدين لأبنائهما بقسوة، أو بلين، أو بالتأرجح بين القسوة واللين، أو بالإهمال وعدم المبالاة في تربية

الأبناء(1)، وهذه الأساليب الخاطئة في تربية الأبناء قد تؤثر سلبًا في سلوك الأبناء، حيث توجد علاقة بين معاملة الوالدين للأبناء، كالتسوية، والتدليل الزائد، والإهمال، وكثرة الخلافات، وبين اتجاه الأبناء نحو العنف(2).

وكذا، ضعف النظام في الأسرة، وضعف رقابة الوالدين؛ بسبب التوجيه الخاطئ، أو الجهل، أو العيوب الحسية الأخرى في الوالدين، أو أحدهما، أو ضعف الوالدين الطبيعي أو العقلي ... إلخ، وهذا له تأثير سلبي على سلامة تربية الأبناء داخل الأسرة(3)؛ لأن الوالدين لهما أهمية في تربية الأبناء التربية الصحيحة.

لذا، فالتربية الخاطئة للأبناء ((التي يسودها الحرمان والإهمال والإحباط، وأساسها النبذ والعقاب الصارم، وعدم الحب، والتناقض في التعامل بين القسوة والحماية الزائدة، التي تصل الرقابة فيها إلى حد التقييد الزائد للحرية، أو حد الإهمال والسلبية، والانحلال الأخلاقي للوالدين أنفسهما، وضرب النموذج السيء لأبنائهما، وتضارب سياسة الوالدين في تربية الأبناء، وعدم إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للأبناء)) (4)، وغير ذلك من الأساليب التربوية الخاطئة التي قد تؤثر سلبًا في سلوك الأبناء.

لهذا، فقدرة الوالدين في تربية الأبناء لها دور كبير في تربية وتوجيه الأبناء، وتنمية سلوكهم، وترابطهم، وفي ضبط علاقاتهم بهما، وكذا علاقاتهم ببعض البعض، بل وعلاقاتهم مع أفراد المجتمع ... إلخ، ومن ثم الحفاظ على البنيان الأسري وأمن واستقرار الأسرة؛ لأن الوالدين هما الراعيان، وقوام الأسرة.

ثانيًا - التفاهم بين الوالدين في تربية الأبناء:

(1) إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، بغداد، مطبعة النيزك، ط2، 1998م، ص40. ولمزيد من الاطلاع، انظر: الجميلي، د. خيري خليل، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط، 1998م، ص243 وما بعدها.

(2) إبراهيم، د. أبو الحسن عبدالموجود، ديناميات الانحراف والجريمة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2007م، ص286.

(3) د. محمد شفيق، الجريمة والمجتمع محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، دون ذكر الطبعة والتاريخ، ص111.

(4) التل، أ.د. شادية، ((من أسباب التفكك الأسري))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ، ص47.

يجب أن يحرص الوالدين على التوافق والتفاهم المتبادل فيما بينهما على الأساليب التربوية التي يتخذانها معاً، أو كل منهما في تربية الأبناء قدر الإمكان، وأن لا يوجد أي تناقض بينهما(1). وأن يسود التفاهم بين الوالدين في الحوار والإقناع والمناقشة الهادئة، والتحدث فيما بينهما وعند الأبناء، بل وأن يفهم كل منهما شخصية الآخر في تربية الأبناء وغير ذلك.

ومن الجدير بالذكر هنا، بأن تربية الأبناء لا يمكن أن تتم من الأب وحده، أو من الأم وحدها، بل تتم بهما معاً؛ لأن كل منهما مكمل للآخر. وكذا يجب أن يتجنب كل منهما انتقاد الآخر أمام الأبناء، كما يجب أن يحرص كل منهما في غرس ثقة الآخر لدى الأبناء، وذلك لتعميق التفاهم بين الوالدين، وكذا بينهما وبين الأبناء، كما يجب على الأبناء أن يتفهموا ويستمعوا ما يقال من الأبوين، وأن يكون بين الأبوين والأبناء جسر من التفاهم.

أما سوء التفاهم بين الوالدين في تربية الأبناء يؤدي إلى نتائج سلبية تترك آثاراً غير طيبة في الطفل، وبما أنه يرتبط بأبويه ارتباطاً كبيراً، فإنه ((يشعر بالأمن والطمأنينة، كما أنهما يمثلان بالنسبة له السند المادي والعاطفي، فإذا كانت العلاقة بينهما يسودها الحب والوفاق والفهم المتبادل، خاصة فيما يتعلق بالسياسة التي يتبعانها في تربية الأبناء، فإن هذا يترك أثراً طيباً على تكوين شخصية الأبناء، وعلى صحتهم النفسية، أما إذا كانت العلاقة تسودها الكراهية والخلاف وسوء التفاهم واختلفت سياسة كل منهما في طريقة تربية الأبناء (كأن يميل أحدهما إلى التدليل، والآخر إلى القسوة)، فعادة ما يشعر الأطفال بالقلق وعدم الشعور بالأمن، مما يكون له أثره السيئ على سلوكهم وصحتهم النفسية)) (2).

لذا، فإن سوء التفاهم بين الآباء له انعكاساته السلبية على الأبناء في السلوك، وفي العلاقات بين أفراد الأسرة، وقد ينعكس ذلك على المجتمع، وهذا مما يشكل عائقاً في أمن الأسرة. والعكس من ذلك فإن

(1) ملحوظة: يجب على الوالدين التفاهم المتبادل على أسلوب تربية الأبناء، وأن لا يكونان متناقضان في أسلوب التربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا قام الأب بإصدار توجيه، أو مكافأة، أو عقاب الأبناء، أو أحدهم، فإن الأم توافق على ذلك ولا تعترض. وكذلك الأم إذا قامت بإصدار توجيه، أو مكافأة، أو عقاب الأبناء، أو أحدهم، فإن الأب يوافق على ذلك ولا يعترض، وبمعنى آخر أن الأب يكون حازماً في ضبط الأبناء والأم غير حازمة، أو تدافع عن الأبناء في حالة ارتكاب أي خطأ يحصل منهم أو أحدهم، والعكس من ذلك. لذا يجب تجنب الازدواجية أو التناقض بين الوالدين؛ لأن الازدواجية أو التناقض بين الوالدين قد يؤثر سلباً في تربية وضبط الأبناء.

(2) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط2، 1985م، ص167.

التفاهم بين الوالدين في تربية الأبناء له دور كبير في ضبط سلوكهم، وتنمية قدراتهم الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك.

ثالثاً - تربية الأبناء التربية الصحيحة:

الأسرة هي البيئة أو المؤسسة الأولى التي تقوم بتربية وتعليم الأبناء، فهي التي تقوم بتوفير كل ما يحتاجون من الغذاء، والملبس، والمأوى، والثقافة ... إلخ، فينتقل فيها الابن معارفه ومهاراته الأولى، ويتعرف على دينه وأنماط سلوكه، ويتعرف على القيم والعادات والتقاليد ... إلخ. فالأسرة هي التي ترسم للأبناء طريقة حياتهم.

فالأسرة يقع عليها مسؤولية تنشئة وتربية أبناءها أطفالاً وشباباً، التنشئة والتربية الصحيحة التي تؤثر في حياتهم، وتكيفهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه - لأن خبرات الطفولة تترك بصماتها في الشخصية - وذلك من خلال التربية الإسلامية، وغرس القيم الأخلاقية الصحيحة والإيجابية، والالتزام بها في جميع جوانب الحياة، التي تتناسب مع متطلبات مجتمعهم على أساس من الفهم والعلم، وتزودهم بالثقافة التي تلائم العصر الذي يعيشون فيه ...، وتقدم لهم الحنان والعطف والاطمئنان العاطفي، والحب والاحترام المتبادل، وهذا الغذاء العاطفي لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيتهم، وتعلمهم كيف يفكرون، وكيف يصغون ويحترمون الآخرين، وكيف يتحدثون مع الوالدين وفيما بينهم، وكيف يتعاملون مع زملائهم ... إلخ، وتعلمهم الانتماء وحب الوطن، والمحافظة على التقاليد والأعراف الاجتماعية الإيجابية ...، كما تقوم الأسرة بتعليم أطفالها، كيف يميزون بين الخير والشر، والمسموح والممنوع (الحلال، والحرام)، والثواب والعقاب(1).

كما تهتم الأسرة بالتربية الإسلامية، وغرس القيم الأخلاقية الصحيحة بين أبنائها، كاحترام، والتراحم، والتعاطف ...، وعدم الاعتداء على أعراض ودماء وحقوق الآخرين ... إلخ. وأن تنهج الأسرة نهجاً معتدلاً في تأديب أبنائها، فلا إفراط ولا تفريط في القسوة والشدة، والصد والحرمان، ولا تفريط في الالتزام، وإنما الاعتدال وتربية الشباب على الشورى والمناقشة والحوار، وتوجيههم

(1) د. إبراهيم ناصر، التنشئة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص256 - 257.

وإرشادهم، والإشراف الدائم على سلوكهم، وشغل أوقات فراغهم، ودعوتهم لمناقشة المشكلات التي تحصل بروح الود والتفاهم، وعلى رب الأسرة أن يخصص جزءاً من وقته للجلوس مع أبنائه؛ يرشدهم وينصحهم ويبعدهم عن الانحراف والتطرف والعنف والسخط، وأن يسعى لتكوين الاتجاهات الإيجابية في نفوس الأبناء أطفالاً وشباباً⁽¹⁾، وعلى رب وربة الأسرة أن يتابعا أبناءهما في المدرسة، وأن يعرفا رفقاءهم؛ حتى لا يكونوا من رفقاء السوء.

فالتربية الإسلامية هي التي تخلق الأبناء الصالحين في المجتمع، من خلال تنشئتهم التنشئة الصالحة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه))⁽²⁾.

لهذا، فعلى الوالدين تربية أبنائهما التربية الصالحة، حتى تنعم الأسرة والمجتمع بأعمالهم الصالحة، فهما مسؤولان عن ذلك، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))⁽³⁾. فمسؤولية تربية الأولاد هي مسؤولية مشتركة بين الأب والأم لا بد أن يتعاونوا في سبيل إنجازها⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن يكون الوالدين قدوة صالحة لأبنائهما؛ لأن من عادة الأبناء تقليد ومحاكات والديهما في الأقوال والأفعال، فإذا لمس الابن منذ الصغر من أبويه اهتماماً بأداء الصلاة، وتجنب الأخلاق المنافية للدين الإسلامي، كالكذب، والغيبة، والنميمة، والبخل، والأنانية... إلخ؛ تأثر بهما، وسار

(1) إبراهيم، د. أبو الحسن عبدالموجود، ديناميات الانحراف والجريمة، مصدر سابق، ص 251 - 252.
(2) البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1422هـ/ 2001م، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (1385)، ص 249.
(3) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأحكام، الباب رقم (1)، حديث رقم (7138)، ص 1261.
(4) الهندي، د. جمال محمد محمد، تربية الطفل في الإسلام (المفاهيم، والتطبيقات)، دون ذكر بلد الناشر، دار نهر النيل للطبع والنشر والتوزيع، ط، 2006م، ص 30.

على نهجها وسلوكها⁽¹⁾. لذا فالوالدين هما منبع تربية الأبناء، فلا بد أن يكونا قدوة صالحة لهم في القول والعمل (الفعل) والسلوك؛ (أي سلوكاً وعملاً)، كالالتزام بأداء الصلاة في وقتها، والصيام، وإخراج الزكاة،... والتحلي بالأخلاق الفاضلة، كالصبر، والتخاطب، والتعامل ... إلخ؛ لأن الوالدين هما قدوة للأبناء.

رابعاً - استقرار الأسرة وتماسكها وترابطها:

يعد استقرار الأسرة وتماسكها وترابطها من أهم مقومات الضبط الأسري، وهذا لا يتحقق إلى من خلال عوامل عدة، من أهمها ما يأتي:

1- إن تجانس عادات وتقاليد الزوجين، والتفاهم بينهما على الحياة الزوجية وقوة العلاقة بينهما، وأن يعرف كل منهما ما له وما عليه من الحقوق والواجبات تجاه الآخر، والحب والاحترام المتبادل بينهما، وكذا التفاهم بين الزوجين على كل ما يتعلق بشؤون الأسرة (الاقتصادية، والاجتماعية)، وفي تربية وتعليم الأبناء، كل ذلك له دور كبير في استقرار الأسرة وتماسكها وترابطها.

2- في حالة وجود أي اختلاف بين الزوجين، يجب أن يكون بعيداً عن الأبناء، بل وأن يسرعان إلى معالجة الاختلاف الذي قد يحصل فيما بينهما دون علم الأبناء، حفاظاً على العلاقة بينهما وعلى استقرار الأسرة من الصراع والتفكك، وعلى تربية الأبناء، بل ومكانتهما وهيئتهما في الأبناء. وكذا قيام الوالدين بمعالجة مشكلات الأبناء - بهدوء - أولاً بأول.

3- استقرار الأسرة وتماسك وترابط أفرادها من أهم دعائم تربية الأبناء التربوية الصحيحة، ويجب على الأب أن يعطي ويعظم قدر الأم في أذهان الأبناء، وكذلك الأم هي الأخرى أن تعطي وتعظم قدر الأب في أذهان الأبناء، وأن يحافظ كل منهما على هيئته ومكانته في الأبناء. وهذا له دور كبير في نفوس الأبناء في العلاقات والتفاعلات فيما بينهم وبين الوالدين، بل وفي الحفاظ على مكانة الوالدين وهيئتهما في أبنائهما. لذا فحين تتوفر في بيئة الأسرة ((مقومات التماسك، والتوازن

(1) د. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج1، الأردن، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ط1، 1983م، ص35.

والتفاعل الاجتماعي الرشيد، والشباب المادي والعاطفي...، حينئذ تكون مثل هذه المقومات مرشحة لتلعب دوراً إيجابياً في الضبط الاجتماعي لأبنائها⁽¹⁾.

4- أن يكون الود والاحترام، والتفاهم المتبادل، والعلاقة الطيبة هي السائدة بين الوالدين لتحقيق السعادة فيما بينهما؛ لأن سعادة الوالدين تنعكس إيجابياً على سلوك الأبناء مع الوالدين وفيما بينهما، وكذا مع الناس الآخرين.

5- العامل الاقتصادي يعد من أهم العوامل التي تؤدي إلى استقرار الأسرة وتماسكها وترابطها، بل ومن أهم مقومات الأسرة؛ لأن الوضع الاقتصادي للأسرة له دور في حياة الأسرة، وذلك في تلبية احتياجاتها من (المواد الغذائية، والملابس، والمأوى، والأدوية، والأثاث...)، وفي تعليم الأبناء وغير ذلك من الاحتياجات التي تحتاجها اليومية والمستقبلية، فالوضع الاقتصادي له دور كبير في تحقيق سعادة الوالدين وأبناءهما⁽²⁾.

خامساً - إشباع احتياجات أفراد الأسرة:

يتمثل في قدرة الأسرة على إشباع احتياجات أفرادها الجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والعلمية. فالحاجات الجسمية تتمثل في إشباع الحاجات الضرورية لنمو الجسم؛ ليقوم بوظائفه الفسيولوجية، وذلك بتوفير المواد الغذائية، والملابس، والمسكن (المأوى)، والأثاث، والأدوات (الأواني) المنزلية... إلخ، وهذه الأشياء ضرورية (أي أساسية) لبقاء الإنسان، بل ولا تستقيم حياة الإنسان والأسرة إلا بها.

والحاجات النفسية، لا تقل أهمية عن الحاجات الجسمية، فالأسرة مسؤولة عن إشباع الحاجات العاطفية الوجدانية لأفرادها، كالعطف، والشفقة، والحب، والحنان، والتقدير، والرعاية، وتحقيق الذات، وذلك من خلال العدل بين أفرادها من دون تمييز بينهم، وتحريرهم من المخاوف والقلق والاضطراب، وكل ما من شأنه أن يهدد أمنهم النفسي، فيشعر أفرادها بأنهم محبوبون من أسرتهم - لاسيما من الوالدين

(1) الخيمسي، أ.د. السيد سلامة، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص316.

(2) ملحوظة: أما في حالة انخفاض الدخل الاقتصادي للأسرة، ولا يلبى جميع احتياجاتها، لاسيما الضرورية قد يؤدي إلى هجرة رب الأسرة، إما هجرة داخلية (أي داخل الدولة)، أو هجرة إلى خارج الدولة (أي يهاجر إلى أحد الدول الخارجية)، وذلك للبحث عن عمل؛ من أجل الحصول على المال لتلبية احتياجات الأسرة، وهجرة رب الأسرة قد تؤثر سلباً على تربية وضبط الأبناء.

- ومرغوب بهم، وأنهم موضع إعزاز للأسرة، فالأسرة هي القادرة على تنمية هذا الشعور بالعطف والتضحية والمحبة في نفوس أفرادها، بل وتعزز استقرار الحياة النفسية والاجتماعية لأفرادها، ولكن ذلك لن يتحقق إلا إذا كان المناخ الأسري يسوده الاستقرار والتماسك والتكامل، وعلى العكس من ذلك، يتعذر إشباع هذه الحاجات في المناخ الأسري المضطرب والمشحون بالقلق والصراع والخوف(1).

أما الحاجات الاجتماعية، تتمثل في إشباع حاجة الفرد، كال تقدير، والاحترام، والمكانة، والتفاعل مع الآخرين، وأن الفرد يشعر بأنه مرغوب داخل أسرته وأنه جزء منها، وأن الفرد في الأسرة يعامل معاملة يسودها الود والحب والرعاية، وأنه محل ثقة في أسرته وأنها تهتم به. وكذا تشجيع الفرد الصغير على التعبير عن نفسه بطريقة هادئة، وكذا الحاجة إلى النجاح فالفرد دائماً يسعى إلى النجاح في أي مرحلة من مراحل العمر، وعن طريق هذا النجاح يتحقق الإحساس بالأمن وتزداد الثقة بالنفس، فمثلاً أول إحساس الطفل بالنجاح عندما يتعلم المشي، ثم بعد ذلك عندما يستطيع يتكلم ... إلخ. والطفل بحاجة إلى اللعب والترويح؛ لأنه يتأثر بجماعات اللعب ويأخذ منها العديد من القيم والاتجاهات التي تساعده على أن يكون مواطناً صالحاً، كالتعاون، والتسامح، والاحترام، واحترام النظم، وكيفية التعامل مع الآخرين. لذا فالترويح واللعب يلعبان دوراً هاماً في بناء شخصية الطفل من الناحية الجسمية والنفسية والاجتماعية(2).

لهذا يجب على الآباء والأمهات أن يراقبوا أطفالهم ويحذروهم من اللعب والجلوس مع الأطفال من ذوي السلوك الخاطئ أو السيئ.

والحاجات العلمية، يجب على الآباء والأمهات أن يهتموا بتعليم أبنائهم وتشجيعهم على التعليم، وهو: حفظ القرآن الكريم، والتعليم (الأساسي، والثانوي، والجامعي)، والتعليم الفني والمهني في مختلف المجالات (الزراعية، والصناعية، والتجارية، والهندسية ... إلخ). وتعليم الأبناء كل بحسب قدرته العقلية والجسمية.

(1) التل، أ.د. شادية، ((من أسباب التفكك الأسري))، مصدر سابق، ص43 - 44.

(2) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص193 - 195.

لذا، فإشباع الحاجات لدى الإنسان بالطرق الشرعية، بلا شك سيؤدي إلى الحفاظ على النفس البشرية وبقائها ووقايتها من الأمراض والمشكلات، وفي المقابل فإن عدم إشباع الحاجات لدى الإنسان سيؤدي إلى الصراعات والاضطرابات والأمراض والمشكلات⁽¹⁾ الأسرية والاجتماعية.

سادساً - الشورى بين أفراد الأسرة: إن الشورى لها أهميتها في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، وقد دعا ((الإسلام إلى أن تقوم الحياة الأسرية على أساس من التشاور والتراضي، وذلك منذ بداية تكوين الأسرة ...، وبعد بناء الأسرة ينبغي للزوجين أن يتفاهما ويتشاورا فيما يهيم الحياة المشتركة بينهما، وفيما يهيم كل واحد منهما على حدة، وفيما يهيم حياة ذريتهما ومستقبلها ...))⁽²⁾.

فمن واجبات الوالدين نحو الأبناء، أن يسود الأسرة جو من الشورى والحرية؛ ليتمكن الأبناء من التعبير عن أنفسهم وعن آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم واحتياجاتهم دون خوف أو تردد؛ لأن إشراك الأبناء في اتخاذ القرارات التي تتعلق بحياتهم التي تكون في مستوى نموهم ونضجهم⁽³⁾، تساهم في ترسيخ الثقة والعلاقة والتماسك بين أفراد الأسرة.

فالشورى لها أهمية كبيرة في حياة الأسرة؛ لأنها تعزز الثقة والعلاقة بين الزوجين وبين أفرادها جميعاً، وتساهم في عملية ترسيخ الروابط والتعاون والتكافل الأسري، وفي عملية التفاعل والانسجام والتكامل ... إلخ بين أفرادها، وبذلك تحافظ الأسرة على كيانها وأمنها واستقرارها وتماسكها من الصراع والتفكك، واستقرار الأسرة له انعكاساته الإيجابية على أمن واستقرار المجتمع؛ لأنها تعد الخلية الأولى التي يقوم عليها المجتمع.

سابعاً - البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها الأسرة واستقرارها:

المقصود بالبيئة الاجتماعية المكان، أو الحي السكني الذي تسكن فيه الأسرة، والحي السكني تسكن فيه العديد من الأسر كثير أو قليل، ويسمى سكان الحي. والحي يهيئ للأسرة كثيراً من الاتصال بسكان

(1) د. محمد شفيق، الجريمة والمجتمع محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، مصدر سابق، ص112.

(2) القرضاوي، د. يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ/2008م، ص137 - 138.

(3) الهابط، د. محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص169.

الحي، وهذا بدوره قد يؤثر على سلوك الفرد، حيث يتخلق الفرد بقيم، وتعليم، وعادات المجتمع المحيط به سلبيًا وإيجابيًا. والحي هو حلقة الاتصال بين الأسرة والمجتمع، وبين الفرد وجيرانه، وهي تخضع خضوعًا مباشرًا لأوضاع الحي، فإذا كان الحي فاسدًا فلا شك سيكون له أثر على أفراد الأسرة؛ لأنه يرسم للسكانين أنموذج الحياة اليومية؛ لذا فإن الحي يكون مرآة صادقة تعكس قيم الأفراد الساكنين فيه(1)، ولكن يجب التوضيح هنا، بأنه ليس كل من يسكن في حي تشيع فيه نسبة من المنحرفين يعد منحرفًا؛ لأن لكل فرد طبيعته وميوله وتركيبته النفسية، فالتأثير يختلف من فرد إلى آخر، ويتوقف - أيضًا - على نوع العلاقة بين الرفقاء.

فالبينة الاجتماعية تؤثر في الإنسان سلبيًا وإيجابيًا، فالإنسان ابن بيئته كما يقال، ((ونحتاج مجتمعه الذي يعمل فيه ويتفاعل معه، ويأخذ منه ويعطيه، ويتأثر بأنماط السلوك التي تسود فيه، والقوانين والأنظمة المطبقة عليه، والآخرين الذين يتعايش معهم، ويحتك بهم في كل عمل أو تصرف يقوم به. فالمجتمع هو المصدر الأساسي الذي يعمل فيه الأفراد ويطبعم بطابعه، إنه المسرح الذي يلعبون على خشبته مسرحياتهم المتنوعة، ويتأثرون بأشخاص سلبيًا وإيجابيًا؛ فنتوازن ذواتهم أو يختل توازنها)) (2).

فإذا تربي الفرد في وسط اجتماعي غير سليم تسوده المفاهيم الاجتماعية الخاطئة، فيما يتعلق بالشرف، والأمانة، والأخلاق، والعدل، والولاء، والصدق، وما شابه ذلك، فقد يتجه الي السلوك الانحرافي الاجرامي - لا سمح الله - غير مدرك لخطورة ما يقوم به من انحراف في السلوك، ويمكن إرجاع ذلك إلى سوء التنشئة في الوسط الاجتماعي الذي أخفق وقصر في إرشاده إلى الطريق القويم والصحيح الذي يرشده إلى الالتزام بالقيم والمبادئ والقوانين الاجتماعية(3)، التي تعارف عليها المجتمع؛ لأن الخروج عنها اعتداء على هذه القيم، والانحراف في السلوك يجب على مرتكبيه الخضوع للعقاب العرفي والقانوني.

(1) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص136 - 137.

(2) الأيوبي، د. محمد ياسر، النظرية العامة للأمن، نحو علم اجتماع أمني، لبنان، طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط، 2008م، ص140.

(3) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص130 - 131.

لذا، فالبيئة الاجتماعية هي الحاضنة للأسرة وأفرادها، وقد تكون هذه البيئة إما بيئة صالحة أو غير صالحة، فإذا كانت بيئة صالحة بلا شك سوف ينعكس صلاحها على الفرد والأسرة، والعكس إذا كانت بيئة غير صالحة يسودها الصراع وعدم التوافق بين أفراد المجتمع، والتعصب، والاستغلال، والتفرقة والتمييز بين الناس، وعدم المساواة، وعدم اشباع حاجات الفرد ورغباته المشروعة في المجتمع(1).

المطلب الثاني

وسائل الضبط الأسري

سيتركز الحديث في هذا الموضوع عن الوسائل التي يستعملها الآباء والأمهات في ضبط سلوك الأبناء (أفراد الأسرة) أطفالاً وشباباً، التي لها فاعلية في تنظيم وضبط سلوكهم ليتوافق مع سلوك الأسرة وسلوك المجتمع؛ وذلك حفاظاً على أمن ونظام الأسرة من ناحية، وكذا حفاظاً على أمن ونظام المجتمع من ناحية أخرى، والوسائل هي: وسائل الضبط الوقائية، ووسائل الضبط العقابية أو الرادعة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً - وسائل الضبط الوقائية: في هذا الموضوع سيتركز الحديث عن وسائل الضبط الوقائية، التي تهدف إلى تنظيم وتنمية السلوك السوي في الأبناء، من خلال غرس وتعليم الأبناء السلوك السوي الذي يؤدي إلى صلاحهم واستقامتهم، وخير لأنفسهم وللأسرة والمجتمع، وبالتالي ضبطهم من الوقوع في أي خطأ، ونظراً لكثرة عدد وسائل الضبط الوقائية سيقصر الحديث على أهم الوسائل، وهي على النحو الآتي:

1- القدوة الحسنة: يجب على الآباء والأمهات أن يدركوا أهمية القدوة وأثرها في تربية أبنائهم التربية الصحيحة، ومن أمثلة ذلك لا يمكن أن يُربي الأب ابنه على الصدق والأمانة ... إلخ، وهو يكذب ويخون الأمانة ... إلخ. وأن يقول الأب لابن لا تمضغ أغصان شجرة القات والأب يمضغ أغصان شجرة القات. وكذا الأم أن تقول لابن رتب الملابس وملابسها غير مرتبة، وأن تقول لابن لا تشاهد أحد

(1) لمزيد من الاطلاع، انظر: قمر. د. عصام توفيق، مبروك، د. سحر فتحي، مقدمة في الخدمة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2009م، ص186.

البرامج في التلفزيون وهي تشاهده، ولا يمكن أن يتربى الابن على طاعة أبويه وهو يرى أبويه لا يطيعان أبويهما.

كما يجب دائماً على الوالدين أن يكونان قدوة للأبناء في أداء الصلاة، والصدق، والأخلاق، والأمانة، والكرم، والعدل، والمعاملة الطيبة للأبناء وغيرهم، والتحري في أكل الحلال في المأكل، والمشرب، والملبس ... إلخ؛ لأن الابن الذي يرى أبويه يؤديان الصلاة، فإنه يتأثر بهما، لذا فالابن يتأثر بأبوية تأثيراً كبيراً في الصدق، والأخلاق، والأمانة، ... إلخ.

فالآباء والأمهات عادة ما يكونون قدوة أو مثلاً أعلى يسير على أثرهم الأبناء، ويحذوا حذوهم، بل كثيراً ما يؤكد العلماء أن الأطفال يتأثرون بأفعال الآباء والأمهات وسلوكياتهم، أكثر مما يتأثرون من نصائحهم وإرشاداتهم(1). فتأثير القدوة في النفوس أقوى من تأثير الأقالم والخطب(2). لهذا فالتربية بالقدوة من أهم وسائل تربية الأبناء.

فالطفل عندما ينشأ في بيئة أسرية منحلة تسود فيها العلاقات الاجتماعية السيئة، وتنحط بها القيم الأخلاقية؛ حينما يكون الأب نفسه منحرفاً يسلك أمام طفله مسلكاً إجرامياً، مخالفاً للقانون أو للأخلاق وقواعد الآداب العامة، كالسرقة، والاعتداء على الآخرين، وغير ذلك من السلوك المنحرف - الإجرامي - المحرم شرعاً، وكذا الاستهتار بحقوق الجار، ومخالفة القوانين(3)، والكذب، والغيبة، والنميمة، ... إلخ، فضلاً عن الكلام القبيح الذي يصدر منه للأبناء أو بعضهم أو أحدهم، أمام الأبناء أو أحدهم دون حرج أو خجل، كالسب، والشتم، واللعن، وغيره من الكلام القبيح.

فهذه البيئة الأسرية الفاسدة التي يعيش فيها الفرد بلا شك سيكون لها آثار سلبية على شخصيته، وعلى سلوكه الذي قد يتجه نحو السلوك غير السوي دونما رقابة أو ضابط من أسرته، وهذا يؤثر سلباً على أمن واستقرار الأسرة.

- (1) الخطيب، د. سلوى عبد الحميد، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مصدر سابق، ص 167.
- (2) د. عباس محجوب، مشكلة الشباب الحلول المطروحة .. والحل الإسلامي، كتاب الأمة، قطر، سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد (11)، ربيع الأول 1406 هـ، ص 66.
- (3) د. محمد شفيق، الجريمة والمجتمع محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، مصدر سابق، ص 110.

لهذا، فالطفل يتأثر بكل ما يحيط به من سلوك، فهو يقلد سلوك والديه ويحذو حذوهم، فإذا كان سلوكهما مستقيماً، فالطفل بلا شك سوف يقتدي بسلوكهما الحسن، وإذا كان سلوكهما شاذاً (منحرفاً) فإن ذلك يؤثر عليه⁽¹⁾، فالسلوك السيء للوالدين أو أحدهما أو أحد أفراد الأسرة، كأن يكون مجرماً أو منحلماً خلقياً، فإن ذلك يعد من أكثر العوامل في جنوح الأحداث.

فمثلاً الحدث الصغير عندما يعيش في بيئة يسودها التفكك، فإنه يتشرب الانحراف منذ الصغر، لأنه يحاول أن يقلد والده أو أخاه الأكبر، فإذا كانا يمارسان السرقة، فإن الحدث لا يجد في السرقة أي خطأ فيقوم بارتكابها، ومن خلال الدراسة التي أجراها الأستاذ طه أبو الخير، في محكمة الأحداث بالإسكندرية، توصل إلى أن 27% من الآباء كانوا شركاء مع أبناءهم بالتحريض، أو الاتفاق، أو المساعدة⁽²⁾. وكذلك، توصلت الدراسة التي أجراها الدكتور محمد شفيق، في مصر عن ظاهرة جنوح الأحداث، بأن انحراف أحد أفراد الأسرة هو سبب البداية في الانحراف، وبنسبة 15.7% من مجموع عينة البحث الذي أجري على الجانحين⁽³⁾.

لذا، لا بد أن يكون الآباء والأمهات هم القدوة الحسنة في السلوك، والأخلاق، والأقوال، والأعمال، وليس العكس؛ لأن الأبناء يقلدونهم ويقتدون بهم في السلوك والأخلاق، وفي أقوالهم وأفعالهم ... إلخ، وصدق من قال: إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت الغناء والرقص.

2- التوعية والتوجيه: الآباء والأمهات هم المسؤولون عن سلوك الأبناء وتربيتهم التربوية الصالحة، لذا يجب عليهم توعية وتوجيه الأبناء بما ينفعهم، وما يضرهم وينفعهم في حياتهم العلمية والعملية حاضرًا ومستقبلاً، ليكونوا صالحين لأنفسهم ولآبائهم وأمهاتهم وأسرهم، بل وللمجتمع والدولة، ومن أهم ما يقوم به الآباء والأمهات في توعية وتوجيه الأبناء، ما يأتي:

(1) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص133.
(2) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون ذكر الطبعة والتاريخ، ص450.
(3) د. محمد شفيق، الجريمة والمجتمع محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، مصدر سابق، ص148.

- أ- توعية الأبناء وتوجيههم وإرشادهم ونصحهم بما ينفعم ويضرهم، وتعريفهم بالمسموح والممنوع أو المحرم، والصح والخطأ ... إلخ، في المأكل والمشرب والملبس، وفي التخاطب والاحترام والتعامل فيما بينهم ومع أفراد المجتمع ... إلخ. وتعريفهم بعادات وتقاليد الأسرة والمجتمع.
- ب- توجيههم على حب الوالدين وطاعتها، وأدب التعامل معهما بالقول والعمل.
- ج- غرس الوازع الديني - الإسلامي - في نفوس الأبناء. وتوجيه الأبناء، بل وحثهم على أداء الصلاة في المسجد، وترسيخ حبه في أذهانهم. وكذا حثهم على الرقابة الذاتية في كل أمر من الأمور.
- د- ترسيخ في أذهان الأبناء أن السلوك الطيب نتاجه طيبة، وأما السلوك الشرير فنتاجه شريرة(1).
- هـ- توعية الأبناء عدم الاعتداء على سمعة وأعراض وحياة الناس وممتلكاتهم.
- و- توعية الأبناء عدم الاستماع إلى الإذاعات، وكذا عدم الاستماع ومشاهدة القنوات الفضائية التلفزيونية، وشبكة المعلومات (الإنترنت)، وأقراص الكمبيوتر (سيدي)، وغيرها من الوسائل، التي تبث البرامج والأفلام الخليعة أو الانحلال الأخلاقي؛ (أي السلوك غير الأخلاقي)، والمثيرة للغرائز التي تشجع على العنف والجريمة وتظهر المنحرفين؛ (أي ذوي السلوك المنحرف) بالصورة البطولية، أو التطرف والإرهاب، بل وكل البرامج التي لا تتفق مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، ونظم وعادات وتقاليد المجتمع. وكذا توعية الأبناء عدم قراءة الكتب والمجلات وغيرها من المطبوعات، التي لا تتفق مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، ونظم وعادات وتقاليد المجتمع.
- ز- توجيه الأبناء ومساعدتهم في اختيار أصدقائهم والرفقة الصالحة، ليكونوا من ذوي الأخلاق الطيبة والسلوك الحسن، بل والمحافظة عليهم من رفقاء السوء؛ أي من ذوي السلوك السيئ.
- ح- توعية الأبناء على التفاعل والتعاون والكرم. وكذا تنمية الرقابة الذاتية في أذهانهم.
- ط- توعية الأبناء وتوجيههم باستثمار وقت الفراغ بالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بقراءة القرآن الكريم والدعاء ... إلخ.

(1) د. إبراهيم ناصر، التنشئة الاجتماعية، مصدر سابق، ص299.

ي- توعية الأبناء على التعلم وأهميته في حياتهم العلمية والعملية، بل وحثهم على التفوق العلمي في مختلف مراحل التعليم، وكذا حثهم على التفوق في الجانب العملي، وحثهم على مجالسة العلماء المستقيمين، ومجالس العلم، وأهل الذكر والخير.

ك- توعية الأبناء وتوجيههم على الهدوء والسكينة داخل المنزل، وكذا المحافظة على السكينة العامة خارج المنزل؛ لأن الإخلال بالسكينة قد يعرض الابن إلى العقاب.

3- المتابعة والمراقبة المستمرة: من أهم ما يقوم به الآباء والأمهات في متابعة ومراقبة الأبناء باستمرار، ما يأتي:

أ- متابعة الأبناء الكبار لأداء الصلاة والصيام، وكذا متابعتهم في المدرسة، وفي أداء واجباتهم الدراسية، ومتابعة أعمالهم وسلوكهم، ... إلخ.

ب- متابعة الأبناء وعدم تركهم ليذهبوا أينما أرادوا، وإنما يكونوا على علم بذلك، حفاظاً على حياتهم وعلى سلوكهم من الانحراف. وكذا متابعتهم لمعرفة البرامج التي يشاهدوها، التي تبث في القنوات التلفزيونية والإنترنت وأي وسيلة أخرى، بحيث لا تكون برامج منافية للقيم والأخلاق ... إلخ، السائدة في المجتمع.

ج- فالآباء والأمهات لا بد أن يكونوا حازمين ومتابعين ومراقبين للأبناء باستمرار في كل أعمالهم وتصرفاتهم، حتى لا يقعوا في أداء أي عمل أو تصرف خاطئ. بما في ذلك مراقبتهم المستمرة لمعرفة مع من يلعبون، ومع من يجلسون، ومنهم رفقاتهم، حفاظاً عليهم من ملاحظة ومجالسة ومرافقة من ذوي السلوك السيئ. وكذا متابعة أقوالهم وأفعالهم حتى لا يقعوا في أي خطأ.

4- التنبيه والتحذير: من أهم ما يقوم به الآباء والأمهات في تنبيه وتحذير الأبناء، ما يأتي:

أ- تنبيه الأبناء وتحذيرهم من الشرك بالله، ومن الكذب، والخداع، وخيانة الأمانة، والعنف، والإرهاب، والأفكار الضالة ... إلخ، لما لها من أضرار على أنفسهم، وعلى الأسرة والمجتمع والدولة.

ب- تنبيه الأبناء وتحذيرهم من الاعتداء على سمعة وأعراض الناس، كالسب، والشتم، والقذف، والنميمة، والسخرية، والتحقير، والغمز، واللمز، والإهانة، والتجسس ... إلخ. وكذا عدم الاعتداء

على حياة الناس، كالضرب، والقتل. وكذلك عدم الاعتداء على ممتلكات الناس، كالسرقة، والسلب، والنهب، والتلف ... إلخ، وتنبههم بأن ذلك يعرضهم إلى العقوبة. وأن حياة الإنسان وعرضه وكرامته وممتلكاته مصانة لا يجوز لأحد الاعتداء عليها. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه))⁽¹⁾.

ج- تنبيه الأبناء وتحذيرهم عدم إزعاج الجيران والناس أثناء اللعب في الشارع، وكذا تحذيرهم من استخدام الألعاب النارية وإطلاقها في الهواء، كالطماش، والطلق؛ وتنبههم وتحذيرهم عدم القيام بأي أعمال أخرى يؤدي إلى الإخلال بالسكينة العامة في المجتمع.

5- الترغيب: يجب على الآباء والأمهات ترغيب الأبناء في كل ما هو خير⁽²⁾، ومفيد لهم حاضرًا ومستقبلاً، مثل ترغيبهم في المشاركة في العمل داخل المنزل، وترغيب الأبناء الذكور في مشاركة آبائهم في الأعمال الخاصة بهم التي يقومون بها خارج المنزل، وترغيبهم منذ الصغر على أداء الصلاة، وأداء العمل الجيد، وحفظ القرآن والتعلم ... إلخ. وترغيب الأبناء يكون بالكلام الحسن الذي يسهم في حبهم لله، وفي تنمية وضبط سلوكهم. وكذا ترغيب الأبناء على أن من عمل عملاً جيداً سوف يحصل على مكافأة. لهذا يجب على الآباء والأمهات ترغيب أبنائهم على الخير الذي ينفعهم وينفع الأسرة والمجتمع.

6- تصحيح المفاهيم الخاطئة: يجب على الآباء والأمهات تصحيح المفاهيم الخاطئة أو المغلوطة أولاً بأول، في أي أمر من الأمور، التي يتلقاها الأبناء، سواء من الشارع، أم المدرسة، أم الأصدقاء، أم الرفقاء، أم من وسائل الإعلام والاتصال والإنترنت ... إلخ، حتى لا يقع الأبناء في أي خطأ.

7- الحوار والنقاش والإقناع.

يعد الحوار والنقاش والإقناع من أهم وسائل تعليم الأبناء؛ لأن هذه الوسائل تعلم الابن كيف يحاور؟ وكيف يناقش؟ وكيف يقنع الآخرين؟ ويكون الحوار والنقاش والإقناع بين الوالدين والأبناء بود واحترام؛ لأن ذلك ينمي ويقوي من قدرات الأبناء على التفكير.

(1) القزويني، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، ج2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون ذكر الطبعة والتاريخ، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم (3933)، ص1298.

(2) د. إبراهيم ناصر، التنشئة الاجتماعية، مصدر سابق، ص299.

لذا، يجب على الآباء والأمهات تعليم وتعويد أبناءهم منذ الصغر على لغة التفاهم والحوار والنقاش والإقناع؛ لأن ذلك له دور كبير في بناء شخصيتهم وسلوكهم وهم كبار، وذلك بالجلوس مع الأبناء والاستماع لآرائهم في أي أمر من الأمور ومناقشته في جو من الحرية؛ لأنه قد تكون آراءهم سليمة في أحد أو بعض الأمور، وإذا لم تكن سليمة على الوالدين إقناعهم بالمبررات المقنعة لهم ليغيروا من قناعتهم. والحوار والنقاش هما خط التواصل والترابط والتكامل بين أفراد الأسرة.

8- المكافأة: تعد المكافأة من وسائل الضبط الوقائية، فعندما يقوم الأب أو الأم أو كليهما بمكافأة وتشجيع الابن من (الذكور، أو الإناث)، فإنها تعزز السلوك المطلوب، كما أنها تشجع الابن إلى الشعور بالنجاح، وتنمي الثقة بنفسه(1). والمكافأة قد تكون مادية، كالتقود، أو شراء بدلة ملابس، أو عصير، أو أي شيء مادي آخر. وقد تكون المكافأة معنويًا من خلال كلمات الشكر، والإشادة، والمدح، والثناء، ... إلخ.

ولكن يجب على الآباء والأمهات أن يتبعوا أسلوب مكافأة أبناءهم في الأوقات المناسبة دون مغالاة أو الإسراف في ذلك، لاسيما المكافأة المادية، حتى يشعروا أن الأفعال الحسنة التي يؤديها هي واجب عليهم، وليست شيئاً يأخذوا عليه أجره، ولا يؤديه إلا مقابل هذا الأجرة وهي المكافأة، وأن تكون المكافأة عاجلاً، وليس آجلاً(2).

لذا، فمكافأة الابن الناجح في عمله تعزز من السلوك الإيجابي في نفسيته، ولكن يجب أن لا تمنح المكافأة في كل عمل يعمل به بنجاح، حتى لا تصير في مفهومه جزء من السلوك، ويتولد في نفسه بأن أي عمل يقوم به يحصل على مكافأة. لهذا يجب الاعتدال في منح الابن المكافأة، لاسيما المادية.

ثانياً - وسائل الضبط العقابية:

(1) العمر، أ.د. معن خليل، التنشئة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص210.

(2) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص168 - 169.

سيتركز الحديث في هذا الموضوع عن وسائل الضبط العقابية أو الرادعة، التي تهدف إلى ردع الابن إذا قام بأي عمل خاطئ، ونظرًا لكثرة عدد وسائل الضبط العقابية سيقصر الحديث على أهم وسائل الضبط العقابية المعنوية والمادية والبدنية، وذلك على النحو الآتي:

1- وسائل العقوبة المعنوية: تشمل العقوبة المعنوية وسائل عدة، هي: الترهيب، والتأنيب، والتوبيخ، والنقد، والاستنكار، واللوم، والإنذار، والتحقير، والسخرية، والإهانة، والتهديد، ... إلخ. ونظرًا لكثرة عدد الوسائل سوف يقتصر الحديث على أهمها، وذلك بإيجاز على النحو الآتي:

أ- الترهيب: يعد الترهيب من وسائل الضبط العقابية التي يستخدمها الآباء والأمهات لضبط أبناءهم، والمقصود بالترهيب في هذا الموضوع هو: قيام الآباء والأمهات بتخويف أو تهديد الأبناء بأن لا يخطئوا، وإذا أخطئوا فإنه سوف تستعمل وسائل الضبط العقابية لمعاقبة المخطئ، كالحرمان من المكافأة المادية، أو الضرب باليد أو باستخدام العصا، أو غيرها من الوسائل التي يراها الآباء والأمهات هي الأنسب لمعاقبة أبناءهم أو أحدهم، وذلك على قدر الخطأ الذي عمله أو ارتكبه الابن أو الأبناء.

لذا، فالآباء والأمهات يقوموا بترهيب الأبناء من الأعمال المزعجة أو أي عمل أو سلوك خاطئ، وكذا ترهيبهم على أن من عمل عملاً سيئاً أو خاطئاً سوف يعاقب على قدر الخطأ الذي عمله أو ارتكبه، سواء داخل المنزل، أم خارجه. والغرض من الترهيب هو ضبط سلوك الأبناء، حتى لا يقوموا بأي عمل أو سلوك خاطئ، ولكن يجب على الآباء والأمهات استعمال الترهيب المتوازن الذي يسهم في تنمية شخصية الأبناء وضبط سلوكهم.

ب- التأنيب: المقصود بالتأنيب أو التوبيخ في هذا الموضوع هو: قيام الأبوين أو أحدهما بتأنيب أو توبيخ الابن المخطئ على الخطأ الذي عمله أو ارتكبه بكلام وألفاظ، فيقول الأب أو الأم أو كلاهما للابن يا فاعل كذا وكذا، وأن ما قمت به من عمل فهو خطأ، وأن هذا العمل لا يصلح أن تقوم به؛ لأنه مخالف لنظام الأسرة، أو مخالف لعادات وتقاليد المجتمع ... إلخ. وكذا على سبيل المثال إهمال الابن مذاكرة الدروس، وغيابه المتكرر من المدرسة ... إلخ، في هذه الحالة يقوم الأبوين أو أحدهما بتأنيبه أو توبيخه بكلام وألفاظ، مثل أنت فاشل في الدراسة، وأن ابن فلان أحسن منك في الدراسة (التعليم)،

وسوف يقع طبيب أو مهندس ... إلخ، وأنت تبقى فاشل طول عمرك، ومن التأنيب والتوبيخ - أيضاً - معاملة الابن ببرودة أو بتحفظ لكي يشعروه بالخطأ ... إلخ. وكذا الكلام في إطار الأسرة عن أحد أبنائها يعد توبيخاً له، والتأنيب أو التوبيخ هو إهانة للابن، ويكون على قدر الخطأ الذي عمله أو ارتكبه الابن أو الأبناء، وكذا يكون بما يتناسب مع العمر أو المرحلة العمرية للابن.

ج- الاستنكار: هو قيام الوالدين أو أحدهما باستنكار العمل أو السلوك الخاطئ الذي قام به الابن أو الأبناء؛ لأن العمل أو السلوك الذي قام به غير سوي. وأن الوالدين أو أحدهما يستنكر ويحذرا الابن أو الأبناء من تكرار الخطأ، وأنه إذا تكرر الخطأ سوف يعاقب المخطئ.

د- اللوم والإنذار: هو قيام الوالدين أو أحدهما بتوجيه اللوم أو النقد إلى الابن المخطئ؛ بسبب العمل أو السلوك الخاطئ الذي قام به. لذا فأى عمل أو سلوك خاطئ (أي غير سوي) يقوم به الابن، فإنه سوف يوجه له اللوم من الوالدين أو أحدهما. وبعد اللوم يأتي الإنذار، وهو قيام الوالدين أو أحدهما بإنذار الابن بعدم تكرار الخطأ الذي عمله.

هـ- التحقير والسخرية والإهانة: يعد التحقير والسخرية والإهانة من وسائل الضبط العقابية، التي يتعامل بها بعض الوالدين؛ لضبط الابن، لاسيما الابن الذي يكرر الخطأ، فإن الوالدين يناديانه بكلمات وألفاظ قبيحة، ولاسيما أمام أفراد الأسرة، أو الأقارب، أو الأصحاب، فينادى بالكذاب إذا كذب مرة، أو الشرير إذا أساء مرة ... إلخ⁽¹⁾. أو إهانة الابن بالشتيم، والسب، أو وصفه بالطفل وقد هو في سن الشباب، أو فوضوي، أو جاهل، أو غبي، أو فاشل، أو تسميته بألقاب ساخرة ومحتقرة في المجتمع، أو الاستهزاء بكلام الابن ومقاطعته أثناء ما يتكلم وغير ذلك، أو أي نوع من أنواع التحقير والسخرية والاستهزاء والإهانة.

2- وسائل العقوبة المادية: تشمل العقوبة المادية التي يستخدمها الآباء والأمهات في معاقبة الابن الذي يقوم بأي عمل أو سلوك خاطئ وسائل عدة، منها: عدم إعطائه نقود لشراء شوكولاتة أو عصير ... إلخ، أو عدم شراء له (أي وسيلة من وسائل اللعب والترفيه، أو بدلة ملابس)، أو عدم إعطائه أحد

(1) د. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج1، مصدر سابق، ص40.

المأكولات، مثل: تفاحة، أو برتقالة، أو موز، أو قطعة كيك، أو غير ذلك من العقوبة المادية التي يراها الأب أو الأم بأنها مناسبة في معاقبة الابن المخطئ، وأن تكون بحسب السن، أو المرحلة العمرية له.

3- وسائل العقوبة البدنية: يستخدم الآباء والأمهات العقوبة البدنية لمعاقبة أبناءهم المخطئين، كالضرب باليد، أو باستخدام العصا، أو السوط، أو أي وسيلة أخرى قد يستخدمها بعض الآباء والأمهات في العقوبة البدنية، وهذه العقوبة يجب أن تكون هي الوسيلة الأخيرة التي يستعملها الوالدين في معاقبة المخطئين من أبنائهما، وذلك بعد فشل العقوبات الأخرى، كالتوجيه، والتنبيه، والتوبيخ، واللوم، والإنذار، والحرمان من المكافأة، ... إلخ، ولا تستعمل إلى في أضيق الحدود. والغرض من العقوبة البدنية هو الإصلاح والعلاج، وليس الإضرار والإهانة؛ أي العقاب الغير مبرح الذي يؤلم ولا يضر ولا يؤدي؛ لأن الهدف هو التأديب فقط، والعقوبة البدنية هي من واجبات الآباء والأمهات لتأديب الأبناء الذين يعملون أعمالاً قبيحة أو يخالفوا الدين الإسلامي وتعاليمه والقيم والنظم السائدة في المجتمع؛ فالآباء والأمهات يجب عليهم عدم إطلاق العنان للأبناء لارتكاب الأخطاء، أو بمعنى ترك الأبناء يفعلوا ما يريدوا دون رقابة ومحاسبة وعقاب، وأن الغرض من شدة وقوة الآباء والأمهات في تربية الأبناء هو الإصلاح والتربية، ولذلك يجب أن يصاحب أسلوب الضرب توجيه مناسب يتفق مع مرحلة تطور ونمو الابن (الطفل) العقلي والاجتماعي. فكل مرحلة نمو توقعات اجتماعية معينة، يجب أن تتطور مع تطور الأطفال ونموه(1).

4- شروط العقوبة: إن العقوبة أداة واقعية في حياتنا اليومية يلجأ إلى استخدامها الآباء والأمهات لمعاقبة الأبناء الذين يقومون بأي سلوك خاطئ، ولكي تكون العقوبة فعالة وناجحة في مجال ضبط سلوك الأبناء أو تعديله أو علاجه(2)، فإنه يجب على الآباء والأمهات معرفة شروط العقوبة المعنوية والمادية والبدنية التي يستخدمها الآباء والأمهات في معاقبة الأبناء المخطئين، وذلك على سبيل المثال وليس الحصر، ومن أهمها ما يأتي:

(1) الأخرس، د. محمد صفوح، نموذج لاستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية، الرياض، مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1997م، ص93.

(2) د. عبدالمجيد نشواتي، علم النفس التربوي، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4، 2003م، ص299.

أ- التوسط والاعتدال في العقوبة، ولا إفراط في العقوبة ولا تفريط فيها، وأن لا يُضرب الابن قبل سن العاشرة من عمره.

ب- أن تكون العقوبة بقدر الفعل الذي يصدر من الابن، وأن تكون عاجلة، وليس آجلة؛ أي بعد الفعل مباشرة، وليس بعد أداء الفعل بوقت طويل؛ أي بعد يوم من ارتكابه الخطأ⁽¹⁾، وقد تبين أن العقاب الفوري أكثر نجاحاً من العقاب المؤجل، فكلما قصرت الفترة الزمنية الفاصلة بين فعل الخطأ والعقاب، كان العقاب أكثر فعالية ونجاحاً. وكذا يجب على الآباء والأمهات عدم تقديم الثواب أو المكافأة بعد معاقبة الابن؛ لأنه قد يعود الابن إلى ممارسة الخطأ الذي عوقب من أجله، لغرض الحصول على المكافأة⁽²⁾.

ج- التدرج في عقوبة الأبناء من العقوبة المعنوية إلى العقوبة المادية إلى العقوبة البدنية. وفي العقوبة البدنية: يتدرج في الضرب من الخفيف إلى الأشد بشرط عدم الإضرار بالابن، وأن تكون وسيلة الضرب التي يستخدمها الآباء والأمهات غير مؤذية له. وأن لا يكون الضرب في الأماكن الحساسة في الجسم، كالرأس، أو الوجه، أو الصدر ... إلخ.

د- أن تكون عقوبة الأبناء متناسبة مع سن الابن الذي أخطأ، أو المرحلة العمرية له.

5- مدى تأثير وسائل العقوبة على الأبناء.

إن الضبط والتأديب لهما إيجابيات، كما أن لهما سلبيات، ((فنوع ودرجة الضبط والتأديب لهما علاقة قوية في التأثير على الابن، فالضبط المشفوع باللين والتفهم، ربما يكون تأثيره إيجابي على سلوك الابن، أما القسوة وعدم التفهم للابن، ربما يؤثر تأثيراً سلبياً عليه. والقسوة ربما تصلح لبعض الأبناء (الأطفال)، ولكن مردودها وقتي، ويكون تأثيرها على نفسية الابن في النهاية شديداً، وربما ينتج عن ذلك تكوين البغض والعداوة في نفسية الابن تجاه الوالدين، ولا شك أن موقف ورد الفعل لدى الابن على نوعية

(1) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص169.

(2) د. عبدالمجيد نشواتي، علم النفس التربوي، مصدر سابق، ص300.

الضبط والتوجيه، ربما يحدد نمط السلوك الذي يسلكه، ووجود الابن (الطفل) في أسرة مزدحمة مترابطة، يسود الوثام والانسجام أبنائها، يؤدي في النهاية إلى التكيف الاجتماعي للابن⁽¹⁾.

وقد يعتقد الآباء والأمهات أن القوة الشديدة هي الأسلوب الموفق في تعديل السلوك الخاطئ للأبناء، وتصحيح أخطاءهم، حقيقة أن العقاب له أثره في تعديل السلوك الخاطئ ومواجهة الأخطاء، إلا أن هذا يحدث إذا كان العقاب عادلاً ومعتدلاً، وليس على كل كبيرة وصغيرة تحدث من الابن، والعقاب القاسي ليس هو الأسلوب الموفق لتعديل السلوك الخاطئ للأبناء؛ لأن له آثاره السلبية عليهم، فالمغالاة في استخدام العقاب، لاسيما العقاب البدني المبرح قد يؤدي بالأبناء إلى الجبن والخوف والقلق، وكثيراً ما يجعلهم يلجأون إلى الكذب، أو استخدام الحيل الدفاعية؛ لكي يبعدوا عن أنفسهم هذا العقاب الشديد. وإلى جانب ذلك أنه قد يخلق منهم أفراداً متبلدين لا يحركهم إلا العقاب أو الخوف منه⁽²⁾.

لذا، فالتحقير والسخرية بالابن لا شك أن هذا التصرف ينعكس على الابن شعوراً بالمهانة والنقص، وتطلعاً إلى من حوله بروح المرارة والحقد، وميلاً إلى العزلة والانطواء⁽³⁾. لهذا، فالمغالاة في العقاب المعنوي أو المعاملة القاسية جداً للابن، كالترهيب، والتأنيب، والتوبيخ، والتحقير، والسخرية، والإهانة ... إلخ، وكذا العقاب البدني (الجسدي) المبرح، فإن ذلك يؤثر سلباً في نمو ثقة الابن بنفسه، وقد يشعر بالخوف والقلق والتردد في الأشياء التي يفكر فيها.

ومن الجدير بالذكر هنا، بأنه يجب على الآباء والأمهات عدم التهاون أو التردد في معاقبة الابن المخطئ، أو المقصر، أو المهمل في عمله، حتى لا يتكرر الخطأ؛ لأن الغرض من العقوبة التي يستخدمها الآباء والأمهات لمعاقبة الابن المخطئ هو تعديل الفعل أو السلوك الخاطئ للابن إلى الصواب، دون أي إسراف أو مبالغة أو كراهية أو انتقام من الابن بمعاقبته بعقوبة شديدة، كالضرب المبرح وغير ذلك، حتى لا تكون نتائجها عكسية، ويقال: إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده. لذا فإن أفضل

(1) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص133.

(2) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص168 – 169.

(3) د. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج1، مصدر سابق، ص40.

العقوبة هو الاعتدال والتوسط، وأن لا تكون بأكثر مما يستحق؛ لأنه إذا تجاوزت العقوبة الحدود المعقولة في معالجة الخطأ، كالإكثار من الضرب، والعتاب، والتأنيب ... إلخ، قد يؤثر سلباً في نفسية الابن.

المبحث الثاني

دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة والمجتمع

في هذا الموضوع سيتركز الحديث عن دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة، وكذا دور الضبط الأسري في أمن واستقرار المجتمع، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول

دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة

الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، والأسرة ((في أي مجتمع من المجتمعات لها فعاليتها وتأثيرها على سلوك أفرادها، وهي تقوم بوظيفة إيجابية لتحديد الأفكار العامة، والضوابط الأساسية التي سوف يعيش الأفراد على مقتضياتها))⁽¹⁾ فالأسرة تؤدي دوراً مهماً في عملية الضبط الأسري والاجتماعي، من خلال وظائفها المتعددة في التربية والتنشئة وتأهيل أبنائها (أفرادها) تأهيلاً اجتماعياً منذ بداية حياتهم؛ لئتمكنا من اكتساب عضويتهم في المجتمع، وتنظيم أدوارهم الاجتماعية الإيجابية المختلفة، وتحقيق رغباتهم المشروعة⁽²⁾، وليس المحرمة. لهذا سيتركز الحديث في هذا الموضوع عن دور الضبط في أمن واستقرار الأسرة، ومن أهمها ما يأتي:

أولاً - المحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك: إن قيام الآباء والأمهات بضبط أبنائهم المخطئين، وتصحيح أخطاءهم له دور كبير وفعال في المحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك؛ لأن ضبط الأبناء له أهميته؛ لأنه يعمل على المحافظة على الأسرة وأفرادها من الصراع والتفكك؛ لأن ((التفكك الأسري يؤدي إلى اختلاف الأدوار وصراع المراكز، ووهن الروابط، وفقدان الاحترام المتبادل، ويؤدي التفكك الأسري إلى انهيار القيم السائدة في المجتمع، وانهيار القيم التقليدية؛ مما يعرض البنيان

(1) سليم، د. سلوى علي، الإسلام والضبط الاجتماعي، مصدر سابق، ص 230. نقلًا عن: عبدالسلام، د. طارق الصادق، الضبط الاجتماعي في الإسلام، مصدر سابق، ص 239.

(2) الأخرس، د. محمد صفوح، نموذج لاستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية، مصدر سابق، ص 69.

الأسري للنفك))⁽¹⁾ أما إذا ترك الآباء والأمهات أبناءهم يفعلوا ما يريدون دون رقابة ومحاسبة، لا شك أن ذلك له انعكاساته السلبية على الأسرة في التعاون، والترابط، والتفاعل، والتكامل ... إلخ، بل وعلى أمنها واستقرارها.

ثانياً - المحافظة على مكانة وسمعة الأسرة وأفرادها في المجتمع: إن الأفراد المنحرفين عن القيم والمعايير والقواعد والنظم السائدة في المجتمع، كالكذب، وخيانة الأمانة، والتعامل السيئ مع أفراد المجتمع ... إلخ، ولاسيما ذوي السلوك الإجرامي، كالسرقة، والسلب، والنهب، والتقطع ... إلخ، أو تعاطي المخدرات، وشرب المسكرات ... إلخ، فإن هذا السلوك الإجرامي والأخلاقي يؤثر سلباً على مكانة وسمعة الأسرة وأفرادها بين أوساط المجتمع، لذا، فإن قيام الآباء والأمهات بواجبهم ومسؤولياتهم في ضبط أبنائهم المخطئين أو أحدهم. وكذا تحذيرهم من العقاب في الدنيا والآخرة، فإن ذلك يحصنهم من الوقوع في مزالق الأخطاء أيًا كان نوعه. وهذا يحافظ على مكانة وسمعة الأسرة وأفرادها في المجتمع.

ثالثاً - تجسيد أمن واستقرار الأسرة: لا شك أن قيام الآباء والأمهات بضبط أبنائهم المخطئين أو أحدهم يحقق للأسرة الأمن والاستقرار؛ لأن الأسرة هي التي تقوم بتربية أفرادها التربوية الصالحة؛ لأنها هي التي تكفل لهم المأوى الصالح، والمستوى الصحي اللازم، وتوفر لهم الأمن والطمأنينة، وتبعد عنهم عوامل القلق والاضطراب المبكر، وهي التي تهئ لهم مكانتهم في المجتمع، وتدريبهم وتوجيههم على التكيف مع المعايير المتعارف عليها في المجتمع، وترشدهم إلى حب الحياة في مجتمع تسوده العلاقات الإنسانية التكافلية، ولذلك يمكن القول: إن تقصير الأسرة في أداء رسالتها كاملة تعد من العوامل البيئية الجاذبة إلى الانحراف⁽²⁾ عن القيم والمعايير والقواعد والقوانين والنظم السائدة في المجتمع.

لذا، فإن أمن الأسرة، يعد من الضروريات لحياتها وأبناءها، فعلى سبيل المثال - لا الحصر - بأنه من دون الأمن لا يستطيع الإنسان أن يستثمر جهده وفكره في الإنتاج والإبداع، ولا يفكر في أي عمل

(1) سعيد، د. محمد شاكر، الحرفش، د. خالد بن عبدالعزيز، مفاهيم أمنية، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1431هـ/2010م، ص22.

(2) غباري، د. محمد سلامة محمد، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور رعاية الخدمة الاجتماعية معهم، الإسكندرية، المكتبة الجامعي الحديث، ط، 1989م، ص121 - 122. ولمزيد من الاطلاع على الأسرة ودورها في سلوك الفرد، انظر: د. الطنجيس، إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص131 وما بعدها.

يساهم في عملية التنمية أيًا كان نوعها (اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، ... إلخ)، بل إنه يشعر بالإحباط؛ لأن كل همه وتفكيره وجهده متركزًا في كيف يحقق الأمن لنفسه أو ماله أو عرضه ... إلخ، لهذا فالأمن له أهميته في تحقيق العيش الكريم للأسرة.

رابعًا - تحصين الأبناء من الوقوع في أي خطأ: لا شك أن الأبناء دائمًا معرضون لتأثيرات مختلفة، لاسيما الشباب، سواء من خلال مشاهدة البرامج التلفزيونية، أم الإنترنت، أم من خلال مجالسة أقرانهم، أم غير ذلك. لهذا يجب على الآباء والأمهات تحصين أبناءهم من أي تأثيرات سلبية قد تؤثر عليهم سلبًا في عملهم وسلوكهم، وذلك بتوجيههم وإرشادهم وتحذيرهم؛ من أجل تحصينهم من كل ما هو محرم شرعًا في (المأكل، والمشرب، والملبس، ... إلخ). وكذا حمايتهم من أسباب الفساد، كالسرقة، والسلب، والنهب، والتقطع، ... إلخ، ومن الجدير بالذكر هنا، أن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتعلم فيها الطفل، فإذا وُجد الأبوان الصالحان اللذان يرعيان ويوجهان ويحسانان التربية نشأ الأبناء نافعين لأنفسهم ولأمتهم ...؛ لأن النشأة الطيبة والتربية الحسنة لا يزول أثرها بسهولة.

لذا، فإن ضبط الأبناء له دور كبير وفعال في تحصينهم من الوقوع في أي خطأ في عملهم وسلوكهم، بل ويحصنهم من الانحراف نحو القيم الهابطة، وكذا يحافظ على الأبناء من الانحراف عن القيم والمعايير والقواعد والقوانين والنظم السائدة في المجتمع.

خامسًا - تنمية قدرات الأبناء على الإنتاج والإبداع: إن قيام الآباء والأمهات بواجبهم على أكمل وجه في ضبط أبنائهم له انعكاساته الإيجابية على أمن واستقرار الأسرة. والأمن والاستقرار لهما دور كبير في تنمية قدرات ومواهب وإمكانيات الأبناء على الإنتاج والإبداع، من خلال دفعهم إلى الاهتمام بالتعليم النافع؛ أي تعلم العلوم النافعة، وكذا إكسابهم الخبرات العلمية والعملية التي تساعد على الإنتاج والإبداع في حياتهم العلمية والعملية. وبذلك يصير الابن ناجحًا في حياته يفيد نفسه وأسرته، بل ويفيد مجتمعه. وذلك بدلًا من أن يكون عالة على أسرته ومجتمعه.

سادسًا - ترسيخ العلاقة بين أفراد الأسرة: لا شك أن قيام الآباء والأمهات بضبط أبنائهم المخطئين أو أحدهم دون تمييز بينهم له دور كبير في ترسيخ وتقوية العلاقة بين أفراد الأسرة بشكل عام وبين

الصغار والكبار بشكل خاص، بل يؤدي الضبط إلى تعزيز وإرساء العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة؛ القائمة على قواعد الإخلاص، والمحبة، والإخاء، والتعاون، والتكافل، والتراحم، والترابط، والاحترام المتبادل فيما بينهم، وكذا التعامل الصادق فيما بينهم البين، وبينهم وبين أفراد المجتمع.

أما في حالة قصور الآباء والأمهات في ضبط الأبناء المخطئين أو أحدهم، فإن ذلك يؤدي إلى سوء أو ضعف العلاقة بين أفراد الأسرة، وهذا مما يؤدي إلى تفكك العلاقة بين أفراد الأسرة، وبالتالي قد يؤدي إلى الصراع بين أفراد الأسرة، وهذا مما يؤدي إلى تفككها.

سابعاً - الترابط والتعاون والتكامل بين أفراد الأسرة: إن قيام الآباء والأمهات بواجبهم في ضبط أبنائهم المخطئين أو أحدهم دون تمييز بينهم، فإن ذلك يؤدي إلى الترابط والتعاون والتكامل بين أفراد الأسرة، بل وتفاعل الأبناء ومشاركتهم في كل جوانب حياة الأسرة الاقتصادية والاجتماعية ... إلخ، وذلك لتحقيق مصالح الأسرة. أما في حالة إهمال أو تقصير الآباء والأمهات في ضبط أبنائهم المخطئين أو تمييز بين الأبناء في عملية الضبط، فإن ذلك يؤدي إلى عدم الترابط والتعاون والتكامل بين أفراد الأسرة، وهذا قد يؤدي إلى الصراع بين أفراد الأسرة، وبالتالي يؤدي إلى تفككها، وفي الأخير، بأن أمن واستقرار الأسرة لا يتحقق إلا من خلال ((الالتزام بالتقاليد الاجتماعية الإيجابية في تكوين الأسرة وتربية الأبناء ورعايتهم، وضرورة التعاون والتكامل بين أفراد الأسرة؛ لتحقيق مصلحة الأسرة ومصلحة المجتمع، ومن هنا فإن مسؤولية الأمن الأسري مسؤولية مشتركة بين أفراد الأسرة عامة، وبين الوالدين خاصة، كما تقع عليها مسؤولية وسائل الاتصال الجماهيري من خلال قيامها بدور إيجابي توعوي، ومن خلال البعد عن بث البرامج التي تزين الشر وترزع بذوره بين بعض أفراد المجتمع))⁽¹⁾.

لذا، فحياة الأسرة لا تستقر؛ أو بمعنى لا تنعم بالأمن والاستقرار، إلا باستقرار الأمن بين أفرادها، وأمن الأسرة لا يتحقق إلا في بيئة أسرية يسودها التماسك والترابط، والتعاون والتكافل والتكامل فيما بين أفرادها.

(1) سعيد، د. محمد شاكر سعيد، الحرفش، د. خالد بن عبدالعزيز، مفاهيم أمنية، مصدر سابق، ص 23.

المطلب الثاني

دور الضبط الأسري في أمن واستقرار المجتمع

الأسرة هي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها أفرادها مبادئ وقيم وتعاليم الإسلام، وترسيخ العقيدة الإسلامية، وهي المدرسة الأولى في تربية وتنشئة الفرد التنشئة الصحيحة، وكذا منح المكانة الاجتماعية لأفرادها، وفي تعمير الكون،...، فباستقرار الأسرة تستقر أحوال الجماعة والمجتمع والدولة، وبصلاحها تصلح الجماعة والمجتمع والدولة، وبفسادها تفسد الجماعة والمجتمع والدولة.

والأسرة بكل تراثها الاجتماعي ((مثلة في الفرد ومختفية فيه (لذا يقال: إن الفرد مرآة أسرته)، ويكون تعامل الفرد مع أصدقائه وزملائه في مدرسته، ومكان عمله، ومع مجتمعه الكبير وفق ما احتواه من تراث هذه الأسرة، هذا التراث الذي يظل يلزمه ويؤثر فيه طوال حياته))⁽¹⁾.

ولكن صلاح أفراد الأسرة واستقامتهم لا يأتي من فراغ، وإنما نتيجة للضبط والتربية والتنشئة الصحيحة التي يقوم بها الآباء والأمهات في ضبط وتربية وتنشئة أبناءهم. هذا وسيتركز الحديث في هذا الموضوع عن دور الضبط الأسري في أمن واستقرار المجتمع، وذلك على النحو الآتي:

أولاً - المحافظة على المجتمع من الصراع والتفكك: إن صلاح الأسرة يؤدي إلى صلاح المجتمع؛ لأن موقع الأسرة في المجتمع بمنزلة القلب من الجسد، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله⁽²⁾. فالأسرة هي أهم دعائم المجتمع؛ لأنها الحلقة الأولى في المجتمع، ومن أهم حلقات بنائه، ولا يمكن أن يوجد التلاحم والتشابك بين أفراد المجتمع، إلا إذا تلاحمت حلقاته من الأسر على أسس منهجية قوية، فإذا تحقق ذلك فحينئذ تسير الحياة الإنسانية في مسارها الصحيح الذي يضمن لها الأمن والاستقرار والراحة والهدوء والطمأنينة⁽³⁾.

(1) الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مصدر سابق، ص165.

(2) الصلاحي، أمين نعمان، من وسائل القرآن في صلاح المجتمع، كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسات، العدد (127)، رمضان 1429هـ، ص87.

(3) رضوان، د. سالم محمود عبدالجليل، ((المسجد والأسرة))، نشر في كتاب مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، مصدر سابق، ص1023.

وصلاح واستقامة أفراد الأسرة في الأعمال والسلوك وغير ذلك لا يأتي من فراغ، وإنما ثمرة من ثمار التربية أو التنشئة الصالحة لأفراد الأسرة، وكذا الضبط الذي يقوم به الآباء والأمهات في ضبط أبنائهم (أفراد الأسرة) في حالة ارتكاب أي خطأ منهم أو من أحدهم في الأعمال أو السلوك. وهذا يؤدي إلى صلاح واستقامة أفراد المجتمع، وبالتالي المحافظة على المجتمع من الصراع والتفكك، بل ووقاية أفراد المجتمع من الفساد والرذيلة، والأخلاق السيئة ... إلخ. وكذا المحافظة على مقومات المجتمع وأمنه واستقراره.

ثانياً - ترسيخ أمن واستقرار المجتمع: إن مسؤولية أمن الوطن تقع على جميع المواطنين، والمسؤولية الأولى في حفظ أمن المجتمع تقع على الأسرة؛ لأنها مكان إعدادهم وتقوم بتربيتهم. لهذا يجب على الأسرة أن تعي واجبها تماماً تجاه أمنها وأمن المجتمع، وأن تقوم به خير قيام، وإذا حصل أي خلل، أو قصور في الأسرة، يؤدي إلى آثار سلبية تجاه الأمن المطلوب في الوطن(1).

لذا، فإن الأسرة لها دور كبير في إرساء أمن المجتمع الذي يعد من أهم الأمور في الإسلام؛ لأن البيت المسلم يعد قلعة من قلاع العقيدة، ولا بد أن تكون هذه القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، يقف كل فرد فيها على ثغرة فلا ينفذ إليها أحد، حتى لا يكون سهل الاقتحام أمام أي طارق، ويستعصى على أي مهاجم. فالأسرة هي خط الدفاع الأول عن أمن المجتمع، حيث توفر الاستقرار النفسي، وتشبع الجوع العاطفي، وتوثق صلة الفرد بمجمعه، وحين تتعرض الأسرة للصراع والتفكك، تفتح على المجتمع أبواب الشر والفساد؛ لأنها النواة الأولى للمجتمع(2).

(1) الشطي، د. بسام خضر، ((تحقيق الأمن الاجتماعي في الإسلام مسؤوليات وأدوار))، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلة فصلية، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (77)، يونيو 2009م، ص80.
(2) المباري، أبو بكر أحمد مسليار، ((دور المؤسسات في تحقيق الأمن المجتمعي))، نشر في كتاب مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، مصدر سابق، ص999.

والدور الذي يجب أن تقوم به الأسرة في أمن المجتمع هو تنشئة أفرادها على الأخلاق الطيبة، وحب الوطن، والدفاع عنه، وحماية مكتسباته، والحفاظ على الهدوء والسكينة العامة، وحفظ أمنه، والمساهمة في البناء والتنمية ... إلخ.

فالأسرة تقوم بدور كبير في تحقيق أمن واستقرار المجتمع؛ لأنها محضن أفرادها ومكان تربيتهم وتنشئتهم وإعدادهم وتأهيلهم، لما يجب أن يكونوا عليه، بل هي ((الخلية التي يتكون منها نسيجه، والخلايا إذا صلحت صلح النسيج كله، والعكس بالعكس، فالأسرة عندما تكون قائمة على أسس متينة تؤثر تأثيراً فاعلاً في ترسيخ مقومات أمن المجتمع، ومن ثم في استقرار الحياة الاجتماعية وازدهارها، وهي خط الدفاع الأول عن أمن المجتمع؛ لأن فيها يتوفر الجو العاطفي الذي يكتنف الزوجين بالسكن النفسي، والأولاد بالرأفة والرحمة، والرعاية الشاملة))⁽¹⁾، في كل جوانب الحياة (النفسية، والصحية، والتربوية، والتعليمية ... إلخ).

لهذا، فالضبط الأسري يعد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الأمن والاستقرار الأسري، والأمن الأسري يعد من مقومات أمن المجتمع؛ لأن الفرد بشكل خاص والأسرة بشكل عام تعد النواة الأولى للمجتمع؛ لأن المجتمع مكون من أفراد، فالأمن الأسري له أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية للمجتمع ككل؛ لأن الأسرة تتفاعل وتشارك المجتمع في جميع شؤون الحياة (الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، ... إلخ)، وكذلك المشاركة في التعاون والتكافل والترابط بين أفراد المجتمع، فالأسرة تقوم بأدوار مختلفة في المجتمع. ومن الجدير بالذكر هنا، بأن الأسرة والمجتمع كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابًا.

ثالثاً - الترابط والتعاون والتكامل بين أفراد المجتمع: إن ترابط وتماسك المجتمع يعد شرطاً ضرورياً لتفاعل أفراد المجتمع واستقراره واستمراره، ولكن لا يتم هذا إلا عندما يشعر كل فرد من أفراد المجتمع ((بانتمائه إلى وطنه ومجتمعه، انتماءً وثيقاً، بحيث يؤلف معه وحدة عضوية تتفاعل معه فتحيا بحياته وتنمو بنموه ...، فالانتماء ركن أساسي في الحياة

(1) الشطي، د. بسام خضر، (تحقيق الأمن الاجتماعي في الإسلام)، مصدر سابق، ص 81 - 82.

الاجتماعية ...، الانتماء إلى الأرض؛ أي إلى الوطن، بحيث يشعر بأن الوطن له وأنه مسؤول عن سلامته وحياته ...، بأنه جزء من كل، وبأن له دوراً في مجتمعه ...، باعتباره جزءاً لا يتجزأ منه ...، وشعور الإنسان بدور وظيفي في مجتمعه يضفي عليه إحساساً بالانتماء والانساب إلى هذا المجتمع، فتشدد الرابطة التي تربطه بأعضائه، مما يوفر التماسك بينهم، وبالتالي تماسك المجتمع كوحدة إنسانية ...، وهذا ما يولد بدوره الألفة الجامعة بين مواطني الوطن الواحد⁽¹⁾.

لهذا، فالفرد عند ما ينتمي أو يرتبط بالجماعة وبالمجتمع ارتباطاً وثيقاً ومنتظماً، من خلال العلاقات والمعاملات، والتعامل الجيد، والسلوك المستقيم، والتعاون والتفاعل مع الجماعة والمجتمع، وما ينال منهم من المكانة والتقدير، فإن ذلك يؤدي إلى الترابط والتكامل بين أفراد المجتمع. فترابط أفراد المجتمع يعد من الأسس أو العوامل التي تحقق أمن واستقرار المجتمع؛ لأنه كيف يستطيع الشخص يقول: إن مجتمعاً ما من المجتمعات ينعم بالأمن والاستقرار وأفراده غير مترابطين ومتعاضدين، بل يسودهم الحقد والكراهية تجاه بعضهم البعض، ولا يشعرون بالارتباط فيما بينهم تجاه واجباتهم ومجتمعهم ووطنهم، وهذا له تأثير على الحياة الاجتماعية.

وكذا، قيم التعاون والتكافل تعد من أهم أسس ترابط المجتمع وبناءه وتقديمه، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))⁽²⁾. وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً))⁽³⁾. فالأمة المسلمة كلها جسد واحد يحس إحساساً واحداً، وما يصيب عضواً منه يشكي له سائر الأعضاء⁽⁴⁾.

(1) العوجي، د. مصطفى، الأمن الاجتماعي، مقوماته، تقنياته، ارتباطه بالتربية المدنية، بيروت، مؤسسة نوفل، ط1، 1983م، ص77 - 79.

(2) النيسابوري، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ/2000م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، حديث رقم (2586)، ص1103.

(3) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم (6026)، ص1084.

(4) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، بيروت، دار الشروق، ط9، 1983م، ص60.

ويؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الترابط والتكافل بين أفراد المجتمع، بل والتأثير المتبادل فيما بينهم، وجوب الأخذ على يد كل منحرف وفساد وظالم لإنقاذ المجتمع، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها، إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً))⁽¹⁾.

وكما ذكر الأستاذ فتحي الدريني، بأن الحديث دليلاً على ((صلة الوثقى التي تربط بين الفرد ومجتمعه حياة ومصيراً...، الحديث الشريف بإطلاقه يشمل التكافل الملزم في شتى مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والحربية وغيرها، إذ لم يخصص هذا التكافل بناحية دون أخرى لإطلاق النص، كما يلقي المسؤولية الدنيوية والأخروية على الكافة، فيشمل بعمومه الأمة كلها))⁽²⁾.

فالدين الإسلامي قد حث على التعاون والتكافل من أجل الحفاظ على الترابط بين أفراد المجتمع. ولكن هذا الترابط لا يقوم إلا على أسس صيانة حياة الفرد وعرضه وماله، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه))⁽³⁾، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع: ((فإن الله تبارك وتعالى قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت))⁽⁴⁾ فالتراحم والتعاطف بين أفراد المجتمع تجاه بعضهم البعض من الشروط الأساسية التي يجب توافرها في أي مجتمع من المجتمعات؛ لينعم بالأمن والاستقرار...، ومتى وجد هذا التراحم والتعاطف في أفراد المجتمع، فإنه يشكل سداً منيعاً يحول دون إيذاء الناس لبعضهم البعض، ودون الاعتداء على

(1) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم (2493)، ص438.
(2) أرشد، يسري محمد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (114) رجب 1427هـ، ص99.
(3) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج2، مصدر سابق، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم (3933)، ص1298.
(4) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الحدود، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، حديث رقم (6785)، ص1201.

بعضهم البعض؛ لأن الشعور بالعاطفة والمحبة يولد حتمًا الشعور في الإنسان بالاستقامة في التعامل والإحساس بواجب الالتزام بعدم الإضرار بالآخرين(1).

رابعًا - العلاقة بين الأمن الأسري وأمن المجتمع:

إن الأمن على المستوى الخاص والعام (الفرد والمجتمع) متلازمان؛ أي لا يمكن الفصل بينهما؛ لأن الفرد جزء من المجتمع والمجتمع مكون من الأفراد، فهما متكاملان؛ أي كل منهما مكمل للآخر، لهذا فالعلاقة بينهما علاقة ترابط وتأثير وتأثر؛ كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابًا، فالفرد هو النواة الأولى للأسرة، والأسرة تشكل الخلية الأولى للمجتمع، لذا فالفرد لا يستطيع أن يأمن على نفسه وعرضه وماله، بل ولا يمكنه ممارسة كل أعماله ونشاطاته ... إلخ، في مجتمع تسوده الفوضى أو الاضطراب والانحراف ... إلخ، كذلك المجتمع هو الآخر من الصعب أن يسوده الأمن والاستقرار، وبين أفرادها أشخاص منحرفون عن القيم والمعايير والقواعد والقوانين والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع. وأخيرًا فإن العلاقة بين الأمن الأسري وأمن المجتمع علاقة لزوم وتلازم؛ لأن كلاً منهما يؤثر وتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابًا.

لذا، فإن الأمن الأسري له أهميته الخاصة؛ لأنه القاعدة الأساسية، أو بمعنى المقوم الأساسي لأمن المجتمع، لذا فإن الاهتمام بالأمن الأسري يعد اهتمامًا بأمن المجتمع ككل، وباستقرار الأمن الأسري يستقر أمن المجتمع؛ لأن الأمن الأسري مرتبط بأمن المجتمع والعكس، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابًا، لذا فالمحافظة على الأمن الأسري يعد محافظة على أمن المجتمع؛ لأن الأسرة هي الخلية أو النواة الأولى للمجتمع.

وختامًا: يتبين من كل ما سبق، بأن الضبط الأسري له دور كبير في تحقيق أمن المجتمع، وذلك من خلال ما تقوم به الأسرة في تربيته وتوجيهه أبنائها إلى السبل الصحيحة التي تحقق لها وللمجتمع السعادة والأمن والاستقرار ...، وكذا ضبط أفراد الأسرة في حالة ارتكاب أي خطأ منهم أو أحدهم، سواء في

(1) العوجي، د. مصطفى، الأمن الاجتماعي، مصدر سابق، ص 81.

العمل، أم السلوك، لذا فأبي خلل في أمن واستقرار الأسرة قد يؤدي إلى الخلل في أمن واستقرار الجماعة والمجتمع والدولة...؛ لأن صلاحها يصلح المجتمع، وبأمن الأسرة واستقرارها يأمن المجتمع ويستقر. ومن الجدير بالذكر هنا، بأن الضبط الاجتماعي في الإسلام، يحافظ على الضرورات الخمس التي لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بها، وهي حفظ (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال)، وكذا الحفاظ على كل ما يخدم الضرورات من الحاجيات والكماليات (التحسينات)؛ وذلك حفاظاً على حياة الفرد والأسرة والمجتمع وترابطه وتماسكه وتكامله، وحفاظاً على أمن واستقرار الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع والدولة. وقد سميت بالضرورات الخمس؛ لأن الحياة الإنسانية لا تقوم ولا تستقيم إلا بها؛ ومن أجل الحفاظ عليها وضعت العقوبات الرادعة لمعاقبة كل من تسول له نفسه المساس أو التعدي عليها.

المبحث الثالث

معوقات الضبط الأسري ومعالجتها

سيتركز الحديث في هذا الموضوع على المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري. وكذا المعالجات التي تعالج المعوقات، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول

معوقات الضبط الأسري

في هذا الموضوع سيتركز الحديث عن أهم المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري، وهي على النحو الآتي:

أولاً - المعوقات الداخلية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري: تتمثل المعوقات الداخلية في الصراع والتفكك الأسري، وعدم استقرار الأسرة، ومرض الوالدين أو أحدهما، وغياب الوالدين أو أحدهما، وغياب الحوار والنقاش والتشاور بين الوالدين والأبناء، وسوء التفاهم بين الآباء والأمهات في تربية أبنائهم، والسلوك السيء للوالدين أو أحدهما وغير ذلك. وهذه المعوقات، سواء كانت منفردة، أم مجتمعة، أم بعضها، فإنها تؤثر سلباً في تربية وضبط الأبناء، والمعوقات بإيجاز على النحو الآتي:

1- الصراع والتفكك الأسري: لا شك أن الصراع داخل الأسرة يعد من أهم المعوقات أو الأسباب التي تؤثر سلبًا في الضبط الأسري، كالخلاف، والتعاسة الزوجية، وسوء الأخلاق بين الأب والأم، والصراع بين الأب والأم وعد التوافق والانسجام بينهما، لاسيما عندما يكون الأب في توجه والأم في توجه آخر، وتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم أو العكس، وفي هذه الحالة يبقى الابن محتارًا، هل ينفذ توجيهات الأب أم الأم، وكذا الصراع بين الوالدين أو أحدهما وبين الأبناء الذكور أو أحدهم، والصراع بين الأبناء الذكور، أو الصراع بين الأبناء الذكور والإناث ... إلخ.

ومن أخطر الصراخ هو بين الوالدين (الزوجين)، بسبب الاختلاف بينهما في المستوى الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الثقافي، أو يكون أحدهما انطوائيًا، أو أحدهما بخيلًا والآخر مسرفًا، أو بسبب السلطة، أو لعدم كفاية دخل الوالد لتأمين احتياجات الأسرة طبقًا لتطلعات الوالدة ... إلخ(1).

وكذلك، التفكك الأسري، كالطلاق، وتشرد الأبناء الذكور أو أحدهم، والبعد الفكري والعاطفي بين الوالدين، وفشل الوالدين في تربية الأبناء؛ أي فقدان سلطة الوالدين، وضعف القيادة الأسرية، وضعف مراقبة الأبناء من قبل الوالدين، أو من يقوم بتربيتهم وضبطهم، والعلاقة السيئة بين الأبناء، وفقد أحد الوالدين أو كليهما، سواء بالوفاة أم المرض الطويل أم غير ذلك، وكذا الطلاق، أو الانفصال، أو الهجر، وضعف الوازع الديني - الإسلامي - في نفوس الآباء والأمهات والأبناء. وكذلك ضعف أو عجز من يقوم بتربية وضبط الأبناء في حالة فقدان الوالدين أو أحدهما. واتساع الهوة بين الأبناء والوالدين، وأن تكون تربية وضبط الأبناء مقصورة على أحد الوالدين دون الآخر.

ومن التفكك الأسري - أيضًا - سعي أحد أبناء الأسرة إلى تحقيق مصلحته الشخصية وتفضيلها على مصلحة الأسرة، وكذا الاتكالية، أو تكاسل، أو تهاون بعض أبناء (أفراد) الأسرة القادرين على الإنتاج الاقتصادي، وعدم مشاركتهم المشاركة الفعلية في الدخل الاقتصادي للأسرة أو غيره، وكذا عدم التفاعل والتعاون والتكامل بين أعضاء الأسرة، وغير ذلك من المعوقات؛ بسبب الصراع والتفكك الأسري.

(1) إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص39.

ومن الجدير بالذكر هنا، بأن الصراع والتفكك الأسري يؤثر سلبيًا في الضبط الأسري؛ لأنه يؤدي إلى التصغير في التربية، وفي عملية الضبط داخل الأسرة، وهذا مما قد يؤدي إلى الفوضى والاضطراب والتفكك؛ لأن التربية والضبط يحافظان على ترابط وتضامن أفراد الأسرة، بل ويحافظان على كيانها وأمنها واستقرارها من الصراع والاضطراب والتفكك، لهذا فتربية الأبناء (الذكور، والإناث) التربية الصحيحة؛ كون الأسرة سلطة اجتماعية ضابطة للأبناء، تقي أو تحصن الأبناء من الوقوع في مزالق الخطأ والانحراف؛ لأن ضبط سلوك الفرد يبدأ من الأسرة.

2- عدم استقرار الأسرة: من أهم المعوقات أو الأسباب التي تؤدي إلى عدم استقرار الأسرة، هو: سوء التفاهم والخلاف بين الوالدين (الزوجين)؛ لأنهما الركن الرئيس في استقرار الأسرة. وعدم الانسجام والتوافق بين أفراد الأسرة يؤدي إلى عدم استقرار الأسرة. وكذا الوضع الاقتصادي السيء للأسرة؛ لأنه يؤدي إلى صعوبة الحياة المعيشية للأسرة، وهذا مما يؤدي إلى هجرة رب الأسرة والأبناء الذكور إلى مكان آخر بحثًا عن أعمال - يقومون بها - من أجل توفير لقمة العيش لهم ولأفراد الأسرة. وكذلك تشرّد أفراد الأسرة، بسبب الحروب والنزاعات المسلحة، أو بسبب الكوارث الطبيعية (زلازل، براكين، عواصف، فيضانات الأمطار). وكذا عدم استقرار الأسرة في مكان واحد للسكن والعيش فيه، بسبب عدم توفر سبل الحياة المعيشية، وهذا مما يؤدي إلى تنقل الأسرة من مكان إلى آخر. وغير ذلك من المعوقات أو الأسباب التي تؤدي إلى عدم استقرار الأسرة.

وكون استقرار الأسرة من أهم وأقوى دعائم تربية الأبناء التربية السليمة، بلا شك أن عدم استقرار الأسرة له تأثير سلبي في تربية الأبناء التربية الصحيحة، وفي ضبطهم في حالة قيامهم أو قيام أحدهم ارتكاب أي خطأ، سواء في العمل أم السلوك، الذي يخالف نظام الأسرة، ويخالف المعايير والقواعد والقوانين والنظم السائدة في المجتمع.

3- مرض الوالدين أو أحدهما: إن مرض الوالدين أو أحدهما يؤثر تأثيرًا كبيرًا على الجو العائلي السائد في المنزل، وعلى النظام المتبع، فمثلًا مرض الأب له تأثير كبير على الأسرة؛ لأنه أب الأسرة، وهو عائلها ومسؤولًا عنها، وحارسها والراعي لأول لها، وهو الذي يعمل من أجل

الحصول على المال له ولأفراد أسرته، لتلبية وتوفير احتياجات الأسرة من الطعام والشراب والكساء وغير ذلك، وكذا تربية وتعليم الأبناء والحفاظ على صحتهم ... إلخ. كما يؤثر مرض الأب على الأبناء في العطف والحنان، وفي توجيههم وإرشادهم ومتابعتهم ومراقبتهم، وضبط كل من يخطئ من الأبناء.

وكذا، مرض الأم له تأثير كبير؛ لأنها تمثل أساس التدبير والعطف والحنان في الأسرة، وحرمان الأطفال من العطف والحنان، قد يدفعهم إلى البحث خارج نطاق الأسرة للإشباع العاطفي والوجداني بصورة قد تكون مخالفة للقيم الأخلاقية والمعايير المجتمعية⁽¹⁾.

4- غياب الوالدين أو أحدهما: لا شك أن غياب الوالدين أو أحدهما عن الأسرة بشكل غير عادي، أو لمدة أطول من المعقول، يخلف فراغاً نفسياً وتربوياً، تنعكس نتائجه السيئة على تماسك الأسرة ووحدتها والتحامها. فإذا كان غياب الأم بسبب العمل خارج البيت، فإنه يتسبب في حرمان الأطفال من حقهم من العطف والحنان. وكذا غياب الأب، فإنه يتسبب في حرمان الأطفال من المدد العاطفي، بل وافتقاد الأسرة للمحور الجامع والراعي الأمين، الذي يمثل السلطة المادية والمعنوية، التي تعمل على حفظ التوازن بين الرغبات، ودرءاً للفضى والصراع والاضطراب داخل الأسرة، هذا في الحالة التي يكون فيها الأبوين في مستوى إدراك أهمية وعظم المسؤولية تجاه أبناءهم⁽²⁾.

وقد يكون الأب غائب عن الأبناء رغم وجوده في المنزل ويقضي معظم أوقاته فيه؛ لأنه لا يشارك بفعالية في النشاطات الأسرية، ولا يجتمع مع أفراد أسرته على مائدة الطعام - مثلاً - ويكون معظم أوقاته منعزلاً لوحده، أو يقضي ساعات عدة في مشاهدة التلفاز أو تصفح الإنترنت، وما شابه ذلك⁽³⁾، وهذا الغياب له آثار سلبية في تربية وضبط الأبناء.

(1) الجميلي، د. خيرى خليل، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، مصدر سابق، ص248.
(2) عبدالمجيد بن مسعود، ((التفكك الأسري، الأسباب والعواقب والحلول))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ، ص93.
(3) إبراهيم، د. محمد عبدالمجيد، ((خطورة الأمراض النفسية على كيان الأسرة))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ، ص132.

5- غياب الحوار والنقاش والتشاور بين الوالدين والأبناء.

إن الحوار والنقاش والتشاور لها أهمية كبيرة في حياة الأسرة؛ لأنها تعزز الثقة والعلاقة بين الوالدين، وبينهما وبين الأبناء، وبين الأبناء أنفسهم، وتساهم في عملية الروابط والتعاون والتكافل الأسري، وفي عملية التفاعل والانسجام والتوافق والتكامل ... إلخ بين أعضاء الأسرة، وبذلك تحافظ الأسرة على كيانها وأمنها واستقرارها، وتماسكها من الصراع والتفكك. والعكس من ذلك فإن غياب الحوار والنقاش والتشاور بين الوالدين والأبناء، بلا شك أن لها آثار سلبية على الأسرة في التفاعل والانسجام والتوافق والتكامل والتعاون بين أعضاء الأسرة.

لهذا، فغياب الحوار والنقاش والتشاور في حل المشكلات الأسرية في إطار الأسرة، فإن حل المشكلات قد تخرج إلى خارج الأسرة. وهذا عندما تفقد الأسرة لغة التفاهم والحوار، ويرجع ذلك إلى أن الزوج تربي في بيئة أسرية يسودها الحوار والنقاش والتشاور والاحترام المتبادل بين أعضاء الأسرة، بينما المرأة تربت في بيئة صراع، ولا يسودها الحوار والنقاش والتشاور، أو العكس أو كلاهما. والحوار والنقاش من أهم وسائل التفاهم بين الناس. وهذا يؤثر سلبيًا على العلاقة بين الآباء والأبناء، بل ومن أهم عوامل استقرار الأسرة واستمرارها.

لذا، فالحوار والنقاش والتشاور مطلوب بين الوالدين والأبناء الكبار، وذلك في شؤون الأسرة (الاقتصادية، والاجتماعية، وفي تربية الأبناء ...)، ومناقشة هموم ومشكلات الأسرة؛ لأنه كلما كان التشاور والاستشارة يسود حياة الأسرة، ساد التعاون والتكامل والتوافق والانسجام بين أعضاء الأسرة.

6- سوء التفاهم بين الآباء والأمهات في تربية أبنائهم.

لا شك أن تربية وضبط الأبناء لابد أن تقوم على التفاهم بين الآباء والأمهات، وذلك على الأساليب التربوية والضبطية والاتفاق عليها قدر الإمكان، فعلى سبيل المثال - لا الحصر - بأن الأب يواجه الابن للقيام بعمل معين والأم تعارض الأب في ذلك، والعكس، وكذا أن يقوم الأب بمعاينة الابن المخطئ والأم تعارض الأب في ذلك، والعكس، فهذا لا يصلح؛ لأن الابن يبقى في حيرة وارتباك؛ أمر من ينفذ، وقد لا

يستجيب لأمر الأبوين وتوجيهاتهما التربوية والضبطية، مما قد يؤدي إلى حدوث المشكلات بين الأبوين. لذا يعد سوء التفاهم بين الآباء والأمهات في تربية وضبط أبنائهم من أهم معوقات الضبط الأسري.

7- السلوك السيء للوالدين أو أحدهما: يتمثل السلوك السيء لأحد الوالدين أو كلاهما في: الظلم، والكذب، والسرقعة، وخيانة الأمانة، والنصب، والغش، والتجسس على الناس، والغيبة، والنميمة، والشتم، والسخرية، والاستهزاء، وسوء الخلق، وأكل وشرب الحرام، وارتكاب المحرمات ... إلخ. وهو الوقوع في المعاصي والمحرمات. لهذا فالسلوك السيء للوالدين أو أحدهما قد يؤثر سلباً في تربية الأبناء وضبطهم. ويقول القائل: إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فثيمة أهل البيت الغناء والرقص.

وأخيراً، فإن المعوقات أو الأسباب المذكورة سابقاً، سواء جميعها، أم بعضها، أم أحدها، فإنها تؤثر سلباً في الضبط الأسري، المتمثل في قيام الآباء والأمهات في تربية وتوجيه وضبط أبنائهم، بل وتحد من فاعلية الضبط الأسري، وهذا مما يؤثر على كيان الأسرة وأمنها واستقرارها.

ثانياً - المعوقات الخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري: تتمثل المعوقات الخارجية في البيئة الخارجية للأسرة، ومن أهمها: ضعف أداء أجهزة الشرطة والقضاء، وضعف دور المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي، وبيئة الحي السكني الذي تسكن فيه الأسرة، والحروب والنزاعات المسلحة، وسوء بعض البرامج في وسائل الإعلام، وسوء استخدام الإنترنت، والمؤسسات التعليمية، وأصدقاء السوء، وغير ذلك من المعوقات الخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري، والمعوقات هي على النحو الآتي:

1- ضعف أداء أجهزة الشرطة والقضاء في عملية الضبط الاجتماعي: يتمثل الضعف في أداء أجهزة الشرطة في السيطرة وضبط كل من يخل أو تسول له نفسه الإخلال بالأمن بين أوساط المجتمع، وفي بسط الأمن والحفاظ على النظام السائد في جميع أرجاء الدولة، وكذلك ضعف أداء الأجهزة القضائية المتمثلة في المحاكم في حل النزاعات والخلافات والمشكلات الاجتماعية التي تحصل بين أفراد المجتمع، والتطويل أو بمعنى بطة إجراءات التقاضي.

بالإضافة إلى أن عدم الحزم في تنفيذ الجزاء والعقاب ضد الأفراد المنحرفين؛ أي ذوي السلوك (الإجرامي، والغير أخلاقي، والإخلال بالسكينة...)، يؤدي إلى استمرارهم في ممارسة السلوك غير السوي؛ فيظن بعضهم أن سلوكه في المجتمع كفرد لا يعني أحدًا، ومن أجل هذا يجب التأكيد على الجزاءات الإيجابية؛ حفاظًا على النظام، أو قد تكون الرقابة ضعيفة مع أن الجزاءات شديدة، ولكن القائمين على تنفيذها لا ينفذونها بدقة؛ بسبب نقص القوى العاملة في ميدان الضبط الاجتماعي(1)، أو تدخل أطراف نافذة تحول دون تطبيق القانون، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان معيار الرقابة والعدالة لقيمتها، وأهميته لدى المجتمع.

2- ضعف دور المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي: يتمثل الضعف في سكوت أفراد المجتمع عن مواجهة ومحاربة، أو بمعنى عدم الوقوف ضد أي فرد من ذوي الأخلاق السيئة أو السلوك السيئ، أو عدم انتقاد الأفكار والتصرفات السيئة، كالكذب، والغيبة، والنميمة، والسب، والشتم، واللعن، والتجسس، والسرقة، وسلب ونهب الأموال، وإيذاء الجار، والاعتداء على الناس بالضرب، وخيانة الأمانة، والرشوة، وإثارة (الفتن، والقتل، والقتال، والخلافات، والأحقاد...) بين الناس، ونشر الشائعات والفوضى، وإشاعة الفاحشة والفوضى، والتلفظ بالألفاظ القبيحة أو البذيئة، وانتهاك المحرمات، ومضايقة الناس في الطرقات، وارتداء الملابس الخليعة، وهي الملابس الخارجة عن المألوف، وزعزعة الروابط والتماسك والتعاون والعلاقات بين الناس... بل وكل ما يخل بالطمأنينة والسكينة بين الناس، وزعزعة أمن واستقرار الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

وسكوت المجتمع - أيضًا - أو عدم انتقاده، أو قيامه بمواجهة أي مظهر من مظاهر السلوك السيئ بين أفرادها، في (المدرسة، والجامعة، والشارع، والحديقة، والعمل، والأسواق، والمحلات العامة، والفنادق... إلخ)، فإن ذلك قد يشجع الأطفال والشباب، بل وحتى الكبار على ذلك السلوك السيئ والغير مقبول اجتماعيًا، الذي يتنافى مع الدين الإسلامي، والثقافة الإسلامية، والقيم والأخلاق الفاضلة... إلخ؛ وذلك بسبب ضعف دور المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي. وهذا بالاشك يؤثر سلبًا في عملية الضبط

(1) غيث، د. محمد عاطف، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1987م، ص 102 - 103.

الأسري؛ لأن الفرد جزء من المجتمع، والمجتمع مكون من أفراد، وكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابًا.

بالإضافة إلى سكوت أفراد المجتمع، أو عدم انتقاده، أو الوقوف ضد وسائل الإعلام (القنوات التلفزيونية، والإذاعات)، وشبكة المعلومات الإنترنت التي تنشر وتبث الأفلام والبرامج التي تتنافى مع الدين الإسلامي، والثقافة الإسلامية، والقيم والأخلاق الفاضلة ... إلخ. وكذلك سكوت أفراد المجتمع عن الكتب والمجلات والصحف التي تنشر الخلاعة والبذاءة، والعقائد المنحرفة، والمبادئ والأفكار الهدامة، والسلوك المنحرف نحو (الإجرام، والعنف، والتطرف، والإرهاب ...)، وغير ذلك، التي تتنافى مع الدين الإسلامي، والثقافة الإسلامية، والقيم والأخلاق الفاضلة ... إلخ. والقنوات التلفزيونية، والإذاعات والإنترنت، بلا شك أنها تؤثر سلبيًا في عملية الضبط الأسري في وقتنا الحاضر.

3- بيئة الحي السكني الذي تسكن فيه الأسرة: المقصود ببيئة الحي السكني المكان أو المنطقة التي تسكن فيها الأسرة، والحي السكني تسكن فيه العديد من الأسر (كثير، أو قليل)، والحي هو حلقة الاتصال بين الأسرة والمجتمع، وبين الفرد وجيرانه، فالحي يهيئ للأسرة كثيرًا من الاتصالات والاختلاط، وهذا بدوره يؤثر في سلوك الفرد؛ لأنه يتخلق بقيم وتعاليم وعادات المجتمع المحيط به. لهذا فالأسرة تخضع خضوعًا مباشرًا لأوضاع الحي، فإذا كان الحي فاسدًا بلا شك سيكون له أثر على أفراد الأسرة؛ لأنه يرسم للسكانين أنموذج الحياة اليومية؛ لذا فإن الحي يكون مرآة صادقة تعكس قيم الأفراد الساكنين فيه(1)، ولكن يجب التوضيح هنا بأنه ليس كل من يسكن في حي تشيع فيه نسبة من المنحرفين؛ (أي من ذوي السلوك السيئ) يعد منحرفًا؛ لأن لكل فرد طبيعته وميوله وتركيبته النفسية، فالتأثير يختلف من فرد إلى آخر، ويتوقف - أيضًا - على نوع العلاقة بين الرفقاء.

4- سوء بعض البرامج في وسائل الإعلام: تعد وسائل الإعلام من أهم الوسائل المؤثرة في الأطفال والشباب (الذكور، والإناث)، وقد انتشرت الكثير من القنوات التلفزيونية الفضائية ((التي تخترق موادها الإعلامية وبرامجها خصوصيات الأسرة؛ لتضع الأبناء أمام بدائل للأب والأم، وتنتقل الأبناء إلى عوالم

(1) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص 136 - 137.

أوسع وأكبر وأخطر أثراً، وتسيطر على حواس الأبناء واهتماماتهم، ومن ثم تجعل ما دونها هامشيًا ومملًا⁽¹⁾ والبرامج التلفزيونية تسيطر على تفكير الأطفال والشباب لمدة زمنية بعد انتهاء مشاهدتها؛ لأن من خصائص هذه الوسيلة الإعلامية يصير مضمونها وصورها عالقة في ذهن الأطفال والشباب لمدة من الزمن، وفي هذا السن تكون القابلية للمحاكاة كبيرة، مما يجعلهم يحاولون محاكات بعض ما يشاهدون من البرامج، أو ما تتضمن بعض البرامج الأفكار الغير أخلاقية التي تُعد خرقاً لقيم وتقاليد المجتمع⁽²⁾.

ونظراً لتأثير القنوات التلفزيونية على الأطفال والشباب، فإن الدول المعادية للإسلام تستخدمها كسلاح هدام موجه نحو الدول الإسلامية، وذلك بنشر (ببث) البرامج السيئة والغير أخلاقية؛ بغية هدم القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية والعادات والتقاليد والأعراف الحميدة فيها.

لهذا، فوسائل الإعلام صارت من أبرز التحديات أمام تماسك البناء الأسري، إذ تكشف الملاحظات الواقعية؛ تهافت الشباب نحو مشاهدة الأفلام العربية والأجنبية، والبرامج المتنوعة في التلفزيون والإنترنت، ولكن بعض القنوات التلفزيونية تقوم بنشر الانحلال الأخلاقي والميوعة؛ (أي السلوك غير الأخلاقي) عند الشباب، وتعزز في الأطفال والشباب تقليد الممارسات غير الأخلاقية التي يشاهدونها، وكذا التشكيك في قيم الأمة ومعتقداتها ومكوناتها، وذلك لغرض القضاء على بنية الأسرة المسلمة وتفكيكها وهدمها؛ حتى تتعطل الأسرة عن إنتاج أفراد مستقيمين، وكذا محو خصوصيتها المميزة على المستوى الأسري، والقضاء على الإسلام من خلال تفكك الأسرة، والبدء بالمرأة؛ باعتبارها الأساس في البناء الأسري، حيث ظهرت الدعوات إلى تحريرها⁽³⁾، منذ وقت مبكر من هذا العصر.

لذا، فالإعلام له دور في التأثير على الأطفال والشباب، بل وحتى الكبار؛ لأنه يؤثر إيجاباً أو سلباً على الفرد وعلى الأسرة، وينعكس ذلك على المجتمع والدولة سلباً وإيجاباً، ويتوقف ذلك بحسب الرسائل والبرامج الإعلامية.

(1) الخميسي، أ.د. السيد سلامة، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، مصدر سابق، ص321.

(2) الجميلي، د. خيري خليل، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، مصدر سابق، ص270.

(3) التل، أ.د. شادية، (من أسباب التفكك الأسري)، مصدر سابق، ص64 - 65.

5- سوء استخدام الإنترنت: تُعد شبكة الإنترنت في الوقت الحاضر من أخطر الوسائل التي تستخدم في نقل المعلومات؛ لأنها صارت سهلة وميسرة، يستخدمها الشخص في أي مكان، سواء فوق السيارة، أم جالس خارج المنزل في الشارع، أم في داخل المنزل، أم في المقهى، أم في السوق ... إلخ، وتتمثل أخطار الإنترنت في الاستخدام غير السليم؛ حيث تعد من أكثر الوسائل فعالية وجاذبية لصناعة ونشر الإباحية، والفساد الأخلاقي ... إلخ، لاسيما استخدام الشباب (الذكور، والإناث) بعيدًا عن رقابة الأسرة.

فالإنترنت صار وسيلة خطيرة، بل سلاح ذو حدين، يستخدم للبناء والهدم، وفي الخير والشر، ففي حالة عدم استخدامه السليم، فقد يكون سببًا في نشر ((الإباحية بشتى وسائل عرضها؛ من صور وفيديو وحوارات في متناول الجميع، وهذا يعد من أكبر الجوانب السلبية للإنترنت))⁽¹⁾، لاسيما في المجتمعات العربية الإسلامية؛ لأن ذلك يتنافى قطعًا مع قيم وأخلاق الإسلام، لذا فشبكة المعلومات (الإنترنت) في الوقت الحاضر تعد من أخطر المعوقات التي تؤثر سلبًا في كيان الأسرة وترابطها وتماسكها وتفاعلها، وهذا ينعكس سلبًا على المجتمع والدولة.

6- المؤسسات التعليمية: تتمثل المؤسسات التعليمية في المدارس، والجامعات، والمعاهد التعليمية ... إلخ، فمثلًا المدرسة تعد أداة أساسية من أدوات الضبط الاجتماعي، ((لما تقوم به من دور فعال في تكوين شخصية الفرد وبت نزععة الجمع فيه، ومحاولة إخراج كل سلبيات يمكن أن تعلق به قبل أن يستفحل أمرها مع تلقيه القيم والمعايير الاجتماعية الأصيلة في المجتمع، والتي تخدم هدف التماسك الاجتماعي. إضافة إلى إعطائه الجرعات المقررة من المعارف والعلوم بما يخدم مسيرة المجتمع نحو التقدم والوقاية من السلبيات التي قد تنشأ؛ نتيجة للجهل أو عدم مسابرة هذه المعارف التي تعد أساسًا جوهريًا من أسس الحضارة في كل الأزمنة والأمكنة التي شملته))⁽²⁾.

(1) إبراهيم، د. أبو الحسن عبدالموجود، ديناميات الانحراف والجريمة، مصدر سابق، ص210.

(2) د. جبارة عطية جبارة، والدكتور السيد عوض علي، المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ط1، 2008م، ص235.

فالمدرسة تعد من أهم العوامل التربوية الرسمية في عملية الضبط الاجتماعي، وهي المؤسسة الرسمية الأولى التي يراهن عليها أي مجتمع في تنشئة صغاره وتربيتهم على الضوابط العامة في المجتمع (الأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والتشريعية ... إلخ)، فمن خلال مواصلة المدرسة لعملية التنشئة الاجتماعية - التي بدأت في الأسرة - ودورها التربوي والتعليمي ينخرط الصغار والمراهقين في عملية ضبط مقصودة وموجهة ومباشرة، حتى يصيروا أعضاءً منسجمين مع مجتمعهم، ومتكيفين مع الواقع الاجتماعي والثقافي، ومساهمين في تحقيق التماسك والاستقرار للنظام الاجتماعي(1).

والمدرسة تكمل عمل المنزل وتسد بعض الضعف والتقصير وفق مقتضيات النظام العام المرسوم، فالمدرسة لها أهمية في تكوين شخصية المواطن؛ لأنها تقوم بغرس المفاهيم في ذهنه التي يفرضها التنظيم الاجتماعي السائد حاليًا(2).

ولكن قد توجد معوقات في المدرسة، مما تجعل جوها التربوي غير موات لتفعيل دورها في الضبط المدرسي (أي ضبط الطلبة)، ومن ثم يجعلها آلية من الآليات الموافقة للسلوكيات غير المنضبطة من الطلبة. فعدم وضوح القوانين والقواعد والضوابط المدرسية، وعدم وجود حدود واضحة بين حقوق الطلبة وواجباتهم، إنما يصب في اتجاه إحباطهم أو شعورهم بالحيرة والاضطراب(3).

وكذا، القدوة في المدرسة لا شك أن للمدرس دورًا في توجيه الطلبة، الذين يحرصون على تتبع سلوكه وتصرفاته، فيتأثرون بها على نحو متباين شعوريًا ولا شعوريًا. فإذا كانت شخصية المدرس قوية سليمة، انعكست سماتها الخيرة على الطلبة، فيتمثلوا بها في سلوكهم، مما يساعد على إيجاد جيل صالح. أما إذا كانت شخصية المدرس مشوبة بعلل خلقية وانحرافات سلوكية، فذلك شر يعود بضرر على الطلبة، لاسيما أولئك الذين لم يكتسبوا في بيئاتهم الأسرية نوازعًا خلقية قوية(4).

-
- (1) الخميس، د. السيد سلامة، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، مصدر سابق، ص336.
 - (2) الخشاب، د. مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 5ط، 1993م، ص322 - 324.
 - (3) الخميس، د. السيد سلامة، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، مصدر سابق، ص326.
 - (4) إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص53.

7- أصدقاء السوء: يشكل أصدقاء (رفقاء) السوء، في المؤسسات التعليمية، كالمدرسة، والجامعة وغيرها، وكذلك في العمل والحي الذي تسكنه الأسرة، عاملاً من العوامل التي قد تساعد الأطفال والشباب، بل وحتى الكبار على السلوك السيئ، ونحن ندرك ونعلم مدى تأثير الأصدقاء على سلوك الشخص، فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة))⁽¹⁾، قوله ((يحذيك)) أي يعطيك⁽²⁾ وانطلاقاً من ذلك، فإن أصدقاء (رفقاء) السوء، سيكون لهم تأثير سلبي على الأطفال والشباب، بل وحتى الكبار الذين يصاحبوهم أو يجالسوهم أو يلعبوا معهم، أو يتعاملوا معهم، وبالتالي فإن الآباء والأمهات يواجهون صعوبات في تربية وضبط هؤلاء الأطفال والشباب...؛ وذلك بسبب علاقاتهم وارتباطهم بأصدقاء السوء وتأثرهم بهم.

المطلب الثاني

المعالجات التي تعالج معوقات الضبط الأسري

في هذا الموضوع ستركز الحديث عن أهم المعالجات التي تعالج المعوقات الداخلية والخارجية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري، وهي على النحو الآتي:

أولاً - المعالجات التي تعالج المعوقات الداخلية التي تؤثر سلباً في الضبط الأسري: من أهم المعالجات هي: المحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك، والمحافظة على استقرار الأسرة، وتكيف أفراد الأسرة مع كل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، والعدل والمساواة وعدم التمييز بين الأبناء، والتشاور والتحاوور بين أفراد الأسرة يعزز الثقة بينهم، وأن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة لأبنائهم، وذلك على النحو الآتي:

(1) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، حديث رقم (5534)، ص1012.
(2) البيهقي، الإمام الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ/
1983م، ج13، ص68. وللمزيد انظر: النووي، الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، دون ذكر التاريخ، ج16، ص178.

1- المحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك: ستركز الحديث في هذا الموضوع على المعالجات الخاصة بالمحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك، ومن أهمها: اختيار الزوجة الصالحة، والمحافظة على الانسجام بين الزوجين، ومعالجة المشكلات الأسرية أولاً بأول ... إلخ، وذلك على النحو الآتي:

أ- اختيار الزوجة الصالحة: لأهمية الزواج فقد حث الدين الإسلامي على أن يختار الرجل المرأة الصالحة ذات الدين، وكذلك حث المرأة وأهلها على الموافقة للرجل المتقدم من ذوي الكفاءة ديناً وخلقاً، وذلك لما لهذه الصفات من أهمية في تكوين الأسرة السعيدة واستقرارها، وفي تربية أطفالها التربية السليمة وغير ذلك.

ب- المحافظة على الانسجام بين الزوجين: الانسجام بين الزوجين له انعكاساته الإيجابية على تربية الأبناء التربية الصالحة، وضبط سلوكهم ليتوافق مع سلوك الأسرة وسلوك المجتمع؛ ((لأن الزواج عملية بناء يحتاج من الزوجين إلى إدراك واع، وفهم صحيح، وتسامح، وثقة متبادلة بإخلاص واحترام وتقدير متبادل، وإحساس صادق بالمسؤولية المشتركة، وتعاون على تصفية الخلافات حال حصولها وبكتمان))⁽¹⁾. لذا يجب على الزوجين المحافظة على الانسجام بينهما، لما لذلك من أهمية كبيرة في تربية وضبط الأبناء، بل والمحافظة على الأسرة من الصراع والتفكك.

ج- معالجة المشكلات الأسرية أولاً بأول: يجب على رب وربة الأسرة معالجة أي مشكلة من المشكلات التي تقع في الأسرة في وقت وقوعها أو بعده مباشرة، لاسيما التي تقع بينهما؛ وذلك بسبب سوء فهم، أو اختلاف في وجهة النظر على أي شيء أو غير ذلك من المشكلات، سواء فيما يتعلق بهما، أم بتربية الأبناء أو ضبط سلوكهم ليتوافق مع سلوك الأسرة والمجتمع، أم بسبب معاقبة الأبناء أو أحدهم؛ نتيجة ارتكاب أي خطأ ... إلخ. وكذا يجب معالجة المشكلات أولاً بأول التي تقع بين الوالدين والأبناء، وكذا التي تقع بين الأبناء؛ بسبب سوء الفهم بينهم، أو بسبب عدم التعاون والتفاعل والتكامل فيما بينهم وغير

(1) إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص43.

ذلك من الأسباب، وأن تكون معالجة الخطأ بالصواب، وليس معالجة الخطأ بالخطأ، حتى لا يتكرر الخطأ. وذلك حفاظاً على الأسرة من الصراع والتفكك؛ لأن التمادي أو التساهل في معالجة أي مشكلة من المشكلات التي تقع بين أفراد الأسرة قد تؤدي إلى الصراع داخل الأسرة، وبالتالي تؤدي إلى تفككها.

2- المحافظة على استقرار الأسرة: المقصود باستقرار الأسرة هنا هو: أن يعيشوا أفراد الأسرة في أمن وأمان، وسكينة واطمئنان، وهذا الاستقرار يبدأ من الزوجين. لذا يجب على الزوجين أو بمعنى ربه وربة الأسرة المحافظة على استقرار الأسرة، وذلك من خلال الود والتفاهم والاحترام المتبادل بينهما وغير ذلك. والحياة الزوجية هي حية مبنية على المودة والرحمة والمحبة...، والأخذ والعطاء بين الزوجين. وكذا تجنب الخلافات قدر الإمكان، وإن وقعت بينهما يجب معالجتها دون علم الأبناء؛ لأنهما أساس تكوين الأسرة وسعادتها واستقامتها وأمنها واستقرارها. وهذا بلا شك بأن قوة العلاقة بين الزوجين، سوف يكون لها انعكاساتها الإيجابية في تربية الأبناء وضبط سلوكهم.

ومن الجدير بالذكر هنا، عدم إغفال دور أبناء الأسرة (الذكور، والإناث) من الشباب والكبار في المحافظة على استقرار الأسرة، وذلك بالانسجام والاحترام والتعاون والتفاعل والتراحم والتعاطف والتكامل فيما بينهم، وإقامة العلاقات الطيبة، والتفاهم من خلال الأحاديث الودية المتبادلة فيما بينهم...، وكذا تجنب الخلافات قدر الإمكان، وإن وقعت يقوم الوالدين والأبناء بمعالجتها، والتحذير من أي تساهل أو تأخير في معالجة أي خلاف يقع بين أفراد الأسرة.

3- تكيف أفراد الأسرة مع كل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية: الأسرة بيئة اجتماعية تتأثر سلباً وإيجاباً بدرجة التكيف والتوافق مع المتغيرات التي تقع في بنائها، ومدى القدرة على الموائمة بين الأهداف المستقبلية والأوضاع المحلية، عبر مسيرة الحياة الاجتماعية...، ولتجنب حدوث أي نوع من أنواع الصراع والتدهور أو التفكك في بناء الأسرة، يجب التعاون والتكافل والتماسك والترابط، ونبذ التشاحن والتنازع والصراع⁽¹⁾ بين أفراد الأسرة.

(1) عبد الحميد، د. أحمد يحيى، الأسرة والبيئة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط، 1998م، ص64.

وأن يتكيف كل فرد من أفراد الأسرة مع كل المتغيرات، لاسيما الاجتماعية والاقتصادية؛ لأنه يعد من مقومات الأسرة وأمنها واستقرارها، فتكيف الزوجين فيما بينهما له انعكاساته الإيجابية على الأبناء تربويًا ونفسيًا وسلوكيًا، وكذا تكيف الأبناء فيما بينهم له انعكاساته الإيجابية على الأسرة. وكذلك تكيف أفراد الأسرة جميعًا فيما بينهم، بل ومع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا؛ أي التكيف مع الحياة السائدة على مستوى الأسرة والمجتمع. وفي نهاية الأمر، فإن التكيف البناء يحمي (يقي) الأسرة من الصراع والتفكك، وبالتالي يؤدي إلى أمنها واستقرارها.

4- العدل والمساواة وعدم التمييز بين الأبناء: يجب على الوالدين العدل والمساواة بين أبنائهما في المعاملة والأكل، وفي العطاء المادي (النقدي، والعيني)، والثواب والعقاب، والرعاية والاهتمام. وتوزيع النظرات والكلام، وفي الاستشارة واتخاذ القرار ... إلخ. كما يجب على الوالدين عدم التفرقة بين الأبناء، وتفضيل ابن واهمال ابن، أو تفضيل بعضهم على بعض في الأمور والأشياء المادية وغيرها، أو القسوة على ابن في حالة ارتكابه أي خطأ والتعاضى عن ابن ارتكب ذات الخطأ، أو القسوة على بعضهم وترك البعض، أو تفضيل الذكور على الإناث أو فيما بينهما البين ... إلخ؛ لأن التمييز والتفرقة وعدم العدل والمساواة بين الأبناء تؤدي إلى الحقد والكراهية بين الأبناء، بل وإلى الصراع بينهم، وهذا يؤثر سلبيًا في عملية الضبط الأسري.

5- التشاور والتحاور بين أفراد الأسرة يعزز الثقة بينهم: يجب على أعضاء (أفراد) الأسرة أن يتشاورون ويتحاورون ويتبادلون الآراء ويناقشونها فيما بينهم، لمعرفة الرأي الصائب المتعلق بشؤونهم وأحوالهم الحياتية الحالية والمستقبلية، وبذلك تعزز الثقة والعلاقة الطيبة بين أعضاء الأسرة، وتخلق أسرة متكافلة ومتضامنة ومترابطة ومتماسكة ومتفاعلة فيما بينها ... إلخ، فالتشاور يعزز مبادئ الود والاحترام بين أعضاء الأسرة، والتشاور بين أعضاء الأسرة يحافظ على كيانها وأمنها واستقرارها وتماسك أفرادها من الصراع والانحراف والتفكك، لذا فالتشاور سبيل إلى وحدة الأسرة وتكاملها.

6- أن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة لأبنائهم: الآباء والأمهات هم القدوة الحسنة لأبنائهم، لذا يجب عليهم أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في (أداء الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج)، وفي الأخلاق، والكرم، وفي التخاطب والتعامل، وفي الصدق، والاستقامة، والأمانة، والقناعة، والتواضع، والتعاطف،

والحب، والتعاون، والتكافل، وفي آداب (الأكل، والشرب، والنوم، واللبس، والجلوس ...)، وفي عدم الإسراف والتبذير في الأكل، وفي ضبط الانفعالات ... إلخ. لهذا يجب أن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة في أقوالهم وأعمالهم وسيرتهم وسلوكهم؛ لأن الأبناء يقلدونهم. وكذا الابن الأكبر يجب أن يكون قدوة حسنة للأصغر منه سنًا في كل الأمور وهكذا. لذا فالقدوة عامل مهم في تربية الأبناء وضبط سلوكهم، ولا تربية دون قدوة حسنة للأبناء يقتدون بها.

ثانيًا - المعالجات التي تعالج المعوقات الخارجية التي تؤثر سلبًا في الضبط الأسري: ستركز الحديث في هذا الموضوع عن أهم المعالجات، وهي: رفع مستوى أداء أجهزة الشرطة والقضاء في عملية الضبط الاجتماعي، والاهتمام بالبيئة الاجتماعية على مستوى الحي السكني. وتشديد الرقابة على البرامج التلفزيونية وما ينشر في الإنترنت. وأن تحرص قيادة المؤسسات التعليمية والتربوية على حسن الأداء. وأن يكون الرفقاء من ذوي السلوك الحسن. وذلك على النحو الآتي:

1- رفع مستوى أداء أجهزة الشرطة والقضاء في عملية الضبط الاجتماعي.

أ- رفع مستوى أداء أجهزة الشرطة.

لكي تحقق أجهزة الشرطة الرسمية أهدافها لا بد من الاهتمام بها، وذلك بتوفير كل ما تحتاج إليه من الكادر البشري، وتأهيله تأهيلًا علميًا وعمليًا، وتوفير الوسائل والآليات والتجهيزات المادية التي تساعد في مواجهة الأفراد من ذوي السلوك الإجرامي ومرتكبي الجرائم، والوقاية من الإجرام أو الجريمة، وذلك بما يواكب العصر؛ لأن أساليب الانحراف نحو السلوك الإجرامي وارتكاب الجرائم في حالة تطور مستمر، ويختلف من عصر إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، وكذا الاهتمام برجال الشرطة ماديًا ومعنويًا؛ لكي يؤديوا واجبهم على أكمل وجه، وفي المقابل يجب أن يكون رجال الأمن يقضين وساهرين وأمناء في حفظ دماء الناس وأعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم وممتلكات الأمة حراسًا أمناء، بحيث يأمن بهم الضعيف والقوي، الغني والفقير، الطفل والعجوز ...، دون تمييز بين أحد.

فأجهزة الشرطة تعد من الركائز الأساسية لأمن المجتمع؛ لأنها التي تقوم بدور الحفاظ على الأمن وعلى السكينة العامة بين أفراد المجتمع، وذلك من خلال عملية الرقابة من الانحراف نحو السلوك

الإجرامي وارتكاب الجرائم قبل وقوعها، وكذا من خلال التوعية والتثقيف وبسط نفوذها على جميع أرجاء الدولة ويقظتها وتواجدها بين أفراد المجتمع لمعرفة الأفراد (الأشخاص) المنحرفين والمجرمين والفاستدين. وضبط ومعاينة كل من يخل بالأمن والسكينة العامة؛ أي الخارجين عن القيم والدستور والقوانين المنظمة للمجتمع والدولة، لذا، فأجهزة الشرطة هي السياج الذي يحمي الإنسان من الانحراف نحو السلوك السيئ وارتكاب الجرائم، وهي التي تحافظ على القيم والأخلاق والنظم، وعلى النشاطات التتموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ السائدة في المجتمع، وأن أجهزة الشرطة، كلما كانت قادرة وكفوة في أداء عملها، ترسخ الأمن والاستقرار؛ أي أمن واستقرار الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والدولة، والعكس من ذلك يؤدي إلى الفوضى وعدم الاستقرار، والله أعلم.

ب- رفع مستوى أداء الأجهزة القضائية: يجب أن يتمتع المواطنين بالعدالة في الإجراءات القضائية، فيسوى المواطن بينه وبين خصمه في طريقة استدعاء الطرفين (أي المساواة بين المتنازعين أمام القضاء)، والاستماع إليهما، وتمكينهما من إبداء الرأي بحرية تامة من غير تمييز بين الغني والفقير، أو بين الضعيف والقوي(1)، وأن يحكم القاضي بين الناس بالحق دون تمييز أو مجاملة بين بعيد عنه وقريب منه، أو بين حاكم ومحكوم، أو بين غني وفقير.

وإن نجاح الأجهزة القضائية وحسن أدائها يتوقف على مدى كفاءة رجال القضاء، واستيعابهم لمهامهم، وقناعتهم بفاعليتها، وأنهم أصحاب رسالة يؤدونها في حدود الشرع - الإسلامي - والقانون(2). لذا، يجب تطوير الأجهزة القضائية بما يواكب العصر الحديث؛ لأنها المسؤولة عن حفظ أمن المواطن وحمايته من الاعتداء والتسلط عليه، وحماية حقوقه وممتلكاته(3).

ولرفع مستوى أداء الأجهزة القضائية - أيضاً - يجب الاهتمام بالعنصر البشري وتأهيله تأهيلاً علمياً وعملياً، لاسيما القضاة، وكذا الاهتمام برجال القضاء مادياً ومعنوياً؛ لكي يؤديوا واجبهم على أكمل

(1) السباعي، د. مصطفى، التكافل الاجتماعي في الإسلام، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط، 1430هـ/ 2010م، ص129.

(2) الأيوبي، د. محمد ياسر، النظرية العامة للأمن، نحو علم اجتماع أممي، مصدر سابق، ص274.

(3) الأيوبي، د. محمد ياسر، النظرية العامة للأمن، نحو علم اجتماع أممي، مصدر سابق، ص275.

وجه، ودعم الأجهزة القضائية بالقضاة المؤهلين علمياً وعملياً. وتوفير الوسائل والآليات والتجهيزات المادية التي تساعد القضاة وغيرهم من العاملين في القضاء؛ بغية رفع مستوى أداء الأجهزة القضائية. بالإضافة إلى تسهيل وسرعة إجراءات التقاضي وتنفيذ الأحكام القضائية.

فعلى الدولة ممثلة بالأجهزة القضائية إقامة الحدود والعقوبات التي يقرها القضاء بحكم شرعي، سواء كانت عقوبة بالسجن، أم عقوبة مالية، أم عقوبة معنوية، كالمنع من مزاولة مهنة معينة أو غيرها من العقوبات التي يقرها القضاء، بحسب الانحراف أو الجرم الذي ارتكبه المنحرف أو المجرم؛ لأن تنفيذ العقوبة على المنحرفين والمجرمين عبرة ورادعاً لغيرهم.

2- الاهتمام بالبيئة الاجتماعية على مستوى الحي السكني: إن الحي السكني له دور كبير في سلوك الفرد سلبيًا وإيجابيًا، لذا يجب على كل فرد من أفراد الحي (أو القرية)، بل وجميع سكان الحي السعي إلى حماية وصيانة سكان الحي من بؤر الفساد والمفسدين ... ، وتوفير الاحتياجات الأساسية، مثل أماكن النشاط واللقاءات بين أفراد الحي، وذلك لحل المشكلات التي تعترضهم، وما قد توجد من مشكلات داخل الحي، حتى يصير الحي مكانًا صالحًا يخرج أفرادًا صالحين لأنفسهم ومجتمعهم(1).

3- تشديد الرقابة على البرامج التلفزيونية: الإعلام له دور في التأثير على الأطفال والشباب، بل وحتى الكبار؛ لأنه يؤثر إيجابيًا أو سلبيًا على الفرد وعلى الأسرة، وينعكس ذلك على المجتمع والدولة سلبيًا وإيجابيًا، والتأثير السلبي بلا شك سينعكس سلبيًا على الضبط الأسري والاجتماعي، ويتوقف ذلك بحسب الرسائل والبرامج الإعلامية. وللحفاظ على الفرد والأسرة والمجتمع من البرامج التي تؤثر سلبيًا في عملية الضبط الأسري والمجتمعي؛ فإن من أهم ما تقوم به الأسرة والمجتمع والدولة الآتي:

أ- تشديد الرقابة على البرامج التلفزيونية؛ من أجل حماية الأطفال والشباب من المفاصد التي قد تبثها القنوات التلفزيونية.

(1) الصنيع، د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف، نحو علم نفس إسلامي، التدين علاج الجريمة، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط، 1419هـ، ص95.

ب- يجب على الأسرة أن تتابع وتحافظ على أفرادها، لاسيما الأطفال والشباب، وتحثهم على الابتعاد عن مشاهدة القنوات التلفزيونية التي تبث (تنشر) الأفلام والبرامج التي تتنافى مع ديننا الإسلامي، وتتنافى مع القيم والأخلاق الحميدة والثقافة العربية والإسلامية.

ج- يجب على وسائل الإعلام المختلفة الالتزام في برامجها بالقيم الثقافية والأخلاقية والعادات والتقاليد الإيجابية لكل مجتمع، وأن لا تتناقض معها ...، وأن تكون برامج هادفة تلبى قيم الأخلاق والفضيلة في الأجيال البشرية، التي تنتشئهم على رفض قيم الشر والفساد، ونبذ العنف أو التطرف والإرهاب، مما يحفز الأجيال البشرية على تحمل المسؤوليات، وحب الخير للناس جميعاً(1).

د- على القنوات التلفزيونية عدم بث البرامج والأفلام المثيرة للغرائز التي تشجع على العنف والجريمة وتظهر المنحرفين بالصورة البطولية، مما يدفع الشباب إلى تقليدهم واتخاذهم مثلاً أعلى مع إفساح المجال الإعلامي لعرض نماذج النبوغ والإبداع؛ حتى تكون هي القدوة والدافع للأطفال والشباب(2)، وكذا عدم بث البرامج التي تبث الكراهية أو الفرقة والخلاف بين أفراد الأسرة وأفراد المجتمع.

هـ- أن تقوم القنوات التلفزيونية بتوجيه وإرشاد الآباء والأمهات التوجيه الصحيح عن الأساليب التربوية الصحيحة التي يجب اتباعها في تربية الأبناء وضبط سلوكهم. وكذا توعية الأبناء عن مخاطر أفلام العنف والأفلام المنافية للأخلاق والقيم الإسلامية ... الخ.

و- يجب على الدولة أن تشدد الرقابة المستمرة على القنوات التلفزيونية وتوجيهها توجيهاً علمياً وثقافياً وقانونياً، لكي تحمي الفرد والأسرة والمجتمع من أضرارها، ويصبح لديها القدرة على التحكم، أو الرقابة على وسائل الإعلام المختلفة، وتوجيهها نحو الأفضل؛ في سبيل خدمة أفراد المجتمع، والرفعي بمستوى الرسالة الإعلامية، بل ومحاربة الوسائل والبرامج اللاأخلاقية التي تسعى إلى بثها؛ لغرض التأثير السلبي على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

(1) د. أحمد دويدار، ((القيم غاية أمنية والإعلام وسيلة وفضيلة))، نشر في كتاب مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، مصدر سابق، ص117.

(2) إبراهيم، د. أبو الحسن عبد الموجود، ديناميات الانحراف والجريمة، مصدر سابق، ص252.

4- تشديد الرقابة على ما ينشر في الإنترنت: حفاظاً على الأخلاق والعقيدة الإسلامية، والقيم والحضارة والثقافة الإسلامية، ومقدرات الأمة، وحفاظاً على الشباب (الذكور، والإناث)، وعلى وحدة وتماسك وترابط الأسرة والمجتمع والأمة والدولة ... إلخ، يجب على المجتمع وأجهزة الدولة ذات العلاقة تشديد الرقابة المستمرة على شبكة المعلومات (الإنترنت)؛ من أجل وقاية الفرد والأسرة والمجتمع والدولة من أخطار الإنترنت، وذلك بمراقبة ما ينشر فيه، وحجب المواقع التي تنتشر الأفكار الهدامة والتافهة، والمواد الإباحية والانحلال الخلقي، وكذا حجب المواقع التي تدعو إلى ارتكاب الجرائم والمحرمات، ونشر الشر والفساد، والعنف، والتطرف، والإرهاب، والاعتداء والعدوان على الآخرين ... إلخ.

وكذلك، يجب على المجتمع وأجهزة الدولة ذات العلاقة تحذير أفراد المجتمع الذين يستخدمون الإنترنت من فتح وتصفح المواقع السيئة والهدامة؛ لأنها قد تؤثر سلباً في سلوك الفرد وأعماله وأخلاقه ... إلخ، وبالتالي ينعكس سلباً على الأسرة والمجتمع والدولة. وكذا تحذير أفراد المجتمع الذين يستخدمون الإنترنت من تصفح المواقع الإخبارية في الإنترنت التي تنتشر الأخبار الكاذبة، وتحريف الأخبار، ونشر الشائعات والرعب، والحرب النفسية، والدعاية الكاذبة ... إلخ. وكذا توجيههم وإرشادهم بتصفح المواقع النافعة في الإنترنت.

ومن الجدير بالذكر هنا، بأنه يجب على الوالدين مراقبة ومتابعة أبناءهما باستمرار في استخدامهم للإنترنت، بل وتوجيههم وإرشادهم وتحذيرهم من تصفح المواقع في الإنترنت التي تنتشر الأفكار الهدامة والإباحية والفساد الخلقي، والعنف والتطرف والإرهاب ... إلخ. وكذا توجيه وإرشاد الأبناء إلى استخدام الإنترنت الاستخدام السليم الذي ينفعهم في العلوم الدينية علمياً وعملياً، وسلوكاً وأخلاقاً، وذلك مثل تصفح المواقع النافعة الإسلامية التي تحتوي على المحاضرات والدروس الدينية والأخلاقية، وتصفح مواقع الإنترنت التي تنتشر القيم والثقافة الإسلامية والعلمية.

5- أن تحرص قيادة المؤسسات التعليمية والتربوية على حسن الأداء: يجب على إدارة المدرسة والجامعة وغير ذلك من المؤسسات التعليمية والتربوية أن تحافظ على الصحة العقلية للطلبة وتحميمهم من

الانحراف أو السلوك السيء، وأن تحاول التغلب على المشكلات التي تهدد شخصية الطلبة في بدء ظهورها، سواء أكانت مشكلات التأخر الدراسي، أم المشكلات السلوكية ... إلخ(1).

كما يجب على إدارة المدرسة والجامعة وغير ذلك من المؤسسات التعليمية والتربوية أن تربي الطلبة تربية دينية - إسلامية - وأخلاقية. واختيار الأساتذة والمعلمين من ذوي الكفاءة والأخلاق الحميدة، والخصال النبيلة، وأن يكونوا قدوة حسنة للطلبة قولاً وعملاً. وكذلك أن تكون المواد الدراسية ذات قيمة(2)، وتنفع الطلبة علمياً وعملياً.

والمؤسسات التعليمية والتربوية، كالمدرسة، والجامعة ... إلخ تعد المحطة الثانية بعد الأسرة، بل وتعد أهم مرحلة في حياة الفرد؛ نظراً لما تؤديه من دور في التعرف على الأسباب المؤدية للمشكلات التي تدفع الطالب إلى سلوك معين، وتنظيم الحياة الاجتماعية في المدرسة أو الجامعة أو غيرها من المؤسسات التعليمية، بما يؤدي إلى تنمية قدرات الطالب العقلية، والمهارية (البدنية)، والوجدانية، ويتم ذلك من خلال تحقيق التعاون بين هيئة التدريس والطلبة، وتنظيم جماعات النشاط المدرسي والجامعي، وتوجيه وتوعية الطلبة للاندماج في النشاط المناسب، والإحساس بالولاء للجماعات والمجتمع والوطن(3).

وأكثر ما يزيد من أهمية ذلك هو حرص قيادة إدارة المؤسسات التعليمية والتربوية على أداء الأساتذة والمعلمين، مهامهم التعليمية والتربوية بكفاءة وسلوك قويم، واستبعاد من لا يصلح لهذه المهمة، وكذا القيام برقابة الطلبة ومتابعة حضورهم وسلوكهم والتزامهم بالنظام، واتصافهم بحسن السلوك، والعمل على تشخيص وفرز المنحرفين منهم، والسعي لإصلاحهم، وإبعاد من تعذر إصلاحه، حتى لا يؤثر سلوكه السيئ على الطلبة الأسيء. وكذلك من عوامل الوقاية والعلاج إزاء انحراف المؤسسات التعليمية والتربوية، هو حسن اختيار القائمين على إدارتها وأساتذتها والمعلمين(4)؛ لأن ذلك يمثل ضماناً لانتظام

(1) الجميلي، د. خيرى خليل، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، مصدر سابق، ص294.

(2) الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص145، ص235.

(3) الجميلي، د. خيرى خليلي، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، مصدر سابق، ص295. ولمزيد من الاطلاع على المدرسة ودورها الوقائي، انظر: الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص234 وما بعدها.

(4) إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، مصدر سابق، ص54 - 55.

سير العمل الإداري، والحيلولة دون اختلاله، ويخلق علاقة ود واحترام بين القائمين على هذه المؤسسات وبين منتسبيها من الطلبة، وبذلك تقل المعاملة الخاطئة والسلوك الخاطيء.

6- أن يكون الرفقاء من ذوي السلوك الحسن.

يجب على الوالدين أن يحذران الأبناء من رفاق السوء، والحرص عليهم ومتابعتهم باستمرار، لمعرفة رفاقهم ليكونوا من الرفقاء الصالحين الذين يقون الأبناء من أي سلوك سييء، بل ويرشدوهم إلى الصواب؛ حتى لا يقعوا في أي خطأ. وهذه مسؤولية كل ابن، ومسؤولية الوالدين، لاسيما إذا كان الابن صغيراً، يجب على الوالدين أن يختاروا له الرفقة الصالحة، وتحذيره وابتعاده عن رفاق السوء(1)؛ لأن الرفقاء لهم تأثير كبير في سلوك الفرد سلبيًا وإيجابيًا.

لذا، يجب أن يكون الرفقاء من ذوي السلوك الحسن، فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)) (2)، قوله ((يحذيك))؛ أي يعطيك(3).

الخاتمة

استناداً إلى كل ما سبق من الموضوعات التي تمت مناقشتها وتحليلها، أختتم هذه الدراسة العلمية بالنتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً - النتائج: من خلال ما تضمنته موضوعات الدراسة، أمكنني التوصل إلى عدد من النتائج، أهمها ما يأتي:

- (1) للمزيد انظر: الصنيع، د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف، نحو علم نفس إسلامي، التدوين علاج الجريمة، مصدر سابق، ص95.
- (2) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، حديث رقم (5534)، ص1012.
- (3) البغوي، الإمام الحسين بن مسعود، شرح السنة، ج13، مصدر سابق، ص68. وللمزيد انظر: النووي، الإمام محي الدين أبوي زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج16، مصدر سابق، ص178.

- 1- إن التربية الخاطئة للأبناء قد تولد فيهم الكبت والخوف والقلق، وعدم الاستقرار النفسي، مما قد يؤدي إلى الصراع داخل الأسرة، وهذا ينعكس سلباً على أمن واستقرار الأسرة، بل وقد يؤدي إلى تفكك الأسرة.
- 2- إن سوء التفاهم بين الوالدين له انعكاساته السلبية على الأبناء في السلوك، وفي العلاقات بين أفراد الأسرة، وقد ينعكس ذلك على المجتمع، وهذا مما يشكل عائقاً في أمن الأسرة، والعكس من ذلك فإن التفاهم بين الوالدين في تربية الأبناء له دور كبير في ضبط سلوكهم، وتنمية قدراتهم الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك.
- 3- أن يكون الوالدان هما القدوة الحسنة في السلوك، والأخلاق، والأقوال، والأعمال؛ (أي سلوكاً وعملاً)، وليس العكس؛ لأن الأبناء يقلدون الوالدان ويقتدون بهما في السلوك والأخلاق، وفي أقوالهما وأفعالهما ... إلخ.
- 4- إن الشورى لها أهمية كبيرة في حياة الأسرة؛ لأنها تعزز الثقة والعلاقة بين الزوجين وبين أفرادها جميعاً، وتساهم في عملية ترسيخ الروابط والتعاون والتكافل الأسري، وفي عملية التفاعل والانسجام والتكامل ... إلخ بين أفرادها، وبذلك تحافظ الأسرة على كيانها وأمنها واستقرارها وتماسكها من الصراع والتفكك، واستقرار الأسرة له انعكاساته الإيجابية على أمن واستقرار المجتمع؛ لأنها تعد الخلية الأولى التي يقوم عليها المجتمع.
- 5- إن البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها الأسرة لها دور كبير في حياة الأسرة، فمثلاً الحي الذي تسكن فيه الأسرة هو حلقة الاتصال بين الأسرة والمجتمع المحيط بها (أي سكان الحي)؛ لأنه قد يؤثر على سلوك الفرد، حيث يتخلق الفرد بقيم، وتعليم، وعادات وتقاليد المجتمع المحيط به سلباً وإيجاباً.
- 6- إن العقوبة التي يستخدمها الوالدان، لمعاقبة الابن المخطئ، يجب أن تكون العقوبة بقدر الخطأ الذي ارتكبه الابن. وكذا أن تكون العقوبة متدرجة من العقوبة المعنوية إلى المادية إلى البدنية، وأن تكون العقوبة متناسبة مع المرحلة العمرية للابن الذي ارتكب الخطأ، ولا يصلح أن تكون العقوبة أكثر مما يستحق، أو بطريقة لا تجوز شرعاً.

- 7- إن الضبط الأسري له دور كبير في الحفاظ على مكانة وسمعة الأسرة وأفرادها في المجتمع، وكذا الحفاظ على أمنها واستقرارها، بل والمحافظة عليها من الصراع والتفكك.
- 8- إن الصراع داخل الأسرة يعد من أهم المعوقات أو الأسباب التي تؤثر سلبًا في الضبط الأسري، كالخلاف، والتعاسة الزوجية، وسوء الأخلاق بين الأب والأم، والصراع بين الأب والأم، وعد التوافق والانسجام بينهما، لاسيما عندما يكون الأب في توجه والأم في توجه آخر، وتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم أو العكس، وفي هذه الحالة يبقى الابن مختارًا، هل ينفذ توجيهات الأب أم الأم، والصراع بين الوالدين أو أحدهما وبين الأبناء الذكور أو أحدهم، والصراع بين الأبناء الذكور، أو الصراع بين الأبناء الذكور والإناث ... إلخ.
- 9- إن التفاعل بين أفراد الأسرة يحقق الإخاء والتماسك والترابط بين أفرادها، وهذا ينعكس إيجابًا على أمن الأسرة؛ والعكس من ذلك في حالة الاتكالية، أو التكاثر، أو تهاون بعض أفراد الأسرة القادرين على الإنتاج الاقتصادي وعدم مشاركتهم؛ أي المشاركة في الدخل الاقتصادي للأسرة أو غيره، فإن ذلك يؤدي إلى الصراع بين أفراد الأسرة، وهذا قد يؤدي إلى تفككها.
- 10- إن من أهم المعوقات الخارجية (أي البيئة الخارجية) للأسرة التي قد تؤثر سلبًا في الضبط الأسري، هي: ضعف أداء أجهزة الشرطة والقضاء، وضعف دور المجتمع في عملية الضبط الاجتماعي، وبيئة الحي السكني الذي تسكن فيه الأسرة، والحروب والنزاعات المسلحة، وسوء بعض البرامج في وسائل الإعلام، وسوء استخدام الإنترنت، والمؤسسات التعليمية، وأصدقاء السوء وغير ذلك من المعوقات الخارجية.
- 11- أن يقوم المجتمع بمحاربة، بل والوقوف وعدم التهاون مع أي فرد يقوم بأي سلوك سيئ، وعدم السكوت عن ذلك؛ لأن السكوت سيؤدي إلى تزايد السلوك السيئ بين أفراد المجتمع. وكذلك الوقوف ضد كل فرد تسول له نفسه المساس بأمن واستقرار الأسرة والمجتمع والدولة.

12- إن الضبط الأسري يعد من الركائز الأساسية لاستقرار الأسرة وتماسكها، وكذا يؤدي إلى الترابط والتعاون والتفاعل بين أفراد الأسرة، وكذا يؤدي إلى تحقيق التوازن والتوافق بين أفراد الأسرة، بل وعلى مستوى المجتمع.

ثانياً - التوصيات:

استناداً إلى نتائج الدراسة، أقدم عددًا من التوصيات التي آمل وضعها في الاعتبار لدى الآباء والأمهات والجهات الحكومية ذات العلاقة وغيرها، وكذا المهتمين من الباحثين والكتاب في تربية وضبط الأبناء (الذكور، والإناث)، ومن أهم التوصيات التي أحتم بها هذه الدراسة، ما يأتي:

1- أن تكون تربية الأبناء بعيدة كل البعد عن التمدد الحزبي، أو الطائفي، أو العرقي. وأن التربية عملية ديناميكية مستمرة.

2- أن يقوم العلماء، وخطباء المساجد، وأجهزة الدولة ذات العلاقة، ومنظمات المجتمع المدني، والجمعيات الخيرية، تعزيز القيم الأخلاقية والترابط بين أفراد الأسرة، وكذا بينهم وبين أفراد المجتمع.

3- أن تقوم أجهزة الدولة ذات العلاقة بإعداد البرامج العلمية والتوعوية والإرشادية لشغل أوقات فراغ الشباب التي تنفعهم في حياتهم العلمية والعملية والتربوية.

4- يجب على الوالدين بأن لا يحملان الابن أكثر من قدراته العقلية والبدنية؛ لأن ذلك قد يؤثر سلبيًا في تربية وضبط الابن في حالة ارتكابه أي خطأ.

5- أن يقوم الأب والأم بمتابعة ومراقبة ومحاسبة الأبناء باستمرار، وتوجيههم إلى الخير وتحذيرهم من الشر، وعدم ترك الحبل على الغارب للأبناء دون متابعة ومراقبة وتوجيه ومحاسبة، يسرحون ويمرحون كيفما يريدون. وأن تكون مراقبة الأبوين للأبناء بالتالي هي أحسن، وليس إرهاب.

6- أن يحرص الأب والأم في متابعة الأبناء باستمرار لمعرفة رفاقهم الذين يلعبون معهم ويجالسوهم، حتى لا يكونوا من رفاق السوء.

7- يجب على الوالدين عدم التهاون أو التردد في معاقبة الابن المخطئ، أو المقصر، أو المهمل في عمله، حتى لا يتكرر الخطأ.

8- أن يقوم المجتمع وأجهزة الدولة ذات العلاقة، بل والوالدين تحذير وتوعية الأبناء من الاستماع إلى الإذاعات، وكذا عدم الاستماع ومشاهدة القنوات الفضائية التلفزيونية، وشبكة المعلومات (الإنترنت)، وأقراص الكمبيوتر (سيدي)، وغيرها من الوسائل، التي تبث البرامج والأفلام الخليعة، أو الانحلال الأخلاقي والميوعة؛ (أي السلوك غير الأخلاقي)، والمثيرة للغرائز التي تشجع على العنف والجريمة وتظهر المنحرفين (أي ذوي السلوك المنحرف) بالصورة البطولية، أو التطرف والإرهاب، بل وتحذيرهم من الاستماع أو مشاهدة البرامج التي لا تتفق مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، ونظم وعادات وتقاليد المجتمع. وكذا تحذير وتوعية الأبناء بأن لا يقرأوا الكتب والمجلات وغيرها من المطبوعات، التي لا تتفق مع الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، ونظم وعادات وتقاليد المجتمع.

9- يجب على المجتمع وأجهزة الدولة ذات العلاقة تحذير أفراد المجتمع الذين يستخدمون الإنترنت من تصفح المواقع الإخبارية في الإنترنت التي تنشر الأخبار الكاذبة، وتحريف الأخبار، ونشر الشائعات والرعب، والحرب النفسية، والدعاية الكاذبة ... إلخ. وكذا توجيههم وإرشادهم بأن يتصفحوا المواقع المفيدة في الإنترنت.

10- أن تقوم وسائل الإعلام المختلفة (كالإذاعة، والتلفزيون، والصحافة ...)، بدور فعال في توعية وتوجيهه، بل ووضع البرامج المفيدة التي تفيد الأطفال والشباب (ديناً، وسلوكاً، وأخلاقاً، وعلمياً ...).

وفي الأخير، أختتم بقول المولى عز وجل: **ثُمَّ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا(1)**، وقوله تعالى: **ثُمَّ وَمَا أَوْتَيْنَاكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(2)**، صدق الله العظيم.

والله ولي التوفيق ،،،

* * *

(1) سورة البقرة، الآية 286.

(2) سورة الإسراء، الآية 85.

أهم المصادر والمراجع:

أولاً - الكتب:

1- كتب الحديث.

- البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ / 2001م.

- البغوي، الإمام الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ / 1983م.

- القزويني، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

- النووي، الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، دون ذكر التاريخ.

- النيسابوري، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ / 2000م.

2- كتب اللغة.

- الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، ضبط نصوصها وعلق عليها: محمد علي أبو العباس، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، دون ذكر الطبعة، 2009م.

- الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط، 1406هـ / 1986م.

- الفيروز آبادي، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1412هـ / 1991م.

- الفيومي، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط4، 1921م.

- عمر، أ.د أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط، 1992م.
- 3- الكتب الاجتماعية والكتب الأخرى.
- إبراهيم، د. أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، بغداد، مطبعة النيزك، ط2، 1998م.
- إبراهيم، د. أبو الحسن عبدالموجود، ديناميات الانحراف والجريمة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2007م.
- د. إبراهيم ناصر، علم الاجتماعي التربوي، بيروت، دار الجبل، ط1، 1992م.
- د. إبراهيم ناصر، التنشئة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.
- الحسن، أ.د. إحسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1999م.
- الأخرس، د. محمد صفوح، نموذج لاستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية، الرياض، مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1997م.
- الأيوبي، د. محمد ياسر، النظرية العامة للأمن، نحو علم اجتماع أمني، لبنان، طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط، 2008م.
- الجميلي، د. خيرى خليل، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط، 1998م.
- الخشاب، د. مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط5، 1993م.
- الخطيب، د. سلوى عبدالحמיד، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، القاهرة، مطبعة النيل، ط1، 2002م.
- الخميسي، أ.د. السيد سلامة، الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1426هـ/2005م.

- السباعي، د. مصطفى، التكافل الاجتماعي في الإسلام، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط، 1430هـ/ 2010م.
- الصنيع، د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف، نحو علم نفس إسلامي، التدبير علاج الجريمة، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ.
- الطنحيس، د. إبراهيم عبدالرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1405هـ/ 1985م.
- العمر، أ.د. معن خليل، التنشئة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.
- العوجي، د. مصطفى، الأمن الاجتماعي، مقوماته، تقنياته، ارتباطه بالتربية المدنية، بيروت، مؤسسة نوفل، ط1، 1983م.
- القرضاوي، د. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ/ 2008م.
- الكيلاني، إعداد الدكتور إبراهيم وآخرون، القاموس الأمني، إنجليزي - عربي، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1428هـ.
- الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط2، 1985م.
- الهندي، د. جمال محمد محمد، تربية الطفل في الإسلام (المفاهيم، والتطبيقات)، دون ذكر بلد الناشر، دار نهر النيل للطبع والنشر والتوزيع، ط، 2006م.
- بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1982م.
- بدوي، د. أحمد زكي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1987م، ص198.
- د. جبارة عطية جبارة، والدكتور السيد عوض علي، المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2008م.

- زهران، د. حامد عبدالسلام، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 1984م.
- رشوان، د. حسين عبدالحميد أحمد، التنظيم الاجتماعي والمعايير الاجتماعية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2014م.
- د. زيدان عبدالباقي، الأسرة والطفولة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1980م.
- سليم، د. سلوى علي، الإسلام والضبط الاجتماعي، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، مكتبة وهبة، ط، 1985م.
- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، بيروت، دار الشروق، ط9، 1983م.
- عبدالحميد، د. أحمد يحيى، الأسرة والبيئة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط، 1998م.
- عبدالسلام، د. طارق الصادق، الضبط الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
- د. عبدالمجيد نشواتي، علم النفس التربوي، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط4، 2003م.
- د. عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
- عقيد د. عماد حسين عبدالله، إدارة الأمن في المدن الكبرى، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ط، 1411هـ/ 1991م.
- غباري، د. محمد سلامة محمد، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور رعاية الخدمة الاجتماعية معهم، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط، 1989م.
- غيث، د. محمد عاطف، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط، 1987م.
- قمر، د. عصام توفيق، مبروك، د. سحر فتحي، مقدمة في الخدمة الاجتماعية، الأردن، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2009م.

- سعيد، د. محمد شاكر، الحرفش، د. خالد بن عبدالعزيز، مفاهيم أمنية، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1431هـ/2010م.
- د. محمد شفيق، الجريمة والمجتمع محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
- د. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، الأردن، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ط1، 1983م.
- محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون ذكر الطبعة والتاريخ.
- ثانياً - مصادر أخرى:
- إبراهيم، د. محمد عبدالمعالم، ((خطورة الأمراض النفسية على كيان الأسرة))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ.
- أرشد، يسري محمد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (114)، رجب 1427هـ.
- التل، أ.د. شادية، ((من أسباب التفكك الأسري))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ.
- الخادمي، أ.د. نور الدين مختار، ((القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل))، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مجلة دورية، تصدرها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد (21)، العدد (42)، رجب 1427هـ/ أغسطس 2006م.
- الشطي، د. بسام خضر، ((تحقيق الأمن الاجتماعي في الإسلام مسؤوليات وأدوار))، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلة فصلية، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (77)، يونيو 2009م.

- الصلاحي، أمين نعمان، من وسائل القرآن في صلاح المجتمع، كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسات، العدد (127)، رمضان 1429هـ.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، بحوث المؤتمر العام الـ 20 للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة، مارس 2008م، القاهرة، وزارة الأوقاف، دار الكتب المصرية، ط، 2008م.
- د. عباس محجوب، مشكلة الشباب الحلول المطروحة .. والحل الإسلامي، كتاب الأمة، قطر، سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد (11)، ربيع الأول 1406 هـ.
- عبدالمجيد بن مسعود، ((التفكك الأسري، الأسباب والعواقب والحلول))، كتاب الأمة، قطر، سلسلة دورية، تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد (85)، رمضان 1422هـ.

* * *

الحق في "الحاجات الأساسية للإنسان" - دراسة مقارنة
في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الوضعية وتطبيقاتها في القوانين السعودية والمصرية

أ.م.د هدى محمد عبد الرحمن السيد
أستاذ القانون الإداري المشارك بكلية الحقوق
جامعة دار العلوم – الرياض – المملكة العربية السعودية
Email: hoda.m@dau.edu.sa

الملخص

تكشف هذه الدراسة عن حق كان موجود قبل كل حقوق الانسان الأخرى، يتمثل في: "الحاجات الأساسية للإنسان"، (الطعام والكساء والشراب والسكن). ومن أجل تأصيل هذا الحق وتفعيله، تعرضت الدراسة للبحث عنه في الآراء والأفكار، وفي الشرائع الإلهية: اليهودية والمسيحية والإسلام، وفي التشريعات الوضعية: الاعلانات والمواثيق والاتفاقيات الدولية، وفي الدستورين: السعودي والمصري.

ثم تعرضت الدراسة، لتوضيح الحاجات الأساسية كحق من حقوق الانسان، وتحليل العلاقة بينه وبين مختلف الحقوق الأخرى، وبينه وبين كل من ظاهره الفقر، والحق في الضمان الاجتماعي. وخلصت إلى أن الحق في الحاجات الأساسية للإنسان، قد ورد واضحا ومحددا في الدين الإسلامي، حيث جاء تنظيما متكاملًا لكافة البشر في مختلف نواحي الحياة، وشامل لمجموعة من الأصول التي جاءت بها نصوص القرآن والسنة، لتلتزم بها الناس جميعا في كل زمان ومكان، ومن أهم هذه الأصول: "ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع".

وانتهت الدراسة - فضلا عن النتائج الأخرى - إلى أن كل من ليس له دخل، أو له ولكن لا يغطي كل احتياجاته الأساسية، أو أنه غير قادر على العمل لأسباب قهرية.. كل هؤلاء لهم الحق في الحصول على الحاجات الأساسية، وأن المسؤول عن كفاله كل الحقوق وبخاصه الأخيرة هو الدولة، لأنه مرتبط بالعمل، وهو يمثل كل مقومات الحياة.. أما من لا يستطيع أن يمارس عملا، فإن الدولة تتكفل به، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: 24، 25)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "من ترك ضياعا فإلي وعلي" (البخاري ومسلم). هذا، وتتقدم الباحثة بالشكر لعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة دار العلوم على الدعم المادي للمشروع.

7

الإطار المفاهيمي للبحث

مقدمة:

إن الحاجات الأساسية للإنسان حق يتعدى في الأهمية كل الحقوق، سواء التقليدية (المدنية والسياسية) أو الحديثة (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) أو المستحدثة (كالحق في بيئة نظيفة والحق في تنمية مستدامة)، لأنها تتيح للإنسان حركة أكبر في العمل وقدرة زائدة في الإنتاج وأمن وطمأنينة في المستقبل، الأمر الذي يحفزه على إنتاج احتياجاته واحتياجات أسرته، وزيادة مساهمته في تقدم مجتمعه، ومن ثم يشعر بأنه عضو فاعل في المجتمع، ويزداد انتمائه لأهله وبلده.

إن حقوق الإنسان واتساعها وفعاليتها دورها، تحافظ على كيان الإنسان، وتحمي قواه الجسدية والعقلية والنفسية، وتجعله صالحاً لخلافة الله في الأرض، وتمكنه من بلوغ الغايات العليا التي من أجلها خلق الإنسان، إذ إن كل حق من هذه الحقوق يصون وينمي جانباً من جوانب شخصيته، ويوفر له مساحة أكبر في العمل والإنتاج.

وفي ظل الحريات التي تميز العصر الحاضر، أصبحت حقوق الإنسان متكاملة وغير قابلة للتجزئة، فالحقوق الأولى بدون الثانية تبقى مجرد شعار لا يتلاءم مع الواقع، فالفرد الذي يعيش مقهوراً من الفقر والتبعية الاقتصادية والاجتماعية، ليس بالفرد الحر، وإن كان يستطيع التعبير عن فكرة وآراءه بشكل ما، كما أن الفرد الذي يعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية وثقافية مستقرة دون أن يتمتع بالحقوق السياسية لا يعد حراً.

ومن ناحية أخرى فإنه في ظل الحريات وتبادل المعلومات وسهولة الحصول على المنتجات وعالمية الحقوق دون تفرقة أو تمييز بين بني البشر، أصبحت كل دولة مكشوفة ومرئية أمام الدول الأخرى لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن غيرها وتتجنب مخاطرها، ومن ثم فإن عليها أن تتنافس معها في مجال حقوق الإنسان، وفي خط موازي تعمل على تعبئة مواردها وتحافظ عليها وتنميتها، وتحاول أن تضع لنفسها مكاناً متميزاً على خريطة العالم.

وفي ظل هذه المتغيرات أيضا، وضرورة توفر الحرية الكاملة لممارسة هذه الحقوق، بما يؤدي إلى تنمية الوعي وزيادة ثقافة الأفراد بالسلطات الحكومية، إلا أن هذا لا يعني تمتع الأفراد بهذه الحقوق دائما، أو دون قواعد منظمة ومحددة لها، فقد تستوجب اعتبارات معينة وضع بعض القيود مؤقتا على ممارسة هذه الحقوق على نحو معين، بل قد يستوجب الأمر وقف هذه الممارسات تماما وفرض عقاب رادع لأنها تضر بكيان الدولة وأمنها، (كما في حالات: الإرهاب، والمخدرات، وفيروس كورونا)، كما أن السلطات العامة في مجتمع ما قد لا تتوفر لديها الإمكانيات والظروف الملائمة التي تكفل للفرد التمتع بحقوقه كاملة، إن السلطات الحكومية في مجتمع ما إذا ما رأت أنه قد يترتب على ممارسة بعض الحقوق إضرار بصالح المجتمع، أو أنها لا تقدر على توفير المستوى الملائم، فإنها تمتلك من التشريعات والقوانين ما يمكنها من وضع القيود على ممارسة حق معين إذا ما كان ذلك للمصلحة العامة، ودون تمييز أو تفرقة بين المستحقين لهذه الحقوق.

وتحاول هذه الدراسة، الكشف عن الحق في "الحاجات الأساسية للإنسان". لذلك، تعرضت - بعد توضيح مفهوم حقوق الإنسان - البحث عنه في المذاهب الفكرية، وفي الشرائع السماوية، وفي التشريعات الوضعية: الدولية والمحلية، ثم تعرضت الدراسة لتوضيح الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان، والفرق بين هذا الحق ومختلف الحقوق الأخرى، ومن هم المستحقون له، وما هي الجهة المسؤولة عن هذا الحق وتفعيله، وأدواتها الحقيقية في تطبيقه.

1- مشكلة البحث:

يتزايد الاهتمام في الوقت الحاضر من جانب الفقهاء والمفكرين والسياسيين على الصعيدين المحلي والعالمي بحقوق الإنسان وكيفية مراقبتها وتفعيل دورها، باعتبار أن ممارستها بحرية يرفع من كفاءة الفرد، فضلا عن أن الحاجات الأساسية للإنسان حق وجد منذ نزل الإنسان على الأرض، ولم يكشف عنه بوضوح، ومن ثم فإنه يحتاج إلى دراسة وتحليل لأبعاده المتعددة، وتوضيح لحدوده والمستحقين له، وعلاقته بالحقوق الأخرى، ودور الدولة في كفالة هذا الحق.

2- أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى أهمية الموضوع الذي يتناوله، الحاجات الأساسية للإنسان، الطعام والكساء والشراب والسكن، وأهمية من له الحق فيها، الإنسان خليفة الله في الكون، أساس وجود المدنية والحضارة والتنمية، ومحور الارتكاز الذي من أجله تتشكل كل الأنظمة السياسية والاقتصادية وغيرها، والتي غايتها في النهاية رفع مستوى معيشة الإنسان، وتحقيق سعادته ورفاهيته.

3- الهدف من البحث:

وهكذا يتضح أن الهدف من البحث، هو الكشف عن مقومات بناء الإنسان، أو المحافظة على حياته واستمرار قدراته في العمل، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا باستمرار قدراته الجسمانية والعقلية، واستخدامها فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير. إنه في العملية الإنتاجية هو المفكر وهو المبدع، وهو الذي يدير وليس لكل ما يشاركه في العملية الإنتاجية من الموارد الطبيعية أو الرأسمالية إلا أن يطيع أمره وينفذ ما يراه. فالإنسان هو الهدف في البداية والهدف في النهاية، وتوفير احتياجاته المادية والمعنوية، يرفع من كفاءته، ويدفعه إلى العمل والإنتاج.

4- حدود الدراسة:

يتمثل موضوع الدراسة في الحاجات الأساسية للإنسان، كحق من حقوقه المشروعة، والبحث عنه في الآراء والأفكار، وفي الشرائع الإلهية: اليهودية والمسيحية والإسلام، وفي التشريعات الوضعية: الإعلانات والمواثيق والاتفاقيات الدولية، وفي الدساتير المحلية: الدستورين السعودي والمصري. وليس لهذا الموضوع زمان أو مكان أو مستوى، فحقوق الإنسان هي حق لجميع البشر، أينما كانوا وكيفما وجدوا، على الدوام ودون تمييز أو تفریق.

5- منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهجين: الوصفي والتحليلي، لتحديد الحق في الحاجات الأساسية للإنسان، والمستحقين له، وتواجده في الشرائع الإلهية، وفي فكر وأراء المختصين، وفي التشريعات والمواثيق الدولية والمحلية، وصولاً إلى توضيح هذا الحق وأهميته، ودور السلطات العامة في تفعيله.

6- خطة الدراسة:

تضمنت الدراسة فصول ثلاثة (عدا الإطار المفاهيمي والنتائج والتوصيات)، على النحو التالي:

الفصل الأول:

حقوق الإنسان ومضمونها في المذاهب الفكرية

المبحث الأول: مفهوم حقوق الإنسان.

المبحث الثاني: حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية.

الفصل الثاني:

حقوق الإنسان في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الدولية

المبحث الأول: حقوق الإنسان في الشرائع الإلهية.

المبحث الثاني: حقوق الإنسان في التشريعات الدولية.

الفصل الثالث:

الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان

في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الوضعية: الدولية والمحلية

المبحث الأول: الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان.

المبحث الثاني: تطبيقات الحاجات الأساسية في الشرائع والتشريعات.

الفصل الأول

مفهوم حقوق الإنسان ومضمونها في المذاهب الفكرية

البداية في دراسة موضوع جديد، أو مشكلة قائمة، تتمثل في التعرف على حقيقة هذا الموضوع أو تلك المشكلة، وعلى الآراء والأفكار التي قيلت بصدد أي منهما، لذلك تضمن هذا الفصل مبحثين: تناول الأول مفهوم حقوق الإنسان وفقا للآراء المختلفة، بينما تناول الثاني حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية.

المبحث الأول

مفهوم حقوق الإنسان

1- مفهوم الحق: (الحق): من أسماء الله الحسنى. (ج) حقوق وحقاق. والحق: الثابت بلا

شك. والحق: النصيب الواجب للفرد أو الجماعة (المعجم الوجيز: 163).

وفي إطار تعدد تعريفات كلمة "الحق"، فقد عرفه بعض من فقهاء القانون والسياسة، بأنه:

❖ الحق مصلحة مستحقة شرعا.. إن الحق مصلحة لمستحقه، تتحقق بها له فائدة مالية، أو

أدبية، ولا يمكن أن يكون ضررا" (حمزة، 1998: 16).

❖ الحق هو اختصاص يقرر به المشرع سلطة أو تكليفا .. أو أنه: "قدرة أو إمكانية أو

مساحة من الحرية، متروك لصاحب الحق أن يستخدمه وأن يتحرك فيه كيفما يشاء"

(أبو ضيف، 2006: 6).

❖ كذلك فإن الحق يعبر عن: "حرية تصرف معينة يكفلها القانون للفرد، ليس مطلقا من

كل قيد. فالحقوق دائما تحقق غايات خاصة لأصحابها، وحيث أن الفرد لا يعيش

بمعزل عن غيره من باقي أفراد المجتمع، وإنما يعيش متفاعلا معهم، فمدى أو نطاق

كل حق، مقيد دوما بعدم المساس بأي حق أو حقوق أخرى للغير".

ومن هذه التعريفات، يمكن استخلاص عدد من المقومات يعتمد عليها هذا الحق، من أهمها:

- 1- أن الحق هو في الأساس، قدرة أو إمكانية يمتلكها الفرد، انطلاقاً من أسس قانونية أو أخلاقية، تسمح له بممارسة حقه إن عاجلاً أو آجلاً (الخليل، 1974).
- 2- إن الحق هو مرادف لما يسمى: حرية السلوك، أو حرية التصرف على نحو معين، وتحقيقاً لمصلحة أو لمصالح معينة، أو إشباع لحاجات معينة (السيد، 1998).
- 3- إن الحق، وهو يعبر عن حرية تصرف معين، يكفله القانون أو الأخلاق للفرد، لا بد أن يكون مقيد بحقوق الآخرين.
- 4- إن الحق يثبت للفرد ليس باعتباره فرداً فحسب، وإنما باعتباره فرد يعيش في إطار جماعة سياسية أو اجتماعية معينة، تتوافر فيها درجة مناسبة من درجات التنظيم الاجتماعي، فالحق ذو طابع اجتماعي، وبالتالي فليس هناك محل للحديث عن حق معين أو حقوق معينة يتمتع بها الفرد الذي يؤثر أن يعيش منعزلاً (خليل، 1971: 33).
- 5- أن الحق يعطي صاحبة سلطة يمارسها على الأشياء أو الأشخاص في المجتمع بطريق مباشر أو غير مباشر. فالحق في مستوى لائق من المعيشة، يعني أن يكون لصاحب هذا الحق نصيب في الدخل القومي، يحصل عليه بطريق مباشر من خلال حد أدنى من الدخل يغطي احتياجاته الأساسية، أو بطريق غير مباشر من خلال الخدمات أو المنافع التي توفرها المرافق العامة للدولة. ومن ثم فإنه يمكن تعريف الحق، بأنه: المصلحة أو الحاجة أو المصدر اللازم توفره للفرد، بناء على أسس معينة، ليحيا حياة إنسانية كريمة مع جميع الأفراد في المجتمع، ودون الإضرار بأي منهم.

2- مفهوم حقوق الإنسان:

يستخدم اصلاح حقوق الإنسان للتعبير عن تلك المطالب أو الحاجات التي يتعين توفيرها لكل الأفراد في المجتمع، ودون تمييز بينهم، بسبب: النوع أو الجنس أو اللون أو العقيدة أو الأصل أو

لأي سبب آخر. ويجب أن يكفل للأفراد جميعاً، التمتع بهذه الحقوق، بحكم كونهم بشراً، وبحكم أن توفرها يرفع من كفاءتهم ويؤكد انتمائهم لوطنهم.

وهذه الحقوق ليست مرتبطة فقط بالوجود الإنساني، وإنما أيضاً بإقرار الضمانات التي تتيح للفرد التمتع بحقوقه وحرياته، باعتباره كائناً حياً متميزاً عن غيره من الكائنات الأخرى التي تشاركه الحياة على الأرض (عيفي، 2012: 17). وباعتبار أن الإنسان لا بد أن ينعم بالكرامة والحرية بما يفسح له الطريق لانطلاق ملكاته واستخدام قدراته، بحيث يكون إنساناً مبدعاً ومشاركاً في تقدم المجتمع (علوان، 1998).

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الحقوق التي يلزمها ضمانات تكفل استخدامها بكفاءة، لا بد لها أيضاً من قواعد تنظم كيفية ممارستها، بحيث تمنع تعارض أو تضارب المصالح، الأمر الذي يفسح المجال لأن يعمل الجميع دون عقبات وبما يخدم الصالح العام.

ومن ثم فإنه يمكن القول: أنه لا يستطيع أي فرد أن ينعم بحقوقه كاملة إلا في ظل نظام ديمقراطي، إذ أن هذا النظام هو الذي يستطيع أن يضع التشريعات والقواعد التي تكفل حماية هذه الحقوق وتحدد مسارها، بحيث يستطيع كل فرد أن يحقق مصالحه الشخصية دون الإضرار بمصالح الآخرين، وأن يعمل الجميع في إطار الصالح العام (مصطفى، 2004).

وقد عرفت حقوق الإنسان بعدة تعريفات، نذكر منها ما يلي:

❖ أنها تشير إلى مجموعة الحقوق والحرريات التي يلزم أن تتيح للفرد فرصة التمتع بها، بوصفه إنساناً يعيش في جماعة معينة.. ومؤدى هذا: أن هذه الحقوق لا يمكن التنازل عنها حتى لا يفقد الفرد إنسانيته، بوصفه كائناً حياً اصطفاه الله تعالى وميزه على سائر المخلوقات (متولي، 1977: 15).

- ❖ أو أنها: تلك الحقوق التي يجب الوفاء بها لكل البشر باعتبارهم بشرا، أو هي تلك الحقوق للصيقة بالبشر أيا كانت ألوانهم، أو أجناسهم، أو ثقافتهم، أو طبائعهم، أو نوعهم، فهم يتمتعون جميعا بهذه الحقوق على قدم المساواة (عيفي، 2012: 19).
 - ❖ كذلك عرفت بأنها: فرع خاص من فروع العلوم الاجتماعية، يختص بتحديد القواعد والرخص الضرورية التي تتيح ازدهار شخصية كل فرد في المجتمع استنادا إلى كرامته الإنسانية (فودة، 2004: 4).
 - ❖ وعرفت: أن الإنسان كونه بشرا، فإنه يتمتع بمجموعة من الحقوق اللازمة للصيقة به، وذلك بغض النظر عن جنسيته وديانته أو أصله القومي أو وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي (الشيخ، 1978: 267).
 - ❖ وعرفت بأنها: هي إمكانيات يتمتع بها الفرد بسبب طبيعته البشرية، وبسبب عضويته في المجتمع. وهذه الحريات كثيراً ما يطلق عليها: الحقوق الفردية (الحو، 2005: 816).
 - ❖ وقد ورد تعريف لحقوق الإنسان في إحدى نشرات الأمم المتحدة، بأنها: "الحقوق المتصلة في طبيعتها والتي لا يتسنى غيرها تصور عيشة البشر، فهي الحقوق التي تكفل لنا كامل إمكانيات واستثمار ما نتمتع به من صفات البشر، وما وهب لنا من ذكاء ومواهب وضمير من أجل تلبية احتياجاتنا الروحية وغير الروحية، وهي تستند إلى تطلع الإنسان المستمر إلى حياة تتميز باحترام وحماية الكرامة المتأصلة في كل إنسان وقدره" (الفار، 1993: 4)
- وهكذا نجد أن حقوق الإنسان، هي حقوق لكافة الأفراد، بغض النظر عن الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة والأصل والوطن والطبقة الاجتماعية أو المعتقدات السياسية أو الدينية. وهي تمثل

مجموعة من المقومات لا يمكن للناس أن يعيشوا بدونها بكرامة كبشر، في ظل من الحرية والعدالة والسلام. ومن شأن احترامها أن يتاح إمكان تنمية الفرد والمجتمع تنمية كاملة. أو هي تلك الحقوق اللصيقة بالبشر، أيام كانت ألوانهم أو أجناسهم أو ثقافتهم أو طبائعهم .. فهم يتمتعون جميعا بهذه الحقوق على قدم المساواة (عفيفي، 2012: 19)

3- صفات حقوق الإنسان:

توضح المفاهيم المتقدمة لحقوق الإنسان، أنها تتصف بمجموعة من الصفات الأساسية، لعل من أبرزها ما يلي:

- ❖ أنها بعيدة في القدم: أي أن هذه الحقوق موجودة منذ خلق الإنسان، وليست وليدة تطورات اجتماعية أو أحداث عالمية، لأن كل إنسان بحاجة إليها، ولا يستطيع الاستمرار في الوجود أو العيش بدونها، فلكل إنسان الحق في الحاجات الأساسية وفي الحياة والكرامة والحرية.
- ❖ أنها أبدية في البقاء: أي أن حقوق الإنسان باقية ما بقيت الحياة على الأرض، إذ هي الضمان الأساسي الذي لا غنى عنه ليحيا الإنسان حياة ملائمة حرة وكريمة.
- ❖ أنها فطرية أو طبيعية في وجودها: فهي موجودة حكما، ولا موجب لإقرارها من قبل سلطة تشريعية أو دستورية، أو أية سلطة أخرى.
- ❖ أنها شمولية وغير تمييزية: أي أن هذه الحقوق ليست قاصرة على فئة معينة من الناس، أو على مكان معين من العالم، أو على زمان محدد من الأزمنة، وإنما هي حقوق فطرية أبدية شاملة، ملازمة لجنس الإنسان في كل زمان ومكان (عفيفي، 2012: 13).

المبحث الثاني

حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية

1- حقوق الإنسان في المذهب الفردي:

اعترف المذهب الفردي بحقوق الإنسان وحرياته العامة، واعتبرها حقوق طبيعية مرتبطة بالفرد وغير مكتسبة من المجتمع. وكانت نقطة البداية في هذا الاتجاه، عندما رأى أصحاب هذا المذهب: أن الإنسان كان يعيش في الطبيعة فردا منعزلا عن غيره من الأفراد، ثم أخذ دون إجبار وبمحض إرادته في تكوين مجتمع بطرق سليمة، تجعله صالحا لأن يعيش فيه الجميع دون تفرقة فيما بينهم.

فمنذ نهاية القرن السادس عشر، اتجه الفكر الطبيعي نحو الفلسفة الأخلاقية، ودراسة الفطرة البشرية والقانون الطبيعي، وأخذ مسلكا جديدا نحو قضايا المجتمع وشؤون السياسة والحكم والحقوق المدنية (أبو ضيف، 2006: 55) .. كما قرر أن مختلف الظواهر في المجتمع تخضع لقوانين طبيعية لا دخل للإنسان في وجودها، وأن هذه القوانين في انطباقها وتنظيمها للحياة، تعتمد على مبدئين، هما: مبدأ المنفعة الشخصية، ومبدأ المنافسة، الذي يحد من انطلاق كل فرد، فيجعله لا يضر بمصالح الأفراد الآخرين.

وعلى هذا فإن المذهب الفردي - أو الفكر الطبيعي - يرى: أن الإنسان يخضع لقانون طبيعي يمنحه حقوقا فطرية متساوية مع غيره من الناس، لا يمكن تجريدهم أو حرمانهم منها بأي حال من الأحوال، وأن مؤسسات المجتمع ومنظوماته وجدت لكي تعمل على حماية هذه الحقوق، ومن ثم فإن الفرد وحقوقه يشكلان الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع بأكمله (الفار، 1991: 30) .. كما يرى: أن الفرد هو محور النشاط، وأن مصالح الأفراد لا تتعارض مع مصالح المجتمع، ومن ثم فإنه لا بد أن يترك لهؤلاء الأفراد الحرية المطلقة في ممارسة أنشطتهم، وأن هذه الإرادة لا يمكن التخلي عنها إلا من أجل قيمة أسمى منها، كالعدل والفضيلة وصالح المجتمع، وهو ما ينبغي أن تقوم

عليه الدولة من أجل تحقيق وجودها، وهو الوجود الذي لا غنى عنه من أجل وجود الأفراد أنفسهم، وتحقيق السعادة لكل منهم (تتاغو، 1986: 130).

ويؤكد المذهب الفردي على ضرورة تربية الشعب على تحمل عبء النظام القائم في الدولة أيا كان نوع هذا النظام، طالما هو نظام عادل وغير مخالف للطبيعة.. وإذا كان تمتع الإنسان بحقوقه يؤدي إلى اصطدامه مع غيره من أفراد المجتمع. لذا يرى المذهب الفردي: أن أهمية القانون الطبيعي تكمن في وظيفته في العمل على توفيق هذه الحقوق بين الأفراد، وبالطبع لا يتم ذلك حسب رأيهم إلا عن طريق تقييد حقوق كل فرد، بنفس القدر الذي يستطيع فيه غيره استعمال نفس الحقوق. وهذا هو التكافؤ الذي تدعو إليه وحدة الطبيعة ووحدة الحقوق بين الأفراد. وإذا كان القانون الوضعي يجب أن يعبر عن العدل، لأنه يصدر عن الإرادة الإنسانية، فإنه قد يتغير من نظام إلى آخر ومن وقت لآخر، بينما القانون الطبيعي هو العدل في ذاته، وهو لا يتغير (رحيم، 1997: 110).

وهكذا فإن أصحاب هذا الاتجاه، يرى: أن الفلسفة الفردية قد وضعت إرادة الإنسان الحرة في القمة من حيث الأهمية، وأن الإنسان هو سيد مصيره ومبدع تصرفاته وسلوكه، وهو الذي ينظم حقوقه بإرادته الحرة، والقانون الذي يواجه اعتراضاً من الأفراد، يعد أسوأ القوانين وأشدّها ظلماً (عيفي، 2012).

2- حقوق الإنسان في المذهب الماركسي:

أعطى المذهب الماركسي (الشيوعي) الحرية الكاملة لفئة واحدة من المجتمع، هي فئة العمال، حيث يرى أن هذه الفئة هي التي يلزم أن تتمتع بحرية حقيقية تمكنها من الدفاع عن مكاسبها وحقوقها الاقتصادية والاجتماعية في مواجهة سائر الطبقات، وفي الاتحاد مع سائر عمال العالم من أجل الدفاع عن طبقة البلوروتاريا، أي الطبقة الكادحة، وفي الكفاح من أجل الوصول إلى عصر الشيوعية الكاملة، وإلغاء الطبقات الأخرى، فلا تبقى سوى طبقة واحدة هي طبقة العمال (نجم، 1992: 21).

ويؤسس هذا الفكر رأيه على أنه في مجتمع العمال، يمكن أن يتمتع الجميع بكل أنواع الحريات مساواة فيما بينهم، وينتقدون المذهب الفردي بدعوى أن الحقوق والواجبات فيه فردية، فلا مجال للتمتع بها في مجتمع متعدد الطبقات، يسيطر عليه الفوارق الطبقيّة والفئات المختلفة في المجتمع. كما يرى هذا الفكر: أن أهم الحريات التي يجب أن تكفل للإنسان، هي الحريات الاجتماعية والاقتصادية .. ويعتبرون هذه الحريات هي الدعامات الرئيسية لهيكل الدولة الأساسي (عفيفي، 2012: 93).

وبالمقارنة بين هذين المذهبين: الفردي والماركسي، يتضح أن الدولة وفقا للفكر الماركسي، هي المحدد الرئيسي لكل من الدور الايجابي أو السلبي للحقوق والواجبات، مع تقييد حرية الفكر والرأي.. بينما في المذهب الحر أو الفردي فإن الدولة لا تسيطر على توزيع الدخل، ولا تتدخل في الحريات كما كان سائدا في الفكر الماركسي.

3- حقوق الإنسان بين الشرق والغرب: احتل موضوع حقوق الإنسان في العصر الحديث مكانا مرتفعا في القانون الدولي العام، حيث دار صراع بين الكتلتين: الشرقية والغربية إزاء الاهتمام بهذه الحقوق وتبنيها كمبادئ أمرة في قواعد القانون الدولي العام (ضبابة، 2010: 47).

فقد كانت الحقوق في أنظمة الكتلة الشرقية، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي السابق، تمنح بهدف واحد، يتمثل في بناء الشيوعية من خلال دعم التنظيم الاشتراكي للإنتاج، ولذلك اختلف ترتيب الحقوق والحريات في موثيقها، عنه في موثيق الكتلة الغربية، حيث كانت تعطى الأولوية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وتقدمها على الحقوق والحريات التقليدية (المدنية والسياسية) (المزوعي، 1993: 57).

فقد كانت الكتلة الشرقية تركز على حقوق الإنسان الجماعية، وبشكل خاص: حق تقرير المصير، وحق التنمية، كما تركز كذلك على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي منها: حق العمل، وحق التعليم، حق الاستفادة من انجازات الثقافة، ومن التمتع بأوقات الراحة، والحق في الضمان

الاجتماعي، وحق التقاعد ودعم الفئات الضعيفة، وبخاصة المرأة والطفل.. بينما كانت الكتلة الغربية (النظام الرأسمالي الحر)، بعكس الكتلة الشرقية، تركز على الحقوق المدنية والسياسية، كحق الملكية الخاصة، وحق ممارسة العمل، وحق التنقل، وحق التمتع بالحياة الخاصة دون رقيب، وحق سرية المراسلات والهاتف، وحق الانتخاب، وحق العيش بدون خوف، وحق الامتناع عن التعذيب، والحق في محاكمة عادلة، وغيرها من الحقوق.

وهكذا يتضح أن كلا المعسكرين قد أخذ بجانب وترك الجانب الآخر، وفقا للفكر الذي يخدم نظامه. فقد أهملت الأيدلوجية الشرقية، الحقوق المدنية والسياسية، بينما أهملت الغربية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما لم تهتم بالحقوق الجماعية، وخاصة حق الشعوب والأقليات في تقرير مصيرها، وانعكس ذلك على المجتمع الدولي، الأمر الذي دفع الخبراء والمفكرين في مجال حقوق الإنسان إلى بحث هذا الموضوع بشكل أكثر جدية، وبهدف الوصول بقضية الإنسان وحقوقه إلى مستوى رفيع (شعبان، 2001).

الفصل الثاني

حقوق الإنسان في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الدولية

استكمالاً لما تقدم، ولمعرفة ما إذا كان موضوع الدراسة قد تعرضت له المرجعيات المختلفة أم لا.. تضمن هذا الفصل بحثين، تناول الأول: حقوق الإنسان في الشرائع الإلهية، بينما تناول الثاني: حقوق الإنسان في التشريعات الدولية.

المبحث الأول

حقوق الإنسان في الشرائع الإلهية

1- حقوق الإنسان في اليهودية: درج اليهود على الحقد والكرهية ونبذ كل تعاون ومحبة، أو دعوة إلى الحقوق الإنسانية والعقيدة الصحيحة، ومع وجود كافة التشريعات المنظمة للحقوق والواجبات في التوراة، إلا أنها لم تصل باليهود إلى القيم السامية، ولم تقم لهم مجتمع العدل الإنساني، ولم تسمووا بالإنسان إلى التحرر من العبودية المادية، وإنما على العكس من ذلك، فقد الأفراد الكثير من حقوقهم، لذلك تعرض الإنسان في مجتمعهم للكثير من المحن والمصاعب التي أرجعها أنبيائهم إلى غضب الله من تمرد وطغيان اليهود، وعصيانهم الأوامر الشرعية وقتلهم الأنبياء وشركهم بالله (عفي، 2012: 52).

ويؤمن اليهودي: بأن كلام الحاخامات مصدق ومطاع طاعة عمياء، وأن مخافة الله تتمثل في مخافة الحاخامات، وهؤلاء هم الذين قاموا بجمع التوراة وحرفوها وبدلوا فيها بما يخدم الأطماع اليهودية. ومن ناحية أخرى، فإن الحرب هي عقيدة بني إسرائيل، وبقائهم مرتبط بها، فهي الرباط المقدس الذي يجمعهم، وبسببها تنوب الخلافات حتى المستعصية منها (الفار، 1993: 15). وقد جاء في التوراة: "حيث تقترب من مدينة فلا تستبق منها نسمة واحدة" (سفر التثنية: 2-4).

ويعتقد اليهود أنهم غير البشر جميعاً، وأن كل شيء لدى غيرهم ملك لهم، فقتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافئ عليها الله، فإن أرواح غير اليهودي أرواح شيطانية تشبه أرواح

الحيوانات، وأن حياة غير اليهودي ملك لليهود وبخاصة أموالهم، وأنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تملك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم.. أي أن العقيدة اليهودية مبنية على الحقد والكراهية والعنصرية البغيضة، وعلى ازدراء الشعوب والجماعات الأخرى، وأن القيم الإنسانية والأخلاقية تطبق فيما بينهم دون غيرهم.

2- حقوق الإنسان في المسيحية: المسيحية دعوة دينية خالصة، دعت إلى حرية العقيدة والتسامح والمساواة ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مثل أعلى للإنسانية، معتمدة على قيم السماء، ومستهدفة أيضا محاربة التعصب الديني الذي أفرزه أئمة اليهود وكهنوتهم.

لقد حمل السيد المسيح - عليه السلام - إلى البشرية قانونا إنسانيا تتجلى فيه جميع الحقوق التي تحمي كرامة الإنسان، فالإنسان عند المسيحية يستحق الحياة والحماية والتقدير، والسلطة المطلقة لا يمارسها إلا الله. وهي بذلك قد وضعت حدود فاصلة بين ما هو ديني وما هو دنيوي، من تنظيم المجتمع الإنساني، كما أنها جاءت بمبادئ إنسانية ترسخ ثورة روحية وأخلاقية رفيعة المستوى، لتخلص المجتمع آنذاك من المادية البغيضة التي زرعتها اليهود في نفوس الناس، وتلغي التمييز الطبقي والديني، ليعيش الناس جميعا في محبة وتسامح، متساوين في جميع الحقوق (عفيفي، 2012: 61).

وقد جاء في أسس ومبادئ الدين المسيحي، الكثير من القيم والفضائل الخلقية التي تكفل حقوق الناس جميعا، كحق الحياة، حيث حرم السيد المسيح - عليه السلام - إزهاق النفس الإنسانية بغير حق، فالمرء لا يعاقب بالقتل إذا استوجب الفعل الذي قام به ما يوجب عقوبة القتل. وفي هذا تقرير لحق الإنسان في الحياة، "لا تقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء". كذلك تضمن الدين المسيحي تكريم الإنسان ورفع شأنه كخليفة الله في الأرض، ليقوم بتعميرها، وتضمن عدم التفريق بين الناس، فكلهم سواء أمام الله.

وتضمن كذلك حق العدالة وتكافؤ الفرص، فقد دعا إلى عدم أكل أموال الناس بالباطل، "افرضوا وانتم لا ترجون شيئاً) (إنجيل لوقا: 6 - 35)، و إلى عدم اكتناز الأموال وحجبها عن التداول، وإلى تقدير قيمة العمل، بل وتقييم الفرد في المجتمع على أساس عمله وجهده، بما يضمن العدل والمساواة وتكافؤ الفرص.. إن الدين المسيحي يقدس العمل، فأقوال السيد المسيح - عليه السلام - وأقوال وأفعال الحواريين تحت على العمل، وتعتبره نبيلاً ولازماً (شقيير، ب. ت: 65).

وأيضاً تضمن حق التعاون والتكافل في توفير حاجات الإنسان، حيث دعت التعاليم المسيحية إلى التضامن بين الناس، ونبذ الحقد والضغينة، ونشر المحبة والألفة والرحمة والتخلي بالأخلاق الكريمة، من خلال الكلمة الطيبة ومساعدة المحتاجين وإعطائهم ما يستحقونه من صدقات، تعيينهم على أمور دينهم .. إن الدين المسيحي يقوم على اعتبار أن الناس جميعاً أبناء لأب واحد، ومن ثم فهم إخوة، وكل إنسان إنما يكون أساساً روحياً خالداً لا تفنى، وهذه الروح متساوية في الجميع، ولذلك فالإخوة كلهم متساوون (شقيير، ب. ت: 65).

3- حقوق الإنسان في الإسلام: تضمنت الوثيقة الإسلامية الثانية، التي أعلنها المجلس الإسلامي الدولي للعالم في باريس 21 من ذي القعدة 1401 هـ - 19 سبتمبر 1981 م، حقوق الإنسان في الإسلام. موضحة أن هذه الحقوق ليست منحة من ملك أو قرار صادر عن سلطة أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها.

وجاء في مقدمتها: شرع الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حقوق الإنسان في شمول وعمق، وأحاطها بضمانات كافية لحمايتها، وصاغ مجتمعه على أصول ومبادئ تمكن هذه الحقوق وتدعمها.. والإسلام هو خاتم رسالات السماء، التي أوحى بها رب العالمين إلى رسله - عليهم السلام - ليبلغوها للناس، هداية وتوجيها، إلى ما يكفل لهم حياة طيبة كريمة، يسودها الحق والخير والعدل والسلام.

والوثيقة ملخصة لكل حقوق الإنسان، ما عرف منها وما لم يتم التوصل إليه بعد، وسوف نأخذ منها ما يخص البحث فقط.

❖ جاء في البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام، في البند رقم (1) حق الحرية فقرة (أ) أن: حياة الإنسان مقدسة.. لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها: «..مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا..» (المائدة: 32). ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقرها. وفي الفقرة (ب) كيان الإنسان المادي والمعنوي حمى، تحميه الشريعة في حياته وبعد مماته، ومن حقه الترفق والتكريم في التعامل مع جثمانه: "إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه" (رواية مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي). ويجب ستر سوءاته وعيوبه الشخصية: "لا تسبوا الأموات فأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" (رواية البخاري).¹

❖ و جاء في البند رقم (2) حق الحرية فقرة (أ): حرية الإنسان مقدسة - كحياته سواء - وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة" (رواية الشيخان)، وهي مصاحبة ومستمرة ليس لأحد أن يعتدي عليها: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" من كلمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة والإجراءات التي تقرها.

❖ وجاء في البند رقم (15) الحقوق الاقتصادية فقرة (د): لفقراء الأمة حق مقرر في مال الأغنياء نظمتها الزكاة: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (المعارج: 24، 25) وهو حق لا يجوز تعطيله ولا منعه، ولا الترخص فيه من قبل الحاكم، ولو أدى به الموقف إلى قتال مانعي الزكاة: "والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صلى الله عليه

¹ (فض الشيء): فرقه، وانفض الجمع: تفرق. وفي القرآن الكريم: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" .. (ويفهم من ذلك انقطاع صلتهم بما تقدم وأصبحوا تحت رحمة الله سبحانه وتعالى) - (المعجم الوجيز: 474).

وسلم - لقاتلتهم عليه" من كلام أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في مشاوراته الصحابة في أمر مانعي الزكاة.

❖ وجاء في البند رقم (18) حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة: من حق الفرد أن ينال كفايته من ضروريات الحياة.. من طعام وشراب وملبس ومسكن.. وما يلزم لصحة بدنه من رعاية، وما يلزم لصحة روحه وعقله من علم ومعرفة وثقافة، في نطاق ما تسمح به موارد الأمة، ويمتد واجب الأمة في هذا ليشمل ما لا يستطيع الفرد أن يستقل بتوفيره لنفسه من ذلك: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» (الأحزاب: 6).

❖ وجاء في البند رقم (19) حق بناء الأسرة فقرة (ه): إذا عجز والدا الطفل عن الوفاء بمسئوليتيهما نحوه، انتقلت هذه المسؤولية إلى المجتمع، وتكون نفقات الطفل في بيت مال المسلمين (الخزانة العامة للدولة): "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديناً أو ضيعة (ضيعة: أي ذرية ضعافاً يخشى عليهم الضياع) فعلي، ومن ترك مالا فلورثته" (رواة الشيخان وأبو داود والترمذي).

وهكذا نجد أن الإسلام قد أمن حقوق الإنسان، باعتباره خليفة الله في الأرض، وباعتباره أعز جواهر الدنيا وأعلى قدرها وأشرفها منزلة (أبو الوفاء، 2001: 44). قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» (الإسراء: 40). وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي فضل إلا بالتقوى".

المبحث الثاني

حقوق الإنسان في الإعلانات والمواثيق الدولية

نشأت فكرة حقوق الإنسان وتطورت في النظم القانونية الداخلية أولاً، ثم أخذت هذه الفكرة مع بداية القرن العشرين تنتقل تدريجياً نحو أفاق أوسع، ألا وهو نظام القانون الدولي. ولم يكن ذلك أمراً سهلاً، نظراً لرسوخ مبدأ السيادة في العلاقات الدولية، غير أن صعوبات الحرب العالمية الثانية، وما ترتب عليها من مساوئ اقتصادية واجتماعية، وتعديت على حقوق الأفراد والأقليات، كانت حافزاً لتدوين وتعيين حقوق الإنسان، وأبدى المجتمع الدولي تفهماً واسعاً لقضية الإنسان وحقوقه.

1- حقوق الإنسان في الإعلانات الدولية:

سبق قيام منظمة الأمم المتحدة مجموعة من إعلانات الحقوق التي توضح الأهمية القصوى لحقوق الإنسان وتؤكد على عدم شرعية المساس بهذه الحقوق (الشرقاوي، 1988: 353). ومن أهمها:

أ- الإعلانات الانجليزية للحقوق: صدر الإعلان الأول في إنجلترا عام 1215، ويعد أول خطوة نحو إقامة نظام حكم دستوري صحيح، حيث تضمن نصاً يفيد أن أي مخالفة لمواده المتعلقة بحقوق وحرريات المحكومين يعطي لهؤلاء المحكومين حق مقاومة الملك حتى وإن أدت هذه المقاومة إلى حرب أهلية أو إلى استخدام القوة ضده (بطيخ، 1996: 517).

ومن الإعلانات التي صدرت في إنجلترا أيضاً، الإعلان الصادر عام 1628، الذي أكدت بموجبه الحريات العامة للشعب الإنجليزي، والذي تلاه قانون الحقوق الصادر 1689.

ب- إعلان الاستقلال الأمريكي: صدر هذا الإعلان عام 1776 ونص على أن جميع الناس قد خلقوا أحراراً وملتسولين، وأن الله قد وهبهم حقوق وحرريات لا تبديل فيها ولا تغيير، ومنها الحق في الحرية والحق في الحياة، وعلي الحكومات القائمة أن تعمل على كفالتها باعتبار أن ذلك من أخص

واجباتها، فإن تقاعست في هذا الشأن كان للشعب أن يبعدها عن السلطة ويقوم بدلا منها حكومة أخرى، تكفل له السلام والرفاهية.

▪ الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان: بعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789 صدر إعلان حقوق الإنسان والمواطن، مما أدى إلى تغيير فرنسا، ليس وحدها فحسب، إنما تاريخ العالم أيضا، حيث كان لها الفضل في نشر مبادئ الحرية والسلام، ويعد إعلان حقوق الإنسان والمواطن أول إعلانات الحقوق التي يتخطى الحدود الإقليمية إلى العالمية، وتضمن الحريات العامة الرئيسية: الحرية والإخاء والمساواة (علي، 1996: 585).

وعندما صدر أول دستور في فرنسا في 3 سبتمبر 1791، اعتبر الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان مقدمة لذلك الدستور، ووثيقة هامة من وثائقه، لا تفصل عنه، ثم أعلنت جميع الدساتير الفرنسية التي صدرت بعد ذلك اعتناقها للمبادئ الواردة في إعلان الحقوق الفرنسي (نجم، ب. ت: 70).

وقد نص الإعلان في مادته الأولى على أن: "الناس يولدون ويعيشون أحرار متساوين في الحقوق"، ومن ثم فإن هذا الإعلان قد عرف الحرية بأنها: "حق الفرد في أن يفعل كل ما لا يضر الآخرين، ولا يمكن إخفاء ممارسته الحريات الطبيعية بقيود الأمن، إلا من أجل تمكين أعضاء الجماعة الآخرين من التمتع بحقوقهم".

لهذا يعتبر العديد من فقهاء القانون العام في فرنسا، أن لإعلانات حقوق الإنسان قوة دستورية ملزمة، شأنها في ذلك شأن الدساتير تماما، لذا فضلوا أن تصاغ في قالب نصوص دستورية، تدرج ضمن مواد الدستور، لكي تكتسب طابع السمو الذي تتصف به نصوص الدستور (نجم، ب. ت: 71).

2- حقوق الإنسان في المواثيق الدولية: لقد أقيمت منظمة الأمم المتحدة بتاريخ 1945/4/25 في مؤتمر سان فرانسيسكو من قبل تسع وخمسون دولة، حيث وقع ممثلوا الدول المشتركة

بالإجماع على الميثاق في 1945/6/26، وأصبح نافذ المفعول في 1945/10/24، وذلك بعد أن تم تصديق أغلبية الدول عليه (عطية، 1997: 185). وبمجرد انضمام حكومة أي دولة إلى منظمة الأمم المتحدة تصبح ملتزمة بحقوق الإنسان وحياته الأساسية.

ويعد ميثاق الأمم المتحدة، أول وثيقة دولية سجلت التطور الذي حدث في مجال حقوق الإنسان (بوادي، 2004: 15). كما يعد دستوراً عاماً لحقوق الإنسان، حيث أكد في أكثر من موقع على مبادئ حقوق الإنسان، وعلى حق الشعوب في تقرير مصيرها، وعلى تدعيم التقدم الاجتماعي، وعلى تحقيق مستوى معيشي وصحي أفضل، حيث نصت المادة الأولى منة في فقرتها الثالثة على أن من أهداف الأمم المتحدة تحقيق التعاون الدولي في تقرير احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، كما نصت المادة (55) على أن يكون احترام حقوق الإنسان للناس جميعاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفرق بين الرجال والنساء. ونصت المادة (56) على أن يتعهد جميع الأعضاء بأن يقوموا منفردين أو مشتركين بما يجب عليهم من عمل بالتعاون مع الهيئة لإدارة المقاصد المنصوص عليها في المادة (55).

وفي 1948/12/10 تبنت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومنذ ذلك تم تقنين مواد الإعلان في العديد من المعاهدات والاتفاقيات والتعهدات والمواثيق الدولية، كما قامت بوضع الآليات لتنفيذ تلك المعاهدات والاتفاقيات والتعهدات والمواثيق الدولية في النصوص ذاتها، وفي أجهزة منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المختصة.. وإذا كان الاتجاه العالمي يرى أن: لإعلان حقوق الإنسان قيمة أو أهمية كبيرة، باعتباره المثل والمصدر الذي يجب أن تعتمد عليه الشعوب فيما تتخذه من قرارات وتشريعات فيما بعد، وأن توصياته غير ملزمة، إلا أن جهود منظمة الأمم المتحدة قد اتجهت إلى تحويل مبادئ هذا الإعلان إلى مواد قانونية من خلال عدد من الاتفاقيات (ضبابية، 2010: 47).

وبعد مرور ثمانية عشر عاما على صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عهدين دوليين لاستكمال وتقرير الإعلان العالمي. الأول، حول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام 1966، والعهد الدولي الثاني حول الحقوق المدنية والسياسية في عام 1966، فضلا عن اتفاقيات جنيف في عام 1969، والبروتوكولات الملحقة بها. وبعد ذلك بسنتين انعقد الحوار مجددا في الأمم المتحدة وخارجها لتنفيذ الاحترام العالمي لحقوق الإنسان. وانهقد مؤتمر طهران في 1968، وكان بمثابة خطوة هامة على طريق تعزيز حقوق الإنسان، كحق الشعوب في تقرير مصيرها واحترام سيادة واحترام النظام السياسي والاجتماعي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وحق الفرد في العيش بحرية وكرامة.

وخلال عقد السبعينيات، حدث تطور كبير بخصوص موضوع حقوق الإنسان، حيث جرى تعديله كمبدأ أمر وملزم من مبادئ القانون الدولي، بموجب وثيقة مؤتمر هلسنكي للأمن والتعاون الأوروبي، الذي تم عقده في 1975/8/1.

ومع انهيار النظام الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، والذي كان قائما على الأفكار الماركسية، وانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين، وتدعيم النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة، أخذ موضوع حقوق الإنسان يطرح من زاوية مختلفة، حيث تدعمت أسسها في مؤتمر باريس الذي عقد في 1990، عندما وضعت آليات جديدة لمراقبة انتهاكات حقوق الإنسان، منها إنشاء مكتب أوروبي للإشراف على شرعية الانتخابات، وتحديد معالم النظام الديمقراطي التعددي لاحترام حقوق الإنسان، وقد بنيت تفسيرات واضحة لحقوق وحرريات الإنسان الأساسية، وأكد على حماية حقوق الأقليات الوطنية، وضمان ممارستهم لحقوقهم (شعبان، 2001: 11). ومع التطورات السياسية التي مر بها العالم، وفي أعقابها انعقد مؤتمر فيينا لحقوق الإنسان في 1993/6/4.

ومن ثم، فإن قضية حقوق الإنسان لم تعد قضية داخلية فحسب، وإنما قضية المجتمع الدولي بأسره، لذا أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المبادئ الآمرة والملزمة من الاتفاقيات الاشتراعية في القانون الدولي المعاصر ولا يفصل عنها (عفيفي، 2012: 107).

وعلى المستوى الإقليمي ظهرت العديد من الاتفاقيات حول حقوق الإنسان بصفة عامة، مثل الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان التي أبرمت في روما عام 1950 ودخلت حيز التنفيذ عام 1953. والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان عام 1969، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان الذي أقره مؤتمر القمة الإفريقي في نيروبي عام 1981 ودخل حيز التنفيذ في عام 1986.. أما على المستوى العربي فقد أعد مجموعة خبراء الأمة العربية من أهل الفكر والقانون المجتمعين في مدينة سيراكوزا في إيطاليا في عام 1981 مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب في الوطن العربي، والندوة البرلمانية الدولية بشأن البرلمان حارس حقوق الإنسان التي عقدت في بودابست عام 1993، وكذلك لجنة حقوق الطفل عام 1997 (بوادي، 2004: 16).

هذا فضلا عن عدد من المنظمات التي تؤدي دورها في العناية ببعض الحقوق، مثل: منظمة اليونسكو، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية.

وبخصوص الحقوق الاجتماعية التي أشارت إليها هذه المنظمات، وفي مقدمتها: الحق في الضمان الاجتماعي، والحق في الصحة وفي التعليم، وحق الأسرة في المساعدة، وحماية الأطفال والناشئين من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي. فقد حظيت هذه الحقوق باهتمام إعلانات والاتفاقيات الدولية، وكذلك باهتمام أغلب الدساتير الوطنية، كما شددت هذه المواثيق على الدول بأن تعمل على تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي بين الأفراد في المجتمع، وعلى تدعيم هذه الحقوق بأدوات الضمانات والتأمينات والدعاية المتنوعة المقدمة منها لأفراد المجتمع (كشاكش، 1987: 212).

3- حقوق الإنسان في الألفية الثالثة: اجتمع رؤساء وملوك العالم في قمة الألفية الثالثة التي عقدت في نيويورك من 6 إلى 8 أيلول عام 2000م. والذين قاربوا مائه وخمسون زعيما، وأكدوا مجددا على إيمانهم العميق بالمنظمة الدولية وميثاقها باعتبارهما أساسين لا غنى عنهما لتحقيق مزيد من السلام والرخاء والعدل في العالم. كما أكدوا في مشروع الإعلان الذي وقعوا عليه في ختام القمة على التزامهم بمسئوليتهم الجماعية لدعم مبادئ الكرامة الإنسانية والمساواة والعدل على المستوى العالمي، وبخاصة مسؤولياتهم تجاه أطفال العالم باعتبارهم أمل ونواة المستقبل.

ولقد أكدوا على الآتي:

- إقامة سلام عادل ودائم في جميع أنحاء العالم وفقا لأهداف ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها.
- عزمهم على مواجهة التحدي الأساسي لضمان جعل العولمة قوة إيجابية تعمل لصالح جميع شعوب العالم.
- التأكيد على ضرورة بذل الجهد في سبيل تخليص شعوب العالم من ويلات الحروب سواء داخل الدولة أو فيما بينها.
- السعي إلى القضاء على المخاطر التي تمثلها أسلحة الدمار الشامل.
- التأكيد على مسؤولية الدول منفصلة ومجتمعها تجاه دعم مبادئ الكرامة والمساواة والعدالة البشرية على المستوى الوطني والعالمي.
- هذا فضلا عن أن القمة أعطت موضوع حقوق الإنسان والديمقراطية والحكم الرشيد أهمية خاصة، حيث أكدت على احترام وتفعيل مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، بما فيها حقوق الأقليات، ومكافحة جميع أنواع العنف ضد النساء، وضمان حقوق المهاجرين (شعبان، 2001: 11).
- وبالنسبة للحق في الضمان الاجتماعي، والذي يعنى حق كل مواطن في أن يستظل بمظلة الضمان الاجتماعي التي تؤمن له الحياة الكريمة وتعطيه القدرة على مواجهة الطوارئ والعجز والفقر

لحمايته من الضياع، وأن تضمن له الحياة في مستوى معيشي ملائم وكريم، فقد أقرت التشريعات الدولية ضمان هذه الحقوق لكل مواطن تنطبق عليه شروط استحقاقها.

فقد ورد في المادة 22 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن: "لكل شخص بوصفه عضو في المجتمع، الحق في الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن توفر له من خلال المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق مع هيكل كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي لا غنى عنها لكرامته ولتنامي شخصيته في حرية. كما جاء في المادة 25 أن: "لكل فرد الحق فيما يأمن به الفوائل في حالات البطالة أو المرض أو العجز أو الترميل أو الشيخوخة أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته والتي تفقده أسباب عيشه".

كذلك فقد أكد العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هذا الحق، حيث جاء في المادة 9 منه: "تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل شخص في الضمان الاجتماعي، بما في ذلك التأمينات الاجتماعية" (ضبابة، 2010: 48).

4- حقوق الإنسان الجديدة: لقد ظهر عدد من الحقوق الجديدة، استلزمته طبيعة الحياة المعاصرة، نتيجة التقدم التكنولوجي، والمبتكرات الحديثة، والمتغيرات العالمية. كالحق في السلام، والحق في بيئة نظيفة، والحق في تنمية مستدامة، والحق في الاستهلاك والرخاء، والحق في الإبداع والخلق والابتكار، والحق في التعامل على قدم المساواة والحوار بين الحضارات بدلا من الصراع بينها، والحق في صياغة نمط عالمي للقيم يحترم كل الشعوب في مبادئها ومعتقداتها وتقدمها (جمال الدين، 2005: 159).

هذا فضلا عن أن الثورة العلمية والمعلومات الهائلة، وما ترتب عليها من تراكمات معرفية ضخمة قد أدت بدورها إلى حفز البعض لما سمي بالحق في تداول المعلومات وعدم جواز إخفاء أي معلومات عن الفرد إلا ما قد يمثل مصالح عليا للمجتمع (الصباح، ب. ت، 61).

الفصل الثالث

الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان

في الشرائع الإلهية وفي التشريعات الوضعية: الدولية والمحلية

تضمن هذا الفصل مبحثين، تناول الأول الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان، والعلاقة بينه وبين غيره من الحقوق، وبينه وبين كل من ظاهرة الفقر والحق في الضمان الاجتماعي. بينما تضمن الفصل الثاني توضيح أي من الشرائع أو التشريعات تضمن الحق في الحاجات الأساسية للإنسان.

المبحث الأول

الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان

أولاً: مفهوم الحاجات الأساسية: قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾. (طه: 117 – 119).

(شقى): تعس وساء حاله. وشقى في كذا: تعب واشتد عناؤه.

(الشقاء): العسر والتعب أو الشدة والمحنة.

(الشقي): التعس غير السعيد، والشقي: غير المهتدي. (ج) أشقياء. (المعجم الوجيز: 348).

ويفهم من هذه المعاني اللغوية لكلمة "الشقي" أن الشقاء أو التعب، هو شقاء عضلي وعقلي، كما يفهم من كلمة "فتشقى" أن الخطاب موجه لآدم وحده، بعد أن كان في الآية الكريمة بالنتنية، مما يشير إلى أن آدم هو الذي يشقى، ويشقى في سبيل أمر معين، هو تدبير المعاش، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (طه: 118، 119).

والآيات تحدد الحاجات الأساسية للإنسان، وهي: أنه يجوع، وأنه يعرى، وأنه يظمأ، وأنه يضحى. أي: الطعام والكساء والشراب والسكن. وليس هناك حاجات إنسانية أهم ولا أشد احتياجا للإنسان منها.

وجاء في تفسير ابن كثير: أن آدم خرج من الجنة، يشقى في تدبير طلب الرزق، وقد كان فيها ينعم بعيش رغيد بلا كلفة ولا مشقة، وقرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، كما قرن بين الظمأ والضحى لأن الظمأ حر الباطن وهو العطش والضحى - التعرض للشمس - حر الظاهر (بن كثير: 167).

وجاء في تفسير القرطبي، فتشقى: تتعب، والشقاء: شقاء البدن. إن لك في الجنة هذا كله: الطعام والكساء والشراب والسكن، وإن خرجت من الجنة شقيت نصبا وتعبا.. قال الحسن: المراد بقوله "فتشقى" شقاء الدنيا، لا يرى ابن آدم إلا ناصبا. وقال الفراء: هو أن يأكل من كد يديه (القرطبي: 4292).

وجاء في تفسير ظلال القرآن، "فتشقى": بالكس والعمل خارج الجنة، وأن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى: كل ذلك مضمون لك ما دمت في رحاب الجنة، والجوع والعري يتقابلان مع الظمأ والضحوة، وهي في مجموعها تمثل متاعب الإنسان الأولى في الحصول على الطعام والكساء والشراب والظلال (قطب، 1986: 2454).

كل هذا يؤكد أن الإنسان مأمور بالعمل والجد، وأنه لابد أن يشقى ويتعب في الحياة لكي يحصل على حاجاته الأساسية: الطعام والكساء والشراب والسكن، «فَامْتَشُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رَزْقِهِ..» (الملك: 15). وأن من قعد عن العمل فليس له إلا الحرمان، «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (النجم: 39). وهذه الحاجات الأربع مترابطة ومتكاملة ويعتمد بعضها على البعض الآخر، ولا بد من توافرها جميعا كي يحيا الإنسان ويستمر في الحياة، ويقدر على العمل والإنتاج.

ويرى أهل الذكر والاختصاص: أن جسم الإنسان عبارة عن جهاز يتمتع بحكمة، ومن حكمة هذا الجسم وتصرفه التلقائي على نحو ما خلقه الله سبحانه وتعالى، أن فيه استعدادا لتحويل الطعام إلى طاقات ثلاث على سبيل الحصر: طاقة ميكانيكية، وهي التي تمكن الإنسان من أن يرفع إصبعه ومن أن يقوم ويقعد أو أن يحرك عضو من أعضائه. وطاقة كهربائية، وهي التي ترفع الخبرات إلى المخ، أي إذا لمس الإنسان شيئا ساخنا مثلا أدرك أنه ساخن. وطاقة حرارية، وهي التي تحفظ عليه حياته فلا تقل درجة حرارته عن 37 درجة. وبين الطاقات الثلاث اتصال تتولاه الخلايا وحدها، فإذا نقصت إحدى الطاقات، نشطت الخلايا لامدادها بالقدر الذي نقص حتى يبقى للجسم حيويته، وأول الطاقات القابلة للتبديد هي طاقة الحرارة، فإذا تعرض الإنسان للبرد مثلا ضعفت مقاومته، وعندئذ تنشط الخلايا كلها وتمد الجسم بحرارة قد تزيد عن اللازم، فترتفع حرارته ويختل التوازن. والطاقة الحرارية هي أهم الطاقات جميعا، بحيث أن الإخلال بها يؤدي إلى الوفاة.

ومضمون هذه الحركة داخل الجسم أن بين الغذاء والكساء تكاملا، وتلخيص ذلك بأسلوب الاستقراء والمشاهدة: أن الطفل حديث الولادة تكون أجهزته الداخلية في الجسم كالمعدة والأمعاء أضعف من أن تحول طعاما كثيرا إلى طاقات، فضلا عن أن الغذاء نفسه يكون خفيف، والطاقات التي تتكون تحول إلى الفروع الثلاثة: الطاقة الحرارية والطاقة الكهربائية والطاقة الميكانيكية. ونظرا لأن قدرة الأجهزة الداخلية للطفل ضعيفة وأنه لا يتحمل تبديد أي شيء من الحرارة، فإنهم يكثرون لفه بالأقمشة، ويلبسونه ملابس كثيرة للتدفئة، ومن ثم فإن الكساء يتمم الغذاء، وعندما يتغير الوضع ويصبح الطفل شابا أو عندما يتخطى الشباب الخمسين. يؤكد ذلك أيضا أن السكان في المناطق الاستوائية يعيشون عرايا، لأن الجسم لا يسمح للطاقة الحرارية أن تتبدد، فليست الملابس بالضرورية، بينما في المناطق المعتدلة حتى القطب، نجد أنه مهما أكل الإنسان فإن الحرارة تتبدد فلا تبقى في الجسم حتى تحفظ عليه حرارته (إبراهيم، 1960: 6).

ويرى البعض: أن القرآن قرن الجوع بالعري، لأن مناسبة الجوع والعري مناسبة ظاهرة، إذ أن كل منهما فيه حفظ حياة الإنسان، وقرن العطش بالضحي (أي التعرض لحرارة الشمس) لأن التعرض لحرارة الشمس يكون سببا للعطش.

وهكذا نجد أن هناك تكاملا بين الغذاء والكساء، وبين الشراب وحرارة الشمس، وبينهما جميعا. وهذا التكامل والترابط حتى يكون متكاملًا، يتحتم وجود السكن (بمعنى المسكن أو مكان الإقامة، أو بمعنى الراحة والاطمئنان وهدوء النفس).. أي أن الحاجات الأربع الأساسية كحق من حقوق الإنسان (الطعام والكساء والشراب والسكن) متكاملة ماديا ومعنويا.. ومن ناحية أخرى، فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف مراد الله سبحانه وتعالى، فيدعي أن الشراب أقل منفعة أو قيمة من الطعام أو من الكساء أو من السكن، فالمنافع والقيم تتغير من زمن لآخر ومن مكان لآخر، وحسب الحاجة والندرة. بل وسوف يأتي يوم تقوم فيه الحروب بين الدول نتيجة لنقص المياه.

والحق في الحاجات الأساسية للإنسان يساوي تماما حق الحياة، أو الحق في البقاء على الحياة، وحق الوجود، لأن الإنسان لا يستطيع أن يضمن لنفسه البقاء دون أن يقوم بتناول حد أدنى من الاستهلاك، أو الحصول على حد أدنى من هذه الحاجات الأساسية، مع ملاحظة أن حق الحياة الذي نحن بصددده ليس هو حق الحياة المتعارف عليه كحق من الحقوق الشخصية للفرد بمعنى أن له الحق في سلامة جسمه أو الحرية الجسمانية، فالإنسان له الحق في الحياة بمعنى عدم الاعتداء على جسمه، بينما المقصود بحق الحياة هنا بقاءه على الحياة: إما أن يحيا وإما أن يموت.

والحق في الحاجات الأساسية للإنسان يساوي ما اصطلح على تسميته في المنهج الإسلامي بحد الكفاية، ويعني أن كل فرد يحصل على حاجاته الأساسية من الطعام والكساء والشراب والسكن حسب المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه.

وبناء عليه، فإنه يمكن تعريف الحاجات الأساسية للإنسان، بأنها: تلك الحاجات التي تقيم صلب الإنسان وتقويه وتجعله قادرا على العمل والإنتاج.. ومن الضروري أن تتلاءم هذه الحاجات

مع متطلبات الزمان والمكان والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للبيئة المحيطة بالإنسان، لأنه يعيش داخل مجتمع يعتمد عليه ويتفاعل معه يؤثر ويتأثر به، ومن ثم بمواصفات هذه الحاجات، يحس ويشعر بأنه عضو فاعل في المجتمع الذي يعيش فيه.

ثانياً: الحق في الحاجات الأساسية وما عداه من الحقوق:

يرى بعض الباحثين أن هناك عدد من العوامل المشتركة التي تجمع بين كل حقوق الإنسان، نذكر من بينها الآتي:

- أن حقوق الإنسان ليست لها قيمة مالية: الأمر الذي يخرجها من دائرة التعامل.
- أنها حقوق لصيقة بشخصية الإنسان: ومرتبطة بوجوده وتلازمه طوال حياته.
- أنها لا تسقط بالتقادم: إذ أن عدم استعمال هذه الحقوق مهما طال مدته لا يحول دون من تقرر له أن يمارسها متى رغب في ذلك.
- أنها حقوق مطلقة: يجوز لمن تقرر له أن يحتج بها في مواجهة الغير.
- أنها لا تنتقل بالتنازل أو بالميراث: وتنقضي بموت من تقرر له.
- أنها حقوق يجب الوفاء بها لكل البشر دون تمييز: أيا كانت صفاتهم وأجناسهم وثقافتهم وطبقاتهم، فإنهم يتمتعون بها على قدم المساواة.

غير أنه يلاحظ أن الحاجات الأساسية للإنسان تختلف عن غيرها من الحقوق في بعض الجوانب، والتي من أهمها:

- أن الحاجات الأساسية مادية ومن ثم تخضع للتبادل أو التعامل في السوق، إنها تكون الجانب المادي الذي تتوقف عليه حياة الإنسان، بينما غيرها من الحقوق معنوية، تساعد الإنسان على زيادة إنتاجيته وتجعل حياته أفضل.
- أنها وجدت منذ وجد الإنسان، وترافقه منذ تكوينه جنينا، إلى ولادته وحتى وفاته، فهي ذاتية لا تنفصل عنه، لأنه بدون حد أدنى منها لا يضمن لنفسه البقاء، ولا بد أن يكون توفرها

متصلا، ولمدى الحياة. بينما الحقوق الأخرى، كالحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، فإن الإنسان يمكن أن يعيش بدونها فترة قصيرة أو متوسطة أو طويلة، أو يعيش لمدى الحياة دون أن ينعم بأي منها.

- أنها أساس قيام وبناء الجسم، فلا يمكن لأي تشريعات قانونية أو مبادئ أخلاقية أن تحجبها عن الذي يحتاج إليها، حتى ولو كان مهددا بالقتل.
- أن الحاجات الأساسية للإنسان قد توفر لمرة واحدة أو لفترة مؤقتة، يصبح بعدها قادرا على العمل والإنتاج.

ثالثا: الحق في الحاجات الأساسية للإنسان و ظاهرة الفقر:

(الفقر): العوز والحاجة. وفقر الدم: نقص به، واضطراب في تكوينه، يصحبه شحوب وتتابع في النفس وخفقان في القلب.. و(الفقير): من لا يملك إلا أقل القوت. و(القوت): هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، (ج) أقوات. و(الطعام) كل ما يؤكل وبه قوام البدن، (ج) أطعمة. ومن هذه المفاهيم اللغوية يتضح أن الفقير هو: كل ما لا يملك من الحاجات الأساسية ما يغطي كفايته أو من لا يملك منها شيئا. ويعتمد الفقراء في توفير حاجاتهم على الأصل الوحيد الذي يملكونه والمتمثل في العمل، فالعمل هو الأداء الرئيسية للوفاء بالحاجات الأساسية لكل الناس، عدا فئة غير القادرين على العمل، والذين يحصلون على حاجاتهم الأساسية عن طريق التحويلات الحكومية أو غيرها.

والحكومة هي الفاعل الرئيسي في توفير الحاجات الأساسية للذين لا تتوفر لديهم هذه الحاجات، أو أن ما يمتلكونه منها لا يشبع حاجتهم الملائمة، وذلك من خلال سياسات الدولة الاقتصادية والاجتماعية، فالدولة بإمكاناتها المالية والمؤسسية هي القادرة على وضع أسس التنمية المستدامة بما يضمن تغطية هذه الحاجات لمستحقيها (عزام، 2010).

وقد اختلف الباحثون والمفكرون عند تعريفهم للفقر، فكانت هناك آراء متعددة، اختلفت باختلاف الثقافات ووجهات النظر. ومن هؤلاء من يرى:

- أن أي عائلة تعتبر فقيرة عندما لا يكفي دخلها للحصول على الضروريات.
- أو من ينظر إلى الفقر في ضوء الحد الأدنى من الدخل الذي يحتاج إليه الفرد في سن العمل والذي يكفي للحصول على الغذاء والكساء والوقود والإيجار مع وجود هامش يمثل عدم الكفاءة في الإنفاق.
- ومنهم من يعرف الفقر بالنظر إلى العائلات التي لا تملك الدخل النقدي الكافي لضمان الحد الأدنى من الطعام والماء والملبس.
- كذلك فإن من الباحثين من يعرف الفقر حسب تعريف موضوعي، يتمثل في تعيين مستوى محدد من الدخل أو الإنفاق ويعتبر هذا المستوى هو الحد الفاصل بين الفقراء وغير الفقراء، بما يعرف بخط الفقر (كريم، 1994).
- ويعتبر البنك الدولي أن الفقراء نسبيًا، هم كل الأفراد الذين يقل دخلهم السنوي عن ثلث نصيب الفرد من الدخل القومي (عبد العال، 2000: 6).

المداخل الحديثة لمفهوم الفقر:

- توجد عدة مداخل لمفهوم الفقر، من أهمها:
- مدخل حقوق الإنسان: ويعتمد على الحماية القانونية لكرامة الإنسان وحرياته الأساسية، فالفقراء بشر لهم كرامة ينبغي الحفاظ عليها، وقد تم تعديل أهداف الألفية الثالثة ليكون أول هذه الأهداف هو تقليل الفقر والجوع، وتم تحديد اليوم العالمي لتقليل الفقر في 17 أكتوبر 2002، وقد أشار فيه الأمين العام للأمم المتحدة إلى أن الفقر لا بد أن تؤكد عليه حقوق الإنسان، حيث لا يتصور التمتع بهذه الحقوق بدون موارد، كالأمن الغذائي والتعليم والصحة والعمل والملكية.

- مدخل الحكم الرشيد: يستند هذا المدخل إلى أن الحكومة ينبغي أن تكون شفافة ويتم محاسبتها، وأن تهتم بالرفاهية الكلية للبشر، والبشر أنفسهم ينبغي أن تتوفر لديهم القدرة على التأكد من أن اهتماماتهم تم أخذها في الاعتبار، وأن الحكم السيء يقف وراء معوقات التنمية بما في ذلك الفقر، وأن تحرير السوق والديمقراطية، يدخل ضمن الحكم الرشيد.
- مدخل إعادة الهيكلة الاجتماعية: مضمونه أن هناك عالم أفضل يمكن الوصول إليه من خلال تقليل نمو الفقر، الأمر الذي يستدعي تدخل الدولة لتحليل الأسباب الرئيسية للفقر، والبحث عن طرق بديلة لمواجهة الهياكل السياسية والاقتصادية في المجتمع والتي تبقى البشر عديمي القدرة وفقراء، مع القيام بمواجهة الفقر وأسبابه، والقيام بإجراء هيكلية لزيادة قدرات البشر (عزام، 2010).

وقد أدخل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مفاهيم الفقر البشري والتنمية البشرية المستدامة، مضيفاً مفهوماً جديداً للفقر غير فقر الدخل، يسمى فقر القدرة، حيث يركز الأول على دخل الأسرة المعيشية ويعرف الفقر في ضوء السلع والخدمات التي يتم الحصول عليها في ضوء هذا الدخل، وبذلك يتحدد مستوى أدنى من الاستهلاك باعتبار الأسرة التي يقل مستوى استهلاكها عنه أسرة فقيرة (أسعد، 1999).

أما فقر القدرة فإنه يتعدى الحصول على الحد الأدنى من الدخل النقدي كتعريف للفقر، حد يعرف الفقر بأنه فشل القدرات في أداء مهام تعتبر ضرورية لرفاهية البشر (عزام، 2010).. أي أن فقر القدرة يشمل حاجات اجتماعية وسياسية وثقافية، ويتضمن تحقيق احترام الذات والقدرة على المشاركة في الحياة الاجتماعية المدنية.

ونستطيع أن نخلص مما تقدم عن العلاقة بين الحاجات الأساسية للإنسان والفقر، أن الفقير هو كل من لا يملك من الحاجات الأساسية ما يغطي كفايته منها، وأن السبب الأساسي والوافي لكفاية هذه الحاجات هو عمل ومشقة صاحب الحاجة ذاته، وأن الدولة هي التي تساعده على العمل بتوفير

الفرص الملائمة لكل حالة.. وأن كل هذه المفاهيم للفقر، والمداخل الأساسية لدراسته، تقع في إطار الحاجات الأساسية للإنسان، ولا تخرج عنها، وبخاصة مفهوم فقر القدرات الذي يكاد يتفق مع مفهوم الحاجات الأساسية للإنسان، حيث أشار إلى أن القدرات (الدخل والتعليم والصحة وحقوق الإنسان المدنية والثقافية) تؤدي دورا فعالا في تمكين البشر من فعل ما يريدون.

أي أنه يشير إلى أن الفقر يمثل نقصا في دخل الفقير - دون تحديد لمصدر الدخل - وبالتالي نقص في قدراته، وبخاصة قدرات أساسية ثلاث، هي: التغذية الصحية والصحة والتعليم. بينما الحاجات الأساسية للإنسان مصدرها الدخل مقابل العمل، وهذا هو الأصل وهو أساس البناء وأساس الانطلاق الذاتي للحصول على مختلف الحقوق الأخرى.

رابعاً: الحق في الحاجات الأساسية والحق في الضمان الاجتماعي:

يقصد بالحق في الضمان الاجتماعي، حق كل إنسان في أن يحصل من نظام الضمان الاجتماعي على حاجته الضرورية من السلع والخدمات، بما يضمن له البقاء على الحياة والقدرة على مواجهة ما قد يحدث في المستقبل من طوارئ، كالفقر والعجز والمرض. ومع أن الهدف من كلاهما واحد، وأن المسئول الأول كفالتهما واحد، يتمثل في الدولة، إلا أن بينهما مجموعة من الفروق، نوضحها فيما يلي:

- أن الذي له الحق في الضمان الاجتماعي يحصل عليه في صورة نقدية ودون مقابل منه، بينما الذي له الحق في الحاجات الأساسية للإنسان فإنه يحصل عليه مقابل عمل (دخل مقابل عمل).
- أن الذي يتحمل الأعباء بالنسبة للضمان الاجتماعي هو أساسا الدولة مع الجمعيات الخيرية والمجتمع المدني أو أصحاب الخير، بينما الذي يتحملها في حالة الحاجات الأساسية هو الدولة ثم صاحب الحاجة، عدا فئة قليلة تتمثل في الذين لا يستطيعون أن يمارسوا أي نشاط إنتاجي.

- أن الدخل من الضمان الاجتماعي يحول إلى إنفاق استهلاكي لا عائد منه سوى ضمان حياة المستهلك، بينما دخل الحاجات الأساسية مقابل العمل يؤدي إلى زيادة فرص العمل وزيادة الإنتاج.
- أن التمويل عن طريق العمل شرف لصاحب الحاجة وكرامة وعبادة وعزة نفس، بينما عن طريق الغير (المساعدات الحكومية أو الجمعيات الخيرية) فإنه قد تكون فيه مهانة وعدم احترام للنفس.
- أن التمويل عن طريق الذات يؤدي إلى الحد من البطالة وزيادة الإنتاج وشعور الشخص بالمشاركة والانتماء، بينما عن طريق الضمان الاجتماعي أو عن طريق الغير فإن الذين يعتمدون على المساعدات الحكومية أو غير الحكومية يتحولون إلى أدوات مستهلكة غير منتجة ومتعطلة غير عاملة.

المبحث الثاني

تطبيقات الحاجات الأساسية في الشرائع والتشريعات

أولاً: في الشرائع السماوية:

1- الحاجات الأساسية في الدين اليهودي:

إن اليهود رغم ما ذكر في شرائعهم من قيم وأخلاقيات، تنبئ طريقهم وتجعلهم يسلكون سبل الاستقامة والرشاد، ورغم دعاء الأنبياء الاجتماعيين في أسفار بني إسرائيل، لتطبيق الحق والعدل والاهتمام بدور الضمير في صياغة الحقوق، وخضوع السلوك للتوجيهات التي تدفع المرء إلى الاتجاه الصحيح أو الاتجاه الخاطئ، وأن الفضيلة التي يقدمها المرء أو الرذيلة الصادرة منه لا علاقة لهما بشقائه أو سعادته، ومع وجود كافة التشريعات المنظمة للحقوق والواجبات في التوراة، وفيما ظهر في بعض الأسفار من ملامح توضح الشريعة على يد بعض الأنبياء، وتبين تعليمات جديدة تعبر عن أفق إنساني شامل يطرح فكرة أكثر عقلانية في التسامح والعدالة.

رغم كل ذلك إلا أن الشخصية اليهودية تربت على الحقد والكراهية، ونبذ كل تعاون ومحبة، والابتعاد عن الحريات الإنسانية والعقيدة الصحيحة (عفيفي، 2012). وذكر أحد الباحثين أن من مبادئهم: أن قتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافئ عليها الرب. وإذا لم يتمكن من قتله فواجب عليه أن يتسبب في هلاكه في أي وقت وبأي طريقة ممكنة، وأنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تملك باقي الأمم من الأرض، لتبقى السلطة لليهود وحدهم.

إنهم رغم التطورات الحديثة والمعاصرة التي أصابت وغيرت كل دول العالم، وجعلتها تتجه إلى الحرية والإخاء والمساواة وحب الخير للجميع، على الأقل في اعلاناتهم ومواثيقهم، ما زالوا ينكرون الحقوق ويمارسون الظلم والقهر ونبذ الآخر، والتحدي للقيم والمبادئ الإنسانية.. فهل هؤلاء يعتبرون بحقوق الغير؟ وهل يمكن أن توجد لديهم رغبة في خدمة الآخر؟

2- الحاجات الأساسية في الدين المسيحي:

على العكس تماما مما هو سائد في الديانة اليهودية من تطرف في الشر، أعقبه في الديانة المسيحية تطرف في الخير، دعوة دينية خالصة إلى حرية العقيدة، وإلى التسامح والمساواة ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، بهدف تحقيق مثل عليا للإنسانية، معتمدة على قيم السماء وهادفة إلى محاربة التعصب الديني وحب الذات ونبذ الآخر الذي أفرزه أحبار اليهود وحاخاماتهم.

وليس من الضروري ذكر أكثر من ذلك، ولكن نؤكد كما تقدم أن الشرائع المسيحية وتطبيقات مبادئها وأخلاقياتها الإنسانية، تتجلى فيها جميع الحقوق التي تصون الكرامة الشخصية للبشرية كافة. فالإنسان لدى المسيحية يستحق الاحترام والتقدير، ومن ثم هي تبغي إنقاذ المجتمع من المادية البغيضة والحقد الكامل اللذين زرعهما اليهود في نفوس الناس، والقضاء على التمييز الطبقي والديني ونشر المحبة والتسامح والتكافل بين الناس جميعا، لذلك فإن المسيحية بصفة عامة جاءت لتضمن للناس جميعا، حقوقهم في العمل وفي توفير حاجاتهم الروحية.

3- الحاجات الأساسية في الدين الإسلامي:

ينفرد الدين الإسلامي بكفالة وتحديد حاجات الإنسان الأساسية، وبالعودة إلى الوثيقة الإسلامية الثانية التي أعلنها المجلس الإسلامي الدولي للعالم في باريس في 19 سبتمبر 1981، نجد ضمن الحقوق الاقتصادية بند (15) فقرة (د) النص على أن لفقراء الأمة حق مقرر في مال الأغنياء تنظمه الزكاة، «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (المعارج: 24 ، 25). وهذا الحق الذي أوجده الله للمحتاجين في مال الأغنياء، إنما يقدر بقدر كفايتهم من القوت والملبس والسكن وسائر الحاجات الضرورية التي لا يستغني عنها الإنسان ليعيش.

وفي الحديث عن علي - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله حرم على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقرائهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم، ألا وأن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما" (رواه الطبراني).

وجاء في بند 18 "حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة" أن: "من حق الفرد أن ينال كفايته من ضروريات الحياة من طعام وشراب وملبس ومسكن، وما يلزم لصحة بدنه من رعاية، وما يلزم لصحة روحه وعقله من علم ومعرفة وثقافة، في نطاق ما تسمح به موارد الأمة، ويمتد واجب الأمة في هذا ليشمل ما لا يستطيع الفرد أن يستقل بتوفيره لنفسه من ذلك" .. «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (الأحزاب: 6). وروي أن: "رجلا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب صدقة، فأمره النبي بالانتظار، ثم دعا بقدوم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيه، ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان معين ليحتطب ويكسب قوته وقوت عياله، وطلب إليه الرسول أن يعود إليه بعد أيام ليخبره بحاله ..".

وهكذا يتضح أن الدين الإسلامي قام بتحديد الحاجات الأساسية للإنسان، وحدد مسؤولية الدولة عن القيام بتوفير هذه الحاجات، عن طريق العمل للقادرين عليه، بتمويل من بيت مال المسلمين

المسئول عن توفير العمل للمحتاجين إليه، والذي تمتد مسؤوليته إلى كفالة الشيخوخة والعجز والأولاد الضعاف إذا مات عائلهم (المصري، 1982: 110).

وهكذا نجد أن الإسلام جاء كخاتم للأديان، متضمنا أصلا من الأصول الثابتة، يتمثل في ضمان حق الكفاية لكل فرد في المجتمع (الفنجري، ب. ت: 12). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلِسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: 24 ، 25). وقال - صلى الله عليه وسلم - : "من ترك كلاً فليأتني فأنا مولاه" .. أي من ترك ذرية ضعيفة فليأتني بصفتي الدولة، فأنا مسئول عنه، كفيل به .. وقال - صلى الله عليه وسلم - : "من ترك ضياعاً فإلي وعلي" (رواه البخاري ومسلم).

ثانياً: الحاجات الأساسية في التشريعات الدولية:

نصت كل الإعلانات والاتفاقيات والمواثيق والمنظمات الدولية على الحق في الضمان الاجتماعي، وحق الأسرة في المساعدة، وحماية الأطفال والناشئين من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي.. وفي نفس الوقت شددت على مختلف الدول بأن تعمل على تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وعلى تدعيم هذه الحقوق بأدواته ووسائل الضمانات والتأمينات.

فقد جاء في المادة 22 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن: "لكل شخص بوصفه عضواً في المجتمع، الحق في الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن توفر له من خلال المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق مع هيكل كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي لا غنى عنها لكرامته ولتنامي شخصيته في حرية". ونصت المادة 25 أن: "لكل فرد الحق بما تأسن به الغوائل - الشدائد والمصاعب - في حالات: البطالة أو المرض أو العجز أو الترميل أو الشيخوخة، أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته، والتي تفقده أسباب عيشه".

كما أكد العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هذا الحق، حيث نصت المادة 9 منه على أن: "تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل شخص في الضمان الاجتماعي بما في ذلك التأمينات الاجتماعية".

كذلك نص في مشروع إعلان الأمم المتحدة بشأن الألفية الثالثة في الجزء الخاص بالتنمية والقضاء على الفقر، على أن: "رؤساء وحكومات الدول لن يدخروا أي جهد في سبيل تخليص بني الإنسان: الرجال والنساء والأطفال، من ظروف الفقر المدقع المهينة واللا إنسانية، وملتزمون بجعل الحق في التنمية حقيقة واقعة لكل إنسان، وتخليص البشرية قاطبة من الفاقة".

ويلاحظ أن كل ما جاء في الإعلانات والمواثيق الدولية بشأن الضمان الاجتماعي، والقضاء على الفقر، يتضمن عبارات عامة وغير محددة لحاجات الإنسان الأساسية، مثل: الحق في الضمان الاجتماعي، والحق في العيش بدون خوف، وحق الفرد في عيشة كريمة.. إلخ. وأنها تعبر عن رغبات وطموحات أو قرارات صادرة من غير مسئول بصورة مباشرة عن رعاية دولة معينة، وأن هذه الآمال والطموحات والقرارات هي غير ملزمة ويصعب تطبيقها.

ثالثاً: تطبيقات الحاجات الأساسية في القوانين: السعودية والمصرية:

1- الدستور المصري:

نصت المادة 8 من الدستور المصري الصادر عام 2014 على أن: "يقوم المجتمع على التضامن الاجتماعي، وتلتزم الدولة بتحقيق العدالة الاجتماعية، وتوفير سبل التكافل الاجتماعي، بما يضمن الحياة الكريمة لجميع المواطنين، على النحو الذي ينظمه القانون".

كذلك نصت المادة 17 منه على أن: "تكفل الدولة توفير خدمات التأمين الاجتماعي، ولكل مواطن لا يتمتع بنظام التأمين الاجتماعي الحق في الضمان الاجتماعي، بما يضمن له حياة كريمة، إذا لم يكن قادراً على إعالة نفسه وأسرته، وفي حالات العجز عن العمل والشيخوخة والبطالة، وتقوم الدولة بتوفير معاش مناسب لصغار الفلاحين والعمال الزراعيين والصيادين والعمالة غير المنتظمة، وفقاً للقانون".

وجاء في المادة 81 أن: "تلتزم الدولة بضمان حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة والأقزام". وفي المادة 83 أن: "تلتزم الدولة بضمان حقوق المسنين، صحيا واقتصاديا واجتماعيا، وتوفير مناخ مناسب يكفل لهم حياة كريمة".

أما عن الجانب التطبيقي، فإن وزارة الشؤون الاجتماعية بجمهورية مصر العربية، تعمل جاهدة - وعلى حسب امكاناتها ومواردها - على توفير الحاجات الأساسية للسكان الذين لا تتوافر لهم هذه الحاجات، أو أنهم لا يستطيعون ممارسة عمل كليا او جزئيا يوفر لهم هذه الحاجات، وذلك عن طريق مجموعة من الأجهزة والبرامج الحكومية والخاصة.

2- الدستور السعودي:

نص النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، رقم (أ / 90) الصادر بتاريخ 27-8-1412 هـ، في مادته الأولى على أن: "المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله". وهذا النظام يعد الوثيقة الدستورية الأولى في المملكة (الكحلوي، ب. ت: 90).

كذلك نصت المادة السابعة من هذا النظام على أن: "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام في جميع أنظمة الدولة". وهكذا نجد أن الشريعة الإسلامية هي سقف المشروعية في المملكة.. أي أن كافة الأنظمة، بما فيها النظام الأساسي للحكم، يلزم أن يتواءم مع أحكام الشريعة الإسلامية، لأنها هي الأساس (العجمي، 1438هـ: 161). وبما أن الأمر كذلك، فإن الحاجات الأساسية كحق من حقوق الإنسان يقره الدستور السعودي.

وفضلا عن ذلك، فقد نصت المادة 27 من النظام الأساسي: "تكفل الدولة حق المواطن وأسرته في حالات الطوارئ والمرض والعجز والشيخوخة، وتدعم نظام الضمان الاجتماعي، وتشجع

المؤسسات والأفراد على الإسهام في الأعمال الخيرية". كما جاء في المادة 28 منه: "تيسر الدولة مجالات العمل لكل قادر عليه .. وتسد الأنظمة التي تحمي العامل وصاحب العمل".

وقد تضمنت الخطط الخمسية للتنمية في المملكة العربية السعودية، والتي بدأت بها منذ عام 1975 واستمرت فيها حتى الوقت الحاضر، مجموعة من الأهداف، من بينها: رفع المستوى المعيشي، وتحسين نوعية الحياة لجميع فئات المجتمع، وتنمية الموارد البشرية، ورفع إنتاجيتها، وتوسيع خياراتها في اكتساب المعارف والمهارات والخبرات، وتطوير قدرات الشباب: الريادية والمعرفية والبدنية، ورفع كفاءتهم للإسهام الفاعل في التنمية، وتيسير حصول المواطنين على السكن الملائم وفق برامج وخيارات متنوعة تلبي الطلب ... كما تميزت هذه الخطط بالتركيز على العنصر البشري، باعتبار أن الإنسان هو الهدف الأساسي لجهود التنمية، وأن بناء الإنسان و توفير احتياجاته وتحقيق سعادته ورفاهيته هو هدف تسعى إليه عملية التنمية من خلال استغلال الموارد.¹

كذلك، فإن الإسلام، وهو يوفر سبل الحياة الكريمة للإنسان، ويكفل له ما يحتاج إليه في حياته المعيشية، من طعام وكساء وشراب وسكن، وما يتطلبه ذلك من ممارسة النشاط الاقتصادي، لا يُقصر ذلك على المسلم دون غيره، مثال ذلك: ما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الشيخ اليهودي من أن تطرح جزيته ويُعال من بيت مال المسلمين هو وعياله.²

وإلى هذا الحد من التحليل نسأل:

- الحاجات الأساسية لمن؟
 - ومن هو المسئول عن توفيرها في البداية، والتحقق من تنفيذها واستمرار تطبيقها؟
- ويمكن الإجابة على النحو التالي:

من هم الذين لهم الحق في الحصول على الحاجات الأساسية للحياة؟

¹ناصر بن محمد البقمي، حقوق الانسان في الاسلام وتطبيقاتها في الأنظمة السعودية ، ط3، 1436 هـ 2015م، الرياض، ص 105 - 107.
² نفس المرجع، ص 130.

والإجابة هي:

أن جميع الأفراد في المجتمع، سواء كانوا يمارسون عملاً أو لا يمارسونه، سواء كانوا قادرين عليه أو غير قادرين، يحققون دخلاً من مصادرهم الخاصة أو لا يحققون، وسواء كان هذا الدخل لا يكفي على الأقل لاحتياجاتهم الأساسية أو ليس لديهم دخل مطلقاً، لأي سبب من الأسباب غير الإرادية، كل هؤلاء رغم اختلاف فئاتهم ونوعياتهم وقدراتهم وأعمارهم واحتياجاتهم ودرجات الغنى والفقير.. إلخ، كل هؤلاء لهم الحق في الحصول على الحاجات الأساسية في أي وقت يكونون في حاجة إليها، (وهو حق وجد منذ بدأت الحياة على الأرض).. ذلك لأن ضمان المستقبل يتنافى مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنمو بقوة وفعالية، ومع المعارف الجديدة والتي تتسم بالديناميكية والتطورات السريعة والمتلاحقة، والتي لا تترك فرصة للقول: بوجود تأكيد في المستقبل (تأمل فيروس كورونا وما يترتب عليه من نتائج في كل دول العالم، وبخاصة وقف الأعمال وانقطاع الدخول).

أما عن السؤال الثاني فإنه يمكن الإجابة عنه بعد أن نوضح ما يلي:

1- أهمية العمل:

إن العمل يحظى بمكانة عظيمة بين كل عوامل الإنتاج الأخرى، لأنه أساس النشاط الإنساني وأساس التقدم والنماء والرخاء، كذلك عظمت كل الأديان ورفع الإسلام منزلته وجعله معيار لكل قيمة، واعتبره أداة الإنتاج الأولى والوسيلة الرئيسية للتملك (السيد، 2000: 159). وحث الناس جميعاً على العمل ودعاهم إلى الجد والاجتهاد والسعي في الأرض ابتغاء فضل الله، بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعهها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه" (رواه البخاري). كما يقول - عليه الصلاة والسلام -: "اليد العليا خير من اليد السفلى" (رواه البخاري).

بل إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوجب على الفرد أن يكون عضواً نافعا في الجماعة يسهم في خير المجتمع وصالحه، بما يبذل من عمل، فيقول: "على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد، قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قيل: أرأيت إن لم يستطع، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل: أرأيت أن لم يستطع، قال: يأمر بالمعروف أو الخير" .. وليس هناك دعوة للعمل والإنتاج والتعمير أفضل من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فله بذلك أجر" (رواه أحمد). وقال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده" (رواه البخاري).

2- أهمية المواهب الطبيعية:

إن مواهب الفرد، يجب أن تعمل جميعا فلا تعطل منها واحدة، فهذا هو قانونها الذي سويت عليه، وما خلقها الله سبحانه وتعالى إلا لتأدية مقاصد معينة، أي أنه خلقها لتعمل.. بل إذا وهبت له كانت بمنزلة أمر كوني أو تكليف إلهي بالعمل.. فالمواهب الطبيعية مناط التكليف، ومن لا مواهب له لا تكليف له، يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا..﴾ (الطلاق: 7). أي أن الفرد مكلف بأن يعمل في نطاق ما آتاه الله من مواهب، باختلاف الناس في المواهب معناه أن كل منهم أعد لعمل معين، قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله خلق كل صانع وصنعه"، وقال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" (أخرجه البخاري والبيهقي).. أي أن كل فرد قد اختيرت له وجهته وعمله وميدانه في الإنتاج، ويسرت له تلك الوجهة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبُهَا فَاسْتَغْنُوا الْخَيْرَاتِ..﴾ (البقرة: 148).

وبعد هذا فإن الإجابة هي:

أن المسئول عن كفالة حقوق الإنسان، وبخاصة الحق في الحصول على الحاجات الأساسية، (الطعام والكساء والشراب والسكن)، هو الدولة. وذلك للآتي:

- أن الدولة في الأساس هي المسؤولة عن توفير الأمن الاقتصادي والاجتماعي لجميع الأفراد في المجتمع، وبأن يحصل كل فرد على دخل يتلاءم مع احتياجاته الأساسية، بناء على علاقة التضامن القائمة بينهما، والتي توجب على الدولة أن توفر لهؤلاء الأفراد الخدمات العامة والاجتماعية، وتحمي أموالهم وممتلكاتهم بوصفهم رعايا تابعين لها بجنسيتهم أو بمواطنتهم، وأنهم يساهمون في التكاليف والأعباء العامة كل حسب مقدرته.
- أن الأصل في إقرار حقوق الإنسان وتنظيم حركتها ووضع قواعد تفعيل دورها هو الدولة الأم.. أي أن موضوع حقوق الإنسان، هو شأن داخلي، تسيره أي دولة بما يتفق مع ظروفها: الاقتصادية والاجتماعية والأمنية.. إنه رغم ما ورد في الإعلانات والمواثيق الدولية، وما ورد في قمة الألفية التي عقدت بنيو يورك من 6 إلى 8 أيلول عام 2000، من أن رؤساء الدول - ما يقرب من مائة وخمسين رئيساً - سوف يعملون على تخليص البلاد المظلومة والمقهورة من الحروب ومن الفقر، ومن عدم تطبيق حقوق الإنسان على المستوى الدولي، فإنه وبعد مرور 20 عاماً من الألفية، لم نر أو نشاهد أفعال حقيقية تخدم الدول الفقيرة وتساعد على أخذ حقوقها، بل أنه ما زالت بعض الدول تغض البصر وتغيب العقل عن قرارات الأمم المتحدة.
- أن الدولة في ممارستها لأشطتها الإنتاجية، لا تبغي من وراء ذلك تحقيق أرباح مادية، وإنما في الدرجة الأولى تحقيق أغراض اجتماعية، خلافاً للقطاع الخاص الذي يهدف في كل أعماله إلى تحقيق أكبر ربح ممكن. فالدولة قد تنتج بعض السلع والخدمات الضرورية وتقدمها لأصحاب الدخل المنخفضة بسعر التكلفة أو بأقل منه، كما أنها قد تقوم باستصلاح أراضي لا تحقق عائد منها قبل عدة سنوات لكنها تريد أن تنتج كمية أكبر من القمح مثلاً، لا تنتج منها ما يكفي حاجتها، ولأنها تستورد جزء كبير منها، ولا يوجد ما يضمن استمرار عمليات الاستيراد في هذه الغابة العالمية التي يأكل فيها الكبير الصغير، وعملية الإنتاج هذه

لا يمكن أن يقوم بها القطاع الخاص، ومن ثم فإن الدولة لكونها تعمل للصالح العام، هي التي تستطيع توفير قدر أكبر من الحاجات الأساسية للإنسان، عن طريق التشغيل. وترتيباً على ما تقدم، فأبني أرى: أن الدولة بما لديها من أجهزة إدارية متعددة، وفنون ومعارف جديدة، وبيانات كاملة وتفصيلية عن جميع الأفراد الذين لا يمارسون أي نشاط إنتاجي، أيا كانت أنواعهم وقدراتهم على العمل، وبما فيهم أصحاب القدرات الخاصة - أو كما يطلق عليهم الآن ذوي الهمم - يمكن أن تعمل على تكوين جهاز خاص بتشغيل هؤلاء، يضع نصب عينيه أهمية العمل وأهمية المواهب الطبيعية للأفراد، وبشرط ألا يلجأ هذا الجهاز إلى الوسائل التقليدية للتشغيل (كأن يطلب من العامل الذي يريد عملاً أن يقدم دراسة جدوى وأن يوفر مكان أو أن يحصل على قرض ميسر.. إلخ)، وإنما أن يقوم الجهاز بالتعرف على فرص الأعمال ودراسة الأنشطة الإنتاجية المتاحة ومدى أهمية تنفيذها والأماكن الملائمة لإقامتها - حسب موارد واحتياجات المكان - أيا كانت ضالة العمل أو النشاط، ما دامت هناك قدرات ومواهب يمكن أن تقوم به، وما دام يعد عملاً مشروعاً ونافعاً.

وبعد التعرف على فرص الاستثمار وجدواها، وتحديد أماكن إقامتها، سواء كانت مشروعات صغيرة أو متوسطة أو متناهية الصغر، يقوم الجهاز بتنفيذ وبناء بعض من هذه المشروعات، وإدارتها مؤقتاً، والتأكد من نجاحها.. ثم يقوم بنقلها إلى بعض العاملين الذين تناسب قدراتهم ومواهبهم مع أي منها، بأية وسيلة يراها الجهاز، مع اتخاذ بعض الإجراءات والقواعد التي تمكن الجهاز من متابعتها ومراقبة أعمالها.. ويمكن أن يترتب على هذا الآتي:

- أن الدولة سوف تتمكن من توفير قدر كبير من الحاجات الأساسية للإنسان بطريقة عملية ومنتجة ودائمة، فمثلاً في حالة "فيروس كورونا" تقدم مصر شهرياً 500 جنية نقداً لكل عامل توقف عمله ولمدة معينة، مبالغ نقدية تحول إلى إنفاق استهلاكي لا يترتب عليها أي تشغيل للعامل. بينما عندما تنشئ الدولة فرصة عمل على النحو السابق، فإن الحاجات

الأساسية للعامل الذي حصل على هذه الفرصة ستنتهي بالنسبة للدولة مرة واحدة، ويصبح العامل بعد ذلك قادرا على العمل والإنتاج، ينتج حاجاته بنفسه، بل ويساعد الآخرين في توفير احتياجاتهم.

- أن الدولة ستحد من حجم البطالة وترفع من مستوى النشاط الإنتاجي في المجتمع وترفع من المستوى الاقتصادي والاجتماعي للعاملين.
- أن نجاح هذه المشروعات سوف يؤدي إلى توفير بعض المنتجات الصناعية والخدمية التي يحتاج إليها الأفراد في المجتمع، وقد تستخدمها بعض المشروعات الأخرى كمدخلات إنتاج، بل قد تؤدي إلى نقص الواردات وزيادة الصادرات.
- أن الدولة بنجاح هذه المشروعات، سوف تحصل على موارد مالية كبيرة عن طريق الضرائب، وقد تحصل على عملات أجنبية نتيجة للتصدير.

وتأكيدا لما تقدم، فإن هذا لا يخرج عن المنهج الإسلامي، فقد ورد في البخاري: "أن رجلا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب صدقة فأمره النبي بالانتظار ثم دعا بقدوم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه وضعها فيها ودفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان معين ليحتطب ويكسب قوته وقوت عياله وطلب إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يعود إليه بعد أيام يخبره بحاله ..". فالرسول في هذا لم يكتف بإيجاد العمل للمتعمل، بل طلب أن يعرف نتيجة هذا العمل ليطمئن على حال العامل.

وروى عن خالد بن الوليد، أنه قال: "أيا شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام" (المصري، 1982: 65). والأصل في ذلك، حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كالا فإلينا" (رواه البخاري ومسلم).

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج: إن الهدف الرئيسي للبحث هو كشف وتوضيح أن الحاجات الأساسية للإنسان هي حق أصيل له، وأن توفيرها بقدر كافي يعد اللبنة الأولى في بناء الإنسان. وفي سبيل ذلك فقد أكدت الدراسة على الآتي:

- 1- أهمية حقوق الإنسان بصفة عامة، وأهمية ممارستها بحرية كاملة، حيث يدفع ذلك الفرد إلى العمل والإنتاج وتحقيق التقدم.
- 2- أهمية الحق في الحاجات الأساسية بصفة خاصة، إذ تمثل الطاقة التي تحرك وتفعل غيرها من الحقوق. فبدونها لا جدوى من وجود غيرها.
- 3- تؤكد الدراسة الاختلاف في آراء الفقهاء والمتخصصين والمذاهب الفكرية المختلفة تجاه مفاهيم حقوق الإنسان، ويرجع ذلك إلى طبيعة المشاكل أو البيئات التي ينتمي إليها المفكر، وربما انحيازه إلى بلده.
- 4- تؤكد الدراسة أيضاً أن الإعلانات والمواثيق الدولية وما يصدر عن المنظمات العالمية فيما يخص حقوق الإنسان، وإن كانت تنادي بوجود تمتع الإنسان بمختلف الحقوق، إلا أن ذلك يصدر عن دول سبقت في تطورها وتقدمها، أو دول تؤثر قدراتها السياسية والاقتصادية على القرارات الدولية، الأمر الذي يجعل هذه القرارات قد لا تتلاءم مع طبيعة الأوضاع في الدول النامية.
- 5- إن الأفكار والآراء والاتجاهات العامة والمواثيق الدولية، وإن كانت تنادي باحترام حقوق الإنسان كافة، وبالحق في الضمان الاجتماعي ومكافحة العوز والفقر والحد من البطالة والتمتية المستدامة وضرورة توفير حياة كريمة و ملائمة لجميع البشر دون تفرقة أو تمييز، إلا أنها لم توضح الحق في: "الحاجات الأساسية للإنسان".

6- إن الحق في الحاجات الأساسية للإنسان، قد ورد واضحا ومحددا في الدين الإسلامي.. فهذا الدين لم يأتي شأن الديانة اليهودية كرسالة خاصة لفئة معينة، ولا شأن الديانة المسيحية لمجرد الهداية الروحية، وإنما جاء كخاتم الأديان السماوية تنظيما متكاملا لكافة البشر في مختلف نواحي الحياة، وشاملا لمجموعة من الأصول التي جاءت بها نصوص القرآن والسنة ليلتزم بها الناس جميعا في كل زمان ومكان، بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادي أو أشكال الإنتاج السائدة، ومن أهم هذه الأصول: "ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع".

7- إن الحق في الحاجات الأساسية، هو حق مرتبط بالعمل الذي يمثل كل مقومات الحياة، بمعنى أنه حق لكل من يستطيع أن يمارس عملا، أي كانت مواهبه وقدراته، وأيما كان شأن العمل، يحقق له بذاته كفايته في الحياة. أما من لا يستطيع أن يمارس عملا، فإن الدولة تتكفل به: ﴿وفي أموالهم حقُّ للسائلِ والمحرِّومِ﴾ (الذاريات: 19)، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "من ترك كلا فليأتني فأنا مولاة".

ثانيا: التوصيات: في ضوء هذه النتائج العامة للبحث، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- 1- أن الإنسان يولد على الفطرة، وأنه خير بطبعه، وأن لديه شعور وإحساس خلافا لكل أدوات الإنتاج الأخرى. ومن ثم فإنه عندما يعطى حقه ويرفع من شأنه يخرج كل ما لديه من طاقات ايجابية.
- 2- أنه ما دامت الآراء والأفكار قد تكون متحيزة، أو أن القرارات الدولية قد لا تتلاءم مع ظروف وإمكانات الدولة، فإن على السلطات الحاكمة الوطنية أن تضع سياساتها وخططها بما يتلاءم ويتفق مع قدراتها المالية وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وبما يحقق الصالح العام، فهي في موقع التنفيذ وتترك الأمور وتهدف إلى تقدم الوطن لا العالم الخارجي.
- 3- إن زيادة فرص العمل للقادرين عليه، يؤدي إلى توفير الحاجات الأساسية لهم ويرفع من قدراتهم الإنتاجية، وبالتالي زيادة دخولهم وزيادة إنفاقهم على السلع والخدمات، الأمر الذي يؤدي إلى التطور والتوسع في عمليات الإنتاج.

4- إن الدولة هي القادرة على توفير الحاجات الأساسية للذين لا يقدرّون على العمل ولا تتوفر لديهم هذه الحاجات أو لا يمتلكون منها ما يشبع احتياجاتهم. وذلك من خلال سياسة الدولة الاقتصادية والاجتماعية، وتحفيز الجهات الخيرية.. فالدولة بإمكانها المالية والمؤسسة والإدارية هي القادرة على وضع أسس التنمية المستدامة، بما يضمن تغطية هذه الحاجات لمستحقيها.

5- لابد من التوسع في الاستثمار بصفة عامة، والاهتمام بقطاع الأعمال في جميع المجالات، مع التركيز على المشروعات الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر، ومواكبة ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، باعتبارها وسيلة لزيادة كفاءة وفاعلية العاملين، مع ضمان الوفاء بحق كل مواطن دون أي تمييز أو تفرقة.

6- وليس فقط الاستثمار وبصفة عامة، وإنما أيضا الاستثمار في البشر بصفة خاصة، أو الاستثمار في بناء الإنسان جسمانيا وعقليا، فالإنسان في النهاية هو هدف التقدم وهو في البداية أداة هذا التقدم. والثروة القومية الأولى في كل بلد هي البشر، وهذه الثروة ككل ثروة تحتاج المحافظة عليها وتنميتها.. وتنمية الثروة البشرية تعني في البداية رعاية قدرتها على العطاء وعلى العمل، ولا يكون ذلك بغير توفير حاجاتها الأساسية من الطعام والكساء والمشرب والمسكن والخدمات الصحية والتعليمية وغيرها، وتطوير قدراتها على البذل والعطاء.

7- إن توفير احتياجات المستحقين - قادرين على العمل أو غير قادرين - وزيادة عمليات الإنتاج، وزيادة فرص التشغيل، ليس مسؤولية الدولة وحدها، وإنما يجب أن يكون التعاون كاملا بين كل أجهزة الدولة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبين القطاعات الإنتاجية العامة والخاصة، أو بين كل أركان الدولة: الأرض والشعب والسلطة الحاكمة.. كل يخرج ما عنده ويستثمره في عمليات الإنتاج.

8- إن علي الدولة أن تعمل على إنشاء جهاز تشغيل لتوفير فرص العمل، تتمثل مهمته في حصر فرص الاستثمار، وبالتوازي حصر كل المواهب الطبيعية والمكتسبة لدى الأفراد. وبعد إعداد

المشروعات بمختلف أنواعها وتجهيزها للإنتاج، تنقل هذه المشروعات - بطريقة ما- إلى القادرين على العمل، كل حسب قدرته وعمله الملائم.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: الكتب:

1. أبو الوفا، أحمد، كتاب الإعلام بقواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية في شريعة الإسلام - حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، ج 6، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001.
2. أبو ضيف، سيد، وآخرون، حقوق الإنسان، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، 2006.
3. بطيخ، رمضان محمد، النظرية العامة للقانون الدستوري وتطبيقاتها في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.
4. بن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث.
5. بوادي، حسين، حقوق الإنسان بين مطرقة الإرهاب وسندان الغرب، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2004.
6. تناغو، سمير عبد السيد، النظرية العامة للقانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986.
7. جمال الدين، سامي، النظم السياسية والقانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2005.
8. الحلو، ماجد راغب، القانون الدستوري في النظم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2005.
9. حمزة، عمر يوسف، حقوق الإنسان في القرآن الكريم، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1998.
10. خليل، عثمان، تطور مفهوم حقوق الإنسان، عالم الفكر، الكويت، يناير/مارس 1999.
11. السيد، عبد الرحمن السيد، اقتصاديات الموارد والبيئة، دار الفكر المعاصر، سوهاج، مصر، 2018.

12. الشرقاوي، سعاد، النظم السياسية في العالم المعاصر، ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988.
13. شعبان، عبد الحسين، ثقافة حقوق الإنسان، منشورات رابطة كاو للثقافة، اربيل، العراق، 2001.
14. شقير، أبيب، تاريخ الفكر الاقتصادي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ نشر.
15. الصباح، سعاد محمد، حقوق الإنسان في العالم المعاصر، دار سعاد الصباح للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
16. عبد الحميد، عبد العظيم عبد السلام، حقوق الإنسان وحرياته وفقا لأحدث الدساتير العالمية والمواثيق الدولية، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005.
17. عبد العال، مصطفى محمود، التنمية البشرية في مصر: إستراتيجية التنمية البشرية في مصر من خلال القضاء على الفقر، كتاب المؤتمر العلمي الثاني والعشرين للاقتصاديين المصريين، 23-25 نوفمبر 2000.
18. العجمي، حمدي محمد، الوجيز في النظام الأساسي في الحكم في المملكة العربية السعودية، دار الإجازة للنشر والتوزيع، الرياض، 1438 هـ.
19. عطية، عصام، القانون الدولي العام، ط4، منشورات كلية القانون، بغداد، 1997.
20. عفيفي، عبد الخالق محمد، نعيم عبد الوهاب شلبي، حقوق الإنسان وتطبيقاتها في الخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، بورسعيد، 2012.
21. علوان، محمد يوسف، حقوق الإنسان في ضوء القوانين والمواثيق الدولية، الكويت، جامعة الكويت، 1998.
22. علي، إبراهيم محمد، جمال عثمان خليل، النظم السياسية - أسس التنظيم السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.

23. علي، عبد السلام، النظرية العامة لتعليم القانون، الكتاب السابع، مركز الإنسان في المجتمع، ط2، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1993.
24. الفنجري، محمد شوقي، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ب. ت.
25. فوده، السيد عبد المجيد، حقوق الإنسان بين النظرية القانونية الوضعية والشريعة الإسلامية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2004.
26. القرطبي، تفسير القرطبي، الجزء السادس، دار الريان للتراث، القاهرة.
27. قطب، سيد، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الثانية عشرة، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، 1406 هـ - 1982 م.
28. الكحلوي، رجب محمد السيد، الوجيز في النظام الدستوري في المملكة العربية السعودية والأنظمة الدستورية المقارنة، ط1، مكتبة الشفري، الرياض، 1438 هـ.
29. كريم، كريمة، الفقر وتوزيع الدخل في مصر، منتدى العالم الثالث، مكتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1994.
30. كشاكش، كريم يوسف، الحرية العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997.
31. متولي، عبد الحميد، الحقوق والحريات العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
32. محمد، حسين محمد، الوجيز في أثر الاتجاهات السياسية المعاصرة على حقوق الإنسان، جامعة الأردن، بدون تاريخ نشر.
33. مصطفى، كمال سيد، حقوق الإنسان ومعاييرها الدولية، جامعة صلاح الدين، العراق، 2004.
34. نجم، أحمد حافظ، حقوق الإنسان بين القرآن والإعلام، ط 2، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر، الكويت، 1992.

رابعاً: مراجع أخرى:

1. إبراهيم، عيسى عبده، ندوة لواء الإسلام، التي عقدت بدار مجلة لواء الإسلام، 10 جمادى الآخر 1380 هـ - 29 نوفمبر 1960 م.
2. أسعد، راجي، ملك رشدي، الفقر واستراتيجيات مواجهته في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، سبتمبر 1999.
3. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة الربع سنوية، بحث القوى العاملة، الربع الرابع، أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر 2019، إصدار فبراير 2020.
4. الخليل، عدنان حمودة، نظرية الحقوق والحريات العامة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، 1984.
5. رحيم، عبد الرحمن، الترابط العضوي بين حقوق الإنسان والديمقراطية، بحث منشور في مجلة كروان الأكاديمية، وزارة الثقافة، اربيل، العراق، السنة الأولى، العدد 12، المجلد الأول، 1997.
6. الشيخ، إبراهيم بدوي، حقوق الإنسان بين المجتمع الدولي والمجتمعات القومية، المجلة المصرية للقانون الدولي، 1978.
7. ضبابية، أميرة، ضمانات حقوق الإنسان، رسالة دكتوراه منشورة، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، 2010.
8. عاشور، علي، دور الأمم المتحدة في الرئاسة على حقوق الإنسان، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1993.
9. عزام، حسن حسني علي، دور الدولة في الحد من الفقر، رسالة ماجستير في الاقتصاد، كلية التجارة، جامعة بورسعيد، 2010.
10. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، الهيئة القومية العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1420 هـ - 1999 م

المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخيرية

د. عبد الرحمن بن يحيى الغميري

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد تخصص العقيدة _ كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة
آزال للتنمية البشرية.

الملخص

8

إن الارتباط بكتاب الله المنزل لآخر أمة على وجه الأرض، شرف عظيم، واستهداء بنور القرآن الكريم الذي أنزله الله رحمة، وهداية للسلوك الناس وبناء إيمانهم ، وإرساء لأسس الدين وأصوله، فهو بأكمله كتاب هداية وإرشاد ، ومنه فواتح السور التي هي مقدمات للسور لها أهميتها في التأثير والهداية للبشر، وبناء على هذه الأهمية نضع هذه الدراسة الاستقرائية لتلك الافتتاحيات، لبيان ما فيها من المسائل الإيمانية، ووضع لها عنواناً هو: المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخيرية، وسلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت بالتأمل في جميع الفواتح القرآنية، ثم وزعت تلك الفواتح إلى فواتح خيرية، وفواتح إنشائية، وفواتح بالحروف المقطعة، فعدت إلى النوع الأول فأخرجته في هذا البحث، وإن شاء الله أخرج النوعين الباقيين في بحث لاحق. وقد جعلت البحث في أربعة مكونات رئيسة هي: مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة.

في المبحث التمهيدي: التعريفات بعنوان البحث، وخصائصه: الإفصاح والبيان عن العقيدة التي تضمنتها الآية أو الآيات المتصلة المعنى في فواتح السور التي جاءت بالأسلوب الخبري غير الإنشائي. وفي المبحث الأول: المسائل الإيمانية في الفواتح التي أفتتحت بعبادة الذكر والثناء لله تعالى، وقد اشتملت على أربع عشرة افتتاحية، فيها عبادة الله بالحمد، والتقديم، والتسبيح. والمبحث الثاني: احتوى على المسائل الإيمانية في افتتاحيتي سورة الأنفال، والمعارج . والمبحث الثالث: تضمن المسائل الإيمانية في الفواتح التي تخبر بالانشغال عن القبر واليوم الآخر، وإتيان الأمر بقيام الساعة، وقربها، وبأسماء لها تتضمن بعض ما سيحدث عند قيامها. والمبحث الرابع: اختص بركن الإيمان بالكتب، وقد احتوى على المسائل الإيمانية في فاتحتي سورة الزمر، والنور اللتين ذكرنا تنزيل القرآن، وسورة منه. والمبحث الخامس: في فاتحتي سورة التوبة، ومحمد، المخبرتين بأوثق عرى الإيمان ، البراء من الكافرين، وبيان ضلالهم ، وحبوط أعمالهم عند الله تعالى. والمبحث السادس: تفرد في احتوائه على افتتاحيتي سورتي الرحمن، وعيسى، ففي افتتاحية سورة الرحمن الإخبار باسم الله الرحمن، وفي افتتاحية سورة عيسى، بيان لميزان الدعوة عند الله. والمبحث السابع: فيه المسائل الإيمانية في الفواتح الخيرية التي جاءت مؤكدة بحروف تأكيد على: فلاح المؤمنين الملتزمين في فاتحة سورة المؤمنين، وفتح الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبيان خصوصيات له في فاتحة سورة محمد، وعلى إرسال الرسل للإتذار في فاتحة سورة نوح، وإنزال الله للقرآن الكريم في ليلة القدر في فاتحة سورة القدر، وأخيراً التأكيد على عطية الله تعالى وكرمه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالكوثر في فاتحة سورة الكوثر وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم نتائج الدراسة ومنها: اشتمال الفواتح الخيرية على جميع أركان الإيمان، والكثير من القضايا الإيمانية. ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم فتحاً وخيراً ونعيماً لأمة محمد أجمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، أما بعد:

فهذه دراسة إيمانية، مصدرها كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين، هداية، وتبلياً للناس أجمعين، في كل مجالات الحياة الإنسانية، وضع لها عنوان هو: (المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخبرية)، وتحت هذا العنوان إيمانيات مرشدة لكل صاحب لب إلى العقيدة الصحيحة، المنجية من الضلال، والتطرف، والفساد، والانحراف، فهي صادرة من المنبع الذي دل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ" (1)، وأوضح أن من سار عليها دخل في الطائفة الظاهرة المنصورة الموصوفة بقوله صلى الله عليه وسلم: "وَنَفَرْتُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مَلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مَلَّةً وَاحِدَةً"، قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي" (2). ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَمَّْا تَزَالَ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (3).

أهمية البحث وأسبابه:

القرآن الكريم هو كتاب الإيمان الأكبر، فهو متضمن الإيمان، اعتقاداً وقولاً وعملاً، وفواتح سوره أهمية عظيمة فهي الاستهلال، والمدخل إلى كل سورة، وبها يبدأ مخاطبة المخاطب القارئ للقرآن الكريم، أو السامع لمن يتلو تلك الآيات، فمن البديهي أن تتضمن موضوع الإيمان الذي هو أساس الدين الإسلامي، وأصله الذي يبني عليه التشريع، والأحكام للتعاملات، والمعاملات، ولذلك عقد النية، وشمرت الساعد، واستعنت بالله تعالى لأقوم ببيان الإيمان ومسائله الإيمانية في فواتح السور القرآنية، ونظراً لكثرتها وغزارة عقائدها؛ قسمت البحث إلى قسمين: الأول: منه هو هذا البحث الذي خصصته في الفواتح التي

(1) المستند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ج 2 / ص 886).

(2) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) وحسنه الترمذي وهو عند الحاكم بلفظ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي" انظر تحفة الأحوذى، المباركفوري الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 334/7. وحسنه الألباني: في المشكاة (171 / التحقيق الثاني)، الصحيحة (1348). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، (ج 5 / ص 26).

(3) صحيح مسلم، (ج 3 / ص 1524).

بدأت بإخبار. و القسم الثاني: في فواتح السور التي بدأت بالحروف المقطعة، وبالأسلوب الإنشائي. وجعلته في بحث خاص غير هذا البحث.

و فوائد هذا البحث وثمراته عديدة كثيرة، ومنها: تعلم العقيدة الإسلامية القرآنية الصحيحة التي تقوي الإيمان، وتزكي الروح، وتزيد اليقين، وتشرح الصدر، وتزيد العزيمة والهمة في القيام بالعبادات بإحسان، ومنها أيضاً، إظهار تميز كلام الله تعالى وتفرد، في فواتح سور، ومطالعها، إبراز لإحكام الله تعالى لآيات وسور القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، وزيادة إظهار عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن أو حتى بمثل سورة واحدة منه.

أهداف البحث:

- 1- بيان العقيدة التي تضمنتها فواتح السور القرآنية الخبرية.
- 2- توضيح اهتمام فواتح القرآن الكريم الخبرية بالإيمان ومسانله.
- 3- إظهار تنوع فواتح السور القرآنية، واهتمامها بالإيمان والعقيدة.
- 4- ربط العقيدة ومسانلها الاعتقادية بالمصدر الأول للدين الإسلامي.

منهجية البحث وطرقه:

إن المنهج الذي سرت في البحث عليه هو المنهج الاستقرائي التحليلي لفواتح السور التي جاءت بالأسلوب الخبري، حيث قمت باستقراء لجميع فواتح سور القرآن الكريم، ثم عمدوا إلى ما كان منها إخباراً فرتبته حسب نوع الإخبار فجمعت ما فيه تشابه أو تقارب في مبحث، ثم فرز ما تضمنه المبحث من فواتح إلى مطالب حسب التشابه الخبري أو ما تضمنته من المسائل الإيمانية، مراعيًا في ذلك أركان الإيمان الستة و أصول الاعتقاد المتعارف عليه عند علماء العقيدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ثم اجتهد في وضع تفسير مختصر أو مدخل إيماني أو بلاغي في بداية كل افتتاحية لسورة ، ثم أتبعه بذكر المسائل الإيمانية مرقمة ومرتبة حسب ذكرها في الآية القرآنية، بناء على تحليلي للافتتاحية، مدعماً بعض المسائل بأقوال المفسرين، وذلك في المسائل التي أعقد أنها تحتاج إلى تأكيد بقول علماء التفسير، أو العقيدة، وفي بعض الافتتاحيات ختمتها بخلاصة عن أركان الإيمان أو الأصول الإيمانية التي تضمنتها الافتتاحية.

تقسيم البحث:

البحث مكون من مقدمة، وتمهيد وسبعة مباحث فيها عدة مطالب، وخاتمة فيها النتائج، وتفصيله كالتالي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأهدافه، والمنهجية التي سار عليها الباحث، وتقسيم البحث.

المبحث التمهيدي: التعريفات ولمحة عن فواتح السور بالأسلوب الخبري.

المطلب الأول: تعريف المسائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الإيمانية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف فواتح السور القرآنية لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف الخبرية لغة واصطلاحاً.

المطلب الخامس: ترتيب آيات فواتح السور.

المبحث الأول: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بعبادة الذكر والثناء.

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بالحمد.

المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بالتسبيح.

المطلب الثالث: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بلفظ تبارك.

المبحث الثاني: المسائل الإيمانية في فواتح تخبر بسؤال أو تساؤل.

المطلب الأول: إيمانيات افتتاحية سورة الأنفال في الإخبار بالسؤال عن الأنفال .

المطلب الثاني: إيمانيات افتتاح سورتي المعارج بسؤال المشركين عن القيامة والعذاب فيه.

المبحث الثالث: إيمانيات فيما افتتح بالالتهاء عن القبر وبقرب القيامة وبعض أسمائها.

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاح يخبر بالانشغال بالتكاثر عن القبر في سورة التكاثر.

المطلب الثاني: إيمانيات افتتاحيات سور النحل والأنبياء والقمر المخبرة بإتيان الأمر بالقيامة وقربها.

المطلب الثالث: إيمانيات افتتاح سورتي الحاقة والقارعة باسم من أسماء القيامة.

المبحث الرابع: المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أخبرت بتنزيل القرآن أو سورة منه،

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الزمر بتنزيل القرآن.

المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة النور بإنزال سورة.

المبحث الخامس: المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أخبرت بالبراءة من الكفار وضلالهم ،
المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة التوبة.
المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة محمد صلى الله عليه وسلم.
المبحث السادس: المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أخبرت باسم الرحمن وبعتاب الرسول،
المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الرحمن.
المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة عبس.
المبحث السابع: المسائل الإيمانية في فواتح السور المؤكدة لأخبارها بقدر وإن،
المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سور سورتي المؤمنون والمجادلة.
المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في افتتاحية الفتح ونوح والقدر والكوثر.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج.
الفهارس: وفيه فهرس المصادر والمراجع، والمحتويات.

المبحث التمهيدي

التعريفات ولمحة عن فواتح السور بالأسلوب الخبري

المطلب الأول: تعريف المسائل لغة واصطلاحاً.

1- المسائل في اللغة: جمع مسألة من سأل يسأل، و (سألت) الله العافية طلبتها (سؤالاً) و (مسألةً) وجمعها مسائلٌ بالهمز⁽¹⁾، و " أسأله سُؤْلُهُ وَمَسْأَلَتُهُ : فَضَى حَاجَتَهُ ... وَتَسَاءَلُوا : سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا"⁽²⁾.
و (سأل) السين والهمزة واللام كلمةً واحدةً...ورجل سُؤْلَةٌ: كثير السؤال". والمسألة: مصدر ميمي من سأل وهي القضية، أو ما كان موضوع بحثٍ أو نظر.
2- والمسائل في الاصطلاح: المسائل هي القضايا والقضية وقد عرفت بحسب إضافتها والمجال الذي تضاف إليه، ومن تلك التعريفات:

¹ (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ج 1 / ص 297).
² (القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة الشاملة الإلكترونية، ج 1 / ص 1308).

1- المسائل في العلوم المختلفة: هي المطالب الخبرية التي يبرهن عليها في ذلك العلم ويكون المطلوب من ذلك معرفتها⁽¹⁾.

2- والمسائل في القضاء: الحكم ومسألة يتنازع فيها وتعرض على القاضي أو القضاة للبحث والفصل⁽²⁾، أو نزاع بين متخاصمين يُعرض على المحكمة للبحث، لفصل فيه مثل قولنا: قضية السرقة⁽³⁾.

3- المسائل في العقيدة: حكم أو أصل أو ركن من أركان الإيمان أو فروعها التي هي إما اعتقاد أو قول أو فعل. مفهوم ومدلول المسائل في البحث: في هذا البحث نقصد بلفظ المسائل كل القضايا والمواضيع الداخلة في الإيمان من اعتقاد أو قول أو فعل.

المطلب الثاني: تعريف الإيمانية لغة واصطلاحاً:

أولاً: الإيمانية لغة: لفظ الإيمانية من الإيمان، والإيمان مصدر من الفعل أمن، قال عنه ابن فارس: " (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق... قال الخليل: الأمانة: من الأمن. والأمان: إعطاء الأمانة. والأمانة ضدّ الخيانة"⁽⁴⁾.

ثانياً: الإيمانية في الاصطلاح: والمقصود بالإيمانية في البحث القضايا التي تتعلق بالإيمان جملة، ولا أحيد الدخول في تفاصيل المفهوم الاصطلاحي للإيمان أو الإيمانية بل أخذت بتعريف الجمهور للإيمان وهو: أنه اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان⁽⁵⁾.

¹ (التوفيق على مهمات التعريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى، 1410هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، (ج 1 / ص 652).

² (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة، (ج 2 / ص 743).

³ (معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، الناشر: عالم الكتب، (ج 3 / ص 1830).

⁴ (معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: 1399هـ - 1979م، الناشر: دار الفكر، (ج 1 / ص 133).

⁵ (ينظر: الشريعة للأجري، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث، وهو في المكتبة الشاملة الإلكترونية، (ج 1 / ص 283)، اعتقاد الإمام ابن حنبل، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، (ج 1 / ص 301)، الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، رتبته وأعدّه أبو توحيد لقمان حسن أمين، وهو في المكتبة الشاملة الإلكترونية، (ج 10 / ص 3)، و العقائد الإسلامية - ابن باديس - (ج 1 / ص 44)، الإيمان لابن منده - (ج 1 / ص 341) وغيرها كثير.

المطلب الثالث: تعريف فواتح السور القرآنية لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الفواتح لغة: لفظ فواتح من الفعل فتح، ومعناه الحسي نقيض الإغلاق، قال ابن فارس: " الفاء والتاء والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلافِ الإغلاق " (1)، وفي لسان العرب: "الْفَتْحُ : نقيض الإغلاق فَتَحَهُ يَفْتَحُهُ فَتْحًا وَ افْتَتَحَهُ وَ فَتَّحَهُ فَانْفَتَحَ وَ تَفَتَّحَ " (2) و (فاتحة) الشيء : أوَّلُه (3)، و " جمعها فاتحات وفواتح (غير العاقل)... أول الشيء وبدايته" (4). و (فواتح) القرآن : أوائل السور الواحدة فاتحة. وللفظ الفواتح مرادفات منها: الافتتاح، المطالع، الابتداءات، مفتحات، افتتاحيات، واستفتاح، ومفتاح. فخلاصة الفواتح في اللغة هي المقدمة: ومعناها الديباجة، أو الفاتحة، أو الاستهلال (5).

ثانياً: فواتح في الاصطلاح: ومفهوم افتتاح سور القرآن الكريم قد يحصر: في أول كلمة من أول آية من السورة القرآنية، وقد يجعله البعض في الجملة الأولى من السور القرآنية، كما في قول الأمام الطبري في تفسيره حيث قال: " كما افتتح ب {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:2]. و {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام:1]" (6) والبعض يخصه بمجموعة من الآيات متصلة المعنى تبدأ بها السورة القرآنية، ومن العلماء من خص فواتح السور بنوع واحد مما بداءة به السور القرآنية مثل الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم (7) ومن العلماء من لم يحصرها بل يطلق فواتح وافتتاحيات السور السور على أوائل الآيات في السورة (8)، ومنهم ابن فارس الذي عرف فواتح القرآن بأوائل السور عموماً (9).

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (ج 4 / ص 469-470).

(2) لسان العرب، (ج 2 / ص 536).

(3) المرجع السابق، في نفس الموضوع، وتاج العروس ، (ج 1 / ص 1692).

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة ، (ج 3 / ص 1665).

(5) تكملة المعاجم العربية ، (ج 8 / ص 203).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]، المحقق : أحمد

محمد شاكر، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م ، الناشر : مؤسسة الرسالة، (215/1).

(7) ينظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، طبعة أولى 1425 هـ 2001 م، دار القلم، دمشق، (ص:209).

(8) موسوعة علوم القرآن عبد القادر محمد منصور، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م ، الناشر: دار القلم العربي - حلب، (ج 1 / ص

261).

(9) ينظر: تكملة المعاجم العربية، (ص:260).

وبعضهم خص فواتح السور بالسور المفتحة بالحروف المقطعة، حيث عرفها بقوله: "فواتح السور: هي الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم"⁽¹⁾. والمقصود بها هنا هو ما ابتدأت به السورة سواء آية آية أو آيات.

ثالثاً: تعريف السور القرآنية لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف السور لغة: السور في اللغة جمع سورة، والسورة في اللغة هي القطعة، وتطلق لفظة السورة في اللغة على المنزلة من البناء أي: الصف من صفوفه التي يوضع بعضها فوق بعض، كما تطلق ويراد بها المنزلة الرفيعة، وسميت السورة من القرآن بهذا الاسم تشبيهاً لها بسورة البناء، فإنها قطعة من كتاب الله محكمة مترابطة، يكمل بعضها بعضاً في الغرض الذي أنزل من أجله، كما أن المنزلة من البناء قطعة متماسكة يكمل بعضها بعضاً، ويتحقق باجتماعها الغرض الذي من أجله أقيم البناء، أو سميت بذلك لارتفاعها، لكونها من كلام الله، وعلى كلا التقديرين فالمناسبة حاصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي⁽²⁾.

ب- تعريف السور اصطلاحاً: أما معنى السورة الاصطلاحي: فقد عرفت بتعاريف متقاربة، ومنها:

- طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسمع⁽³⁾.
- طائفة من آيات القرآن جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول والمقدار الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها⁽⁴⁾.
- القطعة من القرآن المشتملة على آي ذوات فاتحة وخاتمة- وأقلها ثلاث آيات⁽⁵⁾.
- طائفة من الآيات المتصلة ذات بداية ونهاية، ووفق ترتيب محكم دقيق⁽⁶⁾.

¹ (معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، ج 1 / ص 205).

² (المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة)، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ج 1 / ص 167).

³ (المنار في علوم القرآن، ج 1 / ص 167).

⁴ (المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه (المتوفى: 1403هـ)، الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م، الناشر: مكتبة مكتبة السنة - القاهرة، ج 1 / ص 317).

⁵ (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، الطبعة: الثانية، 1419 هـ - 1998 م، الناشر: دار القلم / دار الشامية - دمشق / بيروت، ج 1 / ص 134).

⁶ (المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النيهان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، الناشر: دار عالم القرآن - حلب، ج 1 / ص 135).

وفي هذا البحث سوف نتجاوز اختلاف العلماء في كون البسملة آية من أول كل سورة كتبت في أولها أو بعض آية أو أنها آية من الفاتحة دون غيرها أو أنها ليست آية مطلقاً وإنما كتبت للفصل بين السور، بحيث ندرس فيه، ما بعد البسملة من فواتح السور.

وبهذا يمكن وضع التعريف الاصطلاحي الجامع للسورة القرآنية في: أنها طائفة من القرآن مستقلة، وتشمل على أي ذي فاتحة، وخاتمة، ولها اسم خاص بها.

فيتجلى من خلال الدراسة المختصرة السابقة للمعاني المفردة لفواتح السور القرآنية في اللغة، وعند العلماء، أن مفهوم فواتح السور القرآنية: ما ابتدأت به السور القرآنية، سواء آية أو آيات متصلة المعنى.

المطلب الرابع

مفهوم لفظ الخبرية لغة واصطلاحاً

أولاً: الخبرية في اللغة: الخبرية من الخبر، وفعله خبر، و" الخاء والباء والراء أصلان: فالأول: العلم، والثاني: يدل على لين ورخاوة وغُزْر" (1). فالخبرُ محرّكة: النَّبَأُ، وجمعها: أخبارٌ وجمع الجمع: أخبارٌ، ورجُلٌ خابِرٌ وخَبِيرٌ وخَبِرٌ عالمٌ به وأخْبَرَهُ خُبورَهُ: أنبأه ما عنده (2). والخَيْرُ والخَيْرَةُ بكسرهما ويضمان والمَخْبِرَةُ و المَخْبِرَةُ: العلمُ بالشيء كالاخْتِيارِ والتَّخْيِيرِ (3). و العلم بالشيء سبب للإخبار عنه وكذا مشاهدة الشيء من أبصاره سبب وطريق إلى الإحاطة به علماً، وهي إلى صحة الإخبار عنه (4). فالخبرية في مجال العلوم في اللغة ترجع إلى النبأ والإخبار.

ثانياً: الخبرية في الاصطلاح: إذا كان الخبر عند علماء البلاغة هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، أو هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به، علماً أن المراد بالصدق مطابقة الخبر للواقع ونفس الأمر، وأن المراد بالكذب عدم مطابقته له.

¹ (معجم مقاييس اللغة، ج 2 / ص 239).

² (القاموس المحيط، ج 1 / ص 488).

³ (المرجع السابق في نفس الموضوع).

⁴ (كتاب الكليات، ج 1 / ص 101).

وأن مقاصد الخبر هي فائدة الخبر ، وغرضه هو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، أو ما يخرج عنه إلى فوائد تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، مثل الاسترحام، وتحريك الهمة، والتحسر وغيرها، والإفصاح والبيان للمخاطب، خالي الذهن بلا تأكيد، أو المتردد الذي يستحسن معه التأكيد لتقوية الحكم، أو المخاطب المنكر للخبر فيؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر⁽¹⁾، فالمقصود بالخبرية في فواتح السور القرآنية: ما جاءت تلك الفواتح بالأسلوب أو الطريقة الخبرية التي يقابلها الأسلوب الإنشائي أو الطريقة الإنشائية: من الاستفهام، أو النداء أو التعجب أو غيرها من أساليب الإنشاء. وبهذا يكون مفهوم عنوان البحث:

الإفصاح والبيان عن العقيدة التي تضمنتها الآية أو الآيات المتصلة المعنى في فواتح السور التي جاءت بالأسلوب الخبري غير الإنشائي.

المطلب الخامس

ملخص عن فواتح السور القرآنية الخبرية.

ظهر لي بالتأمل في فواتح سور القرآن الكريم جميعا أنه يمكن تقسيمها بناء على الأسلوب الخبري، والإنشائي إلى ثلاثة أقسام: فواتح تبدأ بالخبر، وفواتح تبدأ بالأسلوب الإنشائي من الاستفهام، أو النداء أو غيرهما، وفواتح تبدأ بالحروف المقطعة⁽²⁾، وعند حصر الفواتح الخبرية وجدتها أربعا وثلاثين افتتاحية، يمكن تقسيمها بحسب ما بدأت به تلك الافتتاحية⁽³⁾ إلى أربعة أنواع كالتالي:

1. ثلاث عشرة سورة بدأت بخبر فيه حمد الله والثناء بلفظ سبح وتصريفاته، وبلفظ تبارك، وتفصيلها كالاتي:

أ. خمس سور بدأت بـ"الحمد لله" وهي:

(1) الفاتحة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

(2) الأنعام: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...}.

¹ انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح د. محمد التنجوي، طبعة: الرابعة (1428هـ -

2008م)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، (ص:63-64).

² الفواتح التي بالأسلوب الإنشائي والحروف المقطعة سوف أنكرها في بحث خاص إن شاء الله تعالى يتبع هذا البحث.

³ ذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن تقسيم الفواتح إلى عشرة أنواع، انظرها في (ج 1 / ص 179). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

- (3) الكهف: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}.
- (4) سبأ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}.
- (5) فاطر: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

وفي الفاتحة خلاف: هل بدأت بالحمد أم أن البسملة هي أول آية منها؟ وأكثر المفسرين يرجحون أن البسملة آية منها.

ب. سورتان افتتحتا بخبر بالفعل الماضي تبارك، هما:

- (1) الفرقان: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}.
- (2) الملك: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ج. سبع سور بدأت بتسبيح الله تعالى وقد ذكرت سورة الأعلى مع هذه المجموعة رغم أنها بدأت بفعل أمر تغليبا لموضوع التسبيح:

- (1) الإسراء: بدأت بالمصدر: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ثم ثلاث سور بدأت بالفعل الماضي (سبح) وهي:

- (2) الحديد: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.
- (3) الحشر: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.
- (4) الصف: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

ثم سورتان افتتحتا بالفعل المضارع (يسبح) وهما:

- (5) الجمعة: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.
- (6) التغابن: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

وسورة جاءت بصيغة فعل الأمر هي سورة:

- (1) الأعلى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}.

2. أربع عشرة سورة بدأت بخبر:

- (1) الأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.
- (2) التوبة: {بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.
- (3) النحل: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.
- (4) الأنبياء: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}.
- (5) النور: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.
- (6) الزمر: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.
- (7) محمد: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}.
- (8) القمر: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}.
- (9) الرحمن: {الرَّحْمَنُ}.
- (10) الحاقة: {الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}.
- (11) المعارج: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ}.
- (12) عبس: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}.
- (13) القارعة: {الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}.
- (14) التكاثر: {الْهَاجِمُ التَّكَاثُرُ}.

4. ست سور بدأت بخبر مؤكد بقدر أو إن:

- 1- المؤمنون: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}.
- 2- الفتح: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}.
- 3- المجادلة: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}.
- 4- نوح: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
- 5- القدر: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}.
- 6- الكوثر: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}.

ونظراً لكثرة فواتح النوع الثاني مما سبق فقد قسم حسب المسائل الإيمانية، وبهذا كانت مباحث البحث سبعة.

المبحث الأول

المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بعبادة الذكر والثناء

تمهيد:

هذا المبحث في فواتح السور القرآنية الخبرية فيه أربع عشرة افتتاحية، ويعد هو الأكثر عدداً بين الافتتاحيات الخبرية، وفي هذا دلالة واضحة أن عبادة الله تعالى هي المقصد، والغاية التي أنزلت لأجلها الكتب السماوية، وأرسل الله رسله عليهم الصلاة والسلام، وإليك المطالب الثالثة المبينة لتوحيد الإلهية في فواتح السور المبدوءة بعبادة الثناء والذكر.

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بالحمد.

خمس سور من سور القرآن الكريم افتتحها الله تعالى بلفظ {الحمد لله}، والحمد من الفعل (حمد) و " الحاء والميم والذال كلمة واحدة، وأصل واحد يدلّ على خلاف الذمّ، يقال حمَدْتُ فلاناً أحمدهُ. ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة... ولهذا الذي ذكرناه سمّي نبينا مُحمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول العرب: حمّادك أن تفعل كذا، أي غابتك وفعلك المحمود منك غير المذموم. ويقال أحمَدْتُ فلاناً، إذا وجدته محموداً⁽¹⁾. وفي لفظ الحمد لله ثناء على الله بسبب كل إنعام صدر منه ووصل إلى غيره و كأن العبد يقول : سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين ، وأنت مستحق للحمد العظيم، وهناك فرق بين الحمد والشكر فقول الحمد: على ما دفع الله من البلاء، والشكر: على ما أعطى من النعماء⁽²⁾، وقيل: " الحمد: الثناء عليه بما هو به والشكر : الثناء عليه بما هو منه"⁽³⁾. وعند التأمل في هذه الافتتاحيات يظهر أن الله تعالى ذكر بعد لفظ الحمد لله اسما من الأسماء الحسنى هو الرب في افتتاحية سورة الفاتحة وفاطر السماوات والأرض في افتتاحية سورة فاطر، أما في الثلاث الافتتاحيات الأخرى فقد ذكر سبحانه الاسم الموصول (الذي) وبعده ذكر أفعالاً عظيمة تفرد بها الله وحده

¹ (معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (ج 2 / ص 100).

² (تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، دار النشر / دار إحياء التراث العربي، (ج 1 / ص 132).

³ (الكشف والبيان ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الطبعة : الأولى(1422 هـ - 2002 م) ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، (ج 1 / ص 108).

ابتدائها في افتتاحية سورة الأنعام بالخلق والإيجاد للمخلوقات، وفي افتتاحية سورة الكهف ذكر أنه سبحانه أنزل القرآن الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما في افتتاحية سورة سبأ فذكر أن له ما في السموات والأرض وأنه المختص بعبادة الحمد والثناء في الدنيا والآخرة، وختمها بذكر اسمين من أسمائه الحسنى هما الحكيم والخبير.

وعند إلقاء نظرة على السور الخمس من حيث تقسيم السور إلى مكية ومدنية يظهر أن السور الخمس مكية، وأن المحور الأساسي فيها أصول الدين والعقيدة والعبادة، وأركان الإيمان وأدلتها، وفي هذا دلالة واضحة على تناسق وتناسب افتتاحية هذه السور بعبادة الحمد والثناء والتمجيد لله تعالى الخالق المنعم الذي أنزل على الناس خاتم الأنبياء وخاتم الكتب، وفيه المنهج الذي ينير لهم سيرهم في حياتهم الدنيا ويرفعهم الدرجات العلى في الآخرة.

وإضافة إلى ما سبق من المسائل الإيمانية في هذه الخمس الافتتاحيات نذكر المسائل التالية:

أولاً: إيمانيات افتتاحية سورة الفاتحة: قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.

1- (الحمد لله) لفظه خبر يخبر الله بأنه المستحق للحمد، ومعنى هذا الإخبار الأمر أي قولوا الحمد لله، وفيه تعليم الخلق كيف يحمده... فالحمد أعم من الشكر، وقيل : الحمد باللسان قولاً ، والشكر بالأركان فعلاً ، والحمد ضد الذم، واللام في الله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق⁽¹⁾.

2- التمجيد وعبادة الحمد والثناء لا يستحقها إلا الله وحده لأنه الرب المالك القادر على إعانة مخلوقاته، فلا يستعان إلا به ، و لأنه هادي العالمين إلى الصراط المستقيم، قال ابن عجيبة الأندلسي: " يقول الحقّ جلّ جلاله معلماً لعباده كيف يُثَنُّونَ عليه ويعظمونه ثم يسألونه: يا عبادي قولوا {الحمد لله رب العالمين} أي : الثناء الجميل إنما يستحقه العظيم الجليل ، فلا يستحق الحمد سواه ، إذ لا منعم على سبيل الحقيقة إلا الله، {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} [النحل : 53]. أو جميع المحامد كلها لله، أو

¹ (تفسير الخازن بتصرف،(19/1-20).

الحمْدُ المعهودُ في الأذهان هو حمْدُ الله تعالى نفسه في أزلِه ، قبل أن يُوجدَ خلقَه ، فلما أوجد خلقه قال لهم : الحمد لله ، أي : احمّدوني بذلك المعهود في الأزل⁽¹⁾.

3- الإخبار باسم الله تعالى الرب، والرحمن، والرحيم.

4- الصفات التي تضمنتها هذه الافتتاحية: صفة الربوبية، والرحمة، والملك.

5- بيان أن الله هو المربي للعالمين بخلقهم لهم، وتقديره لما يحتاجونه في الدنيا، وإنعامه بالنعم التي لو فقدوها لهلكوا، وهدايته العالمين لما فيه مصالحهم، وهذا من تربية الله لعباده تربية عامة، أم التربية الخاصة بالمؤمنين فتكون من الله لهم بهدایتهم للإيمان، وتوفيقهم لعمل الصالحات، قال الخازن: "الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكة ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها فأنه تعالى، مالك العالمين ومربيهم ومصالحهم، ولا يقال الرب للمخلوق معرّفاً بل يقال رب الشيء مضافاً، والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه ، وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق"⁽²⁾.

ثانياً: إيمانيات افتتاحية سورة الأنعام:

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ* وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}. ومن المسائل الإيمانية فيها:

1- كمال نعوت الله وعظمته وجلاله، وكثرة نعمه تدل على تفرده واستحقاقه وحده للثناء والتمجيد.

2- الله تعالى خالق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور بالمعنيين الحسي والمعنوي؛ فمثل الليل والنهار للمعنى الحسي، والشرك والجهل والإيمان والعلم للمعنى المعنوي.

3- إثبات انحراف الكفار عن الحق والإيمان، والعدول عنه إلى الشرك والباطل؛ رغم وضوح أدلة وبراهين الإيمان، واستحقاق الله تعالى للعبادة وحده بدلالة العقل والنقل التي تشير إليها هذه الافتتاحية.

¹ (البحر المنيد - ج 1 / ص 27).

² (تفسير الخازن بتصرف، 19/1-20).

4- انحرف الكفار بمساواتهم الآلهة الباطلة في العبادة بالله تعالى مع وضوح الفارق بين الله الخالق المعبود بحق، وبين الآلهة المخلوقة الباطلة ؛ لكن الكفر والجحود غطى على هؤلاء ما هو ظاهر كظهور الشمس في رابعة النهار .

5- الله تعالى هو الخالق للإنسان من الطين، والمقدر لأجله في الحياة الدنيا، {ثُمَّ قَضَى أَجَلًا} وكذلك في الحياة الآخرة، {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ}.

6- تشكك الكفار في تحقق البعث مع البيان التام، والحجة الساطعة، والبرهان الواضح في آيات خلق الله عامة وخلق الإنسان من الطين وتقدير الآجال وحتميتها على جميع البشر فقراء وأغنياء وأقوياء وضعفاء، والدليل العقلي أن الله هو الذي ابتدأ خلقهم، فهو أقدر على إعادتهم فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

7- ألوهية الله تعالى في السماوات والأرض فأهل السماوات وأهل الأرض عباد الله تعالى .

8- التحذير من معصية الله تعالى والترغيب في عمل الصالحات المقربة إلى الله وتحسين الكسب وإحكامه لأن الله يعلم سر الإنسان، وجهره، وكسبه {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}.

ثالثاً: إيمانيات افتتاحية سورة الكهف:

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * فَيَمَّا لِيُذْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}. وفيها المسائل الإيمانية التالية:

1- إنعام الله تعالى على عباده بإنزال القرآن الكريم كتاب الهداية والإرشاد لكل الناس.

2- إثبات الإيمان بالقرآن الكريم الذي لا عوج فيه ؛ فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وليس فيه أخبار كاذبة، ولا في أوامره ظلم، ولا في آياته عبث، وهو الكتاب المستقيم فلا يخبر ولا يأمر إلا بالعظيم النافع، ولا يحتوي إلا بما تمتلأ به القلوب من المعرفة والإيمان ، والتوجيهات النافعة، {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً}.

3- القرآن الكريم نذير للناس من عقاب الله تعالى الشديد المكتوب على من خالف أوامر الله، وهو كذلك المبشر للمؤمنين المطيعين بالأجر، والثواب الحسن ؛ بلا زوال أو انقطاع، بل هو نعيم في تزايد وتنعم سرمدى.

4- رد الله تعالى على المشركين الذين يكذبون ويقولون الله اتخذ ولداً، وبين أنه إثم وقول بلا علم ، وكلمة تخرج من أفواههم تبعاً للأهواء والظنون، وقد دمع الله هذا القول الباطل أولاً: ببيان أنه قول بلا علم، وثانياً: بالإخبار أنه قول قبيح، وثالثاً: ببيان أنه كذب محض منافي للصدق من كل وجه. {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}.

فشملت هذه الافتتاحية على ثلاثة أركان من أركان الإيمان هي:

ركن الإيمان بالله تعالى: ووصفه بالثناء لصفاته الكاملة وعبادته بالحمد، وفي خاتمة الافتتاحية دمغت القول الشركي أن الله تعالى ولد. والركن الثاني: للإيمان في هذه الافتتاحية: الإيمان بالكتب وخاتمتها القرآن الكريم وقد وصفه الله تعالى أنه لا عوج له. والركن الثالث: الإيمان باليوم الآخر الذي سيقع فيه العقاب للكافر والمشرك والمخالف لأمر الله تعالى، والثواب والنعيم لمن آمن وعمل الصالحات.

رابعاً: إيمانيات افتتاحية سورة سبأ.

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}.

ومن المسائل الإيمانية فيها:

1- الله تعالى ما في السموات وما في الأرض، و أفعاله حسنة تدور بين فضله على مخلوقاته، وعدله.

2- سنكون عبادة لله سبحانه في الآخرة أظهر ما هي عليه في الدنيا، حيث يرى الناس عدل الله فيما يقضي به بين خلقه، ويرون حكمته، ورحمته، وعفوه بالمؤمنين، وعقابه للكافرين الظالمين فيحمدونه سبحانه على ذلك.

3- أثبتت هذه الافتتاحية أربع صفات لله تعالى هي أن له الحكمة والخبرة ، والرحمة، والمغفرة، تضمنتها الأسماء الحسنی الأربعة التي ذكرتها الافتتاحية، وهي الحكيم، والخبير، {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} فالله حكيم في ملكه وتدبيره، وأمره ونهيه، وهو كذلك الخبير المطلع على سرائر الأمور وخفاياها، وذكرت كذلك الرحيم والغفور اللذين ختمت بهما هذه الافتتاحية،

{ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ } فالله تعالى رحم عباده جميع فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، وهو الذي يغفر ذنوب من يتوب إليه ويتوكل عليه.

4- الإيمان بصفة العلم لله تعالى فلا يخفى عليه شيء من خلقه، {بِعَلْمِ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} فالله يعلم كل ما يدخل في الأرض من جهة السماء كقطرات الماء، وما يخرج من الأرض كنمو النبات وخروج المعادن والمياه، وهو سبحانه يعلم {مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} فيعلم ما ينزل من السماء من الأمطار، والملائكة، والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق وغيرها.

خامساً: إيمانيات سورة فاطر.

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. ومن المسائل الإيمانية فيها:

1- الله تعالى وحده الذي ابتداءً وأبدع، وأخرج السماوات والأرض وما فيهما، وخلق الملائكة بالأجنحة مثنى وثلاث، ومنهم ما أن يزيده حسب مشيئته سبحانه، وجاعلهم رسله، وهو القادر سبحانه على كل شيء، المتفرد بالإعطاء والمنع فهو صاحب العزة الكاملة، القاهر لكل شيء، ذو الحكمة الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

2- ربوبية الله تعالى ظاهرة في أنه خلق، وأبدع السماوات والأرض على غير مثال سابق، فهو المتفرد بالخلق المستحق للعبادة وحده.

3- الإيمان بالملائكة وأنهم رسل الله المنفذون لأمره، المبلغون أوامره الدينية إلى رسله من البشر.

4- الملائكة مخلوقات لها أجنحة مختلفة العدد من جناحين إلى ما شاء الله من أجنحة لكل ملك حسب مشيئة وحكمة الله تعالى.

5- قدرة الله تعالى مطلقة لا يحدها شيء، ولا يستعصي عليها شيء ودلت الافتتاحية عليه بقول الله تعالى: { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } أي في الملائكة وغيرها من القوة، والحسن، ونوع الأعضاء وعددها.

6- واجب الارتباط بالله تعالى وحده فهو الواحد الأحد المتحكم في الكون كيف يشاء، المدبر سبحانه الذي إذا فتح على الناس من رحمته ونعمه فلا يمسه أحد غيره، وإذا منع بعدله وحكمته عليهم فلا مرسل له غيره؛ فهو المعطي والمنع سبحانه.

7- اشتملت الافتتاحية على العديد من صفات الله تعالى من صفة الخلق، والإخراج للمخلوقات وابتدأ خلقها من العدم، {فَاطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}. وصفة المشيئة المطلقة، {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ}. وصفة القدرة، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. وصفتي الإعطاء والمنع، {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}. وصفتي العزة والحكمة اللتين تضمنهما اسميه العزيز، والحكيم، { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وبهما ختمت هذه الافتتاحية.

فالافتتاحية جاءت في أحسن صور البلاغة والإحكام؛ فذكرت قضايا اعتقادية إيمانية من العبادة التي تفرد الله بها وحده منها الحمد والثناء، وربطتها بذكر صفات الله تعالى، وذكر اسمين من أسماء الله الحسنى العزيز والحكيم، وكذلك ركن الإيمان بالملائكة، فكانت هذه القضايا الاعتقادية الإيمانية مستحقة لأن تكون في مطلع هذه السورة.

المطلب الثاني: المسائل الإيمانية في السور التي افتتحت بالتسبيح.

افتتح الله تعالى سبع سور في القرآن الكريم بالتسبيح بألفاظ وتصريفات للفعل سبح، وإذا أطلق العاقل تفكيره، وتأمل في هذه الافتتاحيات إجمالاً يمكن أن يلاحظ المسائل الإيمانية التالية:

1- عبادة التسبيح لله تعالى، وتعني تنزيهه الله تعالى من كل نقص، يدل على ذلك لفظ سبح بمختلف تصريفاته.

2- عبادة الله بالذكر بالتسبيح المستحق له وحده فهو الذي له الفضل والنعمة على المخلوقات.

3- تنوع صيغ الفواتح للفعل سبح يشير إلى دوام التسبيح لله في كل وقت وزمن من الماضي والحاضر والمستقبل، والتسبيح كذلك عبادة واقعة من كل المخلوقات، ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى: {لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: 41]. وقوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 24]. قال البيضاوي مفسراً لآيات افتتاح سورة الحديد: " ذكرها هنا وفي الحشر و الصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة و التغابن بلفظ المضارع بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقاً في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق

التسبيح من كل شيء وفي كل حال وإنما عدي باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له في نصحته إشعاراً بأن إيقاع الفعل لأجل الله وخالصاً لوجهه {وهو العزيز الحكيم} حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح⁽¹⁾.

4- تثبت جميع هذه الافتتاحيات أن الله تعالى منزّه عن السوء والنقص والعيب.

5- أن الله يعبد بالتسبيح كل شيء ومن أدلة ذلك قول الله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} {الإسراء:44}.

ورجح الثعلبي أن تسبيح ما في السموات وما في الأرض على الحقيقة فقال: " اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة أو مجاز على معنى أن أثر الصنعة فيها تنبه الرائي على التسبيح...والقول بالحقيقة أحسن وهذا كله في الجمادات، وأما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد أن تسبيحهم حقيقة"⁽²⁾.

6- توحيد الأسماء والصفات لله تعالى وأن الله العظيم القدوس، المنزه عن كل عيب ونقص.

7- جعل الله تعالى ست سور في الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن تفتتح بالتسبيح بالصيغ الثلاث للأفعال الماضي: (سبح)، والمضارع: (يسبح)، والأمر: (سبح)، قال تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} {الحجر:98}. وقوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} {النصر:3}.

ونختصر ما تبقى من المسائل الإيمانية التي تتضمنها كل افتتاحية سورة من السور السبع في التالي:
أولاً: إيمانيات افتتاحية سورة الإسراء:

1- الله هو الخالق المقدر للسنن التي تحكم سير المخلوقات وحده، وهو أيضاً القادر على خرقها على خلاف ما يعرفها الناس، ومن ذلك المعجزة الربانية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج التي خرقت السنة الكونية في السفر والفترات الزمنية الطويلة لقطع المسافات على الأرض فقد أسرى الله بالرسول صلى الله عليه وسلم ليلاً في زمن قصير ثم عرج إلى السماء السابعة لكي يريه الله البراهين والآيات الدالة على أن الله

¹ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي)، للفاضي الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد : عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي ، المتوفى: (سنة 692)، المكتبة الشاملة الإلكترونية، (ج 1 / ص 295).
² (تفسير الثعلبي ، (ج 4 / ص 261).

هو الرب السميع البصير، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].
قال ابن كثير: "يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرة على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره" (1)، وعلى عباده أن يمجده ويعظمون شأنه، لقدرة فهو الذي أسرى عبده محمد صلى الله عليه وسلم زمناً من الليل بجسده وروحه، يقظة لا مناماً، من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس.

2- إذا أضاف الله تعالى أحد مخلوقاته إليه في النص فإن تلك الإضافة تدل على تشريف الله تعالى لذلك المخلوق، وفي هذه الافتتاحية أضاف الله عبده محمد صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، فدلّت تلك الإضافة على تشريف الله تعالى لخاتم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والعبء هنا هو محمد بن عبد الله لأنه لم يقع في القرآن الكريم لفظ عبد مضافاً إلى ضمير الغيبة الراجع إلى الله تعالى إلا مراداً به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أيضاً ما اشتهر وتواتر أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أسرى به، وعرج إلى السماء في بعض ليلة، وكان ذلك الحدث وتلك المعجزة بعد عام الحزن الذي فقد فيه زوجته خديجة رضي الله عنها، وعمه أبا طالب.

3- التقديس للمسجدين المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى، وفي هذا اقترانهما دلالة إيمانية على الأصل الواحد للدين السماوي المنزل من الله على رسله في كل العصور.

4- بينت الافتتاحية أن حكمة معجزة الإسراء والمعراج اطلاق خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم على آيات ربانية، قال ابن عاشور: "تعليل الإسراء بإرادة إراءة الآيات الربانية، تعليل ببعض الحكم التي لأجلها منح الله نبيّه منحة الإسراء، فإن للإسراء حكماً جمة تتضح من حديث الإسراء المروي في الصحيح...ولام التعليل لا تفيد حصر الغرض من متعلقها في مدخولها، وإنما اقتصر في التعليل على إراءة الآيات لأن تلك العلة أعلق بتكريم المُسْرَى به والعناية بشأنه، لأن إراءة الآيات تزيد يقين الرائي بوجودها" (2).

¹ (تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ]، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، (ج 5 / ص 5).

² (التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م، (ج 15 / ص 20).

5- اختتام هذه الافتتاحية باسمين من أسماء الله الحسنى هما السميع والبصير {إنه هو السميع البصير} فالله تعالى هو السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم، ومكذبهم، البصير بهم فيعطي كلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

6- الإسراء والمعراج للرسول صلى الله عليه وسلم كان بالجسد والروح في اليقظة، وعلى هذا " استدلل الجمهور بأن الامتنان في الآية وتكذيب قريش بذلك دليلان على أنه ما كان الإخبار به إلا على أنه بالجسد"⁽²⁾، ويدل على هذا الرأي ظاهر لفظ {بعده} الدالة على الإنسان جسداً وروحاً⁽³⁾.

7- الإيمان بما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم من الآيات " في تلك الليلة من العجائب التي من جعلتها قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل"⁽⁴⁾، و إراءته من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ورحمته، وكذلك إخبار الرسول بوصف المسجد بعد أن سأله عنه فوصف لهم المسجد الأقصى⁽⁵⁾، ومنها أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة، وهي مسيرة شهر، وما أراه من العجائب التي فيها اعتبار، و من أرى من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً⁽⁶⁾، ورؤية الجنة والنار وغير ذلك.

ثانياً: إيمانيات افتتاحية سورة الحديد والحشر والصف:

جاءت الآية الأولى في جميع افتتاحية السور الثلاث بصيغة واحدة ما عدا أن افتتاحية سورة الحديد لم يذكر فيها {ما في} والآية الأولى في هذه السور كالتالي:

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الحديد}.

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الحشر}.

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الصف}.

¹ تفسير ابن كثير، (ج 5 / ص 6).

² (التحرير والتنوير - الطبعة التونسية - (ج 15 / ص 23).

³ (والمزيد: يراجع: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، (ج 1 / ص 199).

⁴ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، المكتبة الشاملة الإلكترونية، (2/295).

⁵ (التحرير والتنوير - الطبعة التونسية، (ج 15 / ص 20).

⁶ (النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، (ج 3 / ص 227).

وبهذا فإن المعنى والمسائل الإيمانية فيها متحدة في أنها:

تذكر تسبيح السماوات والأرض وما فيهما لله تعالى، والتسبيح تقديس وتنزيه لله تعالى الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو المعبود بحق وحده. ثم تثبت اسمين من الأسماء الحسنى هما العزيز والحكيم، وهما ينضمنا صفات لله تعالى منها صفة العزة، وصفة الحكمة، فالله تعالى هو "العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ وحكمته وعدله"⁽¹⁾.

ثالثاً: إيمانيات سورة الجمعة: قال تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الجمعة:1] ورد لفظ يسبح في افتتاح السور في القرآن الكريم في سورة الجمعة، وفي سورة التغابن فقط، ولفظ المضارع يدل على استمرار عبادة التسبيح لله من جميع المخلوقات في السماء والأرض، وهذا التسبيح لا يستحقه إلا الله لأنه الملك القدوس العزيز الحكيم، ومعنى الملك "أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، ومعنى {الْقُدُّوسِ} أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال أما {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فتقدم تفسيرهما في الافتتاحيات السابقة.

ثم أردفت الافتتاحية بوصف الله تعالى بأنه الذي بعث الرسل، ومنهم النبي الأمي خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تلا القرآن على قومه وأتباعه، وعلمهم وزكاهم، وكل ذلك الفعل من الرسول صلى الله عليه وسلم من فضل الله يؤتيه من يشاء.

فجمعت الافتتاحية بين ركنين من أركان الإيمان هما الإيمان بالله تعالى وعبادته، والإيمان بالرسول وخاتمهم محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وما بعثه الله به من قراءة القرآن وتعليم الناس وتزكيتهم، وبيان أنه أرسل إليهم بفضل من الله تعالى.

رابعاً: إيمانيات سورة التغابن: قاله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن:1].

¹ (تفسير ابن كثير، ج 1 / ص 445).

ما يميز هذه الافتتاحية أنها لم تختتم بذكر أسماء حسنى لكنها تخبر بأن الله الملك، والحمد، وأنه القادر على كل شيء، ثم أردفت هذه الافتتاحية بآيات تخبر بأفعال الله تعالى من خلق الإنسان ثم تفرقهم إلى كافر ومؤمن، وبيان أنه بصير بما يعمل الإنسان، وأنه خلق السموات والأرض، وهكذا كان الربط الحكيم، والتناسق العجيب في ذكر عبادتي التسبيح والثناء، والوصف بالملك والقدرة التامة والعلم والبصيرة بكل ما يعمله الإنسان، والتأكيد على ربوبية الله تعالى بأنه الخالق المالك القادر، المصور الذي إليه المصير. فبرز في الافتتاحية ركن الإيمان بالله بأقسامه الثلاثة: الألوهية بعبادة التسبيح والحمد والثناء، و الأسماء والصفات بالذكر للصفات، و الربوبية بذكر أن الله الملك، والتقدير.

خامساً: إيمانيات سورة الأعلى:

قال تعالى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:1]. هذه هي آخر افتتاحية من افتتاحيات التسبيح في السور القرآنية، وهي الوحيدة التي جاءت بصيغة الأمر بالتسبيح حيث إنها بدأت بفعل أمر، ومن إيمانيات هذه الافتتاحية التالي:

- 1- عبادة التسبيح التي أمر الله بها في قوله: {سَبِّحْ}، والتسبيح فيه الذكر لله تعالى بالأسماء الحسنى، ومنها الذي ذكر هنا {الأعلى}، فسبح تعني عظم ربك الأعلى، لا ربّ أعلى منه وأعظم، وكان بعضهم إذا قرأ ذلك قال: سبحان ربي الأعلى⁽¹⁾.
- 2- الله المتفرد في علوه، وأفعاله العظيمة من الخلق والإحكام للمخلوقات وإحسانها، والتقدير لجميع المقدرات، والهدية للمخلوقات، وإخراج النبات المادة الغذائية التي أنعم الله بها على مخلوقاته على وجه الأرض.
- 3- الدلالة العقلية المتناسقة التي تظهر للمتأمل في التناسب بين البداية والخاتمة للافتتاحية المظهرة للأمر بالتسبيح باسم الله الأعلى في بدايتها، والمبينة لأفعال الله العظيمة التي تلزم العباد مقابلتها بتوحيد العبادة له الخالق، المقدر، الهادي، المنعم، في نهايتها.
- 4- إثبات اسم الله تعالى الأعلى، وقد وصف الله به نفسه في آيتين في القرآن الكريم هذه واحدة، والثانية هي قوله تعالى: {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل:20]. والأعلى: الرفيع فوق

⁽¹⁾ تفسير الطبري، (ج 24 / ص 367).

خلقه⁽¹⁾. فانه هو العلي الأعلى المتصف بالعلو علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة⁽²⁾.

المطلب الثالث: المسائل الإيمانية في سورتين افتتحنا بلفظ تبارك.

افتتح الله تعالى سورتَي الفرقان والملك بلفظ تبارك، وهو لفظ يدل على التعظيم والكمال من كل وجه، وكذلك يدل على كثرة الخيرات، وهذا هو أصل المعنى اللغوي للفظ، وإذا أضيف إلى الله تعالى الغني الصمد، صاحب الكمال المطلق الذي ليس كمثلته شيء، الخالق المنعم، الرازق، المالك، القادر على كل شيء، الفعال لما يريد، دلت الإضافة على التعظيم المطلق الوحيد لله تعالى.

إن في تبارك عبادة الله تعالى بعمل القلب بالتقديس، وباللسان بالقول، وبالجوارح بالخضوع والاستسلام والركوع والسجود، والبعد عن التقديس لأي مخلوق، وفي اللفظ أيضاً دلالة على الإيمان بالصفات والأفعال التي تدل على عظمة الله تعالى واستحقاقه لها وحده، وكثرة خيراته وإحسانه وإنعامه على مخلوقاته فضلاً منه ومنة وتكرماً، وإليك المزيد من المسائل الإيمانية في افتتاحيتي سورة الفرقان والملك.

أولاً: مسائل إيمانية في افتتاح سورة الفرقان:

قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مَلَأُكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا }.

إن المتأمل في هذه الافتتاحية يجد أن الله تعالى ذكر بعد لفظ تبارك أنه سبحانه هو الذي نزل القرآن الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم لحكمة ربانية هي انذار العالمين، ثم في الآية الثانية بين أن ملك السماوات والأرض له وحده، وأنه سبحانه وتعالى لم يتخذ ولداً، وأنه تعاضم وتقدس عن الشريك أو المشارك له في ذلك الملك، ثم يؤكد صفات كماله بذكر أنه خلق كل شيء، وأنه قدر كل شيء خلقه تقديراً محكماً.

¹ تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت - 1424 هـ - 2003 م، (ج 3 / ص 493).

² (إثبات علو الله ومباينته لخلقه، حمود بن عبدالله بن حمود التوجري، بنشر هذه المادة شبكة الدفاع عن السنة، المكتبة الإلكترونية الشاملة، (ج 1 / ص 68).

أما في الآية الثالثة: فبين الله تعالى أن المشركين يتخذون آلهة باطلة عاجزة لا تخلق شيئاً بل تخلق، وأنها لا تملك لنفسها الضر أو النفع، ولا تملك الموت ولا الحياة ولا البعث.

وبهذا يظهر أن تعظيم الله وتقديسه لب الإيمان، وأن افتتاح السورة بلفظ تبارك على وزن (تفاعل) الدال على الاستمرار يدل على دوام التعظيم لله الخالق، المنزل للوحي، المفرق بين الحق والباطل، والمنذر للعالمين من العذاب لمن يعصي، وعلى الإبداع البلاغي، والرقي في المخاطبة والتناسق العجيب بين الآية الأولى في السورة، والآيات التي بعدها التي ترد على الشرك واتخاذ آلهة لا تخلق ولا تملك ولا تضر ولا تنفع وكذلك بيان للزور والظلم في قول الكفار أن القرآن إفك مفترى أو أساطير متوارثة.

تبرز الافتتاحية أفضل نعمة على الناس وهي نعمة إنزال الكتاب (الفرقان) على خاتم رسله، وأفضل عباده محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

الإيمان بالقرآن الكريم ووصفه وتسميته بالفرقان، وبه يكون الإنذار من عذاب الله وعقابه.

مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ (عبده) وهو لفظ أمتدح به الرسول في أعظم أمور منها الإسراء والمعراج، {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء:1]، وفي تبليغه للدعوة، {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} [النجم:10]. وفي هذا الموضع حيث ورد لفظ (عبده) بعد لفظ تبارك ليدل على التعظيم والتقديس لله منزل القرآن على رسوله لإنذار العالمين.

يرشد لفظ العالمين إلى مسألة إيمانه خاصة بالرسول الخاتم والكتاب الذي أنزل عليه هي أن القرآن والرسول محمد صلى الله عليه وسلم نذير عام للناس للعالمين الإنس والجن وبهذا يظهر التناسق الإبداعي بين الإنذار العام وكثرة الخيرات والتعظيم والتقديس فكلها فيها الجلال والعظمة ويجب أن تقابل بعبادة عظيمة هي التقديس لله تعالى الذي بنعمته وفضله أوجد كل ذلك.

توحيد الله وتنزيهه عن الولد فهو لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الخلق، والملك، والتقدير، فهو المالك والخالق والقادر على كل شيء.

ثانياً: إيمانيات افتتاحية سورة الملك: قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ

فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتِ فَارِجِ الْبَصْرِ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ.

تثبت الافتتاحية أن الله تعالى وتعاضم عن صفات المخلوقين وأن له الصفات العلى العظيمة التي فيها تفرده عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو العظيم المنعم الذي كثر ما يفيض منه تعالى على مخلوقاته من فنون الخيرات. {الذي بيده الملك} أي: بيده التصرف التام والاستيلاء على كل موجود، (وهو على كل شيء) من المقدورات، أو من الإنعام والانتقام {قدير}؛ مبالغ في القدرة يتصرف فيه على حسب ما تقتضي مشيئته المبنية على الحكم البالغة⁽¹⁾.

والله وحده الذي بيده الملك، والقدرة الكاملة على كل شيء، وهو الخالق للموت والحياة، والعزيز الغفور، والمحكم لخلق سبع سموات طباقاً دون خلل أو تفاوت والذي زين السماء الدنيا بالنجوم، والذي أعد لشياطين والكافرين عذاب جهنم الذي هو بئس المصير.

والتأكيد على توحيد الله في العبادة ولتقديس والتعظيم باتباع لفظ تبارك بالأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الربانية الدالة على وحدانية الله، وقدرته النافذة، وإرادته القاهرة، وفعله المحكم.

وتبين الافتتاحية من الأسماء الحسنى العزيز، والغفور، اللذين تضمننا صفتي العزة، والمغفرة، واسم الرحمن تضمن صفة الرحمة، ثم من وصف الله تعالى لنفسه في الجملة الاسمية (وهو على كل شيء قدير)، نأخذ صفة القدرة، وفي {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} {والذي خلق سبع سموات} صفة الخلق.

وتدل على أن الموت مخلوق من مخلوقات الله تعالى بدليل قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} [الملك: 2]. وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَبْشُرُئِيُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَبْشُرُئِيُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ، فَلَا مَوْتَ وَ يَا

⁽¹⁾ انظر: البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية / 2002 م - 1423 هـ، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت، (ج 8 / ص 132).

أَهْلَ النَّارِ خُلُودًا، فَلَا مَوْتَ تُمْ قَرَأَ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ، أَهْلَ الدُّنْيَا، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾.

وتبين أن ابتلاء الله للإنسان في الحياة الدنيا ليظهر من يقوم بأحسن عمل يرضي الله تعالى. وتجلي البرهان العقلي والسنة الربانية الكونية على الإيمان بتفرد الله في خلق الموت والحياة، وعجز جميع المخلوقات أمام هاتين السنتين دون قدرة، ولا قوة لردّها، أو تهرب منها، فيه الدلالة الواضحة على قدرة، وقهر الله لمخلوقاته.

وكذلك تدعو الإنسان إلى البرهان العقلي التفكري الساطع الدال على إحكام الله لخلق السماوات السبع طباقاً بلا اختلال، أو عيب، أو فطور، أو شقوق مهما دقق الإنسان فيها بالنظر، وتعمق في الدراسة والمعرفة فلا يرجع إلا بال خاسئ، وعاجز أمام تحدي الله الحكيم.

فافتتاحية سورة الملك احتوت على ركن الإيمان بالله بأنواع التوحيد الثلاثة: العبودية (الألوهية) ففي لفظ تبارك التقديس والتعظيم لله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً، فهو يدل على الاعتقاد والقول باللسان اعترافاً بذلك، وتوحيد الربوبية: بارز في أن الله بيده الملك، والقدرة على كل شيء، وخالق الموت والحياة، وأنه القادر، والخالق الحكيم المحكم لخلق السماوات السبع، وأما توحيد الأسماء والصفات: ففي ذكرها لأسماء: العزيز، والغفور، وفي ما تضمنته الأسماء من صفة العزة، والمغفرة، في اسمي العزيز والغفور، ومنها الصفة المأخوذة من الوصف بالجملة الاسمية، والجملة الفعلية صفة الملك، والخلق، والرحمة، والحكمة، والإحكام. وفي الافتتاحية برهائنان، وآيتان كونيتان دالتان على الخالق، وبعض صفاته هما خلق الموت والحياة، وخلق وإحكام السماوات السبع.

¹ (صحيح البخاري- طوق النجاة - (ج 6 / ص 93)، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر / دار الفكر - بيروت، (ج 1 / ص 900).

المبحث الثاني

المسائل الإيمانية في فواتح نخب بسؤال أو تساؤل

المطلب الأول: الإيمانيات في افتتاحية سورة الأنفال بسؤال عن الأنفال.

قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:1]. لفظ {يسألونك}، ذكر في القرآن ثلاث عشرة مرة، ليخبر عن العديد من التساؤلات سواء للكفار أو للمسلمين. وهو هنا لإخبار عن سؤال الصحابة رضي الله عنهم لما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغنائم، أو السرايا، أو ما شذ من الكفار إلى المسلمين في معركة بدر.

وفسر الطبري الأنفال بالعديد من المعاني خلاصتها في أن الأنفال: الغنائم، وأنفال السرايا، وما شذ من المشركين إلى المسلمين، من عبد أو دابة، وما أشبه ذلك، ومنها الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس ثم رجح أن أولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال، قول من قال: هي زيادات يزيد بها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، إما من سهمه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيباً⁽¹⁾.

ومن المسائل الإيمانية في هذه الافتتاحية التالي:

1- المعاملات تدخل في الإيمان من باب أن المشرع الله وحده القائل: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:54]. ومن باب تحكيم التشريع المنزل من الله تعالى، ومن باب الامتثال العملي للأمر الرباني مع إخلاصه لله تعالى.

2- توحيد الحاكمية لله تعالى في أن المشرع للأحكام هو الله وحده، يدل على ذلك معرفة الصحابة رضوان الله عليهم ولجوؤهم إلى السؤال عن الإنفال لكي ينزل الله الحكم فيها، والإيمان والامتثال لهذا التوحيد واجب يدل عليه ختم أية الافتتاحية بقول الله: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

¹ (التحرير والتنوير، 360/13).

3- أمر الله تعالى المسلم في هذه الافتتاحية بالتقوى، وهي الخوف من الله ومن عقابه، وعدم الإقدام على معصيته. كما أمر بالإصلاح بين المسلمين. وبالطاعة والامتثال لله ورسوله. وتحقيق الإيمان اعتقاداً، وعملاً بالانقياد العملي الدال على صدق الإيمان.

المطلب الثاني: الإيمانيات في افتتاح سورة المعارج بسؤال المشركين.

قال تعالى: {سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.

تفردت هذه السورة بهذا الأسلوب الخبري حيث يخبر الله فيه عن سائل يسأل عن عذاب سيقع للكفار، وليس له دافع من الله تعالى صاحب المعارج، الذي ترجع وتعرج إليه الملائكة، وجبريل - عليهم السلام- وأرواح المؤمنين، ومن المسائل الإيمانية فيها التالي:

1- وقوع العذاب على الكافر المعاند المكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدم وجود من يدفعه عنه.

2- عروج الملائكة، وجبريل وأرواح المؤمنين إلى الله تعالى.

3- إثبات صفة العلو لله تعالى بدليل عروج المخلوقات إليه سبحانه.

4- عظيم قدرة الله في إعطاء لملائكة القدرة والقوة والسرعة التي بها تقطع المسافات من الأرض إلى السماء عروجاً، ونزولاً فيما يقدر بخمسين ألف سنة في أوقات قليلة، وبسرعة هائلة عظيمة تدل على عظم خلق الملائكة، وإحكامها، وعظيم قدرة الخالق لها سبحانه وتعالى.

5- الملائكة تسيرون وتنفذ ما يأمر به الله مسلمة منقادة، وفق الذي قدره الله زماناً، ومكاناً.

المبحث الثالث

إيمانيات فيما افتتح بالانتهاء عن القبر وبقرب القيامة وبعض أسمائها

تمهيد:

فواتح السور القرآنية بالأسلوب الخبري التي ذكرت غفلة الناس وانشغالهم عن القبر، وعن قرب القيامة أربع: الأولى منها في انشغال الناس بالتكاثر في الدنيا، وهي افتتاحية سورة التكاثر، قال الله تعالى: {الْهَآكُمُ النَّكَآثُ} [التكاثر: 1].

ثم ثلاث افتتاحيات تخبر بقرب القيامة، بأسلوب عربي بديع حيث جاء بصيغة الماضي الدال على تحققه ووقوعه بلا ريب أو شك ، في جميع تلك الافتتاحيات، ففي فاتحة سورة النحل قال تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل:1]. وفي افتتاح سورة الأنبياء قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:1]. وفي افتتاح سورة القمر قال تعالى: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [القمر : 1]. قال ابن كثير عند تفسيره لافتتاح سورة الأنبياء: " يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة"⁽¹⁾.

وفي تصوير الحساب بالشيء المقبل تعظيم وتفخيم لأمر القيامة والحساب، قال صاحب البحر المديد: " إسناد الاقتراب إلى الحساب المنبئ عن التوجه نحوهم ، مع صحة إسناد الاقتراب إليهم بأن يتوجهوا نحوه ، من تفخيم شأنه ، وتهويل أمره ، ما لا يخفى ، لما فيه من تصويره بشيء مقبل عليهم ، لا يزال يطلبهم حتى يصيبهم لا محالة. ومعنى اقترابه : دنوه منهم شيئاً فشيئاً حتى يلحقهم ؛ لأن كل آت قريب ، أي : دنا حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب"⁽²⁾.

وفي المطالب التالية فصل المسائل التي تضمنتها الأربع الافتتاحيات المخبرة بقرب القيامة وغفلة الناس عنها.

المطلب الأول

إيمانيات افتتاح سورة التكاثر بخبر الانتهاء عن القبر والقيامة.

قال تعالى: { أَلْهَاكُمُ النَّكَاتُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}. يخبر الله تعالى في افتتاحية سورة التكاثر بالانشغال بالتكاثر عن القبر أول منازل الحياة الآخرة، وبين أن من مراحل حياة الإنسان التي لا بد من المرور بها دخول الإنسان القبر، ومما يدل على تلك الحياة المؤقتة في البرزخ لفظ زُرْتُمُ المقابر، فعن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: { أَلْهَاكُمُ النَّكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } فلبث هنيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى

¹ (تفسير ابن كثير، ج 4 / ص 555).

² (البحر المديد، ج 4 / ص 478).

منزله⁽¹⁾. وقال ابن كثير "والصحيح أن المراد بقوله: { زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ }، أي: صرتم إليها ودفنتم فيها"⁽²⁾.
ومن المسائل الإيمانية فيها التالي:

- 1- الانشغال التام بالدنيا وما فيها من المتعة والتكاثر بالمال أو الأولاد أو الجاه والمنصب عن العبادة والعمل لليوم الآخر التهاء بالزائل عن الحق الراسخ الأبدي. ويدخل في لفظ {التكاثر} كل ما يشغل عن الإيمان والعبادة والطاعة لله تعالى، وتدل صيغته على وزن (التفاعل) أن التطرف والاهتمام الزائد بأمر الدنيا والتفاخر بذلك بعيد عن الوسطية والتوازن الذي جاء به الإسلام حيث جعل الدنيا مزرعة للآخرة.
- 2- الحياة في القبر حياة مؤقتة، وتسمى حياة البرزخ أي الفاصلة بين الحياة الدنيا والآخرة التي فيها الخلود والأبدية، ففي قوله تعالى: {زرتم}، قال الألوسي: " وفيه أيضا إشارة إلى قصر زمن اللبث في القبور والتعبير بالماضي لتحقيق الوقوع"⁽³⁾.
- 3- إرشاد المسلم إلى التيقظ والصحو في الحياة الدنيا التي خصها الله بالعمل الصالح المفيد والنافع في النجاة والرفعة في الحياة الآخرة دار الجزاء.
- 4- أن انتقال الإنسان إلى حياة القبر يكشف له غفلته عن الحياة الآخرة، و يؤكد العلم بالحياة الأبدية التي سوف ينتقل إليها بعد البعث، عندما يرى دار العذاب والجحيم. {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}.
- 5- لفظ {حتى} الدال على نهاية الغاية يناسب ما خبرت به الافتتاحية من الانشغال بالتكاثر إلى أن يأتي الموت النهائية الحتمية التي بها ينتقل للإنسان من الدنيا إلى حفرة التراب، حيث سيكون بمفرده بلا مال ولا أولاد ولا جاه ولا سلطان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله"⁽⁴⁾. فهذه الافتتاحية خصصت في ركن الإيمان باليوم الآخر، وفي البيان الرباني للناس بعدم انشغالهم بالتفاخر بأمر الدنيا، وفي تنبيه الناس من الغفلة المغطية لبصيرتهم عن حقيقة الموت المشاهد لكل عاقل، وفي التأكيد على تحقق وقوع النزول في القبور، والمروور عبره إلى الحياة الأبدية في الآخرة.

¹ تفسير ابن كثير - (ج 8 / ص 474).

² المرجع السابق، (ج 8 / ص 473).

³ (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ج 30 / ص 224).

⁴ (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، (ج 1 / ص 922).

المطلب الثاني

المسائل الإيمانية في افتتاح سور بإتيان يوم القيامة وقربه.

أولاً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة النحل: قال تعالى: {آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}. افتتح المولى العزيز سورة النحل بإتيان أمره بقيام القيامة، فلا يستعجل الكفار بذلك بل عليهم تسبيحه، وتنزيهه عن الشرك فهو المنزل للملائكة بالوحي، وبالإنذار أنه الله هو المستحق للخوف وحده لأنه الخالق للأشياء بالحق المتعالي عن الشرك.

ثم بين لهم الأدلة على وحدانيته فن خلقه الإنسان من نطفه، وخلق الأنعام لتفيد الناس في الدفاع، والمنافع، والأكل منها، الجمال وحمل الأثقال، والركوب عليها، وفي إنزال الماء من السماء للشرب، وإنبات الشجر والزرع، والزيتون والنخيل والأعقاب المنتجة للثمار، وفي هذا كله آيات لمن يتفكر ويعمل عقله في مشاهدة هذه النعم، وفي هذه الافتتاحية ربط لركن الإيمان باليوم الآخر بالأدلة المشاهدة في واقع حياة الإنسان ولفت نظره إلى النعم من حوله وأن الله هو الخالق لها فهو الذي بيده الأمر بقيام القيامة والإتيان بالساعة وأحداثها فعليهم الإيمان والخروج من الشرك بآلهة لا تفعل شيئاً مقارنة بما خلق الله وأنعم به على الإنسان.

ثانياً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الأنبياء: قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ} * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم مِّثْلَكُم أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}.[1-3].

من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، وهو مراحل وحالات فكل إنسان يموت قد قامت قيامته ثم بعد الحياة في القبر سيكون البعث والنشور والحساب والميزان وغيرها من أحداث ذلك اليوم العظيم ففي هذه الافتتاحية :

1- أخبر الله تعالى بقرب القيامة بجزء منه هو الحساب فدل على أهمية الحساب وما سيكون فيه من المحاسبة على الأعمال وخصوصاً عندما يغفل الناس عنه فالافتتاح بذلك ينبه الغافل، ويذكر الناسي، ويرد على الكاذب، ويُقِظ اللاعب اللاهي، قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ} [الأنبياء:1].

2- الافتتاحية إعلان رباني للناس جميعاً أن الحساب الذي سيقام لهم قريب فوجب عليهم أن يستيقظوا من غفلتهم، ويرجعوا عن اعراضهم، وقال أبو حيان الأندلسي: "واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة إخراج الكمية من مبلغ العدد، وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقتراباً لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب"⁽¹⁾. والحساب في هذه الآية بمعنى المحاسبة، وهو ظهور ما للعبد وما عليه ليجازي عليه، والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة⁽²⁾.

3- إثبات تحقق ووقع اليوم الآخر والمحاسبة على الأعمال. قال إسماعيل حقي: "اللام بمعنى من وهي متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقتراب والمراد بالناس المشركون المنكرون للبعث من أهل مكة كما يفصح عنه ما بعده من الغفلة والإعراض ونحوهما"⁽³⁾.

4- المشركون في غفلة وإعراض هذا ما وصفتهم به الافتتاحية، بقوله تعالى: { وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } . وفي هذا الوصف ارشاد للناس بعدم الاستمرار والديمومة على هذه الحال بل الواجب الخروج منها إلى كسب العمل الصالح المنجي من الخسران عند محاسبة مالك يوم الدين، الحكم العدل.

ثالثاً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة القمر: قال تعالى: { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {2} وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكَلُّوا أَمْراً مُّسْتَقَرًّا.

افتتاح الله هذه السورة بإخباره عن قرب الساعة، وعن معجزة انشقاق القمر لخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وحدث الانشقاق علامة وآية على ذلك القرب، فالإخبار بهاذين الأمرين المثيرين للعقول إبداع وجذب لكل قارئ أو سامع للقرآن الكريم، وتشويق للاطلاع والسماع لما بعدها من الآيات، ومن المسائل التي احتوتها هذه الافتتاحية التالي:

⁽¹⁾ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق و. د. زكريا عبد المجيد النوقي، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت، (ج 6 / ص 274).

⁽²⁾ انظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر / دار إحياء التراث العربي، (ج 5 / ص 346).

⁽³⁾ المرجع السابق في نفس الموضوع، (ج 5 / ص 346).

- 1- ذكرت الافتتاحية آية انشقاق القمر الدالة على صدق رسالة محمد بن عبد الله، وهي معجزة كونية حدثت وسجلها القرآن الكريم وشاهدها الكفار والمؤمنون.
- 2- وصف الله حال الكفار وقولهم عند ما شاهدوا بأمر أعينهم هذا البرهان الرباني الكوني بالإعراض والقول إنه سحر.
- 3- ثم أكدت الافتتاحية على صفة ملازمة للكفار هي أنهم عندما يسمعون كلام الرسول ويرون المعجزات الدالة على الإيمان به وبرسالته، وباليوم الآخر يعرضون عن تلك المعجزة وما فيها من الأدلة والحكمة التي بلغت المنتهى في الدليل، وسبب هذا هو العناد والإصرار على الضلال والكفر، وعند الوصول لهذه المرحلة التعننية التي لا يتأثر فيها الكافر بالمعجزات ولا تعيده الإنذارات الواضحة الجلية، يأمر الله تعالى رسوله أن يدعهم حتى يصلوا إلى يوم القيامة.

المطلب الثالث

المسائل الإيمانية في افتتاح سورتي الحاقة والقارعة.

أولاً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الحاقة: قال تعالى: {الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}، أخبر الله تعالى باسم من أسماء يوم القيامة هو الحاقة الدال على تحقق ووقوع القيامة، وقيام العدل الكامل بين يدي الله تعالى، وظهور حقائق الأمور، ثم في الآية الثانية جاء أسلوب الاستفهام، والتأكيد للفظ الحاقة ليدل على التعظيم لذلك اليوم، وعلو شأنه، ثم بعد الافتتاحية جاء الخبر الدال لعظم يوم القيامة يوم الحاقة بأن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة بذلك اليوم، ونقل الرازي الإجماع على أن الحاقة هي القيامة، ثم ذكر عشرة معاني ومنها: أن الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، وأنها التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة، وأنها ذوات الحواق من الأمور أي الصادقة الواجبة الصدق، وأنها الساعة التي يحق فيها الجزاء على كل ضلال وهدى، وأنها الوقت الذي يحق على القوم أن يقع بهم⁽¹⁾. من المسائل الإيمانية في آيات الافتتاحية الثلاث التالي:

- 1- إثبات اسم الحاقة كاسم من أسماء اليوم الآخر.

⁽¹⁾ ينظر: تفسير الفخر الرازي، (ج 1 / ص 4523).

2- تعظيم شأن يوم القيامة، لما فيه من أهوال، وأحداث عظيمة، قال الرازي: "وتعظيماً لهولها فوضع الظاهر موضع المضمرة لأنه أهول لها ومثله قوله : {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة : 1 - 2].

3- تجلي الأمور التي كانت في الدنيا من عالم الغيب، لتكون من عالم المشاهدة، حقائق لا ريب فيها.

فركزت هذه الافتتاحية على ركن الإيمان باليوم الآخر في تسميته، وعظمه، وبعض ما يحصل فيه من تحققه ووقوعه، وظهور عدل الله وتحققه ، والحساب الحكيم الكامل المعطي الجزاء والثواب حسب الأعمال كل ذلك تدل عليه تسمية القيامة بالحاقة، وظهور ما كان غيباً في الدنيا حقائق لا ريب فيها.

ثانياً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة القارعة، قال تعالى: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} افتتاح هذه السورة بهذا الاسم في لفظه ومخارج حروفه، ومعناه قرع للقلوب البشرية التي هي محطة الإيمان ، وتنبهه وتوجيه لها أن تصحوا من غفلتها واستهانتها باليوم الذي ينتظرها ، وفي هذا التنبيه نعمة ورحمة بالناس، وإنذار مبكر لهم، وبيان بأن الفرصة لا تزال بأيديهم للعمل المنجي من ذلك اليوم الذي سيقرعهم بأهوال وفزعة.

ومن مسائل الإيمان في هذه الافتتاحية التالي :

1. أن القارعة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت به لأنها تقرع القلوب من الهول، والفرع وقد وصف في آيات أخرى أن الناس فيه لشدة القرع والهول يكونون فيه كالسكارى وما هم بسكارى لشدة هولها تضع فيها كل ذات حمل حملها.

2. قول الله: { مَا الْقَارِعَةُ } فيه تعظيم ليوم القيامة وأمرها وفخامتها وكل ذلك يرشد المؤمن بها إلى العمل من أجل الحماية منها بالإيمان وتقديم الأعمال الصالحة المدافعة والمؤمنة لأصحابها .

3. وصفت فاتحة هذه السورة حال الناس يوم القيامة أنهم كالفراس المنتشر المائج بعضة في بعض وزد على ذلك أنها من الحيوانات الليلية فهي مائجة ومنتشرة في ظلمة الليل وبهذه الصورة الإيمانية لحال الناس عند القارعة تنبه البشرية ذات الألباب إلى الاستعداد لذلك اليوم بتقديم الأعمال والقربات التي تجعلهم تحت ظل عرش الرحمن وفي كنف رحمته ورضاه ، وبها يثبت قلوبهم ويربط عليها .

4. وقوع الأحداث الكونية العظيمة، وتغير السنن الحاكمة للعلاقات والصفات للمخلوقات، ومنها: تغير ثقل الجبال على وجه الأرض، المستقرة التي كان ينظر العقل البشري إليها فيعتقد استحالة حركتها تصبح في خفتها كخفة الصوف المنفوش الذي تطيره الرياح في كل اتجاه قال تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ} [القارعة: 5]. فالجبال الرواسي التقال يوم القيامة تتغير فتكون كالعهن المنفوش. فجمعت الافتتاحية بين لفظ ومعنى القارعة والتصوير الرباني لقرعها لما سيحدث فيها من الأهوال والفرع.

المبحث الرابع

المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أُخبرت بتنزيل القرآن أو سورة منه

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الزمر: قال تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 1-3] أخبر الله تعالى أنه أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم بالحق، وأن الله هو الواجب عبادته وحده دون شريك أو ند، وأنه المستحق وحده لإفراده بالدين الخالص، وأن الذين يتخذون آلهة وأولياء من دونه في اختلاف وانحراف، والله لا يهديهم بسبب ذلك وسيحكم بينهم، ثم بعد آيات الافتتاح الثلاث بين الله تعالى الأدلة على استحقاقه وحده للعبادة والخضوع فهو سبحانه الذي لا يحتاج إلى ولد فهو الخالق ما يشاء، والواحد القهار، وهو مكور الليل على النهار والمسخر للشمس والقمر والمجري لهما إلى موعد محدد مقدر، والخالق للناس من نفس واحدة والمنزل ثمانية أزواج من الأنعام، المحكم لخلق الإنسان في ظلمات ثلاث والله هو الذي يفعل كل ما سبق فهو المالك وله الملك فكيف تصرف العبادة لغيره مع وضوح هذه الأدلة العقلية. ومن المسائل الإيمانية في هذه الافتتاحية التالي:

1- أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله تعالى، قال ابن كثير: " يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده، تبارك وتعالى (1).

(1) تفسير ابن كثير - (ج 7 / ص 84).

2- وصف الله تعالى باسمين هما العزيز والحكيم، وهما يتضمننا صفتي العزة والحكمة، قال تعالى: { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ } "أي: المنيع الجنب، { الْحَكِيمِ } أي: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره"⁽¹⁾. وفي اتباع الإخبار بتنزيل القرآن باسمي الله العزيز الحكيم حكمة ذكرها ابن عجيبة الإدريسي بقوله: " وإيثار الوصفين للإيدان بجريان أثريهما في الكتاب، بجريان أحكامه ونفوذ أوامره ونواهيته"⁽²⁾.

3- تعظيم شأن القرآن الكريم بذكر اسمين من أسماء الله تعالى بعد ذكر تنزيل الله له، قال الطبري: " وقد تكرر كثيراً في القرآن، ذكره بعض أسمائه وصفاته، بعد ذكر تنزيل القرآن العظيم، كقوله... في أول فصلت: { حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }. وقوله تعالى في أول هود { الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }، ... ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح، على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه وأهمية نزوله"⁽³⁾. وقال السعدي: " يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل منه"⁽⁴⁾.

4- القرآن الكريم أنزل بالحق، والعدل، قال الطبري: " أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصاً له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضراً ولا نفعاً"⁽⁵⁾.

5- أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعبادته بإخلاص، قال تعالى: { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ }، قال ابن كثير: " وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }"⁽⁶⁾. ومعنى { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

¹ (المرجع السابق في نفس الموضوع.

² (البحر المنيد، (ج 6 / ص 360).

³ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، طبعة: (1415 هـ - 1995 م)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (ج 42 / ص 3).

⁴ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م، الناشر: مؤسسة الرسالة، (ج 1 / ص 717).

⁵ (تفسير الطبري، (ج 21 / ص 248).

⁶ (تفسير ابن كثير، (ج 7 / ص 84).

الْخَالِصُ} " أي: التوحيد الصافي من شوائب الشرك، أي: هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به"⁽¹⁾.

6- تعلق الكفار بعبادتهم للآلهة الباطلة بأنها تقربهم إلى الله، والله هو الحاكم لهم في هذا القول الباطل، قال الشنقيطي: " فبين أنهم يزعمون أنهم ما عبدوا الأصنام، إلا لأجل أن تقربهم من الله زلفى، والزلفى: القرابة"⁽²⁾.

7- الله لا يهدي الكافر الكاذب، ومعنى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي} أي إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدايته، فيوقفه له {مَنْ هُوَ كَاذِبٌ} مفتر على الله، يقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدا افتراء عليه، كفار لنعمه، جودا لربوبيته⁽³⁾. قال الرازي: " {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} والمراد أن من أصر على الكذب والكفر بقي محروماً عن الهداية"⁽⁴⁾. والهداية المنفية عنهم هي: أن يتداركهم الله بلطفه بخلق الهداية في نفوسهم، لا الهداية بمعنى الإرشاد والتبليغ، فالله لا يبسر لهم حتى يهتدوا، بل يتركهم على رأيهم غضباً عليهم، فسبب حرمانهم التوفيق هو كذبهم وشدة كفرهم⁽⁵⁾.

8- وصف الله تعالى المشركين بالكفر والكذب، قال الشنقيطي: " وقوله: {كَفَّارٌ}، صيغة مبالغة، فدل ذلك على أن الذين قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، جامعون بذلك بين الكذب والمبالغة في الكفر بقولهم ذلك"⁽⁶⁾. وقال الرازي: " والمراد بهذا الكذب وصفهم بهذه الأصنام بأنها آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بأنها جمادات خسيسة، وهم نحتوها وتصرفوا فيها، والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه الأشياء بالإلهية كذب محض"⁽⁷⁾.

¹ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - ج 42 / ص 4).

² (المرجع السابق، ج 42 / ص 5).

³ (ينظر: تفسير الطبري، ج 21 / ص 252).

⁴ (تفسير الفخر الرازي، ج 1 / ص 3833).

⁵ (التحرير والتنوير - الطبعة التونسية - ج 23 / ص 323).

⁶ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 42 / ص 6).

⁷ (تفسير الفخر الرازي، ج 1 / ص 3833).

المطلب الثاني

المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة النور.

قال تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: 1].

يلاحظ المتأمل في افتتاحيات سور القرآن الكريم تنوعاً بديعاً جاذباً لكل من القارئ، والسامع، وهذه الافتتاحية إحدى تلك الافتتاحيات فيه فريدة بين مطالع سور القرآن الكريم حيث برز فيها الإخبار بسورة أنزلها الله وفرضها، وأنزل فيها آيات بينات لكي يتم التذكّر والإنذار، قال ابن كثير: "يقول تعالى: هذه {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا} فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها. {وفرَضْنَاهَا} قال مجاهد وقتادة: أي بيّنا الحلال والحرام والأمر والنهي، والحدود. وقال البخاري: ومن قرأ "فَرَضْنَاهَا" يقول: فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ وعلى من بعدكم { وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } أي: مفسّرات واضحات، { لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }⁽¹⁾. ومن المسائل الإيمانية فيها التالي:

- 1- أن الإيمان بالقرآن الكريم المكون من سور وآيات ومنها هذه السورة التي أنزلها الله لبيان الفرائض الواجبة ودلائل التوحيد، لكي تؤدي، والأداء هو المجال الثالث من الإيمان حيث الإيمان اعتقاد وقول وعمل، قال الشنقيطي: "ذكر الله جلا وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أنزل إلينا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم آيات مبيّنات، ويدخل فيها دخولا أوليا الآيات التي بينت في هذه السورة الكريمة، وأوضحت في معاني الأحكام والحدود، ودليل ما ذكر من القرآن قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: 1] ولا شك أن هذه الآيات المبيّنات المصرح بنزولها في هذه السورة الكريمة، داخلة في قوله تعالى هنا: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} [النور: 34] الآية"⁽²⁾.
- 2- في إنزال هذه السورة شرف لرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن أقل ما تحدى به الله أن يأتوا بمثله من القرآن الكريم الإتيان بمثل سورة منه، قال ابن هوازن القشيري: "أنزلناها لأن أقل ما ورد به التحدي سورة فكلّ سورة شرف له عليه السلام لأنها له معجزة"⁽³⁾.

⁽¹⁾ تفسير ابن كثير، (ج 6 / ص 5).

⁽²⁾ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (ج 27 / ص 319).

⁽³⁾ لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم بسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكان الطبع: مصر، (ج 2 / ص 592).

3- ترشد الافتتاحية إلى أن أدلة الإيمان بالله ورسوله لها ثمرة هي التذكر والاعتبار، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}. قال ابن عاشور: "فهو تنويه آخر بهذه السورة تنويه بكل آية اشتملت عليها السورة: من الهدى إلى التوحيد، وحقية الإسلام، ومن حجج وتمثيل، وما في دلائل صنع الله على سعة قدرته وعلمه وحكمته"⁽¹⁾.

4- المؤمن المدرك لدلالة البراهين يقوم بأداء الفرائض التي أوجبها الله بإحسان سواء كانت من العبادات أو المعاملات وينفذ الأحكام الشرعية كما يحبه الله ويرضاه، قال السمرقندي: {لعلكم تذكرون} يعني تتعظون فلا تعطلون الأحكام والحدود،⁽²⁾. وقال أبو بكر الجزائري: "لعلكم تذكرون: أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام"⁽³⁾.

المبحث الخامس

المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أخبرت بالبراءة من الكفار وضلالهم

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة التوبة.

قال تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ}، هذه السورة هي الوحيدة التي لم يتقدم على افتتاحيتها بالبسملة، لأن فيها براءة الله ورسوله إلى المعاهدين الكافرين من مشركين وغيرهم، قال ابن كثير: "اختلف المفسرون ها هنا اختلافا كثيرا، فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: {فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: 4]... وفي الحديث: "ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهداه إلى مدته"⁽⁴⁾. وهذا أحسن الأقوال وأقواها"⁽¹⁾. ومن المسائل الإيمانية التي تضمنتها الآيات الثلاث لهذه السورة التالي:

⁽¹⁾ (التحرير والتنوير - الطبعة التونسية - (ج 18 / ص 143).

⁽²⁾ (بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر - بيروت

تحقيق: د. محمود مطرجي، (ج 2 / ص 494).

⁽³⁾ (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الطبعة: الخامسة: 1424هـ/2003م، الناشر:

مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ج 3 / ص 546).

⁽⁴⁾ (نص الحديث: (عَنْ زَيْدِ بْنِ أُنَيْسٍ رَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ سَأَلْنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَأَيِّ شَيْءٍ بُعِثَتْ يَوْمَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَجَّةِ قَالَ بُعِثْتُ بِأَرْبَعٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

- 1- التغليب على المشركين والكفار بالبراءة منهم فإذا كانت للمعاهدين فهي من المحاربين، والناقضين للعهود أولى، ويدل على تغليب عدم سبق الافتتاحية بالبسمة.
- 2- أن من الإيمان الوفاء بالعهود والعقود، يدل على ذلك قول الله: { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } حيث إظهار تلك البراءة وإعلانها في تجمع بشري كبير كان يحضره جميع الناس المسلم والكافر.
- 3- البراءة هو الشق الثاني من عقيدة الولاء والبراء التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأوثق عرى الإيمان بقوله: " يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيُّ عَرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ " قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " الْمَوْلَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ " (2).
- 4- صفة القدرة المطلقة الكاملة لله تعالى في التمكن من المشركين والكفار في كل مكان وحال، وأنهم لا يعجزونه، {وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ}. ثم أكد هذه الصفة في الآية التي تليها بقوله: {فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} وكذلك بأنه معذبهم إن لم يرجعوا عن شركهم وكفرهم، {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (3).
- 5- دعوة الله تعالى المشركين والكفار إلى الإيمان، وعدم التولي أو الإعراض عنه { فَإِنْ تَبَتُّمْ فَهَوْاْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ }، { فَإِنْ تَبَتُّمْ } أي رجعت من كفركم وأخلصتم التوحيد، { فَهَوْاْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ } أعرضتم عن الإيمان (4). وقال عبد الكريم الخطيب: "دعوة مجددة من الله - سبحانه - إلى المشركين، أن يستجيبوا لله وللرسول، فذلك هو الذي يحقق لهم الفوز والفلاح" (5).
- 6- التهديد والتهمك والردع للكفار لإرجاعهم عن شركهم وغدرهم، جاء ذلك بالأسلوب البلاغي البديع في استخدام لفظ البشارة التي تكون فيما يسر الإنسان، وذكرها مع العذاب للكفار فيه

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وأخرون، الطبعة: الثانية 1420 هـ، 1999م، الناشر: مؤسسة الرسالة، (ج 2 / ص 32).

¹ (تفسير ابن كثير، (ج 4 / ص 102).

² (شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسبوني زغول، الطبعة الأولى، 1410، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (ج 12 / ص 76).

³ (تفسير ابن كثير، (ج 4 / ص 103).

⁴ (معالم التنزيل (تفسير البيهقي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي [المتوفى 516 هـ]، المحقق: حقه وخارج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، (12/4).

⁵ (التفسير القرآني للقرآن - (ج 5 / ص 700).

تهكم بهم، وردع لكي يستجيبوا لدعوة الله بالرجوع عن الشرك، والغدر، قال ابن عاشور: "البشارة أصلها الإخبار بما فيه مسرة، وقد استعيرت هنا للإنداز، وهو الإخبار بما يسوء، على طريقة التهكم"⁽¹⁾.

فتضمن هذه الافتتاحية البراء المقابل للولاء وهي قضية إيمانية عملية تظهر عمق الإيمان وتغلغله في شغاف القلوب، مكونة الترابط الأخوي الإيماني، والحب في الله تعالى، وتنبه المؤمن أن عليه البراء من الكفار والمشركين. وكذلك احتوت على ركن الإيمان بالله بذكر صفة القدرة المطلقة التي من مظاهرها في الافتتاحية تمكنه من الكفار.

المطلب الثاني

المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ }.

شرف الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن سمى سورة باسمه، وفي آياتها الثلاث التي افتتحت بها العديد من الإخبارات: في الآية الأولى: أخبر الله تعالى بصد الكافرين عن الصراط المستقيم، وبسببه أضل الله تعالى أعمالهم، وفي الثانية: أخبر أن ثمار إيمان المؤمنين وعملهم الصالحات، وإيمانهم بالوحي تكفير السيئات عنهم وإصلاح الله لبالهم، وفي الآية الثالثة: أخبر بالعلة التي بها حدث إضلال عمل الكفار وإصلاح بال المؤمنين وهي أن الكفار اتبعوا الباطل، وأن المؤمنين اتبعوا الحق. ومن المسائل الإيمانية إضافة إلى السابق التالي:

1- إن الله تعالى جعل الأسباب تؤدي إلى نتائج، وبهذا أحكم السنن الحاكمة للمخلوقات على الأرض، ومن هذه الأسباب والسنن أن الله رتب على صد الكافر عن سبيل الله ضلال أعماله، وعدم حصول الكافر على الثمار الطيبة من رضوان الله، ورحمته، وإدخاله الجنة دار النعيم. وكذلك أنه رتب على إيمان المؤمن واستسلامه، ويقينه بالإيمان

¹ (التحرير والتنوير - الطبعة التونسية - (ج 10 / ص 111).

بالغيبيات، وتحققها حصوله على الثمار الطيبة من تكفير السيئات، وإصلاح ما أفسدته في الأعمال، والبال.

- 2- التأكيد على الإيمان بالقدر، وتقدير الله بأن حكم بضلال عمل الكافر لكفره وصدده .
- 3- من صفات المؤمنين الاعتقاد الجازم، واليقين الذي يقودهم إلى عمل الصالحات والتصديق بالوحي المنزل من عند الله على رسله وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.
- 4- في الافتتاحية جعل الإضلال مثلاً لخبية الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين⁽¹⁾.
- 5- ضرب مثال غايته بيان أحوال، وأوصاف المؤمنين، والكافرين للاعتبار، والابتعاد عن حال وأوصاف الكفار، والسير على طريقة المؤمنين.

المبحث السادس

المسائل الإيمانية في فواتح السور التي أُخبرت باسم الرحمن وبعتاب الرسول

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الرحمن.

قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}. الافتتاح باسم الله الرحمن فيه تنوع يجلب العقول والخواطر ويدعوا إلى مواصلة القراءة والاستماع ويطمع في نيل الرحمة والأجر. ومن المسائل الإيمانية:

- 1- إثبات اسم الله الرحمن وما تضمنه من صفة الرحمة.
- 2- تصدر اسم الله الرحمن هذه الافتتاحية، وهو الاسم الوحيد من الأسماء الحسنى الذي افتتح الله به سورة من سور القرآن الكريم ، إشارة إلى سعة رحمة الله سبحانه.
- 3- وفي تخصيص الله سبحانه بهذا الاسم في هذه الافتتاحية تناسب مع ما رحم به عباده من تعليمه القرآن، الذي هو أعظم النعم⁽²⁾.

¹ (الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ج 4 / ص 319).

² (ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر المتوفى: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ج 2 / ص 463).

- 4- ثم نعم " تلقين البيان، وأمر الخلائق بالعدل في الميزان، والمنة عليهم بالعصف والريحان، وبيان عجائب القدرة في طينة الإنسان، وبدائع البحر، وعجائبها: من استخراج اللؤلؤ والمرجان، وإجراء الفلك على وجه الماء أبدع جريان، وفناء الخلق وبقاء الرحمن"⁽¹⁾.
- 5- وفي تقديم نعمة تعليم القرآن على سائر النعم دلالة على أنها أعظمها نعمة، وأعلىها رتبة⁽²⁾.
- 6- الله تعالى خالق الإنسان.
- 7- الله تعالى معلم الإنسان البيان، قال ابن كثير: "قال الحسن: يعني: النطق، وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخير والشر"⁽³⁾. ثم رجح القول الأول لأنه أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته⁽⁴⁾.
- 8- وختم الله تعالى المقطع الأول في سورة الرحمن بآية عظيمة هي {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فبعد الافتتاح الرائع، ثم السرد لآلاء وأفعال الرحمن كانت هذه الآية هي الخاتمة البليغة التي تضع أصحاب العقول أمام أدلة لا محيص عنها إلا بالإيمان والتسليم والعبادة والسجود.

المطلب الثاني

إيمانيات افتتاح سورة عبس.

تقدم هذه الافتتاحية وصفاً واضحاً لحادثة واقعة لخاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم يظهر فيها حرص رسول الله على إنقاذ الناس ونجاتهم وبذله الجهد في دعوتهم لا لمصلحة دنيوية أو فائدة شخصية إنما رحمة ورفقاً بهم وطلب للأجر من الله تعالى ويتبين كذلك إنقاذ رسول الله لأمر الله تعالى بالدعوة والتبليغ للإسلام بين مختلف فئات المجتمع الفئة الفقيرة أو الغنية، المملأ من الناس أو الرعية فالافتتاحية تتضمن ركن الإيمان بالرسول وبيان وظيفتهم التي أرسلوا لأجلها، وفيها أيضاً المسائل الإيمانية التالية:

¹ (الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويُسمى (جَنَّةُ الْمُشْتَأَقِ فِي تَفْسِيرِ كَلِمِ الْمَلِكِ الْخَلْقِ)، عبد الرحمن بن محمد القماش، الإصدار الأول مايو 2009 م، (ج 738 / ص 7).

² (لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة 1399 هـ / 1979 م، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان، (ج 7 / ص 2).

³ (تفسير ابن كثير، (ج 7 / ص 489).

⁴ (انظر: المرجع السابق في نفس الموضوع.

1. رسول الله بشر تظهر عليه صفاتهم البشرية كالتجهم والإعراض ، والاجتهاد في الدعوة والنظر إلى المصلحة حسب علمه وتفكيره.
2. حكمة وعدل الله ومساواته للإنسان كإنسان بغض النظر عن حالته من مكانته في قومه أو غناه بالمال فالكل له نفس وأن الإنسان المتمركي بالإيمان الطالب للنجاة والعلم والتذكير بما ينفع هو المقدم في الحرص على دعوته، وبذل الجهد الدعوي معه لأنه حريص على التخلي عن الأخلاق السيئة وقابل للتغير والارتقاء في سلم الإيمان والتخلق بالأخلاق الحسنة.
3. المؤمن يقبل على الوحي المنزل من الله وينذكر به، ويرغب في تطهير نفسه وأخلاقه من الرذائل به.
4. التوجيه الرباني الحكيم من الله تعالى لرسوله في الاهتمام بالمقبل على تعلم الدين، وفي هذا العتاب براهن إيماني وعلامة إلهية بأن القرآن الكريم ليس من محمد صلى الله عليه وسلم بل هو منزل من الله تعالى .

المبحث السابع

المسائل الإيمانية في فواتح السور المؤكدة لأخبارها بقدر وإن

المطلب الأول: المسائل الإيمانية في افتتاحية سور سورتى المؤمنين والمجادلة.

أولاً : المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة المؤمنين : قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} الإيمان اعتقاد وقول وعمل وصفات المؤمن وعمله وحركته وسلوكه وأخلاقه في واقع الحياة دليل على فلاحه، ونجاحه في الدنيا والآخرة ، ووجود سورة باسم المؤمنين تفتتح بفلاحهم مع التزامهم بالصفات المذكورة من إقامة الصلاة بخشوع ، والبعد عن اللغو ، وأداء الزكاة ، وحفظ الفرج ، وأداء الأمانة بيان لأهمية هذه الصفات ورفعة للمؤمن إلى درجة الورثة للأرض والفردوس الذي هو وسط الجنة وأعلاها. ومن المسائل التي تضمنتها الافتتاحية التالي:

1- الإخبار المؤكد بحرف [قد]، وصيغة الماضي في [أفلح] دليل على فلاح المؤمنين في الدارين، ثم إن مجيء الآيات بعد الافتتاحية مخبرة بأن المؤمنين وارثون للجنة يزيد ذلك تأكيداً وتحققاً،

وفي هذا ترغيب عظيم لكل صاحب عقل، وبيان لأهمية عمل المؤمن في تبليغه درجة الفردوس في اليوم الآخر والربط بين العمل والدرجة .

2- ربطت الافتتاحية بين الاعتقاد باليوم الآخر وما فيها من نعيم وبين العبادات التي يؤديها المؤمنون، وفي الدنيا، وفي هذا تأكيد على شمولية العقيدة الإسلامية على الاعتقادات والأعمال، والمعاملات والتصرفات.

3- تنوع العبادة لله تعالى من القلبية بالخشوع في الصلاة والبدنية في الصلاة، والقولية في ضبط اللسان عن اللغو، والمالية في الزكاة والصدقة، والأخلاقية الشخصية والأسرية في حفظ الجوارح عن التعدي والتجاوز للحلال، وعبادة الرحمة والرفق في معاملة الناس والعطف على المحتاج والفقير، وعبادة أداء الأمانات العامة في مجالات الحياة المختلفة.

4- بينت الافتتاحية أن من انحرف عن هذه العبادات فهو من العادين المتجاوزين للحلال إلى المنهي عنه.

فتضمنت الافتتاحية ركنين من أركان الإيمان هما الإيمان بالله وأنه المعبود وحده بهذه العبادات التي ذكرتها الافتتاحية، وما بعدها من الآيات وركن اليوم الآخر، ومسألة فلاح المؤمن، وبيان لأعمال الفلاح والنجاة الشاملة لأعمال قلبية، ولسانية، وجوارح، وأخلاق.

ثانياً : المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة المجادلة : قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} {المجادلة:1}.

أخبر الله تعالى في افتتاحية هذه السورة وأكد هذا الإخبار بحرف (قد) بصفة من صفاته، قال تعالى: {قد سمع الله}، قصة مسلمة تشتكي من زوجها الذي حرّمها على نفسه بعد حياة زوجية طويلة، وانجاب الأولاد، والزواج شيخ كبير، وهذا كان قبل نزول حكم الظهار، " قال الطبري: "ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأُنزل الله عزّ وجلّ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } إلى قوله: {وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أَنْقِذْ عَلَى رَقَبَةٍ تُعْتَقُهَا؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ما أقدر عليها، فجمع له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أعتق عنه، ثم راجع أهله⁽¹⁾. فأخبرت الافتتاحية بأن الله اطلع وسمع المحاور، ورحم المسلمة، وزوجها، وأولادها والمسلمين من بعدهم فأُنزل

¹ (تفسير الطبري، ج 23 / ص 227).

الحكم الشرعي الذي يحل هذه المشكلة الأسرية ، وفي تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم تأكيد على الرحمة والتيسير في الشرع الإسلامي ، حيث جمع له الرسول ما يكفي في إعادة الأسرة إلى استقرارها⁽¹⁾. ومن المسائل الإيمانية أيضاً التالي:

1- إثبات صفة السمع لله تعالى من خلال وصف الله لنفسه بالفعل الماضي {قد سمع الله} والفعل المضارع {يسمع تحاوركما}، ومن تضمن اسم السميع لها.

2- إثبات صفة البصر بتضمن اسم البصير الذي ختمت به الآية الأولى في افتتاح السورة.

3- ومن خلال سياق الآية الأولى يكون الإيمان بصفة قرب الله تعالى وإحاطته بمخلوقاته، ومعيته للمؤمن، وصفة القدرة، والرحمة حيث علم الله تعالى واستجاب لتلك الشكوى ، وشرع ما يفك حاجة المشتكية، وكل من سيقع فيما كانت فيه ⁽²⁾، و"صارت قصتها فرجةً ورحمةً للمؤمنين إلى يوم القيامة ، في قضية الظهار ، ليعلم العالمون أنه لا يخسر على الله أحد"⁽³⁾.

4- الرابط الإيماني القوي بين المؤمن وربيه السميع البصير، ورجوعه إليه في جميع حاجاته، وشكواه، كما رجعت هذه الصحابية رضي الله عنها إلى الله والرسول لحل مشكلتها، قال الرازي: " إن هذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجأؤه عن الخلق، ولم يبق له في مهمه أحد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم"⁽⁴⁾.

¹ ففي تفسير البيضاوي ، روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : حرمت عليه فقالت : ما طلقني فقال : حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الأربع ، (ج 1 / ص 307).
² (والله قد يطلق " على نفسه أسماء ك (السميع) و (البصير) ، وأوصافاً ك (السمع) و (البصر) ، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } " ، انظر : الصفات الإلهية تعريفها ، أقسامها محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الطبعة : الأولى ، 1422 هـ / 2002 م ، الناشر : أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (ج 1 / ص 39).

³ (البحر المنيد ، (ج 7 / ص 502).

⁴ (تفسير الفخر الرازي ، (ج 1 / ص 4421).

المطلب الثاني

المسائل الإيمانية في افتتاحية سور الفتح ونوح والقدر والكوثر.

أولاً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة الفتح: قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} [الفتح: 1-3].

تخبر افتتاحية السورة الكريمة بصيغة التعظيم لله تعالى بفتح الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة بعد أن رجع من صلح الحديبية، قال ابن كثير: "نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة"⁽¹⁾. لكنه كان فتحاً عظيماً حصل به "خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان"⁽²⁾. ومن المسائل الإيمانية في هذه الافتتاحية التالي:

1- تفضل وامتنان الله تعالى على خاتم الرسل بتخصيصه بالفتح، بإتاحة الفرصة للنشر للإسلام في فترة صلح الحديبية، ثم إكرام الله للرسول بالمغفرة. قال الرازي: "وأما الفتح فلم يكن لأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم، فعظمه بقوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا} وفيه التعظيم من وجهين أحدهما: إنا وثانيهما: لك أي لأجلك على وجه المنة"⁽³⁾. وفي البحر المديد "وتصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك، وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به - وهو الفتح - ما لا يخفى. وقيل: هو فتح الحديبية، وهو الذي عند البخاري عن أنس، وهو الصحيح عند ابن عطية، وعليه الجمهور"⁽⁴⁾.

¹ تفسير ابن كثير - (ج 7 / ص 325).

² (المرجع السابق، ج 7 / ص 328).

³ (تفسير الفخر الرازي ج 1 / ص 408). وقال الشنقيطي: "التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية، لأنه فتح عظيم. وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهبأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام وبينوا لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (ج 51 / ص 2).

⁴ (البحر المديد، ج 7 / ص 183).

2- ذكر بعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وخصائصه التي خصه الله بها، قال ابن كثير: " وقوله: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } هذا من خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه- التي لا يشاركه فيها غيره. وليس صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو - صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة"⁽¹⁾.

3- إثبات صفة الحكمة لله تعالى حيث ظهر بعد مضي الصلح الحكم التي أَرادها الله منه ولم تظهر للناس عند كتابة بنود الصلح حتى حسبها بعض الصحابة رضي الله عنهم أنها تنازل وذلّة، لكن الله سمها {فتحا مبينا}.

4- حرف التأكيد {إنا} والضمير قبل الجملة الفعلية التي وصف الله بها فعله بالفتح لرسوله تدل على أن الله تعالى هو الذي بيده الفتح، وهو الذي يفتح الحواجز والعقبات لينتشر دينه الحق، وتتوسع دائرته.

5- وصف الله نفسه في هذه الافتتاحية بفعل الغفران، وإتمام النعمة، والهداية، والنصر.

فتمننت الافتتاحية مسائل إيمانية في ركنين من أركان الإيمان هما ركن الإيمان بالله وركن الإيمان بالرسول.

ثانياً: المسائل الإيمانية في افتتاحية سورة نوح: قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. هذه الافتتاحية هي الرابعة في سور القرآن الكريم من الإخبارات التي بدأت بخبر بمؤكد واحد، وفيها يخبر الله سبحانه وتعالى في أول آية من هذه السورة بركن من أركان الإيمان هو الإيمان بالرسول عليهم السلام، ومنهم رسوله نوح عليه السلام الذي سميت السورة باسمه، ولم يذكر معه فيها غير قصته مع قومه، وقد تضمنت هذه الافتتاحية بالإضافة إلى هذا الركن عدة مسائل هي:

⁽¹⁾ تفسير ابن كثير، (ج 7 / ص 328). وقال الرازي: قلنا الجواب عنه قد تقدم مراراً من وجوه أحدها: المراد ذنب المؤمنين ثانيها: المراد ترك الأفضل ثالثها: الصغائر فإنها جائزة على الأنبياء بالسهو والعمد، وهو يصونهم عن العجب رابعها: المراد العصمة/ وقد بينا وجهه في سورة القتال، والمسألة الرابعة: ما معنى قوله {وَمَا تَأَخَّرَ}؟ نقول فيه وجوه أحدها: أنه وعد النبي عليه السلام بأنه لا يذنب بعد النبوة ثانيها: ما تقدم على الفتح، وما تأخر عن الفتح ثالثها: العموم يقال اضرب من لقيت ومن لا تلقاه، مع أن من لا يلقى لا يمكن ضربه إشارة إلى العموم رابعها: من قبل النبوة ومن بعدها، وعلى هذا فما قبل النبوة بالعموم وما بعدها بالعصمة". تفسير الفخر الرازي - (ج 1 / ص 4079).

1. يرسل الله الرسل لإنذار الناس.
 2. أن الكفر وعدم الاستجابة للرسول المرسل من الله تعالى عاقبته العذاب الأليم .
 3. في خاتمة الآية الأولى نكر العذاب الأليم فهو يعم العذاب في الدنيا والآخر .
 4. بينت الافتتاحية أن وظيفة الرسول الإنذار الواضح، وأن على الناس الاستجابة له بالعبادة والتقوى والطاعة لله تعالى وحده .
 5. وأن من يعبد الله ويتقيه ويطيعه يغفر الله له ذنبه، ولا يصيبه بالهلاك في الدنيا .
 6. أن المتعة في الدنيا وعدم الهلاك مقدر ومحكم من الله الخالق إلى الموت أو نهاية الدنيا لأن الله قضى وقدر أن الموت لا بد منه.
 7. بالتأمل في إحكام الله لهذه الافتتاحية الوجيزة بهذا الأسلوب الإخباري القصصي المظهر لركن الإيمان بالرسول ورحمة الله، وحكمته بإرساله الرسل، وأمره لهم بالإنذار البين الواضح، ورحمته بعباده ببيان أن يستجيبوا للإنذار حتى لا يصابوا بالعذاب والهلاك بل على عكس من ذلك يعطيهم الله على استجابتهم المتعة في الوقت المقدر المقضي للدنيا، ويغفر لهم ذنوبهم فينتقلون بعد انتهاء الأجل المقدر إلى الدار الآخرة مطهرين من الذنوب.
- ثالثاً: المسائل الإيمانية في سورة القدر: قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} افتتح الله تعالى هذه السورة بذكر ركنين من الإيمان هما ركن الإيمان بالكتب وخاتمها والمهيمن عليها هو القرآن الكريم ، والركن الثاني هو القدر، وفيها مسائل إيمانية عديدة منها :

1. التأكيد على ركن الإيمان بالكتب بذكر ابتداء نزول القرآن الكريم في شهر رمضان .
2. اقتران ذكر نزول القرآن مع ليلة عظيمة هي ليلة القدر يدل على عظمة القرآن الكريم، وتشابه ما في ليلة القدر من تنزل رحمة الله، والملائكة، مع ما في نزول القرآن من نور، ورحمة، وسلام.
3. ذكرت الافتتاحية اسم ليلة القدر التي فيها تقدير المقادير للمخلوقات وفي هذا دلالة على مرتبة وأساس من أسس الإيمان بالقدر وهي الكتابة للمقادير ، وكذلك مرتبة علم الله بالأشياء قبل وقوعها وكتابتها ثم إنزالها في ليلة القدر كمقادير للخلق في ذلك العام وجريان الأقدار على ذلك .
4. الإيمان يتضمن العمل ولذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الاجتهاد في ليلة القدر فربط الاعتقاد بالتقدير فيها، وتنزل السلام والرحمة ونزول نور الله وقرآنه في تلك الليلة، وكل ذلك يظهر

إكرام الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الليلة فهي تعدل ألف شهر، ونزول القرآن فيها، وتنزل الملائكة للسلام عليهم والدعاء لهم.

رابعاً: المسائل الإيمانية في سورة الكوثر : قال تعالى: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ}. افتتاح هذه السورة بمؤكد يدل على الاهتمام الرباني الخاص بالرسول الخاتم، وأمته، والامتنان عليهم بالخير الكثير الذي يدل عليه لفظ {الكوثر} الذي يدل على كل خير ونعيم في معناه العام، وعلى حوض الشراب الذي سترد عليه أمة الإسلام يوم القيامة، إثبات الحوض للرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بناء على القول أن لفظ الكوثر يندرج فيه الحوض الخاص بالرسول، وأمام هذا التكريم والإنعام تذكر السورة أن الواجب على رسول صلى الله عليه وسلم وأمته عبادة الله بالصلاة والشكر لله المنعم المتفضل .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الموحدين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وبعد:

بفضل من الله تعالى وصلنا إلى خاتمة موضوع (المسائل الإيمانية في فواتح السور القرآنية الخبرية)، وقد اشتملت الدراسة على دراسة أربع وثلاثين افتتاحية من فواتح السور القرآن الكريم ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث التالي:

- 1- ثراء فواتح السور الخبرية القرآنية بالعبقيرة الإسلامية.
- 2- اشتمال الفواتح الخبرية على جميع أركان الإيمان، والكثير من القضايا الإيمانية المتفرعة من الأركان والأصول الإيمانية، وأمور الغيب، الداخلة في جانب العقيدة التي هي أساس للشريعة.
- 3- تنوع الأسلوب الخبري لفواتح السور الخبرية تنوعاً بديعاً بلاغياً، واعتقادياً حيث فيه كل تناسق مع الآيات والمواضيع التي تأتي بعد آيات الفواتح، وفيه أيضاً التكامل بين المسائل الإيمانية الموجودة في آيات الافتتاحية، والمسائل الإيمانية في الآيات الباقية في السورة.
- 4- ظهر بجلاء لا لیس فيه اهتمام الفواتح القرآنية بالقضايا الإيمانية.

5- التعمق في دراسة فواتح سور القرآن الكريم في مجال العقيدة يؤكد على عجز الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن أو حتى سورة منه، فمن من الناس عنده الفصاحة، والبلاغة، والعلم، أن يذكر كل هذه القضايا الاعتقادية، بهذا الأسلوب الخبري البديع البليغ.

المصادر والمراجع

م	
1.	الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، المكتبة الشاملة الإلكترونية.
2.	إثبات علو الله ومباينته لخلقه، حمود بن عبدالله بن حمود التويجري، بنشر هذه المادة شبكة الدفاع عن السنة، المكتبة الإلكترونية الشاملة.
3.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، طبعة: (1415 هـ - 1995 م)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
4.	اعتقاد الإمام ابن حنبل، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
5.	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي)، للفاضل الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد: عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، المتوفى: (سنة 692)، المكتبة الشاملة الإلكترونية.
6.	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الطبعة: الخامسة: 1424هـ/2003م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
7.	بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: د. محمود مطرجي.
8.	البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية / 2002 م - 1423 هـ، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت.
9.	تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
10.	التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، طبعة: 1997 م، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
11.	الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، رتبته وأعدده، أبو توحيد، لقمان حسن أمين، وهو في المكتبة

	الشاملة الإلكترونية.
12.	تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق و د. زكريا عبد المجيد النوقي، الطبعة : الأولى ، 1422 هـ - 2001 م ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.
13.	تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، دار النشر / دار إحياء التراث العربي.
14.	تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ]، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع.
15.	تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر / دار إحياء التراث العربي.
16.	تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق : أحمد فريد، الطبعة : الأولى، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1424 هـ - 2003 م.
17.	تكملة المعاجم العربية رينهارت بيتر أن دُوزي (المتوفى: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه : ج 1 - 8: محمد سليم، النعيمي، ج 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000 م.
18.	التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى ، 1410هـ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق.
19.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة : الأولى 1420هـ - 2000 م ، الناشر : مؤسسة الرسالة.
20.	جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]، المحقق : أحمد محمد شاكر، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م ، الناشر : مؤسسة الرسالة.
21.	جواهر البلاغة في المعاني والبيان واليديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح د. محمد التتوحي، طبعة: الرابعة (1428هـ - 2008م)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
22.	الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق)، عبد الرحمن

بن محمد القماش، الإصدار الأول مايو 2009 م.	
23. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.	
24. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سوزة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.	
25. شرح الطحاوية، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، وهو في المكتبة الشاملة الإلكترونية.	
26. الشريعة للأجري، الأجرى، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث، وهو في المكتبة الشاملة الإلكترونية.	
27. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، 1410، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.	
28. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ) المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية).	
29. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولى، 1422هـ/2002م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.	
30. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني، سنة الطبع: 1999 م، الناشر: دار ركابي للنشر، مكان الطبع: مصر.	
31. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني، سنة الطبع: 1999 م، الناشر: دار ركابي للنشر، مكان الطبع: مصر.	
32. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة الشاملة الإلكترونية،	
33. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.	
34. الكشاف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الطبعة: الأولى (1422 هـ - 2002 م)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.	

35.	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، طبعة (1419هـ - 1998م)، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت .
36.	لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة 1399 هـ / 1979 م ، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان.
37.	لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، الناشر : ار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
38.	لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق : إبراهيم بسيوني ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكان الطبع : مصر.
39.	اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر / دار الفكر - بيروت.
40.	المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، الوفاة 458هـ، تحقيق عيد الحميد هنداوي، الناشر دار، لكتب العلمية، سنة النشر 2000م، مكان النشر بيروت.
41.	مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، عدنان محمد زرزور، الطبعة: الثانية، 1419 هـ - 1998 م، الناشر: دار القلم / دار الشاميه - دمشق / بيروت.
42.	المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، الناشر: دار عالم القرآن - حلب.
43.	المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة.
44.	مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م ، الناشر : مؤسسة الرسالة.
45.	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
46.	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت.
47.	معالم التنزيل (تفسير البغوي) ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ -]، المحقق : حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،

الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع.	
48. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، الناشر: عالم الكتب.	
49. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار النشر: دار الدعوة.	
50. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.	
51. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة : 1399هـ - 1979م ، الناشر: دار الفكر .	
52. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.	
53. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة)، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.	
54. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : 1367هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.	
55. موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م ، الناشر: دار القلم العربي - حلب.	
56. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .	
57. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م، الناشر: دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية - دمشق.	



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

أحكام المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك في النظام السعودي

د. حسين أحمد الغشامي

استاذ القانون التجاري المساعد

كلية الحقوق – جامعة دار العلوم- المملكة العربية السعودية

Email: dr_ghashami@yahoo.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول موضوع المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك في نظام الأوراق التجارية السعودي، وذلك بهدف معرفة مدى فاعلية وكفاية النصوص النظامية المتعلقة بالشيك في توفير الحماية لحامل الشيك في نظام الأوراق التجارية السعودي. ولتحقيق الغاية من هذه الدراسة قام الباحث بدراسة النصوص النظامية لنظام الأوراق التجارية السعودي المتعلقة بالمعارضة في وفاء قيمة الشيك اعتماداً على منهج تحليل النصوص القانونية مع الاستعانة بالأراء الفقهية ذات العلاقة بالموضوع. وتوصل الباحث في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها ما يلي.

-الالتزام الوارد في الشيك هو التزام صرفي مجرد ومستقل عن العلاقة المنشئة له بين الساحب والمستفيد تطبيقاً لمبدأ الكفاية الذاتية.

-أجاز المنظم المعارضة في وفاء قيمة الشيك استثناءً في حالات حددها حصراً وهي ضياع الشيك أو إفلاس حامله أو أن يطرأ ما يخل بأهلية حامله .

- لا يجوز للساحب إصدار أمر بعدم الدفع إلا في الحالات التي حددها النظام حصراً.

- نتمنى أن يتيح المنظم لحامل الشيك في حالة إصدار الساحب أوامر للبنك المسحوب بعدم صرف الشيك في غير حالات ضياع الشيك أو إفلاس الحامل أن يتقدم بطلب إلى المحكمة المختصة يطلب فيه شطب الاعتراض على صرف الشيك، ويتعين على المحكمة في هذه الحالة اجابة الحامل إلى طلبه المتضمن شطب الاعتراض على صرف الشيك، حتى ولو كانت هناك منازعة موضوعية منظورة أمام قاضي الموضوع تتعلق بهذا الشيك.

- نتمنى إلزام المصرف بصرف الشيك رغم معارضة الساحب في غير الحالات المنصوص عليها نظاماً.

كلمات مفتاحية: الشيك - الوفاء - المعارضة - القانون

9

Provisions of Rejection to Honor a Check in Saudi Law

Dr. Hussein Ahmed Elghashami

Assistant Professor of Commercial Law, Faculty of Law, Dar Al Uloom University, KSA

Abstrac:

This study aims to address the opposition as a reason for refusing to pay the check in Saudi laws, for remedying the deficiencies and inconsistencies in the provisions of the Saudi commercial paper law related to the legal protection of the check bearer. To achieve the purpose of this study, the researcher has studied the legal texts of the Saudi commercial paper law related to the objection to the payment of the check based on the method of analyzing the legal texts with the help of relevant jurisprudential opinions in the jurisprudence. The researcher reached a set of conclusions and recommendations.

Key Words: Check, opposition, payment, Saudi law.

مقدمة:

عرف الإنسان النقود منذ أقدم العصور كأداة وسيطة للوفاء بالالتزامات، بيد أن العيوب اللصيقة بها المتمثلة في سرقتها ونهبها أو ضياعها من جهة وأمام عجلة التطور المستمرة في الحياة بصفة عامة والبيئة التجارية بصفة خاصة من جهة أخرى جعلت الأفراد وعلى وجه الخصوص فئة التجار يبتكرون ادوات ووسائل بديلة عن النقود تقوم بأداء وظيفتها في الوفاء متلافية عيوبها في الوقت ذاته عند التعامل بها.

وبعد التطور الحاصل في المعاملات الاقتصادية والتجارية وجب الاستعانة بوسائل تسهل ممارسة هذه العلاقات فكانت الأوراق التجارية هي الوسيط كأدوات بديلة عن النقود للوفاء بالالتزامات، ونظراً لأهمية الدور الذي تقوم به تلك الأوراق " الكمبيالة - الشيك - السند لأمر " في عمليات التبادل التجاري والمعاملات المالية فقد أصبحت بذلك من أهم موضوعات القانون التجاري والتي أفرد لها الممنظم تنظيمًا تفصيلياً مستقلاً .

وقد احتل الشيك صدارة هذه الوسائل باعتباره أكثر الأوراق التجارية شيوعاً في التعامل نظراً لأهميته النابعة من كونه أداة وفاء فورية بعكس الأوراق التجارية الأخرى التي تعتبر أداة ائتمان أصلاً وقد تكون أداة وفاء فورية استثناءً، هذا من جهة ومن جهة أخرى لما ينفرد به من حماية جنائية خصه المنظم بها دون غيره من الأوراق والتي جعلت الأفراد وعلى وجه الخصوص التجار منهم يقبلون على التعامل به.

ولكي ينشأ الشيك صحيحاً باعتباره تصرفاً قانونياً يجب أن تتوفر فيه الأركان الموضوعية العامة في التصرف القانوني، ويشترط لصحة انشاء الشيك شرط موضوعي خاص وهو وجود مقابل الوفاء (الرصيد) قابل للسحب وقت إنشائه فضلاً عن توفر الأركان الشكلية، بأن يحرر الشيك كتابة وفق شكل معين يتضمن بيانات إلزامية أوجب القانون كتابتها فيه.

الأصل أن سحب الشيك وتسليمه للمسحوب عليه يعتبر وفاء كالوفاء الحاصل بالنقود، بحيث لا يجوز للساحب أن يسترد قيمته أو يعمل على تأخير الوفاء به لصاحبه، فبمجرد إصدار الشيك وتسليمه إلى المستفيد أو الحامل يعطي لهذا الأخير جميع الحقوق التي كانت للساحب على مقابل الوفاء الموجود لدى

المسحوب عليه. إلا أن ثمة قيوداً يرد على هذا الأصل، أورده المنظم التجاري وهو تقديم معارضة من طرف الساحب للمسحوب عليه⁽¹⁾.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في بيان الحالات القانونية للمعارضة في الوفاء بقيمة الشيك التي أجازها المنظم؟ وكذا الآثار المترتبة عليها؟

وذلك لمعرفة إلى أي حد استطاع المنظم السعودي حماية حامل الشيك صرفياً؟

منهجية البحث:

ستعتمد الدراسة على المنهج التحليلي من خلال تحليل وشرح الأحكام القانونية المنظمة للحالات القانونية للمعارضة المانعة للوفاء بقيمة الشيك.

⁽¹⁾ مسعودي، محمود. (2008). الحماية المصرفية لحامل الشيك في القانون المغربي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المتعمقة، جامعة محمد الخامس، ص 11.

المبحث الأول

شروط الوفاء بالشيك

لم يتضمن النظام السعودي تعريفاً للشيك، مما يدل على أن المنظم أحجم كما هو الحال بالنسبة للعديد من التشريعات المقارنة عن وضع تعريف محدد للشيك - تاركاً ذلك للفقهاء -، واكتفى فقط في إطار المادة (91) من نظام الأوراق التجارية السعودي بذكر البيانات الإلزامية التي ينبغي أن يشتمل عليها الشيك.

ويمكن القول بأن الشيك ورقة مستكملة للشروط القانونية تتضمن أمراً من الساحب للمسحوب عليه بدفع مبلغ من المال لحاملها، بمجرد الاطلاع.

يمتاز الشيك عن غيره من الأوراق التجارية كالكمبيالة، أو سند الأمر، بأنه يستحق الدفع بمجرد الاطلاع، ويستطيع حامله أن يحصل على قيمته فوراً عن طريق خصمه في البنك المسحوب عليه، أو أن يظهره إلى غيره تسديداً لثمن سلعه، أو وفاء في دين، ونصت المادة (102) من نظام الأوراق التجارية السعودي على أن: "الشيك مستحق الوفاء بمجرد الاطلاع عليه وكل بيان مخالف لذلك يعتبر كأن لم يكن وإذا قدم الشيك للوفاء قبل اليوم المعين فيه كتاريخ لإصداره وجب وفاؤه في يوم تقديمه".

وقد أوجب المنظم السعودي في المادة (91) من نظام الأوراق التجارية أن يشتمل الشيك على بيانات إلزامية حتى يكون كافي بذاته لبيان الحق الثابت به وإثباته بدون الاعتماد أو الإحالة على أي مظاهر خارجية، وهذه البيانات المحددة والإلزامية التي يتضمنها الشيك ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي تهدف إلى يكون الشيك كافي لذاته لتقرير الالتزام الثابت به وتحديده، بحيث لا يحتاج إلى البحث في أي علاقة أخرى.

ونظراً لأن أهم خصائص الشيك صلاحيته للتداول عن طريق التظهير، فإنه يلزم لذلك أن يكون الشيك مستقل بذاته فيتحدد من بياناته وصف الحقوق الناشئة عنه ومداهها ومضمون الالتزام الصرفي، ولا

يرجع في هذا الشأن إلى وقائع أو اتفاقات خارجية عنه، ولا يحتاج إلى البحث عن مضمون الالتزام، وبذلك يكون الشيك أداة سريعة تتطلبها المعاملات التجارية لتسوية عدد كبير من الديون.

وينصرف مضمون مبدأ الكفاية الذاتية للشيك إلى جعل الشيك كورقة تجارية كافيًا في حد ذاته للدلالة على مضمون الالتزام المصرفي المجسد فيه ومستقلا عن سائر الالتزامات السابقة، وهو الأمر الذي لن يتأتى إلا إذا حرر الشيك وفقا للشكل الذي حدده له القانون، وكل ذلك تيسيرا على الحامل من أجل تمكنه من اقتضاء قيمة الشيك يوم التقديم للوفاء، دون الرجوع إلى وثائق أخرى تدل على الالتزام المصرفي المذكور أو البحث عن مدى صحة الالتزامات السابقة للموقعين على الشيك.

وينتج عن الكفاية الذاتية للشيك مبدأ هام وهو استقلال الالتزام المصرفي عن العلاقة الأصلية، فطالما أن الشيك يجب أن يكون له الكفاية الذاتية لوجود الحق الثابت به وإثباته، فإنه ينتج عن ذلك أن هذا الالتزام الناشئ عن الشيك مستقل في ذاته ولا يتوقف وجوده وتقريره على مناقشة العلاقة الأصلية بين الساحب والمستفيد، فالشيك كافي بذاته لتقرير الحق الثابت به بصرف النظر عن العلاقة الأصلية وما يشوبها من دفوع⁽¹⁾.

وقد أكد القضاء على انعدام أي اثر للعلاقة الخفية بين الساحب وبين المستفيد، وان الاثبات يجب أن يكون من ذات الشيك، وذلك من خلال البيانات المكتوبة فيه⁽²⁾. كما أكد على أنه لا عبرة بالسبب الذي تم اصدار الشيك بصدده، وان الشيك ينفصل عن سببه...⁽³⁾.

وكذلك جاء في القضاء التجاري ما يلي: " لما كان الشيك الحامل لجميع البيانات الالتزامية يعتبر وظيفيا أداة صرف ووفاء، فهو يستحق الاداء بمجرد الاطلاع عليه، وأنه كسائر الأوراق التجارية الأخرى يتميز بخاصية التجريد أي أنه يتداول بعيدا عن سببه. ولذلك فإن حامله يعتبر دائنا لساحبه

(2) حنفي، عصام. (1983). الأوراق التجارية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 12.

(3) تمييز جزاء اردني رقم 90/1987 في 1990/9/11، مجلة النقابة لعام 1993، ص 618.

(4) نقض مصري، مشار إليه عند الشريف، حامد. (1994). شيك الضمان والوديعة والائتمان بين النظرية والتطبيق، دار الفكر الجامعي،

الاسكندرية، ص 33.

بالمبلغ المقيد دون أن يكون ملزماً بأن يبين السبب الذي تسلم من أجله الشيك...⁽¹⁾. كما قضى بأن الشيك بوصفه ورقة تجارية ووسيلة وفاء فإنه يتمتع بخاصية التجريد ويتداول بعيداً عن سببه⁽²⁾.

وقد أهتم المنظم السعودي بتنظيم قواعد الشيك في المواد من (91 - 121) من نظام الأوراق التجارية، وقد عمل المنظم على حماية الشيك كورقة تجارية والحرص على اعتباره أداة وفاء تجري مجرى النقود في التعامل، ووضع من النصوص ما يحقق ذلك وبما يتفق مع طبيعته التي استقر عليها العالم أجمع.

وقد تضمن نظام الأوراق التجارية تنظيمًا شاملاً لأحكام الشيك، بالإضافة للأحكام المشتركة للأوراق التجارية كلها، كذلك أحكام الإحالة على الكمبيالة حيث نصت المادة (117) من نظام الأوراق التجارية على أنه "بجانب الأحكام الخاصة الواردة في هذا الباب تسري على الشيك بالقدر الذي لا تتعارض مع ماهيته أحكام الكمبيالة...".

والجدير بالذكر في هذا الشأن أن المنظم السعودي في تنظيمه لأحكام الشيك قد أخذ بأحكام قانون جنيف الموحد مواكبة للتشريعات في معظم الدول المتقدمة فيما يتعلق باعتبار الشيك أداة وفاء من خلال تبنيه لأحكام تضيي الثقة على التعامل به حيث نصت المادة (91/أ) من نظام الأوراق التجارية على ضرورة ذكر كلمة شيك في متن الصك وباللغة التي كتب بها.

ونصت المادة (102) منه على أن يكون الشيك مستحق الوفاء ولا يعتد بالتاريخ اللاحق الذي يدون به، لأن الشيك يعد مستحق الوفاء لدى الاطلاع أيًا كان التاريخ الذي يحمله، فإذا ما قدم الشيك للوفاء به قبل التاريخ المبين فيه لإصداره وجب الوفاء به في يوم تقديمه بغض النظر عن التاريخ المبين به، والهدف من ذلك هو التأكيد على الوظيفة القانونية والاقتصادية للشيك باعتباره أداة وفاء.

(1) مشار إليه في مجلة قضاء المجلس الأعلى، العدد 65، 22/7/2007، ص 347.

(6) مشار إليه في سلسلة القانون والممارسة القضائية، الأوراق التجارية بين القانون والعمل القضائي، منشورات المجلة المغربية لقانون الأعمال والمقاولات، 2004، ص 80.

لذا حرص المنظم في التأكيد على أن الشيك مستحق الأداء بمجرد الاطلاع أي بمجرد أول تقديم وكل بيان أو شرط يغير هذه الوظيفة يعتبر باطلا وكان لم يكن، وقد أشارت إلى ذلك المادة (102) من نظام الأوراق التجارية والتي تنص على ما يلي:

"الشيك مستحق الوفاء بمجرد الاطلاع عليه.

يعتبر كل بيان مخالف لذلك كأن لم يكن.

الشيك المقدم للوفاء قبل اليوم المعين فيه كتاريخ لإصداره، يجب وفاؤه في يوم تقديمه".

ومما لا شك فيه أن المنظم باشرطه ذلك أكد على وظيفة الشيك التي خلق من أجلها وهي أنه أداة وفاء، وبناء على ذلك يجب أن يكون أمر الدفع لدى الاطلاع غير معلق على شرط معين، لذلك لا يلزم النص صراحة على أنه واجب الدفع لدى الاطلاع لأن هذا مستفاد من طبيعة الشيك.

وبالتالي فإن إية اشتراطات مرفقة بالشيك تعلق الوفاء به لا قيمة لها من الناحية القانونية على صفة الشيك، وتدفع قيمة الشيك بمجرد تقديمه إلى البنك⁽¹⁾.

ويشترط لصحة وفاء المسحوب عليه بالشيك أن تتوافر الشروط الآتية:

1 - أن يتم الوفاء للحامل الشرعي للشيك أو لناثبه القانوني.

2 - يجب أن يتوافر في الشيك الشروط الشكلية لصحته.

3 - إلا تحدث معارضة في الوفاء لدى المسحوب عليه، وتطبيقاً للمادة (105) من نظام الأوراق التجارية السعودي، لا تقبل هذه المعارضة إلا في حالة ضياع الشيك أو إفلاس الحامل أو طراً ما يخل بأهليته.

(7) القليوبي، سميحة. الموجز في القانون التجاري، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 313.

و إذا كان مبدأ الكفاية الذاتية للشيك يستلزم أن يكون هذا الأخير كورقة تجارية مستجماً لكافة البيانات الإلزامية التي تطلبها المنظم لإنشائه، بشكل تكون معه هذه البيانات كافية في حد ذاتها للدلالة على الالتزام المصرفي المجسد فيها دون الحاجة إلى عنصر خارجي، فإنه بالرجوع إلى المادة (92) من نظام الأوراق التجارية، نجد أن المنظم أمعن في تكريس مبدأ الكفاية الذاتية المذكور، وذلك لما قرر أن الشيك غير المستجمل لسائر البيانات القانونية المطلوبة غير صحيح، وغير منتج لأثاره المصرفية تجاه حامله.

غير أنه إذا كان المبدأ في النظام السعودي، هو بطلان الشيك الذي لا تتوفر فيه إحدى البيانات الإلزامية، فإن لهذا المبدأ عدة استثناءات⁽¹⁾:

أولاً: إذا خلا الشيك من بيان مكان الإنشاء اعتبر منشأ في المكان المبين بجانب اسم الساحب.
ثانياً: وإذا خلا من بيان مكان وفائه فالمكان المعين بجانب اسم المسحوب عليه يعتبر مكان وفائه فإذا ذكرت عدة أمكنة بجانب اسم المسحوب عليه اعتبر الشيك مستحق الوفاء في أول مكان مبين وإذا خلا الشيك من هذه البيانات أو من أي بيان آخر اعتبر مستحق الوفاء في المكان الذي يقع فيه المحل الرئيسي للمسحوب عليه.

إذن فما عدا الاستثناءات المشار إليها أعلاه، فإن إهمال أو تخلف بيان إلزامي من الشيك يؤدي بالضرورة إلى بطلانه كورقة تجارية.

ويلاحظ أن المنظم حاول التقليل من حالات البطلان لتخلف شكل الشيك، حماية لثقة الحامل في الشيك كأداة وفاء، حاصراً هذه الحالات الاستثنائية في ثلاث حالات.

(8) المادة (92) من نظام الأوراق التجارية السعودي.

المبحث الثاني

حالات المعارضة في الوفاء

ولما كانت وظيفة الشيك هي الوفاء فقد وضع المنظم من القواعد ما يكفل تدعيم هذه الوظيفة بإزالة كل ما يحول دون الوفاء به واداء وظيفته، والأصل أن الساحب ليس بإمكانه التراجع عن الأمر بالدفع الصادر الى المسحوب عليه لفائدة المستفيد، وما يترتب على ذلك من إلزام المسحوب عليه بالوفاء بقيمة الشيك للحامل الشرعي متى كان الشيك خاليا من العيوب وكانت قيمة الرصيد كافية، لكن هناك استثناء على هذه القاعدة حددها المنظم السعودي في ثلاث حالات دون غيرها وهما حالة ضياع الشيك أو إفلاس حامله أو طراً ما يخل بأهليته حيث تنص المادة (105) من نظام الأوراق التجارية السعودي على أنه:

"لا يقبل الاعتراض في وفاء الشيك إلا في حالة ضياعه أو افلاس حامله أو طراً ما يخل بأهليته".
لذا نجد أن المنظم السعودي حصر حالات المعارضة في حالة ضياع الشيك أو افلاس حامله أو طراً ما يخل بأهليته مما يجعل المعارضة في غير هذه الحالات غير جائز وغير مشروع.
وعلى ذلك إذا تلقى البنك المسحوب عليه معارضة من أحد في وفاء قيمة الشيك طبقاً للحالات السابقة وجب عليه الامتناع عن الوفاء حتى ترفع المعارضة من جانب المعارض أو من جانب المحكمة. وقد قررت المادة (117) من نظام الأوراق التجارية السعودي سريان أحكام المواد (49، 50، 51، 52) المتعلقة بكيفية استيفاء قيمة الكمبيالة في حالة ضياعها على الشيك الضائع وبما لا يتعارض مع ماهيته، والمبدأ يقتضي انه على المسحوب عليه التزام بوفاء الشيك لحاملة الشرعي، ويفترض هذا المبدأ ان يتم الوفاء لصاحب الحق دون معارضة من أحد بسبب أن حامل الشيك الذي يتقدم لاستيفائه قد لا يكون له حق في قبض الشيك وتطبيقاً لهذا إذا تلقى البنك المسحوب عليه معارضة من أحد في وفاء الشيك وجب عليه الامتناع عن الوفاء بقيمة الشيك حتى يتم رفع المعارضة⁽¹⁾.

(9) عوض، علي جمال الدين. (1995). الأوراق التجارية (السند الأدني - الكمبيالة - الشيك) دراسة للقضاء، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ص 237.

ومع أن النظام نص على حالة ضياع الشيك ، والمعارضة في هذه الحالة تعد استثناء من مبدأ وجوب الوفاء في ميعاد الاستحقاق، والاستثناء لا يقاس عليه، ومع ذلك فقد استقر الرأي في الفقه على جواز الاعتراض في كل حالة يتجرد فيها حامل الشيك عن حيازته دون إرادته، كسرقة الشيك أو تلفه، لتوفر الحكمة من المعارضة في الوفاء وهي منع الوفاء إلى غير ذي صفة (1).

وقد ثار الخلاف حول حالات قد تشبه ضياع أو سرقة الشيك، كوقوع الساحب في حالة غش أو غلط جسيم، أو إكراه، أدى به إلى إصدار الشيك، أو أن يقوم الحامل بملاء بيانات الشيك دون علم من الساحب مما يعتبر من قبيل خيانة الأمانة. وهل تعد ضمن حالات الضياع؟

ذهب جانب من الفقه ، إلى القول أن الحصول على الشيك بطرق الاحتيال والنصب أو الإكراه بالتهديد، أو الغلط، أو خيانة الأمانة، تتساوى مع حالة الضياع فيجوز بذلك للساحب أن يقدم معارضة عن الوفاء بالشيك على هذا الأساس. وقد ساير هذا الاتجاه قضاء النقض المصري (2)، الذي اعتبر حالة الحصول على الشيك عن طريق التهديد أو استعمال الطرق الاحتيالية تعتبر ضمن حالة ضياع الشيك. في حين ذهب بعض الفقه إلى القول بأن قيام الحامل بملاء بيانات الشيك لا تعد ضمن حالة ضياع الشيك وفيما يتعلق بشأن حكم الشيك الناقص فإن قانون جنيف أجاب بشأن السفنجة في المادة (10) بما يلي: إذا كان السند ناقصاً عند سحبه، ثم أكمل خلافاً لما هو منفق عليه، فلا يجوز الاحتجاج بعدم مراعاة هذا الاتفاق، ما لم يكن هذا الحامل قد اكتسب هذا السند بسوء نية، أو ارتكب خطأً جسيماً (3).

وكونه يترتب على إفلاس حامل الشيك رفع يده عن إدارة أمواله والتصرف فيها ، وتولي وأمين التفليسة استيفاء حقوق المفلس، لذلك يجب على أمين التفليسة أن يبادر إلى المعارضة في الوفاء للحامل

(10) عبدالرزاق، سعيد أحمد، عبدالحفيظ، مجدي محمود (2008). قانون الشيك الجديد، و الأوراق التجارية، دار المعارف للنشر والتوزيع، ص 743.

(11) حليلة، حوالمف و بن الطيبي مبارك. (2017). المعارضة كسبب لرفض الوفاء بالشيك، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، ص 195.

(12) قضت محكمة النقض المصرية في قرار لها بأن: " الشيك الناقص أو على بياض، يعتبر صحيحاً وكاملاً على أساس أن الساحب قد فوض المستفيد بتكملة ما نقص منه" . مشار إليه عند طالب حسن موسى ، الوظيفة الائتمانية للشيك في الواقع العملي.

المفلس فإذا أهمل أمين التفليسة في إبلاغ المصرف بذلك وقام المصرف بوفاء قيمة الشيك لحامله المفلس، فإن هذا الوفاء يعتبر صحيحاً مبرئاً لذمته، ويتحمل أمين التفليسة مسؤولية ذلك تجاه دائني المفلس.

وتتم المعارضة في حالة نقص الأهلية أو انعدامها، وذلك لتوفر العلة نفسها التي أجازت من أجلها المعارضة في الوفاء في حالة إفلاس الحامل، ويجب أن تتم المعارضة قبل أن يتقدم الحامل للمسحوب عليه، أما إذا وقعت متأخرة بعد أن كان المسحوب عليه قد دفع للحامل فيقع الوفاء صحيحاً ولا مسؤوليه عليه.

ويثور التساؤل حول الشكل الذي يجب أن تحصل فيه المعارضة في هذه الحالات؟

لم يبين المنظم السعودي الشكل الذي يجب أن تحصل فيه المعارضة في هذه الحالات، فيجوز أن تكون شفاهة، أو بخطاب عادي أو اتصال تلفوني، أو بأية طريقة أخرى. وعند إنكار المسحوب عليه تبلغه المعارضة، يقع عبء إثبات هذه الواقعة على المعارض. ويفضل أن تكون كتابة كي يسهل اثباتها. فإذا وقعت المعارضة في الحالات السابقة، وجب على المسحوب عليه الامتناع عن دفع قيمة الشيك للحامل وتجميد قيمته لديه حتى يفصل في المعارضة. أما في غير هذه الحالات فإنه يكون للمسحوب عليه رفض المعارضة ودفع القيمة للحامل.

وتأكيداً للثقة التي أولاها المنظم للشيك فإن المعارضة في غير حالات المعارضة الجائزة قانوناً جريمة طبقاً لما جاء في نظام الأوراق التجارية السعودي حيث تنص المادة (118) على أن يعاقب بغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال وبالسجن مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً ولا تزيد عن ستة أشهر أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من سحب بسوء نية شيكاً لا يكون له مقابل وفاء قائم وقابل للسحب أو يكون له مقابل وفاء أقل من قيمة الشيك، وكل من استرد بسوء نية بعد إعطاء الشيك مقابل الوفاء أو بعضه بحيث أصبح الباقي لا يفي بقيمة الشيك، أو أمر وهو مسيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمته.

كما صدر قرار النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية رقم (1900) بتاريخ 24 / 5 / 1431 هـ إلحاقاً لقرار (1900) المؤرخ في 9 / 7 / 1428 هـ بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم (75) وتاريخ 15 / 3 / 1431 هـ المتضمن : تعتبر الأفعال المنصوص عليها في المادة (118)

المعدّلة من نظام الأوراق التجارية موجبةً للتوقيف ما لم يرقم صاحب الشيك بسداد قيمته أو في حالة الصلح أو التنازل بين الأطراف.

ونجد أن المنظم حصر حق الحامل في حال الامتناع عن الوفاء في الشيك في الحصول على شهادة الامتناع عن الدفع من طرف البنك المسحوب عليه، واللجوء إلى القضاء، ومتابعة الساحب.

حيث تنص على ذلك المادة (108) من نظام الأوراق التجارية السعودي والتي تنص على أن:

"حامل الشيك الرجوع على الملتزمين به مجتمعين أو منفردين إذا قدمه في الميعاد النظامي ولم تدفع قيمته، وأثبت الامتناع باحتجاج. ويجوز عوضاً عن الاحتجاج إثبات الامتناع عن الدفع.

أ - بيان صادر من المسحوب عليه مع ذكر يوم تقديم الشيك
ب - بيان صادر من غرفة مقاصة معترف بها يذكر فيه أن الشيك قدم في الميعاد القانوني ولم تدفع قيمته.

ويجب أن يكون البيان في الحالتين المذكورتين مؤرخاً ومكتوباً على الشيك ذاته وموقعاً ممن صدر منه، ولا يجوز الامتناع عن وضع هذا البيان على الشيك إذا طلب الحامل ولو تضمن الشيك شرط الرجوع بلا مصروفات، وإنما يجوز للملتزم بوصفه طلب مهلة لا تجاوز يوم العمل التالي لتقديم الشيك ولو قدم في اليوم الأخير من ميعاد التقديم.

كما نجد أن المنظم السعودي في المادة (119) إشتراط لمسؤولية المسحوب عليه في حالة عدم الوفاء أن يكون رفض المصرف بسوء نية، وهو أمر من الصعوبة بمكان إثباته، وقد يؤدي التوسع في ذلك إلى زيادة حالات أمتناع المسحوب عليه من الوفاء بقيمة الشيك.

ونتمنى أن يعالج المنظم السعودي بنص صريح حالة حصول الاعتراض على الرغم من هذا الحضر لأسباب أخرى وامتناع المسحوب عليه عن الوفاء بناء على هذا الأعتراض بنص صريح عن طريق أضافة الفقرة التالية لنص المادة (105) بحيث تصبح "...و إذا حصل الاعتراض على الرغم من هذا الحضر لأسباب أخرى تعين على القضاء بناء على طلب حامل الشيك أن يأمر برفع المعارضة ولو في حالة قيام دعوى أصلية.

من أجل التأكيد على منع أي تلاعب قد يحدث بين العميل والبنك المسحوب عليه حيث يستطيع حامل الشيك في حالة إصدار الساحب أوامر للبنك المسحوب بعدم صرف الشيك في غير حالات ضياع الشيك أو إفلاس الحامل عليه أن يتقدم بطلب إلى القضاء يطلب فيه شطب الاعتراض على صرف الشيك، ويتعين على المحكمة في هذه الحالة اجابة الحامل إلى طلبه المتضمن شطب الاعتراض على صرف الشيك، حتى ولو كانت هناك منازعة موضوعية منظورة أمام قضاء الموضوع تتعلق بهذا الشيك.

وهو ما ذهب اليه بعض الانظمة القانونية المقارنة حيث نصت المادة 3/249 من قانون التجارة الاردني على ما يلي: (فاذا عارض الساحب على الرغم من هذا الحظر لاسباب اخرى وجب على المحكمة بناء على طلب الحامل ان تأمر برفع المعارضة ولو في حالة قيام دعوى اصلية) وأكد عليه القضاء في أحكامه⁽¹⁾.

ويثور التساؤل حول مسؤولية البنك حول عدم صرف قيمة الشيك بناء على طلب الساحب في غير الحالات الواردة حصرا في نظام الأوراق التجارية السعودي؟

لعدم وجود نصوص واضحة تعالج هذه الحالة نستند إلى ما ورد في قرار ديوان تفسير القوانين الخاص الاردني في قراره رقم 4 لسنة 1990 بخصوص تفسير المادة (249) من قانون التجارة والذي رأى أن العلاقة بين الساحب والبنك تدور بين الوكالة والامانة وان على البنك الالتزام بتعليمات الساحب بغير حالات الضياع والافلاس، مما يدل على أن من حق الساحب اللجوء الى البنك المسحوب عليه لوضع المعارضة لوجود خلاف تجاري بينه وبين المستفيد من الشيك وعلى البنك المسحوب عليه الالتزام بتلك التعليمات والامتناع عن الصرف والوفاء للمستفيد او للحامل، وان على الحامل اللجوء الى المحكمة لرفع المعارضة مما يخلي مسؤولية البنك في حال التزامه بتعليمات الساحب.

مما يجعل موقف البنك حيال المعارضة المرفوعة من الساحب، هو موقف الوكيل الذي يلتزم بالتعليمات الصادرة إليه من موكله، ولا يملك سلطة النظر والتحقيق في صحة المعارضة، حيث أن عليه بمجرد

13-الحكم الصادر عن محكمة استئناف رام الله - استئناف حقوق- المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك-، محكمة استئناف رام الله، 30 يناير 2019، قضية رقم 34.

تلقي المعارضة أن يمتنع عن الدفع ويجمد الرصيد المقابل لمبلغ الشيك، إلى حين رجوع الساحب في معارضته، أو صدور أمر من القضاء برفعها بناء على طلب الحامل⁽¹⁾. وفي ظل غياب قرار قضائي حول شرعية المعارضة، يجمد مقابل الوفاء إلى أن تنقضي دعوى الحامل ضد المسحوب عليه⁽²⁾.

ومع ذلك نرى أن إلزام المصرف بصرف الشيك رغم معارضة الساحب في غير الحالات المنصوص عليها نظاماً، وإلزام الساحب ببيان سبب المعارضة، سيمكن البنك استيضاح سبب معارضة عميله الساحب، فإذا تبين له أن سبب المعارضة يرجع لسبب غير الحالات المحددة حصراً في النظام ألّتم بدفع مبلغ الشيك عند توفر الرصيد رغم المعارضة.

ويثور التساؤل حول التزام البنك بتجميد مقابل الوفاء في حال المعارضة في النظام السعودي؟ لم يتضمن نظام الأوراق التجارية السعودي نص يلزم البنك المسحوب عليه أن يقوم بتجميد مقابل الوفاء في حال المعارضة، ويذهب جانب من الفقه⁽³⁾ إلى أن تجميد مقابل الوفاء يجب أن يكون نتيجة طبيعية لانتقال ملكية مقابل الوفاء، وحماية لحقوق الساحب والحامل، إلى أن يتم الفصل في أمر المعارضة.

أثر الدعوى الموضوعية على طلب التنفيذ:

لمنع حالات المماثلة التي يلجأ إليها المدين في أغلب الحالات والتي يترتب عليها ضرر بالدائن حامل الورقة التجارية نتيجة فوات الوقت فقد وضعت اللائحة التنفيذية لنظام التنفيذ السعودي مبدأ عام يقضي بعدم وقف اختصاص قاضي التنفيذ لمجرد وجود نزاع موضوعي بشأن صحة العلاقة التعاقدية التي نشأت بسببها الورقة التجارية.

14- شرفي، خديجة، (2020). مسؤولية البنك عند رفض الوفاء بقيمة الشيك، مجلة العلوم الانسانية، جوان ، ص 93.
15- الذيابي، سعيد، (2019). اختلاف دور البنك في التعامل بالأوراق التجارية في النظام السعودي: دراسة مقارنة، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية - العدد 3 - السنة السابعة - ص 92.

حيث نصت المادة السادسة من اللائحة التنفيذية لنظام التنفيذ السعودي في فقرتها السادسة على أن: "لا يحول وجود منازعة تنفيذ أو نزاع في موضوع السند التنفيذي من السير في إجراءات التنفيذ، ما لم تقرر الدائرة التي تنظر النزاع وقف التنفيذ - وفقاً لأحكام القضاء المستعجل-".

كما اشترطت المادة السادسة من اللائحة التنفيذية لنظام التنفيذ السعودي في فقرتها السابعة والمعدلة بموجب قرار وزير العدل رقم (5502) بتاريخ 1440/11/21 هـ، على أنه: "عند النظر في المنازعات المتعلقة بالشيك يشترط لوقف التنفيذ قيام المنفذ ضده بإيداع قيمة الشيك في حساب محكمة التنفيذ، ما لم تقرر الدائرة ناظرة النزاع خلاف ذلك".

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي تناول موضوع المعارضة في الوفاء بقيمة الشيك في النظام السعودي نورد أهم النتائج والتوصيات:

- سعى المنظم السعودي إلى توفير الحماية النظامية لحامل الشيك من خلال بيان موقفه من تدعيم الثقة في الشيك وادائه لوظيفته باعتباره أداة وفاء مستحقة بمجرد الاطلاع.

- الشيك أداة وفاء تقوم مقام النقود واجب الدفع بمجرد الاطلاع حتى وأن كان مؤخر التاريخ وهذا ما يميزه أساساً عن الأوراق التجارية الأخرى .

- الالتزام الوارد في الشيك هو التزام صرفي مجرد ومستقل عن العلاقة المنشئة له بين الساحب والمستفيد تطبيقاً لمبدأ الكفاية الذاتية.

- أجاز المنظم المعارضة في وفاء الشيك استثناءً في حالات حددها حصراً وهي ضياع الشيك أو إفلاس حامله أو طراً ما يخل بأهليته .

- لا يجوز للساحب إصدار أمر بعدم الدفع إلا في الحالات التي حددها النظام حصراً.

- نتمنى أن يتيح المنظم لحامل الشيك في حالة إصدار الساحب أوامر للبنك المسحوب بعدم صرف الشيك في غير حالات ضياع الشيك أو إفلاس الحامل أن يتقدم بطلب إلى القضاء يطلب فيه شطب الاعتراض على صرف الشيك، ويتعين على المحكمة في هذه الحالة اجابة الحامل إلى طلبه المتضمن

شطب الاعتراض على صرف الشيك، حتى ولو كانت هناك منازعة موضوعية منظورة أمام قضاء الموضوع تتعلق بهذا الشيك.

- نتمنى إضافة مادة في نظام الأوراق التجارية السعودي تتضمن إلزام المصرف بصرف الشيك رغم معارضة الساحب في غير الحالات المنصوص عليها حصراً في النظام.

قائمة المراجع:

الكتب:

- أحمد شكري السباعي، الوسيط في الأوراق التجارية، دار نشر المعرفة، الرباط، 1998.
- أحمد شكري السباعي، الشيك بدون رصيد بين مشاكل الحاضر وآفاق المستقبل، المعهد الوطني للدراسات القضائية، 1989.
- الياس حداد، الأوراق التجارية في النظام التجاري السعودي، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1407.
- حوالم حليمه و بن الطيبي مبارك، المعارضة كسبب لرفض الوفاء بالشيك، مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، 2017.
- حامد الشريف، شيك الضمان والوديعة والائتمان بين النظرية والتطبيق، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 1994.
- خديجة شرفي، مسؤولية البنك عند رفض الوفاء بقيمة الشيك، مجلة العلوم الانسانية، جوان 2020.
- سعيد الذيابي، اختلاف دور البنك في التعامل بالأوراق التجارية في النظام السعودي: دراسة مقارنة، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية - العدد 3 - السنة السابعة - محرم 1441 هـ - سبتمبر 2019.
- سلسلة القانون والممارسة القضائية، الأوراق التجارية بين القانون والعمل القضائي، منشورات المجلة المغربية لقانون الأعمال والمقاولات، 2004.
- سميحة القليوبي، القانون التجاري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978.
- سعيد أحمد عبد الرزاق، مجدي محمود عبد الحفيظ، قانون الشيك الجديد والأوراق التجارية، دار المعارف للنشر والتوزيع، 2008.
- عبدالرحمن السيد قرمان، الأوراق التجارية واجراءات الإفلاس، دار الاجادة، 2020.
- عبد الرحمن شمسان، أحكام المعاملات التجارية، جرافكس للطباعة، 2005.
- عصام حنفي، الأوراق التجارية، دار النهضة العربية، 1983.

- علي جمال الدين عوض، الأوراق التجارية (السند الأذني - الكمبيالة - الشيك) دراسة للقضاء، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1995.

الشيك في قانون التجارة وتشريعات البلاد العربية، دار النهضة العربية، 2000 - علي عوض،

- عيسى محمود، أحكام الشيك - دراسة فقهية تأصيلية مقارنة بالقانون، دار النفائس للنشر والتوزيع.

- مجلة قضاء المجلس الاعلى، العدد 65، 22 يوليو 2000.

- محمد مسعودي، الحماية المصرفية لحامل الشيك في القانون المغربي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2008.

الأنظمة القانونية:

نظام الأوراق التجارية السعودي الصادر بالمرسوم الملكي رقم 37 بتاريخ 11 / 10 / 1383 هجرية.

قانون التجارة الاردني رقم 12 لسنة 1966 م وتعديلاته.

اللائحة التنفيذية لنظام التنفيذ السعودي .

قراءة بلاغية في المقامة الأسيديّة لبديع الزمان الهمذاني

د. محمد عبده الجحدبي
 أستاذ البلاغة والنقد المساعد - قسم اللغة العربية - كلية التربية والآداب والعلوم
 جامعة إقليم سبأ - مأرب

Email : aljahdbi@gmail.com

الملخص

10

هذا بحث بعنوان "قراءة بلاغية في المقامة الأسيديّة لبديع الزمان الهمذاني"، والتي اختصت بالحديث عن المقامة الأسيديّة فقط، وما حصل له من أحدث مع الأسد.

تناول الباحث ابتداءً التعريف بالمقامات بشكل عام، وما المقصود بها عند الأدباء؟ وكذلك ترجمة للأسديب والناثر بديع الزمان الهمذاني، من خلال الحديث عن اسمه ومكانه، ومولده، ونشأته، وماذا قيل عنه؟ ووفاته.

بعد ذلك تمّ التعرّيج على الألفاظ الغريبة للمقامة، ومن ثمّ الشرح العام لها، يتبع ذلك القراءة البلاغية لكثير من الجمل الواردة في المقامة، قراءة متعمقة، وبمنظرة بيانية أولاً، والتعرّض - أحياناً - للمسات البيانية في ذلك.

ثم نظرة لمواضيع علم المعاني، وما اشتملت عليه من أسلوبٍ خبري وأسلوبٍ إنشائي، والتقديم والتأخير، وأسلوب القصر، وما فيها من الإيجاز والإطناب.

وأخيراً تمّ النظر فيها بمنظرة بديعية، ذاكراً ما اشتملت عليه من صورة بديعية، وكيف أن المقامات تميّزت بالسجع الذي أصبح صفة ملازمة لها.

مقدمة:

المنتبع لتراثنا العربي القديم يجد فيه الألفاظ الغريبة، والتكلف أحياناً في الإكثار من الصور البلاغية، ولا سيما السجع المتعمّد، من هنا جاءت فكرة النظر إلى أدبنا العربي القديم بنظرة بيانية بديعية، مستخرجاً ما فيه من الصور، وشرح ما فيه من غموض الألفاظ والفكر، والنظر إلى الجملة من جميع جوانبها، مسترشداً ومستعيناً بضوء المعاني البيانية والبديعية، التي بها تتجلى كل سياق خفي، ويتضح كل سردٍ مستغلق.

ولا سيما أن مقامات بديع الزمان لم تحظَ بالقدر الكافي لشرحها واستخراج ما فيها من الصور والمعاني اللطيفة، وتتبع المفردات والجملة، تتبعاً يغني ويشبع القارئ، ويعين على فهم الكلام والسياق المستعمل. وتأتي هذه الدراسة القليلة في كمها، والمتواضعة في محتواها جزءاً من تعبير كاتبها، وقياماً بالوجب تجاه تراثنا العربي القديم، الذي جدير به أن يُدرس، ويهتم به أكثر، وينظر إليه بشيءٍ من التعمق والإطناب.

أهداف البحث:

- 1- استخراج ما في المقامة الأسيديّة من معانٍ بيانية وأخرى بديعية، وأساليب خبرية وأساليب إنشائية.
- 2- إكساب الباحث مهارة الاستخراج، وإجادة التعامل مع النصوص القديمة وفهماها.
- 3- محاولة التدقّق للنصوص الأدبية القديمة، واستجلاء ما فيها من لطائف ومعانٍ بيانية بديعية.

أهمية وأسباب اختيار العنوان:

مما قادني إلى الكتابة في هذا الموضوع أنها حادثة لبديع الزمان حصلت له مع الأسد، وقام بصياغتها وسردها بأسلوب لطيف ومشوّق جداً، حتى يجد القارئ فيها المتعة والفائدة في ما احتوت عليه من السرد والحبكة واختيار الألفاظ الجزلة، ونثر الكلام بصورة ممتعة وسجع بديع.

وكذلك مما شد انتباهي أن هذه المقامة الوحيدة التي تحدثت وتسمّت باسم الحيوان المفترس وهو الأسد؛ لما ذكر فيها قصته وما حصل له معه، بخلاف بقية المقامات، فجّلّ المقامات وأكثرها سمّيت باسم المكان الذي كان يتنقل منه وإليه بديع الزمان، وإن كان قد أسهب (في المقامة الحمدانية) في وصف فرس واهتم بجزئيات فيه دون أن يترك شيئاً، فوصفه وصفاً مفصلاً مبسّطاً مقصوداً، كأنه بذلك يريد أن يظهر الموصوفات ويدلّ على أسمائها، وأما هذه المقامة فقد أراد بديع الزمان أن يسجل حادثته التي حصلت له مع الأسد بصورة بديعية بليغة، تشدّ الأذهان والعقول إلى تلك الأحداث والمواقف.

وهي تعدُّ قصةً قصيرةً مستمدة أحداثها من طبيعة العصر وأخلاق بعض أناسه، فقد شاعت الحيلة، وكثر الشطّار الذين كانوا يقطعون الطرق بوسائل شتى، لا تخلو من ذكاء، يستعينون على فعلهم بوسامتهم، وجمال محياهم، وخفة روحهم، وسرعة حركتهم، وتنوع أساليبهم.

الدراسات السابقة:

وجدتُ بحثاً محكماً بعنوان "دراسة فنية بديعية لـ المقامة البغدادية في مقامات الهمذاني"، لـ عبد السلام أمين الله، المحاضر بجامعة الحكمة، الورن، نيجيريا، وقد اقتصر في كلامه عن المقامة البغدادية ومضمونها وأشخاصها، والدراسة الفنية البديعية لها، من خلال الحديث عن المحسنات اللفظية والمعنوية التي اشتملت عليه.

منهجية البحث:

بعد الشرح لمفردات المقامة الأسيديّة وشرحها شرحاً عاماً، حاولت أن أحلّلها وأقرأها بنظرة بلاغية، حيث أستخرج الصور البيانية من الجمل موضع الدراسة، والحكم -غالباً- عليها، وماهيتها البيانية سرداً لها دون التعرض لترتيب مواضيع علم البيان، ثم قراءة أخرى في مواضيع علم المعاني من جمل خبرية أو إنشائية... وتعمّدت ترتيب المواضيع والحديث عن كل واحد على حدة، ثم اختتمت بالقراءة البديعية متعرضاً لبعض المحسنات اللفظية وبعض المحسنات المعنوية، وأيضاً تم ترتيب المواضيع والحديث عن كل واحد على حدة؛ لئتم التعرّض لكل منها بشكل منفصل، وماذا تميّزت به المقامة من ناحية بديعية؟؟ !!

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من ثلاثة مباحث، وخاتمة مذيّلة بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالمقامات.

المبحث الثاني: ترجمة بديع الزمان الهمذاني.

المبحث الثالث: القراءة البلاغية في المقامة الأسيديّة.

وسأعمل على توضيح هذه المباحث في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

مقامات بديع الزمان في سطور:

ظلت مقامات بديع الزمان الهمذاني الاثنتان والخمسون أنموذجًا يحتذىه كتاب المقامات الذين جاءوا من بعده، وأول هؤلاء وأشهرهم الحريري الذي كتب مقاماته المشهورة واعترف بريادة بديع الزمان لهذا الفن، حتى قال مادحاً لها: "ذَكَرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمَانِ. وَعَلَامَةٌ هَمْدَانَ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى... إِلَى أَنْ أُنْشِئَ مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تَلْوَةَ الْبَدِيعِ. وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّلْعُ شَأوَ الصَّلِيعِ - يَقْصِدُ بَدِيعُ الزَّمَانِ -"¹. ثم تبعه عدد كبير من الكتاب القدامى والمحدثين فكتبوا في هذا الفن، بل وأصبح كل من ألف بعد ذلك عالمة على بديع الزمان في نسجها وابتداعها، وطرانفها، وما احتوت من ثروة لغوية هائلة، ومحسنات بديعية وبيانية كثيرة، ومن أبرزهم: الزمخشري، وجلال الدين السيوطي من المشاركة، والسرقسطي من الأندلسيين، وكذلك ابن الصيقل الجزري صاحب كتاب: المقامات الزينية، وأما المحدثون فأهمهم اليازجي والمويلحي²... وغيرهم.

المبحث الثاني

ترجمة بديع الزمان الهمذاني

أولاً: اسمه ونسبه ومولده.

بديع الزمان (358 - 398 هـ = 969 - 1008 م)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، أحد أئمة الكتاب، وهو الحافظ المعروف ببديع الزمان؛ صاحب الرسائل الرائقة³، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، وهو أحد الفضلاء الفصحاء.

ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وولد في همدان إحدى مدن فارس الشمالية، وافتتح سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وهي بلدة واسعة جليلة القدر، كثيرة الأقاليم والكور، ويشرب أهلها من عيون الأودية، قال عنها وعن بردها ابن خالويه، وهو همذاني واستوطن حلب:

إذا همدانُ اعتادها القرُّ وانثنى
برغمك أيلولٌ وأنت مقيمٌ

¹ مقامات الحريري (ص: 15).

² انظر: الموسوعة العربية العالمية (1/)، واليازجي هو صاحب كتاب: مجمع البحرين لليازجي - ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط.

³ أو بمعنى: أنيقة كما في وفيات الأعيان.

فعينك عمشاء وأنفك سائلٌ
ووجهك مسوّد البياض بهيمٌ
بلاذاً إذا ما الصيفُ أُقبلَ جنةً
ولكنها عند الشتاء جحيم¹

وانتقل بعد ذلك بديع الزمان الهمذاني إلى هراة سنة 380هـ فسكنها، ثم ورد نيسابور سنة 382هـ، ولم تكن قد ذاعت شهرته حتى لقي أبا بكر الخوارزمي، فشجر بينهما ما دعاهما إلى المساجلة، فطار ذكر الهمذاني في الأفاق آنذاك.

ثانياً: أعماله الأدبية.

- له (مقامات بديع الزمان - ط) أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها، ويذكر أن أكثر (مقاماته) ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطوره، ثم هلم جرا إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه!
- وله (ديوان شعر - ط) صغير.

- و مجموعة (رسائل - ط) عدتها 233 رسالة.

وقد درس بديع الزمان العربية والأدب، كان قوي الحافظة يضرب المثل بحفظه، وكان شاعراً وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر.

وقد جمع كلامه بين متانة اللفظ، ورشاقة المعنى، وجمال العبارة، ودقة الخيال، وقد تصرف هذا الكاتب في فنون الترسل، وتفنّن في ضروب الرسائل.

وله شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ النثر؛ لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلماً يتفقد لأحد.

أي: أن نثره طغى واشتهر به أكثر من شهرته بالشعر، محبراً في نثره أعماله الأدبية التي فيها الشيء الكثير من البديع والبيان والمعاني اللطيفة، وأنت حينما تقرأ كتابه في المقامات تجد بأنه لا يقل شأناً من أولئك الشعراء المخضرمين والجهابذة، فكلاً قد وهبه الله موهبة ينطق بها، وإبداع وجود به، وبصيغ الكلام بطريقته الخاصة، والمحتوية على الكثير من الصور البلاغية والمعاني النفيسة، التي تنبئ عن كنز من سحر البيان وجودته، الذي تمتع به هذا الناثر الأديب.

مختارات من كلامه:

من رسائله على سبيل المثال: " الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وإذا سكن متنه، تحرك ننته. وكذلك الضيف يسمح لقاؤه، إذا طال ثواؤه، ويتقل ظله، إذا انتهى محله. والسلام"¹.

¹ معجم الأدياء (3/ 1035).

ومن رسائله: "حضرته التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحاج. ومشعر الكرم، لا مشعر الحرم. ومنى الضيف، لا منى الخيف. وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة"².

وله في التعزية: "الموت خطب قد عظم حتى هان، ومس قد خشن حتى لان. والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وجنت حتى صار أصغر ذنوبها. فلتنظر يمناً، هل ترى إلا محنة، ثم انظر يسرة هل ترى إلا حسرة"³.

وما أجدره بقول نفسه في وصف زهير بن أبي سلمي: "يذيبُ الشعرَ والشعرُ يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه"⁴.

ما قيل عنه:

قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر عن حاله ووصفه ومحاسن نثره ونظمه: " هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همدان، ونادرة الفلك، وبكر عطار، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة، وسرعة خاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يرو أن أحداً أبلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها: أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة، ثم يهدأ عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً، وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها.

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع، وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بأخر سطر منه، ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم والنثر، ويروي من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة،

¹ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ) - المحقق: د. مفيد محمد قمحية - دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ط 1 - 1403هـ/1983م - (4/302).

² يتيمة الدهر (4/297).

³ يتيمة الدهر (4/298).

⁴ مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص: 12) من المقامة القريضية.

ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه، ونفس لا يقطعه"¹.

قلت: وعند النظر إلى مقاماته ورسائله ستجد الإبداع يتجلى، والمعاني تتحنّى، وسرعة البداهة، وفيض القلم، ولطائف القول، وجودة السبك، وحسن النظم، وحلاوة المنطق، وجزالة اللفظ، وبُعد الخيال، وجمال المعنى.

حتى لا تكاد تملّ من مقاماته ورسائله، بل وتستأنس بمجالستها، ومدارسة هذا الأدب الجم، والألفاظ المستوحاة من خالص اللغة وبطون القواميس، تستغلّق عنك بعض معاني الألفاظ، فنظرة في القواميس، فإذا بأسرار القول ومعجزات اللفظ تتجلى لك كتجلي العذراء في خدرها، وظهور اللؤلؤ من مكنونه. وما جرى بينه وبين أبي بكر الخوارزمي من شجارٍ كان سبباً لذبح صيته وشهرته وعلو أمره؛ إذ لم يستطع أحد في زمانهم أن يتصدى لمساجلة أبي بكر الخوارزمي حتى أتى بديع الزمان الهمذاني فتصدى له، وجرت بينهما مكاتبات ومناظرات ومناضلات، وأفرغ كل منهم ما في جعبته من الأدب وحسن القول، واستفرغ كل منهم جهده في ذلك حتى ذُكر الهمذاني في الآفاق وارتفع ذكره ومقداره عند الملوك والرؤساء، ودرّت له بعد ذلك أبواب الرزق، وعندما أجاب الخوارزمي داعي ربه خلا بعد ذلك الجو للهمذاني، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وبنى ثمرتها واستفاد خيرها، ولم يبق أميراً ولا ملكاً ولا وزيراً ولا رئيساً إلا استمطر منه العطاء والنوال، ففاز بذلك وحصل على غرائب الأموال.

ثالثاً: وفاته.

كانت وفاته يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، واختلف في وفاته فقيل مات مسموماً بمدينة هراة، رحمه الله تعالى، وقيل: مات بالسكتة، وعُجّل بدفنه فأفاق في قبره، وسُمع صوته بالليل فنبشوا عليه فوجدوه قد مات قابضاً على لحيته من هول القبر.

ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله: هذا آخر الرسائل.

وقال الثعالبي عن وفاته ما نصه:

¹ بيتيمة الدهر (4/ 293).

"وحين بلغ أشده وأرَبى على أربعين سنة ناداه الله فلباه، وقدم على آخرته، وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فقالت عليه نوادب الأدب، وانتلم حد القلم، وفقدت عين الفضل قرتها، وجبهة الدهر غرتها، وبكاه الأفاضل مع الفضائل وراثه الأكارم مع المكارم على أنه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خَلد من بقي على الأيام نظمه ونثره، والله يتولاه بعفوه وغفرانه، ويحييه بروحه وريحانه، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأُنس"^{1,2}.

القراءة البلاغية للمقامة الأسدية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَانَدَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغِي إِلَيْهِ النَّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ الْعُصْفُورُ، وَيَرَوِي لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَرِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً، وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الْكَهْنَةِ دِقَّةً، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بَقَاءَهُ، حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ، وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ، مَعَ حُسْنِ آتِيهِ، وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شَوْوَنَهُ، بِأَسْدَادِ دُونِهِ، وَهَلَّمَ جَرًّا، إِلَى أَنْ انْتَفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِحِمَصٍ فَشَحَدْتُ إِلَيْهَا الْحَرِصَ، فِي صُحْبَةِ أَفْرَادِ كُنُجُومِ اللَّيْلِ، أَحْلَاسِ³ لِظُهُورِ الْخَيْلِ، وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهَبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شَاقِفَتَهُ⁴، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النَّجَادِ⁵ بِنَيْكِ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَا كَالْعَيْسِيِّ، وَرَجَعْنَا كَالْقَيْسِيِّ⁶، وَتَاحَ⁷ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلِ ذِي الْأَاءِ⁸ وَأَتَلْنَا، كَالْعَدَارَى يُسْرِحُنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الْغَدَائِرَ⁹، وَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا، وَنَزَلْنَا نَعُورُ¹⁰ وَنَعُورُ¹⁰، وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ¹¹، وَمَلْنَا مَعَ النَّعَاسِ، فَمَا رَاعَنَا إِلَّا صَهِيلَ الْخَيْلِ، وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنِيهِ، وَطَمَحَ بَعِيَّتِيهِ، يَجْذُ قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَحْدُ خَدَّ الْأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الْأَبْوَالَ، وَقَطَعَتِ الْحِيَالَ، وَأَخَذَتِ نَحْوَ الْجِبَالِ، وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ؛ فَإِذَا السَّبْعُ فِي فَرَوَةِ الْمَوْتِ، قَدْ

¹ يتيمة الدهر (4/ 296).

² وما سبق من الترجمة نقلاً - ويتصرف - عن:

الأعلام للزركلي (1/ 115) - ومعجم الأدباء (1/ 234) - ووفيات الأعيان (1/ 127) - و يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.

³ أحلاس: جمع حلس بالكسر أصله الكساء تجلج به الدابة تحت البردعة، ثم قيل لمن لزم بيته حلس بيته، ولمن لازموا ظهور الخيل أحلاس،

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (546/ 1).

⁴ الشافقة: فرجة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو إذا قطعت مات صاحبها، ثم صار استئصال الشافقة مثلاً في محو كل شيء وإزالة أثره،

انظر: القاموس المحيط (ص: 1063).

⁵ النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض، وأسئمة جمع سنام، تاج العروس من جواهر القاموس (9/ 201).

⁶ القيسي: جمع قوس.

⁷ تاح لنا: أي عرض لنا. القاموس المحيط (ص: 274).

⁸ الألاء: شجر مر الطعم ورقه وثمره غير أنه دائم الخضرة حسن المنظر، تاج العروس من جواهر القاموس (1/ 132).

⁹ الغدائر للنساء، والضفائر للرجال، لسان العرب (5/ 8).

¹⁰ نعور: أي تأتي إلى الغور والمطمئن من الأرض، ونعور: ننام، انظر معناه: تاج العروس من جواهر القاموس (13/ 269).

¹¹ الأمراس: الحبال.

طَلَعَ مِنْ غَايِهِ، مُنْتَفِخًا فِي إِهَابِهِ، كَاشِرًا عَنْ أَنْبَابِهِ، بِطَرْفٍ قَدْ مَلَى صَلْفًا، وَأَنْفٍ قَدْ حُشِيَ أَنْفًا¹، وَصَدْرٍ لَا
لَا يَبْرَحُهُ الْقَلْبُ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبُ، وَقَلْنَا خُطِبَ مُلِمٌ، وَحَادِثٌ مُهْمٌ، وَتَبَادَرَ إِلَيْهِ مِنْ سُرْعَانِ الرَّفْقَةِ فَتَى:

أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ يَمَلُّ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ، وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثْرٌ²، وَمَلَكَتُهُ سَوْرَةُ الْأَسَدِ فَخَانَتُهُ أَرْضُ قَدَمِهِ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَقَمِيهِ، وَتَجَاوَزَ
الْأَسَدُ مَصْرَعَهُ، إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَدَعَا الْحَيْنَ أَخَاهُ، بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ، فَصَارَ إِلَيْهِ، وَعَقَلَ الرَّعْبُ بِيَدَيْهِ، فَأَخَذَ
أَرْضَهُ، وَأَفْتَرَشَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ، وَلَكَّنِي رَمِيَّتُهُ بِعِمَامَتِي، وَسَغَلَتْ فَمَهُ، حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ، وَقَامَ الْفَتَى فَوْجًا
بَطْنُهُ، حَتَّى هَلَكَ الْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ، وَالْأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ فِي جَوْفِهِ، وَنَهَضْنَا فِي أَثْرِ الْخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَا نَبَتَ،
وَتَرَكْنَا مَا أَقَلْتِ، وَعُدْنَا إِلَى الرَّفِيقِ لِنَجْهَرَهُ:

فَلَمَّا حَثْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزَعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةٍ مَجْرَعِ

وَعُدْنَا إِلَى الْفَلَاةِ، وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا، وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمِرَتِ الْمَرَادُ، وَنَفَذَ الزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ، وَلَمْ
نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلَا الرَّجُوعَ، وَخَفْنَا الْقَاتِلِينَ الظَّمَا وَالْجُوعَ، عَنَّا لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمَدُهُ، وَقَصَدْنَا قَصَدَهُ،
وَلَمَّا بَلَّغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرٍّ فَرَسَهُ يَنْقُشُ الْأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ، وَيَلْقِي التُّرَابَ بِيَدَيْهِ، وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ، فَقَبَّلَ
رِكَابِي، وَتَحَرَّمَ بَجَنَابِي، وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرَقَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ، وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ
تَسَهَّلَ، وَعَارِضٌ قَدْ أَخْضَرَ، وَشَارِبٌ قَدْ طَرَّ، وَسَاعِدٌ مَلَانٌ، وَقَضِيبٌ رِيَانٌ³، وَنَجَارٌ تُرْكِيٌّ، وَرِيٌّ مَلْكِيٌّ،
فَقَلْنَا:

مَالِكَ لَا أَبَالِكَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدٌ بَعْضِ الْمُلُوكِ، هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهِمْ، فَهَمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرَانِي،
وَشَهَدْتُ شَوَاهِدَ حَالِهِ، عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا الْيَوْمَ عَبْدُكَ، وَمَالِي مَالُكَ، فَقُلْتُ: بُسْرَى لَكَ وَبِكَ،
أَدَاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءِ رَحْبٍ، وَعَيْشِ رَطْبٍ، وَهَنَاتِنِي الْجَمَاعَةَ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقَاتَلْنَا الْحَاطَةَ، وَيَنْطِقُ فَتَقَاتَلْنَا
الْفَاطَةَ، فَقَالَ: يَا سَادَةَ إِنْ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلاةَ عَوْرَاءٍ⁴، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ، فَلَوْيُنَا
الْأَعْنَةَ⁵ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ، وَبَلَّغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الْهَاجِرَةُ⁶ الْأَيْدَانِ، وَرَكِبَ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ⁷، فَقَالَ: أَلَا

¹ الأنف: الكبير.

² الأثر: جوهر السيف والعلامة التي فيه واللعمان، المعجم الوسيط (5/1).

³ قضيب ريان: أي عمود بدنه مشبع بماء الحياة وقوة الشباب.

⁴ فلاة عوراء: أي لا ماء فيها.

⁵ الأعنة: جمع عنان بكسر العين، وهو سير اللجام للدابة الذي يمسكه راكبه.

⁶ الهاجرة: شدة الحر أو منتصف النهار.

⁷ الجنادب: جمع جندب ضرب من الجراد يقفز ويطير، ويعلو العيدان بسبب شدة الحر، المعجم الوسيط (140/1).

تَقِيلُونَ فِي الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلَى هَذَا المَاءِ العَذْبِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ وَذَاكَ فَنَزَلَ عَن فَرَسِهِ، وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ، وَنَحَى فُرْطَقَتَهُ¹ فَمَا اسْتَرَعَنَا إِلَّا بِغِلَالَةٍ تَمُّ عَن بَدَنِهِ²، فَمَا شَكْنَا أَنَّهُ خَاصِمَ الوِلْدَانِ، فَفَارَقَ الجَنَانَ، وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانِ، وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا، وَإِلَى الأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا، وَإِلَى الأَمَكْنَةِ فَرَشَّهَا، وَقَدْ حَارَتِ البَصَائِرُ فِيهِ، وَوَقَفَتِ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْفَفَكَ فِي الخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمَّلَةِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقَتَهُ، وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقَتَهُ، فَكَيْفَ شَكَرُ اللهُ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا سَرَّوْنُهُ مِنِّي أَكْثَرَ، أُنْعَجِبُكُمْ خَفْتِي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الجُمَّلَةِ؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّقُقَةِ؟ أَرَيْكُمْ مِنْ حَذْقِي طُرْفًا، لِتَزْدَادُوا بِي شِغْفًا؟ فَقُلْنَا: هَاتِي: فَعَمَدَ إِلَى قَوْسٍ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ، وَفَوْقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَتْبَعَهُ بِأَخْرَ فَشَقَّهُ فِي الهَوَاءِ، وَقَالَ: سَأَرَيْكُمْ نَوْعًا آخَرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا، وَإِلَى فَرَسِي فَعَلَاهُ، وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ، وَآخَرَ طَيْرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقُلْتُ وَيْحَكَ³ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: اسْكُتْ يَا لَكُعُ⁴، وَاللهِ لَيْسَ دُنَى كُلِّ مَنكُمُ يَدٌ رَفِيقِهِ، أَوْ لِأَعْيُنِهِ بِرِيقِهِ، فَلَمْ نَنْدِرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ، وَسُرُوجُنَا مَحْطُوطَةٌ، وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ، وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَالَةٌ، وَالقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرِشِقُ بِهَا الظُّهُورَ، وَيَمْشِقُ بِهَا البُطُونَ وَالصُّدُورَ، وَحِينَ رَأَيْنَا الجِدَّ، أَخَذْنَا القِدَّ⁵، فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبَقَيْتُ وَحْدِي لَا أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي، فَقَالَ: اخْرُجْ بِأَهَابِكَ، عَن ثِيَابِكَ، ثِيَابِكَ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَن فَرَسِهِ، وَجَعَلَ يَصْنَعُ الوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الأَخْرِ، وَيَنْزِعُ ثِيَابَهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَانِ جَدِيدَانِ، فَقَالَ: اخْلَعْهُمَا لَا أُمُّ لَكَ، فَقُلْتُ: هَذَا خُفٌ لِبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَيْسَ يُمَكِّنِي نَزْعُهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ، ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزِعَ الخُفَّ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَتْ مَعِي فِي الخُفِّ وَهُوَ فِي شِغْلِهِ فَأَثْبَتَهُ فِي بَطْنِهِ، وَأَبْنَتُهُ مِنْ مَتْنِهِ، فَمَا زَادَ عَلَيَّ فَمِ فَعْرَهُ، وَالْقَمَّةُ حَجْرَةٌ، وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَخَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ، وَتَوَزَعْنَا سَلَبَ القَتِيلَيْنِ، وَأَدْرَكْنَا الرِّقِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ، وَصَارَ لِرِمْسِهِ⁶، وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ، وَوَرَدْنَا حِمَصَ بَعْدَ لَيْالٍ حَمْسٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى فُرْضَةٍ مِنْ سَوْقِهَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنِ بَنِيَّةٍ، بِجِرَابٍ وَعُصِيَّةٍ⁷، وَهُوَ يَقُولُ:

¹ قرطفته: قباء، لسان العرب (10/ 323).

² الغلالة: بكسر الغين شعار بلبس تحت الثوب والدرع، تتم عن بدنه: بمعنى تكشف لون بدنه.

³ ويح: مثل ويل وهي كلمة دعاء بالشر والهلاك. تاج العروس من جواهر القاموس (7/ 220).

⁴ لكع: اللنيم، تاج العروس من جواهر القاموس (22/ 160).

⁵ القد: هو سير من جلد غير مذبوغ يوثق به الأسرى. لسان العرب (3/ 343).

⁶ رمسه: قبره.

⁷ عصية: تصغير لـ عصا.

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَسَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهُ
 رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَقَاطِمَةَ
 إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَةٌ
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِسْكَندَرِيُّ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ هُوَ،
 فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ¹، وَقُلْتُ: أَحْنَكُمْ حُكْمَكَ فَقَالَ: دِرْهَمٌ، فَقُلْتُ:
 لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفْسُ
 فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالتَّمِيسُ كَيْمَا أُنِيلُ الْمُتَمَسِّسُ
 وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ فِي ثَلَاثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعِشْرِينَ، ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ؟
 قَالَ: عِشْرُونَ رَغِيْفًا، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا، وَقُلْتُ: لَا نَصْرَ مَعَ الْخِذْلَانِ، وَلَا حِيلَةَ مَعَ الْحَرْمَانِ.

الشرح العام:

كان يبلغني الكثير من مقامات الإسكندري ومقالاته ما يجذب لها من لا يحب الاستماع، وما يؤثر ويطرب منه العصفور على عجمته فضلاً عن الإنسان العاقل، ويروى لنا من شعره ما رقّ ولطّف، ويكاد يستغلق حتى على أوهام الكهنة مع دعوهم لعلم الغيب، فأنا أسأل الله أن ألتقي به، وأنا أتعجب من قدرته على النظم والنثر ومع ذلك لم يصل إلى الشرف اللائق به من المكانة والمنزلة، وبقيت أحداث الدهر تمنعه عما يهياً له.

إلى أن وافقت لي حاجة في حمص، فشذت همتي مصاحباً أفراداً يشبهون نجوم الليل في الاهتداء بهم، وملازمون للسفر دائماً، فأخذنا بعد ذلك نقطع الطريق وما ارتفع من الأرض على أسنمة خيول جيد، حتى هزلت الخيول وصارت تشبه العصي في اليبوسة، والأقواس في التلوي والانحناء من شدة التعب. عرض لنا وادٍ فيه شجر مرّ الطعم، غير أنه دائم الخضرة وحسن المنظر، يشبه العذارى في الاستقامة والتدلي وهنّ يسرحن ذوائبهن، وألجأتنا شدة الحر إلى تلك الأشجار للاستظل تحتها، ونزلنا ما انخفض من الأرض لننام فيه، وربطنا الخيول بالحبال ونمنا بعد ذلك.

فما أفرعنا إلى صياح الخيل، ونظرت إلى فرسي وقد رفع أذنيه، ورمى بعينه إلى مكان الخوف، وهو يحاول قطع الحبل بمشافره، ويشق الأرض بحوافره، ومن شدة ذلك قطعت الحبال وهربت باتجاه الجبال،

¹ دلفت إليه: أي أسرعت نحوه.

وفزع كلّ منا إلى سلاحه، فإذا بالأسد قد طلع من غابته، مكشراً عن أنيابه، وهو يرمينا بنظرات مُلئت بالقوة وشدة البأس، وأنفٍ قد امتلأ كبراً، وصدرٍ يسكن فيه القلب جرأة وشجاعة، ولا يعرف الرعب والخوف، فقلنا عند ذلك: هذا أمر مهم وخطير، فأسرع إليه من الرفقاء فتى من أوصافه:

أخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ يَمْلَأُ الدَّلُوَّ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبِ

أي: هذا الفتى أسمر اللون - وهو لون خاص بالعرب- يملأ الدلو إلى قمته من شدة قوته، ولهذا الفتى قلبٌ ساقه القدر إلى مصالوة الأسد وبسيفٍ كأنه جوهر في جودته، فتمنّأت له صورة الأسد فزلقت قدماه وسقط على فمه وصرعه، وتجاوز بعد ذلك إلى شخصٍ آخر فافترش الأسد صدره، ولكنّي شغلته برمي العمامة نحو فمه، وقام الفتى فشق بطن الأسد، ولا يزال يُعمل الشفرة في جوفه حتى كاد يهلك نفسه من شدة خوفه، وهلك الأسد بالفعل من الطعنة التي أصابته، وتبعنا الخيل لنمسك منها ما استطعنا، وعدنا إلى الرفيق لتغسيله وتجهيزه لدفنه:

فَلَمَّا حَثَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَرَعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةٍ مَجْرَعِ

أي: فلما صببنا التراب فوقه بعد وضعه في اللحد خُفْنَا وحرزنا عليه.

ومن ثمّ عدنا إلى الصحراء الواسعة ومشينا حتى فني الزاد أو كاد أن ينفد، وعند توسطنا للصحراء لم نستطع الذهاب أو الرجوع، وخفنا أن يهلكنا العطش أو الجوع، فجأة إذا بفارس يظهر لنا فاتجها نحوه، ووصل إلينا وقصدني من بين الرفقاء بالتقبيل والإكرام، وجعل ينظر إليّ ووجهه يلمع لشدة نقاوة بياضه كأنه البرق اللامع، وقوامه فيه من الحسن بحيث إذا ارتفعت العين للنظر إلى أعلاه انحطت للنظر في أدناه، وساعده مليء باللحم قوةً وجَدًا، وطوله مشبّع بماء الحياة، وأصله تركي، ولبسه لبس ملوك، فقلنا له: ما شأنك؟

فقال: أنا خادم لأحد الملوك عزم على قتلي، فأنا هائم على وجهي لا أدري أين أتجه، ويظهر عليه صدق ما يقول.

ثم قال: أنا اليوم خادم لك ومالي مالك، فقلت له: أبشر بخير وبشرى لك، فقد أتى بك السير إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقاً ولا شدة، بل إلى سهولة ورغد، عند ذلك هنأني القوم به وبخدمته، وجعل ينظر بعيونٍ فانتة، وينطق بكلام حسنٍ يجذب القلوب، فقال: يا سادة إنه يوجد عينٌ ينبع منها الماء في سفع

الجبلى، فترودوا منه، فاتجهنا نحو ما قال، وقد أذابت شدة الحر أبدانهم وانتشرت الحشرات من جراء ذلك، وقال:

ألا تقيلون في هذا الظل الواسع، على الماء العذب؟ فنزل عن فرسه وحلّ حزامه وعمامته، فظهر جماله وازداد حسنه حتى شككنا أنه من خدم أهل الجنة، وأنه أتى منها وأفلت من رضوان ونزل إلى الدنيا، وأنزل السروج من على ظهر الخيل وأعطاهما الحشيش، ورشّ الأرض، فتعجبت من خدمته وحسن مقاله، ثم قلت له: الويل أيها الشاب لمن فارقته، وهنيئاً لمن رافقته، فكيف شكرت بريك؟

فقال: أنتعجبون من خدمتي وحسن منطقي؟ لو رأيتموني وأنا أحمي رفاقي لكان عجبكم أشد، ولزادت محبتكم لي، فقلنا: هات، فأخذ قوس أهدنا فرمى بسهم إلى السماء، وأتبعه بسهم آخر أصابه وشقه نصفين، وقال: سأريكم نوعاً آخر، ثم اتجه إلى وعاء سهامي فأخذها، وإلى فرسي فركبه، ورمى أهدنا بسهم أصابه في صدره، ورمى آخر فأصابه حتى خرج من ظهره، فقلت: أهلكك الله ما تصنع؟ قال: اسكت يا لئيم، والله ليقيدنّ كل منكم يد صاحبه أو لأخنقنّه حتى الموت، فلم ندر ما نصنع وأفراسنا مربوطة، والسروج محبوطة على الأرض، وسلاحنا بعيد منا، وهو راكب على الخيل ونحن مترجلين، والقوس في يده يرمينا بها، عند ذلك أدركنا بأنه جادّ فيما يصنع، فشدّ كل منا صاحبه، وبقيت وحدي، فقال: انزع ثيابك من جسمك فاستجبت لذلك، ونزل عن فرسه وجعل يلطم الواحد منا بعد الآخر وينزع ثيابه، وأتى إليّ وعليّ خفان جديان، فقال: اخلعهما، فقلت: هذا خف لبسته رطباً فلا أستطيع نزعه، فقال: عليّ خلع، ثم اقترب مني لينزع ذلك الخف، ومددت يدي إلى سكينٍ قطعته في بطنه، فما زاد على أن فتح فمه من ألم الموت وألقمه حجراً.

ثم قمت إلى أصحابي فحللت أيديهم، وتوزعنا سلب القتيلين، وأدركنا صاحبنا وقد فارق الحياة، ومضينا في طريقنا حتى وصلنا بلد حمص بعد خمس ليالٍ، فلما بلغنا مشارفها رأينا رجلاً قد قام على رأس ابنٍ وبنت له معه جراب، وهو يقول:

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَسَا	فِي جِرَابِي مَكَارِمَهُ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَتَا	لِسَعِيدٍ وَقَاطِمَهُ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ	وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَهُ

يدعو بالرحمة لمن أدخل في جرابه شيئاً مما تجود به نفوس الناس، ويرحم الله من نظر إلى سعيد وفاطمة بعين الرحمة، فهو خادم لكم وهي كذلك خادمة.

ثم قال عيسى بن هشام: قلت إن هذا الرجل هو الإسكندري الذي سمعت به، فإذا هو فأسرعت إليه، وقلت له: مالي في يديك فخذ منه ما تشاء، فقال: درهم.

قلت له: لك درهم واثنين وثلاثة... حتى انتهيت إلى العشرين، ثم قلت: كم معك؟ قال: عشرون رغيماً، فأمرت له بها، وقلت: لا يمكن أن يأتي النصر ونحن نخذل ضعفاناً، ولا حيلة من حرمان الآخرين من الخير الذي بين أيدينا.

المبحث الأول

القراءة البيانية للمقامة الأسدية.

قوله: (كان يبلغني من مقامات الإسكندري ومقالاته ما... ويتنفض له العصفور)، شبه ما يحدث في النفس من الطرب والتأثر بمقامات الإسكندري بانتفاض العصفور، ووجه الشبه هو شدة التأثر والارتجاف، على سبيل التشبيه البليغ.

قوله: (وقد ضرب الدهر شؤونه بأسدادٍ دونه)، في إسناد الضرب إلى الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية، وشبه إحداث البعد بينه وبين الإسكندري بالضرب بجامع تحقق البعد عن طريق سدود تحول بينه وبين الإسكندري.

قوله: (فشحذتُ إليها الحرص)، شحذ السكين: حدها للقطع، فشبه الحرص بـ بآلة في بلوغ الأمر المراد تحصيله، على سبيل الاستعارة المكنية، إذ لم يصرح بالمشبه به، وإنما أتى بشيء من لوازمه هو الشحذ.

قوله: (في صحبة أفراد كنجوم الليل)، تشبيه مرسل مجمل، حيث شبه أصحابه بنجوم الليل في الإضاءة والاهتداء والاستئناس.

قوله: (في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاسٍ لظهور الخيل)، (أحلاسٍ لظهور الخيل)، الحلس: الكساء الذي تجل به الدابة تحت البردعة، بمعنى: أنه شبه أصحابه بهذا الكساء الذي يلزم ظهور الخيل في كثرة ملازمتهم لظهور الخيل، فهو تشبيه بليغ، وفيه أيضاً كناية عن فروسيتهم؛ لأنه يلزم من ملازمتهم ظهور الخيل الفروسية ودوام الغزو والعدو عليها.

قوله: (وأخذنا الطريق ننتهب مسافته)، (أخذنا) فيه استعارة مكنية تبعية، حيث شبه الطريق بشيء حسي يؤخذ، فحذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه وهو الأخذ، واستعار لفظ (ننتهب) للإسراع في فناء الطريق، كما يفعل نهبه الأموال في تبديدها، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: (ونستأصل شأفته)، الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فينقطع أثرها، فقد صورّ محو الطريق والإسراع فيها بالاستئصال للشيء، مبالغة في السير عليها وسرعة قطعها، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: (ولم نزل نفري أسنمة النجاد بتلك الجياد)، نفري: نقطع، النجاد: ما ارتفع من الأرض، استعار أسنمة الإبل لما ارتفع من الأرض، بجامع الارتفاع في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: (حتى صرن كالعصي، ورجعن كالقسي)، بمعنى: ضمُرت الخيل وهزلت حتى صارت كالعصي في الرقة واليبوسة، وكالقسي (جمع قوس) في التلوي والانحناء، وكل ذلك من شدة التعب، والتشبيهان من باب التشبيه المرسل المجمل.

قوله: (وتاح لنا وادٍ في سفح جبلٍ ذي ألاءٍ وأثلٍ، كالعذارى يسرحن الضفائر)، ألاء: شجر مر الطعم دائم الخضرة حسن المنظر، والأثل معروف، شبه تلك الأشجار في استقامتها وتدلّي أفرانها بالعذارى أي: الأبقار اللاتي يسرحن ضفائرهن وينشرن غدائرهن أي: ذوائبهن.

قوله: (ومالتِ الهاجرة بنا إليها)، إسناد الميلان إلى الهاجرة مجاز عقلي علاقته تصلح أن تكون زمانية إن قصد وقت الهاجرة، وممكن أن تكون مكانية إن قصد الظل من الشمس.

قوله: (وطارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ)، استعار لفظ الطيران للإسراع، والجامع بينهما السرعة في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وهي تصوير حسن لمدى الفزع الذي حلّ بهم عند رؤية الأسد فجأة.

قوله: (وتَطَّرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدَّ أَرْهَفَ أُذُنِيهِ، وَطَمَحَ بَعَيْنِيهِ)، (أرهف أذنيه، وطمح بعينيه)، كناية عن فزعه لرؤية السبع وخوفه من ذلك.

قوله: (يَجِدُ فُؤَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ)، فيه مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ ذكر الجزء وهو المشافر وأراد الكل وهو الفم بما في ذلك الأسنان.

قوله: (وَيَحْدُ خَدَّ الْأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ)، (خد الأرض)، استعار لفظ الخد للظاهر الأرض أو لسطحها، بمعنى: شبه الأرض بأنها إنسان أو حيوان من شأنه أن له خدًا، فلم يصرح بلفظ المشبه به، وإنما أتى بشيء من لوازمه وهو الخد، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: (اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَأَرْسَلَتْ الْأَبْوَالَ)، (أرسلت الأبوال)، فيه كناية أيضاً عن الخوف والفرع الذي حلَّ بها من الأسد.

قوله: (فَإِذَا السَّبُعُ فِي فِرْوَةِ الْمَوْتِ)، شبه الأسد بالموت نفسه الذي يشتمله فروة أو إيهاب، ووجه الشبه هو قهر النفوس واغتيالها.

قوله: (مَنْتَفَخًا فِي إِهَابِهِ)، كناية عن الكبرياء والصلف.

قوله: (بِطَرْفٍ قَدْ مَلَأَ صُلْفًا، وَأَنْفٍ قَدْ حَشَى أَنْفًا)، استعار لفظ (مَلَأَ) الذي هو من شأن الوعاء المحسوس لظهور الحقد في العينين، ولفظ (حَشَى) الذي هو من شأن المحسوس لبروز وظهور الكبر في الأنف، فهي صورة رائعة في تجسيد الطرف وهو ممتلئ حقدًا، والأنف وهو ممتلئ كبرياء.

قوله: (وَصَدْرٍ لَا يَبْرَحُ الْقَلْبَ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبُ)، كناية عن أن الجرأة والشجاعة لا تفارق الأسد، وكأن الجبان يفارق قلبه صدره عند الفرع، بخلاف الأسد الذي لا يفزعه شيء ولا يذهب بقلبه.

قوله: (فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ)، شبه الأرض بالإنسان الذي من شأنه الخيانة والمعاهدة، حيث كأنها كانت قد عاهدته على أن تحمل له قدمه، ثم خانته بأن أزلقته فسقط منكبًا على يديه وفمه، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: (حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ)، كناية عن انكبابه على وجهه، وهو مأخوذ من قول قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله:

وأشعث قوام بآيات ربّه

قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

فخرّ صريعاً لليدين وللنم¹

ضممت إليه بالسنان قميصه

قوله: (عقل الرعب يديه)، أسند اعتقال اليدين إلى الرعب؛ لأن الرعب والخوف سبب في اضطراب الأعضاء وعجزها، فهو مجاز عقلي علاقته السببية.

¹ شرح شواهد المغني - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، علق عليه: أحمد ظافر كوجان - الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ المركزي الشنقيطي - لجنة التراث العربي - ط: بدون، 1386 هـ - 1966 م.

قوله: (وسرنا حتى إذا ضمرت المزاد)، ضمور المزاد كناية عن فراغها من الماء.

قوله: (ينقش الأرض بشفتيه)، أسند النقش إلى الفرس بشفتيه، وهو كناية عن أنه يقبلها.

قوله: (ونظرت فإذا هو وجهٌ يبرقُ برق العارض المتهلل)، تشبيه بليغ، حيث شبه لمعان بريق وجهه بمثل لمعان برق السحاب الممطر، ووجه الشبه هو اللعان والبياض في كل منهما، ومن عباراتهم تشبيه الوج بالماء في صفائه، وصفحتي الخد بالعارضين وهو المراد هنا.

قوله: (وقوام متى ما ترق العين فيه تسهل)، كناية عن هجوم الحسن لقوامه وشموله له، فلا يكاد البصر يرتفع إلى أعاليه حتى يجذب للتمتع برؤية أسفله.

قوله: (وساعد ملآن)، كناية عن قوته الناتج من شدة امتلاء ساعده باللحم.

قوله: (وقضيب ريان)، شبه قوامه بقضيب العود في القوام والاعتدال، على سبيل الاستعارة التصريحية، و(ريان)، من الارتواء والمشبع بشرب الماء، والماء هنا ماء الحياة وقوة الشباب، وليس الماء الحقيقي.

قوله: (فهتم بوجهي إلى حيث تراني)، شبه ذهابه وهو لا يدري أين يتجه بالهيام، وهو ما يكون من شأن العطشان في طلب الماء، بجامع عدم الاهتداء في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: (وعيش رطب)، كناية عن سهولة العيش ورغده ونعمومته.

قوله: (وجعل ينظر فتقتلنا ألاحظه)، استعار لفظ القتل لقوة التأثير فيهم من خلال عذوبة كلامه وحسن نظراته.

قوله: (يا سادة إن في سفح الجبل عيناً)، العين هنا ليست العين حقيقة، وإنما عين الماء ونبعه، على سبيل المجاز اللغوي.

قوله: (وقد ركبت فلاة عوراء)، العوراء: أي التي لا ماء فيها، وكأن العرب جعلت الأرض ذات العيون الجارية بمنزلة الحية الأنثى من ذوات الباصرة، وكما يقال لمن فقدت عينها من البواصر عوراء قيل للفتاة إذا فقدت ماءها عوراء أيضاً، بمعنى أنه استعار لفظ العور للصحراء التي لا ماء فيها، بجامع عدم وجود الفائدة في كل، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: (فلوينا الأعنة إلى حيث أشار)، الأعنة: جمع عنان بكسر العين، وهو سير اللجام للدابة الذي يمسكه راكبها به، ولي الأعنة كناية عن تحويل السير إلى الجهة التي أشار إليها.

قوله: (وركب الجنادب العيدان)، الجنادب نوع من الجراد يهلك من البرد ويفرح للحر ويتعرض للشمس، والجملة فيها كناية عن شدة الحر واشتداد ذلك في الظهيرة.

قوله: (أو لأغصنّه بريقه)، كناية عن إيقاعه في شدة لا منفذ منها، تجعل أسهل الأشياء تناولاً أصعبها.

قوله: (فما زاد على فم فغره، وألقمه حجرة)، (فغر الفم) كناية عن صفة الصياح من شدة الألم، فهي كناية عن صفة، حيث صرح فيها بالموصوف وهو الضمير المستتر، ونسب إليه فغر الفم.

قوله: (وألقمه حجرة)، كناية عن السكوت التام بعد طعنه بالسكين، وهنا كناية عن صفة أيضاً، حيث صرح بالموصوف (الضمير)، ونسب إليه التقام الحجر.

قوله: (رحم الله من حشى في جرابي مكارمه)، جعل كون المكارم واسطة لإيصال العطايا، لذلك جعلها تحشى في الجراب وتملاً به الأوعية، مجاز مرسل علاقته السببية، حيث أطلق السبب (المكارم) وأراد المسبب وهي العطايا والنوال التي تملئ الجراب.

قوله: (مادام يسعدني النفس)، كنى بالنفس عن الحياة، فهي كناية عن صفة الحياة، بمعنى ما دامت الحياة فيه ويدب النفس فيه.

المبحث الثاني

القراءة لمواضيع علم المعاني في المقامة الأسدية:

أولاً: الأسلوب الخبري:

جَلَّ المقامة أسلوب خبري، حيث هي بمثابة رواية لأحداث حصلت، وتوالت، فهو يتمنى لقاء الإسكندري، لينال ضرباً من بديع كلامه وبلاغته، وحسن منطقته، ثم يأتي بجملة خبرية، وهي رواية رؤية الأسد فجأة، مصوراً تلك الحادثة والخطب الجلل، وكلها أخبار متسارعة انتهت بنجاة بعضهم من الأسد، ثم انتنى بالكلام عن ظهور فارس يظهر عليه ويتوسم فيه الخير والصلاح، فشرع يستأنمهم ويطمئنهم بحسن منطقته، ولطف خدمته وتفانيه في ذلك، فجأة فإذا به يتحوّل إلى لصٍ صائل، يريد ما لديهم من المال، والفتك بهم، ثم خلّصهم الله منه.

فبيدئ المقامة بالجملة الخبرية التي تفيدنا بـ فائدة الخبر؛ إذ هو خبر لأول وهلة يريد أن يشنّف آذاننا به، ولم نسمعه من قبل، فيقول: (كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَندَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النَّفُورُ)، وهو بهذا الخبر يريد أن يشوقنا إلى سماع شيء من قصة هذا الرجل الذي دائماً ما يجعله أسطورة

حكايته ومقاماته التي يتحفنا بها، ثم يقول: كيف السبيل إليه وهو لا يدري أين هو: (وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شَوْوُوتَهُ، بِأَسْدَادِ دُونَهُ)، جملة خبرية ابتدائية مشتملة على مؤكد واحد.

ثم ينتقل من موقف إلى موقف، وهو يسرد هذا الخبر، تارة يأتي بمؤكد واحد، وآخر بمؤكدين حتى أنهى هذا الخبر بجملة خبرية اختتم بها مقامته فقال: (لَا نَصْرَ مَعَ الْخِذْلَانَ، وَلَا حِيلَةَ مَعَ الْحَرْمَانَ).

ثانياً: الأسلوب الإنشائي:

يوجد في هذه المقامة أساليب إنشائية قليلة، حيث تكاد تكون محصورة في أسلوب الأمر والاستفهام، وبضعة نداءات.

أ/ الأمر:

مما يصاغ منه الأمر اسم فعله، فمن هذا قوله: (هَاتِ) جواباً من الرفقة عندما سألهم اللصّ بقوله: (أَتَعْجَبُكُمْ خَفْتِي فِي الْخِدْمَةِ، وَحَسْنِي فِي الْجَمَلَةِ؟)، ويبدو أن الأمر هنا حقيقي؛ إذ يطلبون منه المزيد من القول والخدمة على سبيل الالتماس لأنه رفيقهم.

وقوله: (اسْكُتْ يَا لُكْعُ)، أمر حقيقي.

وقوله: (اخْلَعْهُمَا لَا أُمَّ لَكَ)، والأمر هنا حقيقي، وصيغته فعل الأمر.

(اخرُجْ بِأَهَابِكَ، عَن ثِيَابِكَ)، أيضاً أمر حقيقي.

وقوله: (فاحسب حسابك والتمس)، أمر المراد منه ترغيب المخاطب بالاستكثار من الطلب، وأنه مهما استكثر عليه فلا يبالي بذلك، فسيعطيه ما أراد؛ إذ هو بغيته ومقصده من بداية المقامة التي تحدث عنها أنه يريد مصادفته وتمنى لقاءه.

(احتكم حكمتك)، أمر الغرض منه وقصده هو الإكرام لهذا الرجل، الذي يقصده لبلاغته وحسن بيانه ومنطقه، الذي تحدث عنه في أول المقامة، فهو يعرض عليه بما يشاء ويطلب فهو سينجزه ما أراد.

ب/ الاستفهام:

قوله: (ولكن أي ساعة مجزع)، على اعتبار أن تكون (أي) استفهامية، فهي هنا تفيد التهويل في أمر ساعة جزعهم، كأنها غير معروفة لهم فهم يتساءلون عنها.

قوله: (مالك لا أبالك؟)، استفهام يحمل في طياته الدهشة والتعجب من حال هذا الرجل، ومن التفاني في خدمته مع حسن منظره وثيابه.

قوله: (أَلَا تَقِيلُونَ فِي الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلَى هَذَا المَاءِ العَذْبِ؟)، استفهام يراد منه الترغيب والتشويق لذلك الظل والماء العذب واستمالتهم إليه، ومن ثم كسب تقنهم بعرضه لهم هذا الأمر.

قوله: (فَكَيْفَ شَكَرُ اللهُ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟)، استفهام غرضه البلاغي الأمر والحث له على شكر الله مقابل تلك النعمة التي حلت به، من حسن المنطق، ولطف الخدمة، وطيب رفقته، والسر البلاغي في مجيء الاستفهام بصورة الأمر؛ أن في ذلك إغراء للمخاطب وحثاً له على الاستجابة وقبول الأمر.

قوله: (أَتَعْجِبُكُمْ خَفَّتِي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الجُمْلَةِ؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرِّفْقَةِ؟ أُرِيكُمْ مِنْ حَذْقِي طَرْفًا، لَتَزِدُوا بِي شَغَفًا؟)، الاستفهام الأول (أَتَعْجِبُكُمْ خَفَّتِي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الجُمْلَةِ؟) الغرض منه إظهار التعجب من اندهاشهم له، والاستفهامات البقية المراد منها التلطف لهم لكي يسمحوا له بمرافقتهم.

قوله: (وَيَحْكُ مَا تَصْنَعُ؟) استفهام غرضه البلاغي الإنكار على فعله القبيح، وهو إثبات السهم في صدر رفيقهم، وإظهار الخوف من سرعة التغير في سلوكه وأخلاقه.

قوله: (كَمْ مَعَكَ؟) يظهر أنه استفهام حقيقي عن العدد.

ج/ النداء:

(يَا سَادَةَ إِنَّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ عَيْنًا، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلَاةَ عَوْرَاءَ، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ المَاءِ)، يفهم من خلال السياق أن مراد الفارس بهذا النداء هو إغراءهم بالماء الذي في سفح الجبل، بدلاً من المكوث في الصحراء الفاحلة التي لا ماء فيها.

(يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ)، نداء غرضه البلاغي هو التعجب، فهو متعجب من حال حسن خدمة الفارس الفتى.

ثالثاً: أحوال المسند والمسند إليه.

قوله: (فَإِذَا السَّبْعُ فِي فُرُوعِ المَوْتِ)، قدم هنا المسند إليه (السبع) كون المتقدم محطّ الغرابة، بعد أن تم الحديث عنه وما الذي حلّ بالخيل من خوف وفزع، وطار كل منهم إلى سلاحه.

قوله: (وَقُلْنَا خُطْبٌ مُلْمٌ، وَحَادِثٌ مُهْمٌ)، تنكير كلاً من المسند (ملّم - مهم) والمسند إليه (خطب - حادث) أفاد التعظيم للخطب وللحادث المرعب، وأنه قد بلغ درجة لا يمكن تخيلها.

قوله: (وقوام متى ما ترق العين...، وعارض قد اخضر، وشارب قد طر، وساعد ملآن، وقضيب ريان، ونجار تركي، وزبي ملكي)، تعدد بديع الزمان هنا ذكر المسند إليه وتكثيره لغرض تعظيم هذا الفارس الذي عن لهم وظهر، فهو عظيم في نظرهم على ما ظهر لهم في بداية الأمر، فشاربه جديد وطري، وساعده ممثليّ لحماً قوةً وجلداً، وعمود بدنه عظيم، وأصله تركي، وزيه وهيئته هيئة ملوك.

قوله: (وأفراسنا مربوطة، وسروجنا محطوطة، وأسلحتنا بعيدة، وهو راكب ونحن رجالة)، جميع المسند في السياق جاء بصيغة التكرير (مربوطة - محطوطة - بعيدة - راكب - رجالة)، وذلك تخميماً وتعظيماً لشأن المأزق الذي حلّ بهم، من ربط الأفراس وكون السروج محطوطة، وأنهم بعيدون عن الأسلحة لا يمكن التمكن منها، ثم عظم شأنه في هيئته بأنه راكب بينما هم يمشون على أقدامهم. قوله: (وعليّ خفان جديدان)، تقديم المسند على المسند إليه لتخصيص الخفان به، فهو مختص به وبملكيته، ثم جاء بعد ذلك الجواب بتقديم آخر حينما قال له: اخلعهما لا أم لك، فقال: (عليّ خلعه)، ويقصد من التقديم هذا المساءة نكاية بالمخاطب الذي يعارضه في الخلع.

قوله: (لك درهم في مثله)، قدّم المسند (لك) على المسند إليه (درهم)، لتعجيل المسرة للمخاطب بعد أن طلب منه ذلك بأن قال له: (احتكم حكمك، فقال: درهم).

رابعاً: القصر.

تكلّمنا من قبل في تقديم ما حقه التأخير الذي له علاقة بأسلوب القصر، إذ هو أحد طرقه، وأما طريقة النفي والاستثناء في المقامة التي نحن بصددّها، منها قوله: (فما راعنا إلا صهيل الخيل)، فأفاد بهذا الحصر والقصر:

أولاً: الإيجاز بدلاً من التفصيل في حقيقة ذلك الفرع والخوف الذي حلّ بالخيل.
ثانياً: المبالغة التي تدرك من جملة النفي والاستثناء تأكيداً للخوف والفرع الذي وقع عليه.
ثالثاً: أيضاً فيه دلالة على شهرة الفرع وذبوع صهيل الخيل من هول ما رآه.
ومنها قوله: (فما استترّ عنا إلا بغلالة تنمّ على بدنه)، والمراد أن ما استتر من بدنه واختفى تكشف لون بدنه كأنها تصفه وتحدث عن جماله الذي جمّله الله به، فهو أسلوب قصر فيه من المبالغة الشيء الكثير في وصف جماله، وفيه إيجاز بدلاً من التفصيل في ذلك اختصر في بضع كلمات.

خامساً: الفصل والوصل.

من أهم مواضيع علم المعاني (الفصل والوصل)، الذي هو مختص بوصل الجمل بعضها ببعض بحرف العطف (الواو) خاصّة، وفي المقابل فصلها وترك العطف به، ومن ذلك في هذه المقامة: قوله: (أخذنا الطريق، ننتهب مسافته)، في الجملتين فصل حيث لم ترتبط الجملتان بالواو؛ لأن بينهما كمال اتصال، فالثانية فيه بيان للأولى وتفسير لها وتأكيده.

قوله: (فأرسلت الأبوال، وقطعت الحبال)، وُصِلت الجملة الثانية بالأولى لتطابقهما في الخبرية لفظاً ومعنى، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل، وبينهما مناسبة تامة في المعنى؛ إذ كلاهما نتيجة للجملة السابقة (ثم اضطربت الخيل)، فبينهما تمام اتصال.

قوله: (في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاسٍ لظهور الخيل)، فُصِلت الجملة الثانية عن الجملة الأولى لما بينهما من كمال اتصال؛ إذ شبه أصحابه في الأولى بالنجوم، وفي الجملة الثانية بالكساء الذي تجلّل به الدابة تحت البردعة، في الملازمة، بمعنى أن الثانية بمثابة تأكيد للأولى، فالمانع من العطف هو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً، وامتزاجاً معنوياً.

سادساً: الإيجاز الإطناب.

أما إيجاز القصر الذي هو تقليل الألفاظ مع كثرة المعاني¹ ففي المقامة الشيء الكثير، وسنقتصر على بعض النماذج منها:

قوله: (هلمّ جراً)، فيه إيجاز قصر، أي: هذا الكلام يجر بعضه بعضاً إلى نهايته، وأصل هذه الجملة تعني: "تعالوا على هيننكم كما يسهل عليكم، وأصل ذلك من الجر في السوق، وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في سيرها، قال الراجز:

لطالما جررتكُنَّ جرّاً حتى نوى الأعجفُ واستمرّاً
فاليومَ لا ألو الركاب شرّاً².

¹ الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 175). علم المعاني (ص: 176).

² مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: 518هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت، لبنان- (402/2).

وفي قوله: (حتى صرن كالعصي، ورجعن كالقسي)، إيجاز حذف، وهو: "ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف"¹، حيث حذف هنا وجه الشبه مكتفياً بما يفهمه القارئ من البيوسه التي تصيب الإبل، ومن التلوي والانحناء من شدة التعب.

وقوله: (وعدنا إلى الرفيق لنجهزه)، فيه إيجاز أيضاً، أي: نغسله ونكفنه، ونقوم بالواجب علينا تجاه الميت، من دفنه بعد ذلك.

قوله: (بشرى لك وبك)، فيه إيجاز حذف، حيث تقدير الكلام: بشرى بقدمك، وبشرى ومرحباً بك.

قوله: (كان يبغني من مقامات الإسكندري ومقالاته ما يصغي إليه النفور، وينتفض له العصفور، ويروي لنا من شعره ما يمتزج بأجزاء النفس رقةً، ويغمض عن أوهام الكهنة دقةً)، يعرف الإطناب بأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة²، وهنا حاول صاحب المقامة أن يبالغ في وصف الإسكندري ويتحدث عنه بأنه صاحب بلاغة وبيان في منطقته، فأكثر من ذلك والمعنى واحد، وكل ذلك ليشد المخاطب إلى الاستماع لما سيقوله عنه، وينفنن في القول، وتركيب الجمل، وصياغة العبارات.

قوله: (كالعذارى يسرحن الصفائر، وينشرن الغدائر)، فيه إطناب، نوعه التكرير، حيث (الصفائر والغدائر) بمعنى واحد: الذوائب، (ويسرحن - وينشرن) بمعنى متقارب؛ والغرض البلاغي تقرير المعنى في نفس المخاطب مرة بعد مرة.

قوله: (وتظرت إلى فرسي وقد أرفف أذنيه، وطمح بعينيه، يجذ قوى الحبل بمشافره، ويخذ خذ الأرض بحوافره، ثم اضطربت الخيل فأرسلت الأبوال، وقطعت الحبال، وأخذت نحو الجبال)، أطنب في وصف حال الخيل عندما شاهدت الأسد مقبلاً عليهم، بل واسترسل في الكلام، وأظهر قدرته اللغوية، وتفنن في وصف أذن الخيل وعينيها، وتقطيعها للحبل بمشافرها، وحفرها للأرض، وإرسالها للأبوال وقطع الحبال، وأخيراً هروبها وذهابها نحو الجبال.

وهو إطناب حاول بديع الزمان أن يصور المشهد بكلام بديع وحسن، وكان بالإمكان أن يكتفي أن الخيل فزعت وخافت.

¹ علم المعاني (ص: 178).

² المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (2 / 120).

قوله: (فَإِذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ، قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِحًا فِي إِهَابِهِ، كَاشِرًا عَنِ أُنْيَابِهِ، بِطَرْفٍ قَدْ مَلَى صَفَاءً، وَأَنْفٍ قَدْ حُسِيَّ أَنْفًا، وَصَدْرٍ لَا يَبْرَحُهُ الْقَلْبُ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرُّعْبُ)، وهذا أيضاً من الإطناب، فقد أسهب في وصف ذلك الأسد وإهابه وأنيابه، وطرفه، وأنفه، و... والغرض من ذلك تصوير المشهد وتخويف المخاطب والقارئ، وشد انتباهه نحو هذا الحدث المرعب والمخيف من منظر الأسد الكاسر. وشرع بعد ذلك يصور ويطنب في الحدث الذي حصل لرفقائه، فأما الأول فقد خانته قدمه وسقط لغمه، وصرعه الأسد، وأما الآخر فقد شغل الأسد بعمامته وحقق دم صاحبه. وتكاد تنظر المقامة من أولها إلى آخرها وهي تُسرد بإسهاب وإطناب، وعرض مشهد تلو مشهد، وحادثة تلو حادثة، وموقف يتلوه موقف.

المبحث الثالث

القراءة البديعية للمقامة الأسيديّة.

لما نقول: (المقامات تميّزت بألوان البديع)، أي: أنها منقلبة بالمحسنات البديعية، مفعمة بالفكاهة والتهكم، والحرص على متانة الأسلوب، وإظهار البراعة اللغوية المتمثلة في سعة المعجم اللفظي، وكثرة التسجيع والجناس والتوازن والتوريات والمبالغة... وغير ذلك من ألوان المحسنات المعقدة، ولزوم ما لا يلزم، مع حلاوة التصوير وإبراز بعض الأوضاع الاجتماعية، وتدبير المآزق للبطل ثم إخراجها منها بذكاء ولوذعية¹، وهذه هي المقدرة اللغوية البارعة، التي يتقنها بعض الكُتّاب المشهورين، ومنهم بديع الزمان الذي أبدع في مقاماته إبداعاً بيانياً وبديعياً، وصاغ الجمل تفنناً في السياق وفي الحيك، منتقلاً من لون بديعي إلى آخر، ومن لون بياني إلى آخر... وهلم جرا.

أولاً: الطباق.

(وَلَمْ نَمَلِكِ الذَّهَابَ وَلَا الرَّجُوعَ)، صورة الطباق متحققة في لفظتي (الذهاب والرجوع) وهو بين اسمين، حيث نفى عدم قدرتهم على الذهاب، وعدم قدرتهم على الرجوع، فإن مضوا في الصحراء تصيبهم المشقة والتعب، وإن رجعوا يتحقق لهم ذلك، فهي صورة جملة وحسنها بهذا الطباق الذي يشرح حالهم، وما وصلوا إليه من مشقة وتعب في الصحراء القاحلة.

¹ انظر: الأدب المقارن - جامعة المدينة (ماجستير) (ص: 287).

قوله: (فقلت: بشرى لك وبك)، بين حرفي اللام والباء طباق؛ إذ معنى (لك) أنك مختص بالبشارة فاللام للاختصاص والملكية، ومعنى (بك) أي: أن البشارة متعدية إلينا، فبشارة لك وبشارة لنا بقدمك، وهي جملة فيها من الإيجاز ما فيها، والتقدير: بشرى لك وبشرى بك.

قوله: (وهو راكبٌ ونحن رجالة)، بين (راكب - ورجالة)، الرجالة الذي يمشي على قدمه، بخلاف الراكب، فهو طباق إيجاب، وهو تصوير لحالهم ولشدة فزعهم من الفارس وتمكّنه منهم.

ثانياً: المبالغة.

قوله: (كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإسْكَندَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْنَعِي إِلَيْهِ النُّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ)، المبالغة تُعرفُ بأنها: " أن يدعى المتكلم لوصف، بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً، أو مستحيلًا"¹، وهنا في إفراط كبير في أن مقامات الإسكندري مجرد سماعها يصغى إليها من لا يحب الاستماع إلى الحديث، بل ويهتز وينتفض العصفور لسماع ذلك، كل هذا مبالغة في أن بلاغة الإسكندري قد بلغت مبلغها، لدرجة أنها تؤثر فيمن لا يريد السماع، وتؤثر حتى على العصفور وتجعله يطرب لذلك، ويبدو أن هذا الأمر ممكن عقلاً لا عادة، فيندرج تحت ما يسمى بالإغراق.

وبالغ في وصف الفارس الذي عنّ لهم بقوله: (وجعل ينظر فتقتلنا ألاحظه)، وهذا ممكن عقلاً بأن يصيبه بالعين، أما عادة فلا يمكن ذلك.

وقوله: (فما شككنا أنه خاصم الولدان، ففارق الجنان، وهرب من رضوان)، كل هذا مبالغة في وصف جمال وحسن ذلك الفارس، وإلا يستحيل ويستبعد أن يكون قد فرّ وهرب من الجنة باختلافه مع ولدانها - بمعنى أنه من جنسهم - ويظهر أن هذا يندرج تحت ما يسمى بالغلو، حيث قد بالغ في ذلك مبالغة في الوصف فهو غير ممكن عقلاً ولا عادة.

وقوله: (وفوق سهماً فرماه في السماء، وأتبعه بأخر فشقه في الهواء)، وهذا كذلك مبالغة منه في مهارته وإصابته للهدف، بأن يتبع سهماً في السماء بسهم آخر يشقه نصفين، وإن كان ممكن عقلاً أما عادةً فلا.

¹ جواهر البلاغة (ص: 312).

ثالثاً: الجمع مع التقسيم.

قوله: (وخنفا القتالين الظمأ والجوع)، في الجملة محسن بديعي وهو الجمع مع التقسيم، فقد جمع الأمر بدايةً تحت حكم واحد وهو القتل، في قوله: (القاتلين)، ثم قسم ذلك في تفصيل هذين القاتلين، وهما الظمأ والجوع، وهو تفنن في القول المراد منه تأكيد وتقرير هذا الخوف، وذلك بذكره مرتين مرة بالجمع، وأخرى بتقسيمه وتفصيله.

رابعاً: الجناس.

قوله: (وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْمَةَ النَّجَادِ بِتِلْكَ الْجِيَادِ)، بين (النجاد - الجياد) جناس مطرّف غير تام، حيث كان الاختلاف في أحد حروفه، فالنجاد: ما ارتفع من الأرض، والجياد: الخيل، فيوجد بينهما تشابه في اللفظ لكن يختلفان في المعنى.

قوله: (وَيَخْدُ خَدَّ الْأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ)، جناس بين (يخدّ - خد) تام مستوفي، فالأول منهما فعل بمعنى: يشق، والثاني اسم بمعنى: الوجه.

وقوله: (وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ)، بين لفظتي (الأفراس - الأمراس)، جناس غير تام، فقد اختلف اللفظان في نوع الحروف؛ فلذا يسمى هذا النوع بالجناس المضارع؛ لأن الحرفين اللذين وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج، فأحدهما من الشفتين (م)، والآخر من الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، وفيهما جمال من حيث توافق اللفظين في الوزن والتشابه في اللفظ والحروف، فينشأ من ذلك صوت يجمّل السياق، ويشدّ انتباه السامع لمعرفة الغريب من الألفاظ.

قوله: (فصمدنا صمّده، وقصدنا قصده)، كلا الجملتين فيهما جناس تام مستوفي، فأحدهما اسم والآخر فعل، فـ (صمدنا) أي: قصدنا، و(صمّده) أي: جهته، والجملة الثانية هي بمعنى الأولى والغرض من التكرار بيان السعة في المترادفات والتفنن في الكلام.

ويوجد ثلاثة موضع في المقامة تحتل أن تكون جناساً، لكنها ليست كذلك؛ إذ هي متشابهة في الألفاظ ومتفقة في المعنى، ولا يوجد اختلاف إلا في كون الكلمة الأولى فعلاً والثانية اسماً، وهي قوله: (ونفد الزاد أو كاد يدركه النفاذ)، وقوله: (فأحسب حسابك والتمس كيماً أنيل الملتمس)، وقوله: (احتكم حكماً؟).

خامساً: السجع.

تكاد تتميز المقامات بهذا المعنى البديعي، بل وتنفرد به انفراداً بيّناً، حيث يكون حاضراً وبشدة مع كل جملة -غالباً-، وذلك ما يغلب على النثر ويميزه عن الشعر، وحتى تكون الجمل لها نغم وجرس بديع، إذ تنتهي بإيقاعٍ معيّنٍ يصدر من ذلك الجمال والإبداع، وكلما كان التوافق في أكثر من حرف كلما كان الجرس الصوتي له وقعاً في النفس والأذن، فينتج عن ذلك التأثير في نفس السامع أو القارئ، كتأثير سجع الحمام لدى السامع، واستثنائه به وانسجامة له، حتى يكاد يطرب وينعم، وتهزه نشوة النغم، ويتميل كتمايل الأغصان على شجر الأكم.

ولعل أبرز ما يميز المقامة أن صاحبها يغلب جانب اللفظ على المعنى، ويحاول أن يحشد الألفاظ المختلفة ليحقق المقدرة اللغوية لديه ويستعرض ذلك، فالمعنى ينظر إليه بشكل يسير ولا يساوي شيئاً أمام اللفظ، والسجع والجناس من أبرز مواضيع المحسنات اللفظية؛ لذا يقول الأدباء: "ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة، فالمعنى ليس شيئاً مذكوراً، وإنما هو خيط ضئيل تُتشرُّ عليه الغاية التعليمية"¹.

وكأن صيغة السجع هي التي كان يعجب بها عصر بديع الزمان، حيث نراه يظهر براعة فائقة في استخدامها، حقاً هو لا يلتزمها دائماً، ولكنه يجنح إليها غالباً، فالأصل عنده أن يسجع، ولا يترك السجع إلا نادراً، وكانت تنهال عليه الألفاظ من كل جهة، بل ويضع الكلمات مواضعها في دقة وبراعة منقطعة النظير، من هنا كان سجعه خفيفاً رشيقاً، وليس فيه تكلف².

واشتملت هذه المقامة على خمس وستين موضعاً مسجوعاً، أربعة مواطن كان السجع فيها بأربعة أحرف متوالية، وهي:

(أسأل الله بقاءه، حتى أرزق لقاءه)، مصوراً فرحه بلقاء الإسكندري، ويسأل الله البقاء معه، حتى يحظ بشيء من بلاغته وحسن قوله، ثم ثنى بسجع آخر متعجباً من قعود همته مع حسن آله في الصياغة والبيان، فيقول: (وأتعجب من قعود همته بحالته، مع حسن آله).

¹ المقامة - لجنة من أدباء الأقطار العربية - ط3- دار المعارف بمصر - ص9.

² انظر: المرجع السابق ص32.

وقوله واصفاً الخيل عند رؤيته للأسد: (يجد قوى الحبل بمشافره، ويخد خد الأرض بحوافره)، وتلاحظ بأن سجعه هنا مكلل بالقبول والحسن؛ إذ المعنى هو الذي يقود المتكلم لا العكس، وهذا أحسن السجع وأشرفه منزلة من حيث تساوي فقراته في عدد الكلمات كما في هذا المثال.

بينما في سجعه: (فَأَحْسَبُ حِسَابَكَ وَالتَّمِيسُ كَيْمًا أُنَيْلُ الْمُتَمَسِّ)، تجد فيه من التكلف ما فيه؛ لما فيه من قود المتكلم إلى المعنى، وركاكة في السجع، وعدم توحيد الوزن في كلمتي: (التَّمِيس - الْمُتَمَسِّ).

وثلاثة عشر موطناً كان السجع فيها بثلاثة أحرف، منها: (ما يصغى إليه النفور، وينتفض له العصفور)، وهو سجع حسن ومقبول في كون التساوي في عدد الكلمات والفقرات، ومنها: (وأخذنا الطريق ننتهب مسافته، ونستأصل شأفته)، الذي فيه سجع لطيف وتصوير لقطع تلك الطريق.

وقوله في وصف نوع من الشجر (الاء) والأثل: (كالعذارى يسرحن الضفائر، وينشرن الغدائر)، وأيضاً في وصف جوارح الخيل عندما رأت الأسد وفزعت منه: (وقد أرهف بأذنيه، وطمح بعينيه).

وفي تصوير الأسد وطلوعه يقول: (قد طلع من غابه، منتفخاً في إهابه، كاشراً عن أنيابه)... وغيره. وست وعشرون موطناً كان السجع فيه بحرفين، منها على سبيل المثال: قوله في قطع الطريق بالخيول السريعة: (ولم نزل نفري أسنمة النجاد، بتلك الجياد).

ومنها أيضاً في وصف الخيول عند رؤية الأسد: (فأرسلت الأبوال، وقطعت الحبال، وأخذت نحو الجبال)، بسجع سلس غير متكلف.

ووصف نظرات الأسد وأنفته بقوله: (بطرفٍ قد ملئ صلفاً، وأنفٍ قد حُشي أنفاً)، وقال في وصف ساعد ذلك الفارس وقوامه الذي عن لهم: (وساعدٌ ملآنٌ، وقضيبٌ ريانٌ)، وأصله وهيئته: (وإنجارٌ تركيٌّ، وزبيٌّ ملكيٌّ)، وهو سجع جميل وحسن بألفاظ حلوة رنانة، ومنها قوله في وصف ذلك الفارس وجماله: (فَمَا شَكَّنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الْوِلْدَانَ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ، وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ)، بسجع جميل مستمد من رنين حرف المد (الألف) وغنة النون.

ووصف تخلصه وتغلبه على الفارس بقوله: (ومددت يدي إلى سكين كان معي في الخف وهو في شغله فأثبتته في بطنه، وأبنته في مته، فما زاد على فم فغره، وألقمه حجره)، تصوير بديع لشق بطنه وفتح فمه وإلقاه الحجر، بصوت الهاء الذي يحمل في طياته خروج الهواء بسلاسة ويسر، وفتح الفم من أثر ألم الموت وشدته.

واختتم مقامته بأحسن سجع وأجوده من حيث التساوى في الفقرات، وعدد الكلمات، فقال: (ولا نصر مع الخذلان، ولا حيلة مع الحرمان).

وسبعة عشر موطناً كان السجع فيه بحرف واحد، منها على سبيل المثال:

قوله: (أَدَاكَ سَيْرُكَ إِلَى فَنَاءِ رَحْبٍ، وَعَيْشِ رَطْبٍ)، بمعنى أنك لجأت إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقاً أو شدة، وعيشه لين وسهل ورغد.

وفي وصف تعجبهم من خدمة الفارس: (يَا فَتَى مَا أَلْفَكَ فِي الْخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الْجُمْلَةِ)، فهو لطيف في خدمته وحسن في قوله.

ومنه قوله: (وحيث رأينا الجدّ، أخذنا القُدّ)، المنتهي بحرف الدال المقلقل المشدد بنبرة الصوت المنزحج والمتعجب.

وقس على هذا في بقية جُمل المقامة.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً على إكمال البحث، وأود هنا أن أتكلم عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال التعرّيج على مقامات بديع الزمان الهمذاني.

1- أن كلمة (المقامة) تدلّ على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان الهمذاني، بينما هنا دلت على حادثة حدثت له مع الأسد فسامها بذلك؛ لما لها من أثر بليغ في ذاكرته جعلته يفرد ذلك في مقامة خاصة.

2- في المقامة الأسدية الكثير من المعاني البديعية - ولا سيما السجع منها- كذلك تحتوي على الكثير من المعاني البيانية، والبديعية، والأساليب الخبرية والإنشائية، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير.

3- ستجد أنت كباحث المتعة والفائدة من خلال سرد القصة، وما احتوت عليه من اللطائف البيانية والأسرار البلاغية.

4- ممارسة مثل هذه القراءة ستتكوّن لدى الباحث المقدرة على تحليل النصوص تحليلاً بلاغياً أدبياً عميقاً.

5- هذه المقامة الوحيدة التي سماها بديع الزمان باسم حيوان وهو الأسد، بخلاف بقية المقامات التي تسمت أغلبها بأسماء أماكن وأمصار مختلفة.

- 6- لا شك أن المتعة والفائدة لا تخلو من أيّ نظرٍ أو تأملٍ في تراثنا الأدبي القديم.
7- في كثير من المواقف والأحداث يحاول بديع الزمان أن يبالغ في وصفها وسردها بصورة جمالية بديعة، مما يثير الغرابة على قدرته البالغة في تصوير المواقف.

المصادر والمراجع:

- 1- تاج العروس من جواهر القاموس لـ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزبّيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.
2- القاموس المحيط لـ: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط8، 1426هـ - 2005م.
3- لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) - دار صادر - بيروت - ط3 - 1414هـ.
4- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
5- شرح شواهد المغني - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، علق عليه: أحمد ظافر كوجان - الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي - لجنة التراث العربي - ط بدون، 1386 هـ - 1966م.
6- مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: 518هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت، لبنان.
7- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لـ نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني، الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - عام النشر: 1420هـ.
8- الأدب المقارن - كود المادة: GARB5523 - المرحلة: ماجستير - المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية.
1 جواهر البلاغة لـ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ) - ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية، بيروت.
9- المقامة - لـ لجنة من أدباء الأقطار العربية - ط3- دار المعارف بمصر.

- 10- مقامات بديع الزمان الهمذاني لـ: أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المتوفي سنة (398هـ) -
قدم لها وشرح غوامضها: الشيخ محمد عبده - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- 11- صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - دار الصابوني- القاهرة - ط1، 1417 هـ - 1997 م.
- 12- الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس) - كود المادة: LARB4143 - المؤلف: مناهج
جامعة المدينة العالمية.
- 13- مقامات الحريري - دار الكتب اللبناني - بيروت - 1981م - ط1 - تحقيق: يوسف بقاعي.
- 14- الموسوعة العربية العالمية - أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية
الإسلامية.
- عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World
Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، و مترجم، ومحرر، ومراجع
علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.
- 15- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي
بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) - المحقق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت.
- 16- معجم الأدياء - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)
- المحقق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1- 1414هـ - 1993م.
- 17- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى:
429هـ) - المحقق: د. مفيد محمد قمحية - دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ط1-
1403هـ-1983م.
- 18- الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي الدمشقي - (المتوفى: 1396هـ) - دار العلم
للملايين - ط15 - أيار/ مايو 2002م.
- 19- الصناعتين - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) - المحقق: علي
محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العنصرية - بيروت - 1419هـ.
- 20- علم المعاني - عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ) - دار النهضة العربية، بيروت - لبنان
ط1، 1430هـ - 2009م.

Al-Nasser University

Journal



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
Ninth Year - Jan \ Jun 2021 - Vol. (1) - No.(17)

Advisory Board

Prof Salam Aboud Hasan, Iraq
Prof Jameel Abdurab EL-Maqtari, Yemen
Prof Saleh Salem Abdullah Bahaj, Yemen
Prof Mohammed Arawra , Morocco
Prof Abdurrahman Esh-shuja, Yemen
Prof Omar Moh. Alshuga'a , Yemen
Prof Ali Ahmed Yahya El-Qaedi, Yemen
Prof Mohammed Husein Khago, Yemen
Prof Yusof Mohammed El-Owadhi, Malay
Prof Saeed Munasar El-Ghalebi, Yemen
Prof Ahmed Lutf Essayed, Egypt
Prof Hamoud Mohammed El-Faqeeh, Yemen
Prof Muna Bent Rajeh Errajeh, KSA

Managing Editor

Prof Abdullah Tahish

Editor

Dr. Mohammed Shawqi Nasser

Editorial Board

Dr. Munir Ahmed Al-Aghberi
Dr. Anwar Mohammed Masoud
Dr. Abdulkareem Qasim Ezzumor
Dr. Mansour Ezzabadi

Dr. Iman Abdullah El-Mahdi
Dr. Mohammed Abdullah El-Kuhali
Dr. Fahd Saleh Ali Alkhyat
Dr. Yasser Ahmed El-Math-haji

Deposit Number at National Book House-Sana'a (630/2013)

Al-Nasser University Journal aims at giving scholars a chance to publish their Arabic and English research papers in the various fields of humanities and applied sciences.